
ألف ليلة وليلة
المجلد الرابع
www.kotobarabia.com

المجلد الرابع

ألف ليلة وليلة

ذات الحوادث العجيبة. والقصص المطربة الغريبة لياليها
غرام في غرام وتفاصيل حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر
فكاهية. ولطائف وطرائف أدبية بالصور المدهشة البديعة من
أبدع ما كان ومناظر أعجوبة
من عجائب الزمان.

الفهرس

بسم ا   الرحمن الرحيم

الحمد   رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(وفي ليلة ٧٤٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخته قالت له وأبو نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله وقد جعل لأولاده البنات التي رأيتهن مسيرة سنة كاملة طولاً وعرضاً وقد زاد على ذلك القطر نهر عظيم محيط به فلا يقدر أحد أن يصل إلى ذلك المكان لا من الأنس ولا من الجان وله من البنات الضاربات بالسيوف الطاعنات بالرماح خمسة وعشرون ألفاً كل واحدة منهن إذا ركبت جوادها ولبست آلة حربها تقاوم ألف فارس من الشجعان وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما في أخواتهن وأزيد وقد ولى على هذا القطر الذي عرفتك به ابنته الكبرى وهي أكبر أخواتها وفيها من الشجاعة والفروسية والخداع والمكر والسحر ما تغلب به أهل مملكتها وأما البنات التي معها فهن أرباب دولتها وأعوانها وخواصها من ملكها وهذه الجلود الريش التي يطرن بها إنما هي صنعة سحرة الجان وإذا أردت أن تملك هذه الصبية وتتزوج بها فأقعد هنا وأنتظرها لأنهن يحضرن على رأس كل شهر في هذا المكان فإذا رأيتهن قد حضرن فاختف وإياك أن تظهر فتروح أرواحنا جميعاً فاعرف الذي أقوله لك وأحفظه في ذهنك وأقعد في مكان يكون قريباً منهن بحيث أنك تراهن وهن لا يرونك فإذا قلعن ثيابهن فألق نظرك على الثوب الريش الذي هو للكبيرة التي في مرادك وخذه ولا تأخذ شيئاً غيره فإنه هو الذي يوصلها إلى بلادها فإنك إذا ملكته ملكتها وإياك أن تخدعك وتقول يا من سرق ثوبي رده علي وها أنا عندك وبين يديك وفي حوزتك فإنك إن أعطيتها إياه قتلتك وتخرب علينا القصور وتقتل أبانا فاعرف حالك كيف تكون فإذا رأى أخواتها أن ثوبها قد سرق طرن وتركنها قاعدة وحدها فأدخل عليها وأمسكها من شعرها وأجذبها فإذا جذبتها إليك فقد ملكتها وصارت في حوزتك فاحتفظ بعد هذا على الثوب الريش فإنه مادام عندك فهي في قبضتك وأسرك لأنها لا تقدر أن تطير إلى بلادها إلا به فإذا أخذتها فاحملها وأنزل بها إلى مقصورتك ولا تبين لها أنك أخذت الثوب فلما سمع حسن كلام أخته اطمأن قلبه وسكن روعه وزال ما به من الألم ثم انتصب قائماً على قدميه وقبل رأسه أخته وبعد ذلك قاما ونزل من فوق القصر هو وأخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه إلى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع إلى فوق وقعد ولم يزل قاعد إلى العشاء فطلعت له أخته بشيء من الأكل والشرب وغير ثيابه ونام ولم نزل معه على هذه الحالة في كل يوم إلى أن هلّ الشهر فلما رأى الهلال صار يرتقبهن فبينما هو كذلك وإذا بهن قد أقبلن عليه مثل البرق فلما رآهن اختفي في مكان بحيث يراهن وهن لا يرينه فنزلت الطيور وقعدت كل طيرة منهن في مكان وقلعن ثيابهن وكذلك البنت التي يحبها وكان ذلك في مكان قريب من حسن ثم نزلت البحيرة مع أخواتها فعند ذلك قام حسن ومشى قليلاً وهو مختلف وستر ا   عليه فأخذ الثوب ولم تنظره واحدة منهن بل كن يلعبن مع بعضهن فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش وجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده فصاحت ولطمت على وجهها وشقت ثيابها فأقبلن عليها أخواتها وسألنها عن حالها فأخبرتهن أن ثوبها الريش

قد فقد فبكين وصرخن ولطموا على وجوههن وحين أمسى عليهن الليل لم يقدرن أن يقعدن عنـدها فتركنهـا فوق القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما أخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده وطـار أخواتها وتركنها وحدها فلما رآهن حسن طرن وغبن عنها أصغي إليها فسمعها تقول يـا مـن أخـذ ثـوبي وأعراني سألتك أن ترده علي وتستر عورتي فلا أذاقك ا حسرتي فلما سمع حسن هذا الكلام منها سلب عقله في عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق أن يصبر عنها فقام من مكانه وصار يجـري حتـى هجـم عليهـا وأمسكها ثم جذبها إليه ونزل بها إلى أسفل القصر وأدخلها مقصورته ورمي عليها عباءته وهي تبكي وتعض على يديها فأغلق عليها الباب وراح لأخته وأعلمها أنه حصلها وظفر بها ونزل بها إلى مقصورته وقالا لهـا أنها الآن قاعدة تبكي وتعض على يديها فلما سمعت أخته كلامه قامت وتوجهت إلى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكي وهي حزينة فقبلت الأرض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية يا بنت الملك أهكذا تفعـل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك وأنت تعرفين إن أبي ملك عظيم وأن جميع ملوك الجان تفزع منه وتخاف من سطوته وعنده من السحرة والحكماء والكهان والشياطين والمردة مالا طاقة لاحد عليه وتحت يده خلق لا يعلم عددهم إلا ا تعالى وكيف يصلح لكم يا بنات الملوك أن تـأوين رجـال الأنـس عنـدكن وتطلعنهم على أحوالنا وأحوالكن وإلا فمن أين يصل هذا الرجل إلينا فقالت لها أخت حسن يا بنت الملـك أن هذا الأنسي كامل المروءة وليس قصده أمراً قبيحاً وإنما هو يحبك وما خلقت النساء إلا للرجال ولـولا أنـه يحبك ما مرض لأجلك وكادت روحه أن تزهق في هواك وحكت لها جميع ما أخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات في طيرانهن واغتسالهن وأنه لم يعجبه من جميعهن غيرها لأن كلهن جوار لهـا وأنهـا كانت تغطسهن في البحيرة وليست واحدة منهن تقدر أن تمد يدها إليها فلما سمعت كلامها يئست من الخلاص فعند ذلك قامت أخت حسن وخرجت من عندها وأحضرت لها بدلة فاخرة فألبستها أياها وأحضرت لها شـيئاً من الأكل والشرب فأكلت هي وأياها وطيبت قلبها وسكنت روعها ولم تزل تلاطفها بلين ورفق وتقـول لهـا ارحمي من نظرك نظرة فأصبح قتيلاً في هواك ولم تزل تلاطفها وترضيها وتحسن لها القول والعبارة وهـي تبكي إلى أن طلع الفجر فطابت نفسها وأمسكت عن بكائها لما علمت أنها وقعت ولا يمكن خلاصها وقالـت لأخت حسن يا بنت الملك بهذا حكم ا على ناصيتي من غربتي وانقطاعي عن بلادي وأهلي وأخوتي فصـبر جميل على ما قضاه ربي ثم أن أخت حسن أخلت لها مقصورة في القصر لم يكن هناك أحسن منها ولم تـزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكـدر وضـيق الصدر من فراق الأهل والأوطان وفراق أخواتها وأبويها وملكها ثم أن أخت حسن خرجت إليه وقالت له قـم ادخل عليها في مقصورتها وقبل يديها ورجليها فدخل وفعل ذلك ثم قبلها بين عينيها وقال لها يا سيدة المـلاح وحياة الأرواح ونزهة الناظرين كوني مطمئنة القلب أنا ما أخذتك إلا لأجل أن أكون عبدك إلى يوم القيامـة وأختي هذه جاريتك وأنا يا سيدتي ما قصدي إلا أن أتزوجك بسنة ا ورسوله وأسافر إلى بلادي وأكون أنـا وأنت في مدينة بغداد واشتري لك الجواري والعبيد ولي والدة من خيار النساء تكون في خدمتك وليس هنـاك بلاد أحسن من بلادنا وكل ما فيها أحسن مما في غيرها من سائر البلاد وأهلها وناسها ناس طيبون بوجـوه

صباح فبينما هو يخاطبها ويؤانسها وهي لا تخاطبه بحرف واحد وإذا بدق يدق باب القصـر فخـرج حسـن ينظر من بالباب فإذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقنص ففرح بهن وتلقـاهن وحيـاهن فـدعون لـه بالسلامة والعافية ودعا لهن الآخر ثم نزلن عن خيولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن مقصـورتها وفرغت ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشاً مليحاً وقد اصطدن شيئاً كثيـراً مـن الغـزلان وبقـر الوحوش والأرانب والسباع والضباع وغير ذلك وقدمن منه شيئاً إلى الذبح وتركن الباقي عندهن في القصـر وحسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحاً شديداً فلما فـرغن من الذبح قعدن يعملن شيئاً ليتغذوا به فتقدم حسن إلى البنت الكبيرة وقبل رأسها وصار يقبل رأسهن واحـدة بعد واحدة فقلن له لقد أكثرت التنزل الينا يا أخانا وعجبنا من فرط توددك الينا وأنت رجل آدمي ونحن مـن الجن فدمعت عيونه وبكي بكاء شديداً فقلن ما الخبر وما يبكيك فقد كدرت عيشنا ببكائك في هذا اليوم كأنـك اشتقت إلى والدتك وإلى بلادك فإن كان الأمر كذلك فنجهزك ونسافر بك إلى وطنك وأحبابك فقال لهـن وا ما مرادي فراقكم فقلن له وحينئذ من شوش عليك منا حتى تكدرت فخجل أن يقول ما شوش علـى الأعشـق الصبية خيفة أن ينكرن عليه فسكت ولم يعلمهن بشيء من حالة فقامت أخته وقالت لهن اصطاد طيـرة مـن الهواء ويريد منكن أن تعنه على تأهيلها فالتفتن إليه كلهن وقلن له نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيئاً من حالك فقال لاخته قصى خبري عليهن فإني استحي منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا قال لأخته قصي عليهن قصتي فإني استحي منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام فقالت أخته لهن يا أخواتي أننا لما سافرنا وخلينا هذا المسـكن وحـده ضاق عليه القصر وخاف أن يدخل عليه أحدوانتن تعرفن أن عقول بني آدم خفيفة ففتح الباب الموصل إلـى سطح القصر حين ضاق صدره وصار منفرداً وحده وطلع فوقه وقعد هناك وأشرف على الوادي وصار يطل على جهة الباب خوفاً أن يقصد أحد القصر فبينما هو جالس يوماً من الأيام وإذا بالعشر طيور أقـبلن عليـه قاصدات القصر ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التي فوقها المنظرة فنظر إلى الطيرة التي هـي أحسنهن وهي تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر أن تمديدها إليها ثم جعلن مخالبهن في أطواقهن فشـققن الثيـاب الريش وخرجن منها وصارت كل واحدة معهن صبية مثل البدر ليلة تمامه ثم خلعن ما عليهن وحسن واقـف ينظر إليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدرأن تمد يـدها إليهـا وهي أحسنهن وجهاً وأعد لهن قد وأنظفهن لباسا ولم يزلن على هذه الحالة إلى أ، قرب العصر ثم طلعن مـن البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن في القماش الريش والتففن فيه وطرن فاشتغل فؤاده واشتعل قلبه بالنار من أجل الطيرة الكبيرة وندم لكونه لم يسرق قماشها الريش فمرض وأقام فوق القصر ينتظرها فـامتنع مـن الأكـل والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لامع الهلال فبينما هو قاعد وإذا بهن قد أقبلن على عادتهن فقلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق ثوب الكبيرة فلما عرف أنها لاتقدران نظيراً لأنه أخذه وأخفاه خيفة أن يطلعـن عليـه فيقتلنه ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر فقال لها أخواتها وأين هي قالت لهن هـي عنده في المخدع الفلاني فقلن صفيها لنا يا أختي فقالت هي أحسن من البدر ليلة تمامه ووجهها أضـوأ مـن

الشمس وريقها أحلى من الشراب وقدها أرشق من القضيب ذات طرف أحور ووجه أقمر وجبين أزهر وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان وبطن مطوي الاعكان وسرة كأنها حق عاج بالمسك ملآن وفخذين كأنهما من المرمر عامودان تأخذ القلوب بطرف كحيل ورقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشفي العليل مليحة القوام حسنة الابتسام كأنها بدر التمام فلما سمعت البنات هذه الأوصاف التفتن إلى حسن وقلن له أرنا أياها فقام معهن وهو ولهان إلى أن أتى بهن إلى المخدع الذي فيه بنت الملك وفتحه ودخل وهن خلفه فلما رأينها وعاين جمالها قبلن الأرض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وطرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها وا يا بنت الملك الأعظم أن هذا لشيء عظيم ولو سمعت بوصف هذا الأنسي عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك وهو متعلق بك غاية التعلق إلا أنه يا بنت الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك إلا في الحلال ولو علمنا أن البنات تستغني عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع أنه لم يرسل إليك رسولاً بل أتي إليك بنفسه وأخبرنا أنه أحرق الثوب الريش وإلا كنا أخذناه منه ثم أن واحدة من البنات أتفقت هي وأياها وتوكلت في العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده في يدها وزوجنها له بأذنها وعملن في فرحها ما يصلح لبنات الملوك وأدخلنه عليها فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاظم وجده شغفاً بها وحيث حصل مطلوبه هنّى نفسه وأنشد هذه الأبيات.

قوامك فتان وطرفك أحور ... ووجهك من ماء الملاحة يقطر

تصورت في عيني أجل تصور ... فنصفك ياقوت وثلثك جوهر

وخمسك من مسك وسدسك عنبر ... وأنت شبيه الدر بل أنت أزهر

وما ولدت حواك مثلك واحداً ... ولا في جنان الخلد مثلك آخر

فإن شئت تعذيبي فمن سنن الهوى ... وإن شئت أن تعفي فأنت مخير

فيازينة الدنيا ويا غاية المنى ... فمن ذا الذي عن حسن وجهك يصبر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما دخل على بيت الملك وأزال بكارتها التي بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فأنشد فيها الأبيات المذكورة وكانت البنات واقفات على الباب فلما سمعن الشعر قلن لها يا بنت الملك اسمعي قول هذا الأنسي وكيف تلومينا وقد أنشد الشعر في هواك فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت ثم أن حسنا أقام معها أربعين يوماً في حظ وسرور ولذة وحبور والبنات يجددن له كل يوم فرحاً ونعمة وهدايا وتحفاً وهو بينهن في سرور وانشراح وطاب لبنت الملك القعود بينهن ونسيت أهلها ثم بعد الأربعين يوماً كان حسن نائماً فرأى والدته حزينة عليه وقد رق عظمها وانتحل جسمها وأصفر لونها وتغير حالها وكان هو في حالة حسنة فلما رأته على هذه الحالة قالت له يا ولدي يا حسن كيف تعيش في الدنيا منعما وتنساني فانظر حالي بعدك وأنا ما أنساك ولا لساني يترك ذكرك حتى أموت وقد عملت لك قبراً عندي في الدار حتى لا أنساك أبداً لترى أعيش يا ولدي، انظرك عندي ويعود شملنا مجتمعاً كما كان فانتبه حسن من نومه وهو يبكي وينوح ودموعه تجري على خديه مثل المطر وصار حزينا كئيبا لا ترتفع دموعه ولم يجئه نوم ولم يقر له قرار ولم يبق عنده اصطبار فلما أصبح دخلن عليه

البنات وصبحن عليه وانشرحن معه على عادتهن فلم يلتفت إليهن فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن ما أدري فقلن لها أسأليه عن حاله فتقدمت إليه وقالت له ما الخبر يا سيدي فتنهد وتضجر وأخبرها بما رآه في منامه ثم أنشد هذين البيتين:

قـــد بقينـــا موسوســـين حيـــارى	نطلـــب القـــرب مـــا إليـــه سـبيل
فـــدواهي الهـــوى تزيـــد علينـــا	ومقـــام الهـــوى علينـــا ثقيـــل

فأخبرتهن زوجته بما قاله لها فلما سمعت البنات الشعر رققن لحاله وقلن له تفضل بسم ا ما نقـدر أن تمنعك من زيارتها بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه ولكن ينبغي أن تزورنا ولا تنقطع عنا ولو في كل سنة مرة واحدة فقال لهن سمعاً وطاعة فقامت البنات من وقتهن وعملن له الزاد وجهزن له العروسة بالحلي والحلل وكل شيء غال يعجز عنه الوصف وهيأن له تحفاً تعجز عن حصرها الأقلام ثم أنهن ضربن الطبل فجاءت النجائب اليهن من كل مكان فاخترن منها ما يحمل جميع ما جهزنه وأركبن الجاريـة وحسـناً وحملن إليها خمسة وعشرين تختامن الذهب وخمسين من الفضة ثم سرن معهما ثلاثة أيام فقطعن فيها مسافة ثلاثة أشهر ثم أنهن ودعنهما وأردن الرجوع عنهما هذا ما كان منهن (وأما) ما كان من أمر حسن فإنه سـار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البراري والقفار والأودية والأوعار في الهواجر والأسـحار وكتـب ا تعالى لهما السلامة فسلما ووصلا إلى مدينة البصرة ولم يزالا سائرين حتى أناخا على باب داره نجائبهما ثم صرف النجائب وتقدم إلى الباب ليفتحه فسمع والدته وهي تبكي بصوت رقيق من كبد ذاقت عذاب الحريـق وهي تنشد هذه الأبيات.

وكيـف يـذوق النـوم مـن عـدم الكـري	ويســهر لــيلا والأنــام رقــود
وقــد كــان ذا مــال وأهــل وعــزة	فأضــحى غريــب الــدار وهــو وحيــد
لــه جمــر بــين الضــلوع وأنــه	وشــوق شــديد مــا عليــه مزيــد
تــولى عليــه الوجــد والوجــد حــاكم	ينــوح بمــا يلقــاه وهــو جليــد
وحالتــه فــي الحــب تخبــر أنــه	حــزين كئيــب والــدموع شــهود

فبكى حسن لما سمع والدته تبكي وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت أمه من بالباب فقال لها افتحي ففتحت الباب ونظرت إليه فلما عرفته خرت مغشيا عليها فمازال يلاطفها إلى أن فاقت فعانقها وعانقته وقبلته ثم نقل حوائجه ومتاعه إلى داخل الدار والجارية تنظر إلى حسن وأمه ثم أن أم حسن لما أطمأن قلبهـا وجمع ا شملها بولدها أنشدت هذه البيات.

رق الزمـــــــــــان لحـــــــــــالتي	ورثــــــــى لطــــــــول تحرقــــــــي
وأنـــــــالنى مـــــــا أشـــــــتهى	وأزال ممـــــــــــــا أتقـــــــــــى
فلاصـــــــفحن عمـــــــا جنـــــــا	مـــــــن الـــــــذنوب الســـــــبق
حتـــــــى جنايتـــــــه بمـــــــا	فعـــــــل المشـــــــيب بمفرقـــــــي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن والده حسن قعدت هي وإياه يتحـدثان وصـارت تقول له كيف حالك يا ولدي مع الأعجمي فقال لها يا أمي ما كان أعجمياً بل كان مجوسياً يعبـد النـار دون الملك الجبار ثم أنه أخبرها بما فعل به من أنه سافر به وحطه في جلد الجمل وخيطه عليه وحملتـه الطيـور وحطته فوق الجبل وأخبرها بما رآه فوق الجبل من الخلائق الميتين الذين كـان يحتـال علـيهم المجوسـي ويتركهم فوق الجبل بعد أن يقضوا حاجته وكيف رمي روحه في البحر من فوق الجبـل وسـلمه ا تعـالى وأوصله إلى قصر البنات ومؤاخاة البنت له وقعوده عند البنات وكيف أوصل ا المجوسي إلى المكان الـذي هو فيه وقتله إياه وأخبرها بعشق الصبية وكيف أصطادها ونقصتها كلها إلى أن جمع ا شملهما ببعضـهما فلما سمعت أمه حكايته تعجبت وحمدت ا تعالى على عافيته وسلامته ثم قامت إلى تلك الحمـول فنظرتهـا وسألته عنها فأخبرها بما فيها ففرحت فرحاً عظيماً ثم تقدمت إلى الجارية تحدثها وتؤانسها فلما وقعت عينهـا عليها اندهش عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها ثم قالت يا ولدي الحمد

على السلامة وعلى رجوعك سالماً ثم أن أمه قعدت جنب الصبية وآنستها وطيبت خاطرها ثم نزلت فـي بكرة النهار إلى السوق فاشترت عشر بدلات من أفخر ما في المدينة من الثياب وأحضرت لها الفرش العظيم وألبست الصبية وجملتها بكل شيء مليح ثم أقبلت على ولدها وقالت يا ولدي نحن بهـاذ المـال لا نقـدر أن نعيش في هذه المدينة وأنت تعرف أننا ناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء فقم بنا نسافر إلـى مدينـة بغداد دار السلام لنقيم في حرم الخليفة وتقعد أنت في دكان فتبيع وتشتري وتتقي ا عز وجل فيفـتح عليـك وأحضر النجائب وحمل عليها جميع أمواله وأمتعته وأمه وزوجته وسار ولم يزل سائر إلى أن وصـل إلـى الدجلة فأكترى مركباً البغداد ونقل فيها جميع ماله وحوائجه ووالدته وزوجته وكل ما كان عنـده ثـم ركـب المركب فسارت بهم المركب في ريح طيبة مدة عشرة أيام حتى أشرفوا على بغداد فلما أشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة فطلع من وقته وساعته إلى المدينة وأكترى مخزناً في بعض الخانات ثـم نقـل حوائجه من المركب غليه وطلع وأقام ليلة في الخان فلما أصبح غير ما عليه من الثياب فلما رآه الدلال سأله عن حاجته وعما يريد فقال أريد داراً تكون مليحة واسعة فعرض عليه الدور التي عنده فأعجبته دار كانـت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه الثمن ثم عاد إلى الخان الذي نزل فيه ونقل جميع ما له وحوائجه إلى الدار ثم خرج إلى السوق وأخذ ما تحتاج إليه الدار من آنية وفـرش وغيـر ذلـك واشترى خدما ومن حملتهما عبداً صغيراً للدار وأقام مطمئناً مع زوجته في ألذ عيش وسرور مدة ثلاث سنين وقد رزق بغلامين سمي أحدهما ناصر أو الآخر منصوراً وبعد هذه المدة تذكر أخواته البنات وتذكر إحسانهن إليه وكيف ساعدته على مقصوده فاشتاق إليهن وخرج إلى أسواق المدينة فاشترى منها شيئاً من حلي وقماش نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه فسألته أمه عن سبب شراء تلك التحف فقال لها أني عزمت على أن أسافر إلى أخواتي اللاتي فعلن معي كل جميل ورزقي الذي أنا فيه من خيرهن وإحسانهن فإني أريد أن أسافر إليهن وأنظرهن وأعود قريباً أن شاء ا تعالى فقالت له يا ولدي لا تغب علي فقال لها اعلمي يا أمي كيـف تكونين مع زوجتي وهذا ثوبها الريش في صندوق مدفون في الأرض فاحرصي عليه لئلا تقع عليه فتأخـذه وتطير هي وأولادها ويروحون وأبقى لا أقع لهم على خبر فأموت كمداً من أجلهم واعلمي يا أمي أني أحذرك

من أن تذكري ذلك لها واعلمي أنها بنت ملك الجان وما في ملوك الجان أكبر من أبيها ولا أكثر منه جنـوداً ولا مالا واعلمي أنها سيدة قومها وأعز من عند أبيها فهي عزيزة النفس جداً فأخدميها أنت بنفسك ولا تمكنيها من أن تخرج من الباب أو تطل من الطاقة أو من حائط فأني أخاف عليها من الهواء إذا هب وإذا جرى عليها أمر من أمور الدنيا فأنا أقتل روحي من أجلها فقالت أمه أعوذ با من مخالفتك يا ولدي هل أنا مجنونة حتى توصيني بهذه الوصية وأخالفك فيها سافر يا ولدي وطب نفساً وسوف تحضر في خير وتنظرها إن شـاء ا تعالى وتخبرك بما جرى لها مني ولكن يا ولدي لا تقعد غير مسافة الطريق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما أراد السفر إلى البنات وصي أمه علـى زوجته على حسب ما ذكرنا وكانت زوجته بالأمر المقدر تسمع كلامه وهما لا يعرفان ذلك ثم أن حسنا قـام وخرج إلى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين من تحف العـراق وودع والدتـه وزوجته وأولاده وكان عمر واحد من ولديه سنة والآخر سنتين ثم أنه رجع إلى والدته وأوصاها ثانياً ثم أنـه ركب وسافر إلى أخواته ولم يزل مسافراً ليلاً ونهاراً في أودية وجبال وسهول وأوعار مدة عشرة أيام وفـي اليوم الحادي عشر وصل إلى القصر ودخل على أخواته ومعه الذي أحضره إليهن فلما رأينـه فـرحن بـه وهنينه بالسلامة وأما أخته فإنها زينت القصر ظاهره وباطنه ثم أنهن أخذن الهدية وأنزلنه في مقصورة مثـل العادة وسألته عن والدته وعن زوجته فأخبرهن أنها ولدت منه ولدين ثم أن أخته الصغيرة لما رأته طيباً بخير فرحت فرحاً شديداً وأنشدت هذا البيت:

وأسأل الـريح عـنكم كلمـا خطـرت وغيركم في فؤادي قـط مـا خطـرا

ثم أنه أقام عندهن في الضيافة والكرامة مدة ثلاثة أشهر وهو في فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص هذا ما كان من حديثه (وأما) ما كان من حديث أمه وزوجته فأنه لما سافر حسن أقامت زوجته يومـاً وثانياً مع أمه وقالت لها في اليوم الثالث سبحان ا هل أقعد معه ثلاث سنين ما أدخل الحمام وبكـت فرقـت أمه لحالها وقالت لها يا بنتي نحن غرباء وزوجك ما هو في البلد فلو كان حاضراً كان يقوم بخدمتك أما أنـا فلا أعرف أحداً ولكن يا بنتي أسخن لك الماء وأغسل رأسك في حمام البيت فقالت لها يا سيدتي لو قلت هـذا القول لبعض الجواري كان طلبت البيع في السوق وما كانت تقعد عندكم ولكن يا سيدتي أن الرجال معذورون فإن عندهم غيرة وعقولهم تقول لهم إن المرأة إذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة والنساء يا سـيدتي مـا كلهن سواء وأنت تعرفين أن المرأة إذا كان لها غرض في شيء ما يغلبها أحد ولا يقدر أن يحرص عليها ولا يصونها ولا يمنعها من الحمام ولا غيره ولا من أن تعمل كل ما تختاره ثم أنها بكت ودعـت علـى نفسـها وصارت تعدد على نفسها وغربتها فرقت لحالها أم زوجها وعلمت أن كل ما قالته لابد منه فقامـت وهيـأت حوائج الحمام التي يحتاجان إليها وأخذت وراحت إلى الحمام فلما دخلتا الحمام قلعت ثيابهـا فصـار النسـاء جميعاً ينظرن ويسبحن ا عز وجل ويـتأمل فيما خلق من الصورة البهية وصار كل من جاز مـن النسـاء على الحمام يدخل ويتفرج عليها وشاع في البلد ذكرها وازدحم النساء عليها وصار الحمام لا ينشق من كثرة النساء اللاتي فيه فاتفق بسبب ذلك الأمر العجيب أنه حضر إلى الحمام في ذلك اليوم جارية من جواري أمير

المؤمنين هارون الرشيد يقال لها تحفة العوادة فرأت النساء في زحمة والحمام لا ينشق مـن كثـرة النسـاء والبنات فسألت عن الخبر فأخبرتها بالصبية فجاءت عندها ونظرت إليها وتأملت فيها فتحير عقلها من حسنها وجمالها وسبحت الله جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح ولم تدخل ولم تغتسل وإنما صـارت قاعـدة وباهتة في الصبية إلى أن فرغت الصبية من الغسل وخرجت لبست ثيابها فزادت حسناً علـى حسـنها فلمـا خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء ناظرات إليها فالتفتت إليهن وخرجت فقامت تحفة العوادة جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودعتها ورجعت إلى قصر الخليفـة ومازالـت سائرة حتى وصلت بين أيادي السيدة زبيدة وقبلت الأرض بين يديها فقالت السيدة زبيدة يا تحفة مـا سـبب إبطائك في الحمام فقالت يا سيدتي رأيت أعجوبة ما رأيت مثلها في الرجال ولا في النساء وهي التي شغلتني وأدهشت عقلي وحيرتني حتى أنني ما غلست رأسي فقالت وما هي يا تحفة قالت يا سيدتي رأيت جارية فـي الحمام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأي أحد مثلها لا قبلها ولا بعدها وليس مثل صورتها في الدنيا بأسرها وحق نعمتك يا سيدتي أن عرفتيها يا أمير المؤمنين قتل زوجها وأخذها منه لأنه لا يوجد مثلها واحدة من النساء وقد سألت عن زوجها فقالوا أن زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصري وتبعتها عند خروجها من الحمام إلى أن دخلت بيتها فرأيته بيت الوزير الذي له بابان باب من جهة البحر وباب من جهـة البـر وأنـا أخاف يا سيدتي أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتـزوج بهـا وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جارية أمير المؤمنين لمـا رأت زوجـة حسـن البصري ووصفت حسنها للسيدة زبيدة وقالت يا سيدتي إني أخاف أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها فقالت السيدة زبيدة ويلك يا تحفة هل بلغت هذه الجارية من الحسـن والجمـال أن أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف الشرع لأجلها والله لا بد لي من النظر إلى هذه الصبية فإن لم تكن كما ذكرت أمرت بضرب عنقك يا فاجرة إن في سراية أمير المؤمنين ثلثمائة وستين جارية بعدد أيام السـنة مـا فيهن واحدة بالصفات التي تذكرينها فقالت يا سيدتي لا والله ولا في بغداد بأسرها مثلها بل ولا في العجم ولا في العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها فعند ذلك دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبل الأرض بين يديها فقالت له يا مسرور اذهب إلى دار الوزير التي ببابين باب على البحر وباب على البر وأئت بالصـبية التـي هناك هي وأولادها والعجوز التي عندها بسرعة ولا تبطيء فقال مسرور السمع والطاعة فخرج من بين يديها حتى وصل إلى باب الدار فطرق الباب فخرجت له العجوز أم حسن وقالت من بالباب؟ فقال لها مسرور خادم أمير المؤمنين ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن حاجته فقال إن السيدة زبيـدة بنـت القاسم زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي ﷺ تدعوك إليها أنـت وزوجـة ابنك وأولادها فإن النساء أخبرتها عنها وعن حسنها فقالت أم حسن يا مسرور نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدي ما هو في البلد ولم يأمرني بالخروج أنا ولا هي لا أحد من خلق الله تعالى وأنا أخاف أن يجري أمـر ويحضر ولدي فيقتل زوجه فمن إحسانك يا مسرور أن لا تكلفنا مالا نطيق فقال مسرور يا سيدتي لو علمـت أن في هذا خوف عليكم ما كلفتكم الرواح وأنما مراد السيدة زبيدة أن تنظرها وترجع فلا تخالفي تندمي وكما

آخذكما أردكما إلى هنا سالمين إن شاء الله تعالى فما قدرت أم حسن أن تخالفه فدخلت وهيأت الصبية وأخرجتها هي وأولادها وساروا خلف مسرور وهو قدامهم إلى قصر الخليفة فطلع بهم حتى أوقفهم قدام السيدة زبيدة فقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها والصبية مستورة الوجه فقالت لها السيدة زبيدة أما تكشفين عن وجهك لانظره فقبلت الصبية الأرض بين يديها وأسفرت عن وجه يخجل البدر في أفق السماء فلما نظرتها شخصت إليها وسرحت فيها النظر وأضاء القصر من نور وجهها واندهشت زبيدة من حسنها وكذلك كل من في القصر وصار كل من رآها مجنوناً لا يقدر أن يكلم أحداً ثم أن السيدة زبيدة قامت وأوقفت الصبية وضمتها إلى صدرها وأجلستها معها على السرير وأمرت أن يزينوا القصر ثم أمرت بأن يحضر لها بدلة من أفخر الملبوس وعقداً من أنفس الجواهر وألبست الصبية إياهما وقالت لها يا سيدة الملاح أنك عجبتيني وملأت عيني أي شيء عندك من الذخائر فقالت الصبية يا سيدتي لي ثوب ريش لو لبسته بين يديك لرأيت أحسن ما تتعجبين منه ويتحدث بحسنه كل من يراه جيلاً بعد جيل فقالت وأين ثوبك هذا قالت هو عند أم زوجي فاطلبيه لي منها فقالت السيدة زبيدة يا أمي بحياتي عندك أن تنزلي وتأتي لها بثوبها الريش حتى نتفرجنا على الذي تفعله وخذيه ثانياً فقالت العجوز يا سيدتي هذه كذابة هل رأينا أحداً من النساء له ثوب من الريش فهذا لا يكون إلا للطيور فقالت الصبية للسيدة زبيدة وحياتك يا سيدتي لي عندها ثوب ريش وهو في صندوق مدفون في الخزانة التي في الدار فقلعت السيدة زبيدة من عنقها عقد جوهر يساوي خزائن كسرى وقيصر وقالت لها يا أمي خذي هذا العقد وناولتها إياه وقالت لها بحياتي أن تنزلي وتأتي بذلك الثوب لنتفرج عليه وخذيه بعد ذلك فحلفت لها أنها ما رأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقاً فصرخت السيدة زبيدة على العجوز وأخذت منها المفتاح ونادت مسروراً فحضر فقالت له خذ هذا المفتاح واذهب إلى الدار وافتحها وأدخل الخزانة التي ببابها كذا وكذا وفي وسطها صندوقاً فأخرجه وأكسره وهات الثوب الريش الذي فيه وأحضره بين يدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما أخذت المفتاح من أم حسن وأعطته لمسرور وقالت له خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية واخرج منها الصندوق واكسره واخرج منه الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي فقال سمعاً وطاعة ثم أنه تناول المفتاح من يد السيدة زبيدة وصار فقامت معه العجوز أم حسن وهي باكية العين ندمانة على مطاوعة الجارية ورواحها الحمام معها ولم تكن الصبية طلبت الحمام إلا مكيدة ثم أن العجوز دخلت هي ومسرور وفتحت باب الخزانة فدخل وأخرج الصندوق وأخرج منه القميص الريش ولفه معه في فوطه وأتى به إلى السيدة زبيدة فأخذته وقلبته وتعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها وقالت لها هل هذا ثوبك الريش قالت نعم يا سيدتي ومدت الصبية يدها إليه وأخذته منها وهي فرحى ثم أن الصبية تفقدته فرأته صحيحاً كما كان عليها ولم يضع منه ريشة ففرحت به وقامت من جنب السيدة زبيدة وأخذت القميص وفتحته وأخذت أولادها في حضنها واندرجت فيه وصارت طيرة بقدرة الله عز وجل فتعجبت السيدة زبيدة من ذلك وكذلك كل من حضر وصار الجميع يتعجبون من فعلها ثم أن الصبية تمايلت وتمشيت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها ثم قالت لهم بلسان



فصيح يا سادتي هل هذا مليح فقال لها الحاضرون نعم يا سيدتي الملاح كل ما فعلتيه مليح ثم قالت وهذا الذي أعمله أحسن منه يا سادتي وفتحت أجنحتها وطارت بأولادها وصارت فوق القبة ووقفت على سطح القاعة فنظروا إليها بالأحداق وقالوا لها وا هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط ثم أن الصبية لما أرادت أن تطير إلى بلادها تذكرت حسناً وقالت اسمعوا يا سادتي وأنشدت هذه الأبيات:

يا من خلا عن ذي الديار وسارا ... نحو الحبائب مسرعاً فرارا

أتظن أني في نعيم بينكم ... والعيش منكم لما يكن أكدارا

لما أسرت وصرت في شرك الهوى ... جعل الهوى سجني وشط مزارا

لما اختفى ثوبي تيقن أنني ... لم أدع فيه الواحد القهارا

قد صار يوصي أمه بحفاظه ... في مخدع وعدا على وجارا

فسمعت ما قالوه ثم حفظته ... ورجوت خيراً زائداً مدراراً

فرواحي الحمام كان وسيلة ... حتى غدت في العقول حيارى

وتعجبت عرس الرشيد لبهجتي ... غذ شاهدتني يمنة ويسارا

ناديت يا امرأة الخليفة أن لي ... ثوبا من الريش العلي فخارا

لو كان فوقي تنظرين عجائباً ... تمحو اللعنا وتبدد الأكدارا

فاستفسرت عرس الخليفة أين ذا ... فأجبت في دار الذي قد دار

فانقض مسرور وأحضره لها ... وأذابه قد أشرق الأنوارا

فأخذته من كفه وفتحته ... ورأيت منه الجيب والأزرارا

فدخلت فيه ثم أولادي معي ... وفردت أجنحتي وطردت فرارا

يا أم زوجي أخبريه إذا أتى ... أن حب وصلي فليفارق دارا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة أما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسنك يا سيدة الملاح فسبحان من أعطاك الفصاحة والصباحة قالت هيهات أن يرجع ما فات ثم قالت لأم حسن الحزين المسكين وا يا سيدتي يا أم حسن أنك توحشيني فإذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجئني إلى جزائر واق الواق ثم طارت هي وأولادها وطلبت بلادها فلما رأت أم حسن ذلك بكت ولطمت وجهها حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت لها السيدة زبيدة يا سيدتي الحاجة ما كنت أعرف أن هذا يجري ولو كنت أخبرتيني به ما كنت أتعرض اك وما عرفت أنها من الجن الطيارة إلا في هذا الوقت ولو عرفت أنها على هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولا كنت أخليها تأخذ أولادها ولكن يا سيدتي اجعليني في حل فقالت العجوز وما وجدت في يدها حيلة أنت في حل ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشي عليها فلما أفاقت من غشيتها استوحشت إلى الصبية وإلى أولادها وإلى رؤية ولدها ثم قامت وحفرت في البيت ثلاث قبور وأقبلت عليها بالبكاء آناء الليل وأطراف النهار وحين طالبت غيبة ولدها وزاد بها القلق والشوق والحزن وأنشدت هذه الأبيات:

خيالك بين طابقة الجفون   وذكرك في الخوافق والسكون
وحبك قد جرى في العظم مني   كجري الماء في ثمر الغصون
ويوم لا أراك يضيق صدري   وتعذرني العواذل في شجوني
أيا من قد تملكني هواه   وزاد على محبته جنوني
خف الرحمن في وكن رحيما   هواك أذاقني ريب المنون

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم حسن صارت تبكي آناء الليل وأطراف النهار لفراق ولدها وزوجته وأولادها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر ولدها حسن فإنه لما وصل إلى البنات حلفن عليه أن يقيم عندهن ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك جهزن له المال وهيأن له عشرة أحمال خمسة من الذهب وخمسة من الفضة وهيأن له من الزاد حملاً واحداً وسفرنه وخرجن معه فحلف عليهن أن يرجعن فأقبلن على عناقه من أجل التوديع فتقدمت إليه البنت الصغيرة وعانقته وبكت حتى غشي عليها وأنشدت هذين البيتين:

متى تنطفي نار الفراق بقربكم   ويقضي بكم ربي ونبقى كما كنا
لقد راعني يوم الفراق وضربي   وقد زادني التوديع يا سادتي وهنا

ثم تقدمت البنت الثانية وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

وداعك مثل وداع الحياة   وفقدك يشبه فقد النديم
وبعدك نار كوت مهجتي   وقربك فيه جنات النعيم

ثم تقدمت الثالثة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

ما تركنا الوداع يوم افترقنا   عن ملال ولا لوجه قبيح
أنت روحي على الحقيقة قطعاً   كيف أختار أن أودع روحي

ثم تقدمت البنت الرابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتن:

لم يبكني إلا حديث فراقه   لما أسربه إلى مودعي
هو ذلك الدر الذي أودعته   في مسمعي أجريته من مدمعي

ثم تقدمت البنت الخامسة وعانقته وأنشدت هذين البيت:

لا ترحلن فما لي عنكم جلد   حتى أطيق به توديع مرتحل
ولا من الصبر ما ألقى الفراق به   ولا من الدمع ما أذرى على طلل

ثم تقدمت البنت السادسة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

قد قلت مذ سار السباق بهم   والشوق يهب مهجتي نهباً
لو كان لي ملك أصول به   لأخذت كل سفينة غصبا

ثم تقدمت البنت السابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:



إذا رأيـ ـ ـ ـت الـ ـ ـ ـوداع فأصـ ـ ـ ـبر … ولا يهولنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـك البعـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـاد

وانتظـ ـ ـر العـ ـ ـود عـ ـ ـن قريـ ـ ـب … فـ ـ ـإن قلـ ـ ـب الـ ـ ـوداع عـ ـ ـادوا

ثم أن حسنا ودعهن وبكى إلى أن غشي عليه بسبب فراقهم وأنشد هذه الأبيات:

ولقــد جــرت يــوم الفــراق سـوافحي … دررا نظمـ ـت عقودهـ ـا مـ ـن أدمعـ ـي

وحــدا بهــم حــادي الركــاب فلــم أجــد … جلـ ـداً ولا صـ ـبراً ولا قلبـ ـي معـ ـي

ودعـ ـتهم فـ ـي انثنيـ ـت بحسـ ـرة … وتركـ ـت أنـ ـس معاهـ ـدي وإلا ربـ ـع

فرجعــت لا أدري الطريــق ولــم تطــب … نفسـ ـ ـي أنـ ـ ـي أراك بمرجعـ ـ ـي

يــا صــاحبي أنصــت لأخبــار الهــوى … حاشـ ـى لقلبـ ـك أن أقـ ـول ولا يعـ ـي

يـ ـا نفـ ـس مـ ـذ فـ ـارقتهن ففـ ـارقي … طيــب الحيــاة وفــي البقــا لا تطمعــي

ثم أنه جد في المسير ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى بغداد دار السلام وحرم الخلافة العباسية ولم يـدر بالذي جري بعد سفره فدخل الدار على والدته وسلم عليها فرآها قد انتحل جسمها ورق عظمها مـن كثـرة النوح والسهر والبكاء والعويل حتى صارت مثل الخلال ولم تقدران ترد الكلام فصرف النجائب وتقدم إليهـا فلما رآها على تلك الحالة قام في الدار وفتش على زوجته وعلى أولادها فلم يجد لهم أثراً ثم أنه نظـر فـي الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق مفتوحاً ولم يجد فيه الثوب فعند ذلك عرف أنها تمكنت من الثوب الريش وأخذته وطارت وأخذت أولادها معها فرجع إلى أمه فرآها قد أفاقت من غشيتها فسألها عن زوجتـه وعـن أولادها فبكت وقالت يا ولدي عظم ا أجرك فيهم وهذه قبور الثلاثة فلما سمع كلام أمـه صـرخ صـرخة عظيمة وخر مغشياً عليه واستمر كذلك من أول النهار إلى الظهر فازدادت أمه غماً على غمها وقد يئست من حياته فلما أفاق بكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وصار دائراً في الدار متحيراً ثم أنشد هذين البيتين:

شـ ـكا ألـ ـم الفـ ـراق النـ ـاس قبلـ ـي … وروع بـ ـ ـ ـالنوى حـ ـ ـ ـي وميـ ـ ـ ـت

وأمـ ـا مثـ ـل مـ ـا ضـ ـمت ضـ ـلوعي … فـ ـ ـ ـأني لا سـ ـ ـ ـمعت ولا رأيـ ـ ـ ـت

فلما فرغ من شعره أخذ سيفه وسله وجاء إلى أمه وقال لها إن لم تعلميني بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحي فقالت له يا ولدي لا تفعل ذلك وأنا أخبرك ثم قالت له اغمد سيفك واقعد حتى أحـدثك بالـذي جرى فلما أغمد سيفه وجلس إلى جانبها أعادت عليه القصة من أولها إلى آخرها وقالت له يا ولدي لولا أني رأيتها بكت على طلب الحمام وخفت منك أن تجيء وتشكو إليك فتغضب على ما كنت ذهبت بها إليه ولـولا أن السيدة زبيدة غضبت على وأخذت مني المفتاح قهراً ما كنت أخرجت الثوب ولو كنت أموت ويـا ولـدي أنت تعرف أن يد الخلافة لا تطاولها يد فلما أحضروا لها الثوب أخذته وقلبته وكانت تظن أنه فقد منه شـيء ففرحت وأخذت أولادها وشدتهم في وسطها ولبست الثوب الريش بعد ما قلعت لها الست زبيدة كل ما عليهـا إكراماً لها ولجمالها فلما لبست الثوب الريش انتفضت وصارت طيرة ومشت في القصر وهم ينظرون إليهـا ويعجبون من حسنها وجمالها ثم طارت وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت إلى وقالت لي إذا جاء ولـدك

وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاق وهزته رياح المحبة والأشواق فليفارق وطنه ويذهب إلى جزائر واق الواق هذا ما كان من حديثهما في غيبتك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما سمع كلام أمه حين حكت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فلما أفاق لطم على وجهه وصار يتقلب على الأرض مثل الحية فقعدت أمه تبكي عند رأسه إلى نصف الليل فلما أفاق من غشيته بكى بكاء عظيماً وأنشد هذه الأبيات:

قفوا وانظروا حال الذي تهجرونه ... لعلكم بعد الجفاء ترحمونه

فإن تنظروه تنكروه لسقمه ... كأنكم والله لا تعرفونه

وما هو إلا ميت في هواكم ... يعد من الأموات إلا أنينه

ولا تحسبوا أن التفرق هين ... يعز على المشتاق والموت دونه

فلما فرغ من شعره قام وجعل يدور في البيت وينوح ويبكي وينتحب مدة خمسة أيام لم يذق فيها طعاماً ولا شراباً فقامت إليه أمه وحلفته وأقسمت عليه أن يسكت من البكاء فما قبل كلامها ومازال يبكي وينتحب وأمه تسليه وهو لا يسمع منها شيئاً ومازال حسن على هذه الحالة يبكي إلى الصباح. غفلت عيناه فرأى زوجته حزينة وهي تبكي فقام من نومه وهو صارخ وأنشد هذين البيتين:

خيالك عندي ليس يبرح ساعة ... جعلت له في القلب أشرف موضع

ولولا رجاء الوصل ما عشت لحظة ... ولولا خيال الطيف لم أتهجع

فلما أصبح الصباح زاد نحيبه وبكاؤه ولم يزل باكي العين حزين القلب ساهر الليل قليل الأكل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله أنه يسافر إلى أخواته لأجل أن يساعدنه على قصده من حصولها فأحضر النجائب ثم حمل خمسين هجينة من تحف العراق وركب واحدة منها ثم أوصى والدته على البيت وأودع جميع حوائجه إلا قليلاً أبقاه في الدار ثم سار متوجهاً إلى أخواته لعله أن يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته ولم يزل سائراً حتى وصل إلى قصر البنات في جبل السحبا فلما دخل عليهن قدم إليهن الهدايا ففرحن بها وهنينة بالسلام وقلن له يا أخانا ما سبب مجيئك بسرعة ومالك غير شهرين فبكى وأنشد هذه الأبيات:

أرى النفس في فكر لفقد حبيبها ... فلا تتهنى بالحياة وطيبها

سقامي داء ليس يعرف طبه ... وهل يبرىء الأسقام غير طبيبها

فيامن نعى طيب المنام تركتني ... أسائل عنك الريح عند هبوبها

قريبة عهد من حبيبي وقد حوي ... محاسن تدعو مقلتي لصبيبها

فيا أيها الشخص والملم بأرضه ... عسى نفحة نحيا القلوب بطيبها

فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخر مغشياً عليه وقعدت البنات حوله يبكين عليه حتى فاق من غشيته فلما أفاق أنشد هذين البيتين:

عسى ولعل الدهر يلوي عنانه   ويأتي بحبيبي والزمان غيور

ويسعدني دهري فتنقضي حوائجي   وتحصل من بعد الأمور أمور

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات:

أفي العشق والتبريح دنتم كما دنا   وهل ودنا منكم كما ودكم منا

إلا قائل ا الهوى ما أمره   فيا ليت شعري ما يريد الهوى منا

وجوهكم الحسنا وأن شطت النوى   تمثل في أبصارنا أينما كنا

فقلبي مشغول بتذكار حبكم   ويطربني صوت الحمام إذا غنى

ألا يا حمام يدعو أليفه   لقد زدتني شوقاً وأصحبتني حزنا

تركت جفوني لأتمل من البكا   على سادة غابوا برؤيتهم عنا

أحن إليهم كل وقت وساعة   واشتاق في الليل البهيم إذا جنا

فلما سمعت كلامه أخته خرجت إليه فرأته راقداً مغشياً عليه فصرخت ولطمت فسمعها أخواتها فخرجن إليها فرأين حسناً راقداً مغشياً عليه فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهن حين رأينه ما حل به من الوجد والهيام والشوق والغرام فسألته عن حاله فبكى وأخبرهن بما جرى في غيابه حيث طارت زوجته وأخذت أولادها معها فحزن عليها وسألنه عن الذي قالت عندما راحت قال يا أخواتي أنها قالت لوالدتي قولي لولدك إذا جاء وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجئني إلى جزائر واوق الواق فلما سمعن كلامه تغامزن وتذاكرن وصارت كل واحدة تنظر إلى أختها وحسن ينظر إليهن ثم أطرقن برؤوسهن إلى الأرض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم لم قلن له أمدد يدك إلى السماء فإن وصلت إلى السماء تصل إلى زوجتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما قلن لحسن أمدد يدك إلى السماء فإن وصلت إليها تصل إلى زوجتك وأولادك جرت دموعه على خديه مثل المطرحتي بلت ثيابه وأنشد هذه الأبيات:

قد هيجتني الخدود الحمر والحدق   وفارق الصبر لما أقبل الأرق لم يبق منه لا

بيض نواعم أضنت بالجفا جسدي   يصار الورى رمق عن بهجة لورآها الأولياء

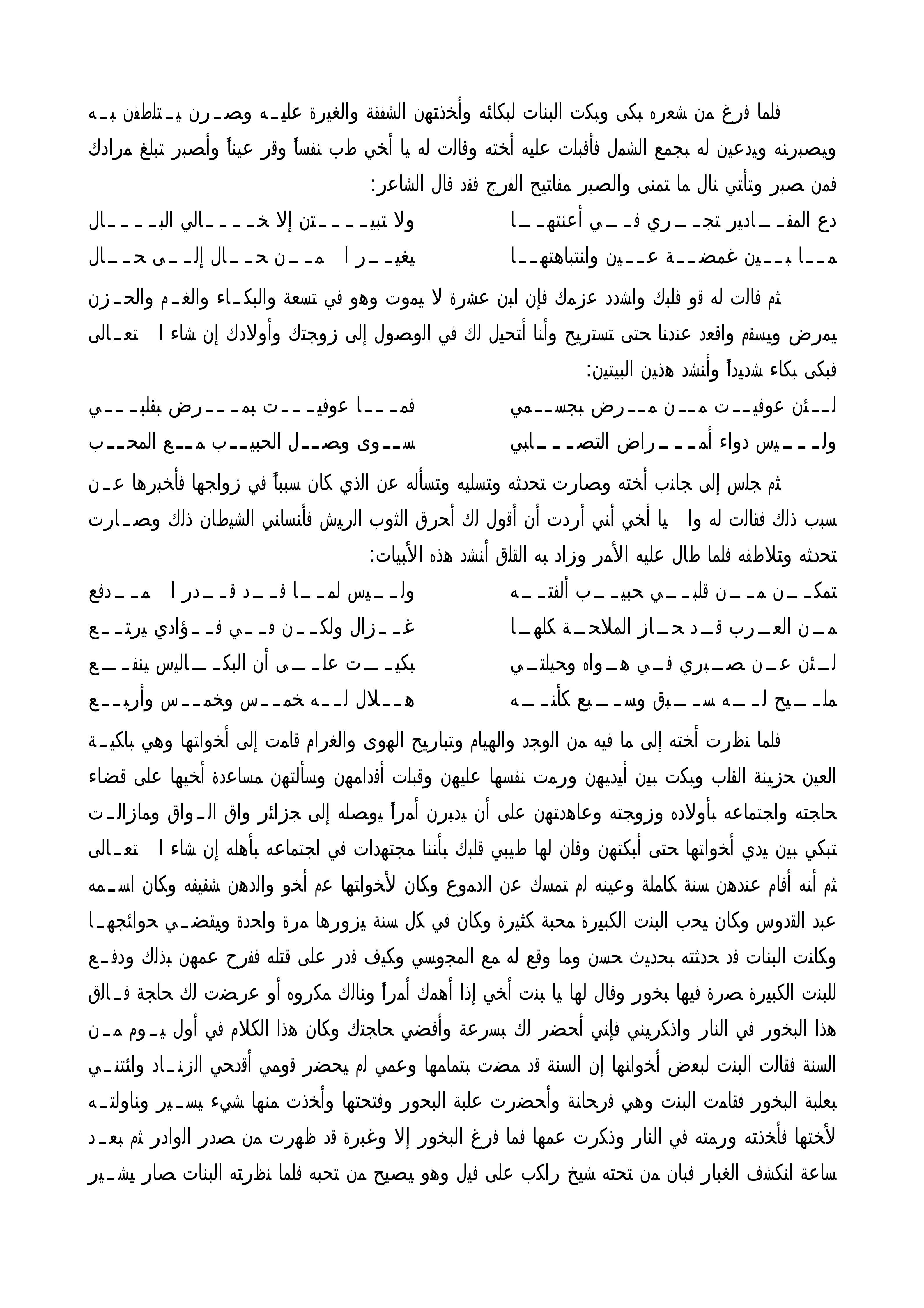
حور تميس كغزلان النقا سفرت   علقـ ـوا

يمشين مثل نسيم الروض في سحر   يعشقهن عراة الهم والقلق

علقت منهم آمالي بغانية   قلبي لها بلظى النيران يحترق في وجهها

خوداه ناعمة الأطراف مائسة   الصبح بل في شعرها الغسق

قد هيجتني وكم في الحب من بطل   قد هيجته جفون البيض والحدق



فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه وأخذتهن الشفقة والغيرة عليه وصرن يتلاطفن به ويصبرنه ويدعين له بجمع الشمل فأقبلت عليه أخته وقالت له يا أخي طب نفساً وقر عيناً وأصبر تبلغ مرادك فمن صبر وتأني نال ما تمنى والصبر مفاتيح الفرج فقد قال الشاعر:

دع المقادير تجري في أعنتها   ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها   يغير ا من حال إلى حال

ثم قالت له قو قلبك واشدد عزمك فإن ابن عشرة لا يموت وهو في تسعة والبكاء والغم والحزن يمرض ويسقم واقعد عندنا حتى تستريح وأنا أتحيل لك في الوصول إلى زوجتك وأولادك إن شاء ا تعالى فبكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين:

لئن عوفيت من مرض بجسمي   فما عوفيت من مرض بقلبي
وليس دواء أمراض التصابي   سوى وصل الحبيب مع المحب

ثم جلس إلى جانب أخته وصارت تحدثه وتسليه وتسأله عن الذي كان سبباً في زواجها فأخبرها عن سبب ذلك فقالت له وا يا أخي أنني أردت أن أقول لك أحرق الثوب الريش فأنساني الشيطان ذلك وصارت تحدثه وتلاطفه فلما طال عليه الأمر وزاد به القلق أنشد هذه الأبيات:

تمكن من قلبي حبيب ألفته   وليس لما قد قدر ا مدفع
من العرب قد حاز الملاحة كلها   غزال ولكن في فؤادي يرتع
لئن عن صبري في هواه وحيلتي   بكيت على أن البكا ليس ينفع
مليح له سبق وسبع كأنه   هلال له خمس وخمس وأربع

فلما نظرت أخته إلى ما فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام قامت إلى أخواتها وهي باكية العين حزينة القلب وبكت بين أيديهن ورمت نفسها عليهن وقبلت أقدامهن وسألتهن مساعدة أخيها على قضاء حاجته واجتماعه بأولاده وزوجته وعاهدتهن على أن يدبرن أمراً يوصله إلى جزائر واق الواق ومازالت تبكي بين يدي أخواتها حتى أبكتهن وقلن لها طيبي قلبك بأننا مجتهدات في اجتماعه بأهله إن شاء ا تعالى ثم أنه أقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع وكان لأخواتها عم أخو والدهن شقيقه وكان اسمه عبد القدوس وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة وكان في كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضي حوائجها وكانت البنات قد حدثته بحديث حسن وما وقع له مع المجوسي وكيف قدر على قتله ففرح عمهن بذلك ودفع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور وقال لها يا بنت أخي إذا أهمك أمراً ونالك مكروه أو عرضت لك حاجة فالق هذا البخور في النار واذكريني فإني أحضر لك بسرعة وأقضي حاجتك وكان هذا الكلام في أول يوم من السنة فقالت البنت لبعض أخوانها إن السنة قد مضت بتمامها وعمي لم يحضر قومي أقدحي الزناد وائتني بعلبة البخور فقامت البنت وهي فرحانة وأحضرت علبة البحور وفتحتها وأخذت منها شيء يسير وناولته لأختها فأخذته ورمته في النار وذكرت عمها فما فرغ البخور إلا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادر ثم بعد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحبه فلما نظرته البنات صار يشير

إليهن بيديه ورجليه ثم بعد ساعة وصل إليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقته وقبلن يديه وسلمن عليه ثم أنه جلس وصارت البنات يتحدثن معه ويسألنه عن غيابه فقال إنني كنت في هذا الوقت جالساً أنا وزوجة عمكن فشممت البخور فحضرت إليكن على هذا الفيل فما تريدين يا بنت أخي فقالت يا عم إننا اشتقنا إليك وقد مضت السنة وما عادتك أن تغيب عنا أكثر من سنة فقال لهن أني كنت مشغولاً وكنت عزمت على أن أحضر إليكن غداً فشكرنه ودعون له وقعدن يتحدثن معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت البنت الكبيرة يا عمي إننا كما حدثناك بحديث حسن البصري الذي جاء به بهرام المجوسي وكيف قتله وحدثناك بالصبية بنت الملك الأكبر التي أخذها وما قاسى من الأمور الصعاب والأهوال وكيف اصطاد بنت الملك وتزوج بها وكيف سافر بها إلى بلادها وهو غائب وقالت لأمه إذا حضر ولدك وطالت عليه ليالي الفراق وأراد مني القرب والتلاق وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجئني إلى جزائر واق الواق فحرك رأسه وعض على أصبعه ثم أطرق رأسه إلى الأرض وصار ينكت في الأرض بأصبعه ثم التفت يميناً وشمالاً وحرك رأسه وحسن ينظره وهو متوار عنه فقالت البنات لعمهن رد علينا الجواب فقد تفتت منا الأكباد فهز رأسه إليهن وقال لهن يا بناتي لقد اتعب هذا الرجل نفسه ورمي روحه في هول عظيم وخطر جسيم فإنه لا يقدر أن يقبل على جزائر واق الواق فعند ذلك نادت البنات حسناً فخرج إليهن وتقدم على الشيخ عبد القدوس وقبل يده وسلم عليه ففرح به وأجلسه بجانبه فقالت البنات لعمهن يا عم بين لأخينا حقيقة ما قلته فقال له يا ولدي أترك عنك هذا العذاب الشديد فإنك لا تقدر أن تصل إلى جزائر واق الواق ولو كان معك الجن الطيارة والنجوم السيارة لأن بينك وبين الجزائر سبع أودية وسبع بحار وسبع جبال عظام وكيف تقدر أن تصل إلى هذا المكان ومن يوصلك إليه با عليك أن ترجع من قريب ولا تتعب سرك فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشي عليه وقعدت البنات حوله يبكين لبكائه وأما البنت الصغيرة فإنها شقت ثيابها ولطمت على وجهها حتى غشي عليها فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن رق لهم وأخذته الرأفة عليهم فقال اسكتوا ثم قال لحسن طيب قلبك وأبشر بقضاء حاجتك إن شاء ا تعالى ثم قال يا ولدي قم وشد حيلك واتبعني فقام حسن على حيله بعد أن ودع البنات وتبعه وقد فرح بقضاء حاجته ثم أن الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر فركبه وأردف حسناً خلفه وسار به مدة ثلاثة أيام بلياليها مثل البرق الخاطف حتى وصل جبل عظيم أزرق وفي ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحديد الصيني فأخذ الشيخ بيد حسن وأنزله ثم نزل الشيخ وأطلق الفيل ثم تقدم إلى باب المغارة وطرقه فانفتح الباب وخرج إليه عبد أسود أجرود كأنه عفريت وبيده اليمنى سيف والأخرى ترس من ولاد فلما نظر الشيخ عبد القدوس رمي السيف الترس من يده وتقدم إلى الشيخ عبد القدوس وقبل يده ثم أخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو إياه وقفل العبد الباب خلفهما فرأى حسن المغارة كبيرة واسعة جداً ولها دهليز معقود ولم يزالوا سائرين مقدار ميل ثم انتهى بهم السير إلى فلاة عظيمة وتوجهوا إلى ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الأصفر ففتح الشيخ عبد القدوس باباً منهما ودخل ورده وقال لحسن اقعد على هذا الباب واحذر أن تفتحه وتدخل حتى أدخل وأرجع إليك عاجلاً فلما

دخل الشيخ غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان ملجم أن سار طار وإن طار لم يلحقه غبار فقدمه الشيخ لحسن وقال له اركب ثم إن الشيخ فتح الباب الثاني فبان منه برية واسعة فركب حسن الحصان وخرج الاثنان من الباب وسار في تلك البرية فقال الشيخ لحسن يا ولدي خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان إلى الموضع الذي يوصلك إليه فإذا نظرته وقف على مغارة مثل هذه فأنزل عن ظهره واجعل عنانه في قربوس السرج وأطلقه فإنه يدخل المغارة فلا تدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة أيام ولا تضجر فإنه في اليوم السادس يخرج إليك شيخ أسود عليه لباس أسود وذقنه بيضاء طويلة نازلة إلى سرته فإذا رأيته فقبل يديه وأمسك ذيله واجعله على رأسك وأبك بين يديه حتى يرحمك فإنه يسألك عن حاجتك فإذا قال لك ما حاجتك فادفع إليه هذا الكتاب فإنه يأخذه منك ولا يكلمك ويدخل ويخليك فقف مكانك خمسة أيام أخرى ولا تضجر وفي اليوم السادس انتظره فإنه يخرج فاعلم أن الذي خرج إليك يريد قتلك والسلام واعلم يا ولدي أن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد القدوس لما أعطى حسناً الكتاب أعلمه بما يحصل وقال له إن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه فإن كنت تخاف على نفسك فلا تلقى بها إلى الهلاك وإن كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بينت لك الأمور وإن شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضراً فإنه يسير بك إلى بنات أخي وهن يوصلنك إلى بلادك ويرددنك إلى وطنك ويرزقك ا خيراً من هذه البنت التي تعلقت بها فقال حسن للشيخ وكيف تطيب لي الحياة من غير أن أبلغ مرادي وا أني لا أرجع أبداً حتى أبلغ مرادي من حبيبتي أو تدركني منيتي ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

على فقد حبي مع تزايد صبوتي ... وقفت أنادي بانكسار وذلة
وقبلت ترب الربع شوقاً لأجله ... ولم يجدني إلا تزايد حسرتي
رعى ا من بانوا وفي القلب ذكرهم ... فوصلات آلامي وفارقت لذتي
يقولون لي صبراً وقد رحلوا به ... وقد أضرموا يوم الترحل زفرتي
وما راعني إلا الوداع وقوله ... إذا غبت فاذكرني ولا تنسى صحبتي
لمن التجيء من ارتجى بعد فقدهم ... وكانوا رجائي في رخائي وشدتي
فواحسرتي لما رجعت مودعا ... وسرت عداي المبغضون برجعتي
فوا أسفاً هذا الذي كنت حاذرا ... وبالوعتي زيدي لهيباً بمهجتي
فإن غاب أحبابي فلا عيش بعدهم ... وأن رجعوا يا فرحتي ومسرتي
فوا لم ينفض دمعي من البكا ... على فقدهم بل عبرة بعد عبرة

فلما سمع الشيخ عبد القدوس إنشاده وكلامه علم أنه لا يرجع عن مراده وأن الكلام لا يؤثر فيه وتيقن أنه لابد أن يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته فقال اعلم يا ولدي أن جزائر واق الواق سبع جزائر فيها عسكر عظيم وذلك العسكر كله بنات أبكار وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحرة وارهاط مختلفة وكل من دخل أرضهم لا يرجع وما وصل إليهم أحد قط ورجع فبا عليك أن ترجع إلى أهلك من قريب واعلم أن



البنت التي قصدتها بنت ملك هذه الجزائر كلها وكيف تقدر أن تصل إليها فاسمع مني يـا ولـدي ولعـل ا يعوضك خيراً منها فقال وا يا سيدي لو قطعت في هواها أرباً أرباً ما ازددت الإحبا وطرباً ولا بد من رؤية زوجتي وأولادي والدخول في جزائر واق الواق وإن شاء ا تعالى ما أرجع الإبهار بأولادي فقال له الشـيخ عبد القدوس حينئذ لا بد لك من السفر فقال نعم وأنما أريد منك الدعاء بالإسعاف والإعانـة لعـل ا يجمـع شملي بزوجتي وأولادي عن قريب ثم بكى من عظم شوقه وأنشد هذه الأبيات:

أنـتم مـرادي وأنـتم أحسـن البشـر ... أحلكـم فـي محـل السـمع البصـر

ملكـتم القلـب منـي وهـو منـزلكم ... وبعـد سـادتي أصـبحت فـي كـدر

فـلا تظنـوا انتقـالي عـن محبـتكم ... فحـبكم صـير المسـكين فـي حـذر

غبـتم فغـاب صـروري بعـد غيبـتكم ... واصـح الصـفو عنـدي غايـة الكـدر

تركتمـوني أراعـي الـنجم مـن الـم ... أبكـي بـدمع يحـاكي هاطـل المطـر

يا ليـل طلـت علـى مـن بـات فـي قلـق ... مـن شـدة الوجـد يرعـي طلعـة القمـر

أن جـزت يـا ريـح حيـا فيـه قـد نزلـوا ... بلـغ سـلامي لهـم فـالعمر فـي قصـر

وقـل لهـم بعـض مـا لقيـت مـن ألـم ... أن الأحبـه لا يـدرون عـن خبـري

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه فلما أفاق قال له الشيخ عبد القـدوس يـا ولدي أن لك والدة فلا تذقها ألم فقدك فقال حسن للشيخ وا يا سيدي ما بقيت ارجع ألا بزوجتي أو تـدركني منيتي ثم بكى وناح وأنشد هذه الأبيات:

وحـق الهـوى مـا غيـر البعـد عهـدكم ... ومـا أنـا ممـن للعهـود يخـون

وعنـدي مـن الأشـواق مـالو شـرحته ... إلـى النـاس قـالوا قـد عـراه جنـون

فوجـد وحـزن وانتحـاب واوعـة ... ومـن حالـه هـذا فكيـف يكـون

فلما فرغ من شعره علم الشيخ أنه لا يرجع عما هو فيه ولو ذهبت روحه فناوله الكتاب ودعـا لـه وأوصاه بالذي يفعله وقال له قد أكدت لك في الكتاب على أبي الريش ابن بلقيس بنت معـين فهـو شـيخي ومعلمي وجميع الأنس والجن يخضعون له ويخافون منه ثم قال له توجه على بركة ا تعالى فتوجه وأرخى عنان الحصان فطار به أسرع من البرق ولم يزل حسن مسرعاً بالحصان مدة عشرة أيام حتى نظـر أمامـه شبحاً عظيماً أسود من الليل قد سد ما بين المشرق والمغرب فلما قرب حسن منفصل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح في الحصان فخـاف حسـن وفزع ولم يزل حسن سائراً والخيول حوله إلى أن وصل إلى المغارة التي وصفها له الشـيخ عبـد القـدوس فوقف الحصان على بابها فنزل حسن من فوقه ووضع عنانه في سرجه فدخل الحصان المغارة ووقف حسن على الباب كما أمره الشيخ عبد القدوس وصار متفكراً في عاقبة أمره كيف يكون حيران ولهان لا يعلم الذي يجري له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما نزل من فوق ظهر الحصان وقف على باب المغارة متفكراً في عاقبة أمره كيف يكون لا يعلم الذي يجري له ولم يزل واقفاً على باب المغارة خمسة أيام بلياليهـا وهـو سهران حزنان حيران متفكراً حيث فارق الأهل والأوطان والأصحاب والخلان باكي العين حزين القلب ثـم أنه تذكر والدته وتفكر فيما يجري له وفي فراق زوجته وأولاده فيما قاساه فأنشد هذه الأبيات:

لـ ـديكم دوا القلـ ـب والقلـ ـب ذائـ ـب | ومـ ـن سـ ـفح أجفـ ـاني دمـ ـوع سـ ـواكب
فـ ـراق وحـ ـزن واشـ ـتياق وغربـ ـه | وبعـ ـد عـ ـن الأوطـ ـان والشـ ـوق غالـ ـب
ومـ ـا أنـ ـا إلا عاشـ ـق ذو صـ ـبابة | ببعـ ـد الـ ـذي يهـ ـوى دهتـ ـه المصـ ـائب
فـ ـإن كـ ـان عشـ ـقي قـ ـد رمـ ـاني بنكبـ ـة | فـ ـأي كـ ـريم لـ ـم تصـ ـبه النوائـ ـب

فما فرغ حسن من شعره إلا والشيخ أبو الريش قد خرج له وهو أسود وعليه لباس أسود فلما نظـره حسن عرفه بالصفات التي أخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرغ خديه على قدميـه وأمسـك ذيله وحطه على رأسه وبكى قدامه فقال الشيخ أبو الريش ما حاجتك يا ولدي فمد يده بالكتاب وناوله للشـيخ أبي الريش فأخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جواباً فقعد حسن في موضعه على الباب مثل ما قـال لـه الشيخ عبد القدوس وهو يبكي ومازال قاعداً مكانه مدة خمسة أيام وقد أزداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الأرق فصار يبكي ويتضجر من ألم البعاد وكثرة السهاد ثم أنشد هذه الأبيات:

سـ ـ ـ ـبحان جبـ ـ ـ ـار السـ ـ ـ ـما | أن المحـ ـ ـ ـ ـب لفـ ـ ـ ـ ـي عنـ ـ ـ ـ ـا
مـ ـن لـ ـم يـ ـذق طعـ ـم الهـ ـوى | لـ ـ ـم يـ ـ ـدر مـ ـ ـا جهـ ـ ـد الـ ـ ـبلا
لـ ـ ـو كنـ ـ ـت أحـ ـ ـبس عبرتـ ـ ـي | لوجـ ـ ـ ـ ـدت أنهـ ـ ـ ـار الـ ـ ـ ـ ـدما
كـ ـ ـم مـ ـ ـن صـ ـ ـديق قـ ـ ـد قسـ ـ ـا | قلبـ ـ ـ ـ ـا وأولـ ـ ـ ـ ـع بالشـ ـ ـ ـ ـقا
فـ ـ ـ ـإذا تعطـ ـ ـ ـ ـف لامنـ ـ ـ ـ ـي | فـ ـ ـأقول مـ ـ ـا بـ ـ ـي مـ ـ ـن بكـ ـ ـا
لكـ ـ ـ ـن ذهبـ ـ ـ ـ ـت لأرتـ ـ ـ ـ ـدي | فأصـ ـ ـ ـابني عـ ـ ـ ـين الـ ـ ـ ـردى
بكـ ـ ـ ـت الوحـ ـ ـ ـوش لوحشـ ـ ـ ـتي | وكـ ـ ـ ـذلك سـ ـ ـ ـكان الهـ ـ ـ ـوى

ولم يزل حسن يبكي إلا أن لاح الفجر وإذا بالشيخ أبو الريش قد خرج إليه وهو لابس لباساً أبـيض وأومأ إليه بيده أن يدخل فدخل حسن فأخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وأيقن أن حاجته قد قضـيت ولم يزل الشيخ سائراً وحسن معه مقدار نصف نهار ثم وصلا إلى باب مقنطر عليه باب من البـولاد ففـتح الباب ودخل هو وحسن في دهليز معقود بحجارة من الجزع المنقوش بالذهب ولم يزالا سائرين حتى وصـلا إلى قاعة كبيرة مرخمة واسعة في وسطها بستان فيه من سائر الأشجار والأزهار والأثمار والأطيـار علـى الأشجار تناغي وتسبح الملك القهار وفي القاعة أربعة لواوين يقابل بعضها بعضاً وفي كل ليوان مجلس فيـه فسقية وعلى كل ركن من أركان كل فسقية صورة سبع من الذهب وفي كل مجلس كرسي وعليـه شـخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جداً وبين أيديهم مجاهر من ذهب فيها نار وبخور وكل شيخ منهم بين يديه طلبته يقرؤون عليه الكتب فلما دخلا عليهم قاموا أليهما وعظموهما فأقبل عليهم وأشار لهم أن يصرفوا الحاضـرين

فصرفوهم وقام أربعة مشايخ وجلسوا بين يدي الشيخ أبي الريش وسالوه عن حال حسن فعند ذلك أشار الشيخ أبو الريش إلى حسن وقال له حدث الجماعة بحديثك وبجميع ما جرى لك من أول الأمر إلى آخره فعند ذلك بكى حسن بكاء شديداً وحدثهم بحديثه فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشايخ كلهم وقالوا هل هذا هو الذي أطلعه المجوسي إلى جبل السحاب والنسور وهو في جلد الجمل فقال لهم حسن نعم فأقبلوا على الشيخ أبي الريش وقالوا له يا شيخنا أن بهرام تحيل في طلوعه على الجبل وكيف نزل وما الذي رآه فوق الجبل من العجائب فقال الشيخ أبو الريش يا حسن حدثهم كيف نزلت وأخبرهم بالذي رأيته من العجائب فأعاد لهم ما جرى له من أوله إلى آخره وكيف ظفر به وقتله وكيف غدرت به أوجته وأخذت أولاده وطارت وبجميع ما قاساه من الأهوال والشدائد فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم أقبلوا على الشيخ أبي الريش وقالوا له يا شيخ الشيوخ وا   أن هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما حكى للمشايخ قصته قالوا للشيخ أبي الريش هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده فقال لهم الشيخ أبو الريش يا أخواني أن هذا أمر عظيم خطر وما رأيت أحد يكره الحياة غير هذا الشاب وأنتم تعرفون أن جزائر واق الواق صعبة الوصول ما وصل إليها أحد إلا خاطر بنفسه وتعرفون قوتهم وأعوانهم وأنا حالف أني ما أدوس لهم أرضاً ولا أتعرض لهم في شيء وكيف يصل هذا إلى بنت الملك الأكبر ومن يقدر أن يوصله إليها أو يساعده على هذا الأمر فقالوا يا شيخ الشيوخ أن هذا الرجل أتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر إليك بكتاب أخيك الشيخ عبد القدوس فحينئذ يجب عليك مساعدته فقام حسن وقبل قدم أبي الريش ورفع ذيله ووضعه على رأسه وبكى وقال له سألتك با   أن تجمع بيني وبين أولادي وزوجتي ولو كان في ذلك ذهاب روحي ومهجتي فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا الشيخ أبي الريش اغتنم أجر هذا المسكين وأفعل معه جميل لأجل أخيك الشيخ عبد القدوس فقال إن هذا الشاب مسكين ما يعرف الذي هو قادم عليه ولكن نساعده على قدر الطاقة ففرح حسن لما سمع كلامه وقبل يديه وقبل أيادي الحاضرين واحداً بعد واحد وسألهم المساعدة فعند ذلك أخذ أبو الريش ورقة ودواة وكتب كتاباً وختمه وأعطاه لحسن ودفع له خريطة من الأدم فيها بخور وآلات نار من زناد وغيره وقال له احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت في شدة فبخر بقليل منه واذكرني فإني أحضر عندك وأخلصك منها ثم أمر بعض الحاضرين أن يحضر له عفريتاً من الجن الطيارة في ذلك الوقت فحضر فقال له الشيخ ما أسمك قال عبدك دهنش ابن فقطش فقال له أبو الريش أدن مني فدنا منه فوضع الشيخ أبو الريش فاه على أذن العفريت وقال له كلاماً فحرك العفريت رأسه ثم قال الشيخ لحسن يا ولدي قم أركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار فإذا رفعك إلى السماء وسمعت تسبيح الملائكة في الجو فلا تسبح فتهلك أنت وهو فقال حسن لا أتكلم أبداً ثم قال له الشيخ يا حسن إذا سار بك فإنه يضعك ثاني يوم في وقت السحر على أرض بيضاء نفيسة مثل الكافور فإذا وضعك هناك فامش عشرة أيام وحدك حتى تصل إلى باب المدينة فإذا وصلت إليها فأدخل وأسأل على ملكها فإذا اجتمعت به فسلم عليه وقبلي يده وأعطه هذا الكتاب ومهما أشار إليك

فأفهمه فقال حسن سمعاً وطاعة وقام مع العفريت وقام المشايخ ودعوا له ووصوا العفريت عليه فلما حمله العفريت على عاتقه ارتفع به إلى عنان السماء ومشى به يوماً وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء فلما كان الصبح وضعه في أرض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف فلما أدرك حسن أنه على الأرض ولم يكن عنده أحس سار في الليل والنهار مدة عشرة أيام إلى أن وصل إلى باب المدينة فدخلها وسأل عن الملك فدلوه عليه وقالوا أن أسمه الملك حسون ملك أرض الكافور وعنده من العسكر والجنود ما يملأ الأرض في طولها والعرض فاستأذن حسن فأذن له فلما دخل عليه وجده ملكاً عظيماً فقبل الأرض بين يديه فقال له الملك ما حاجتك فقبل حسن الكتاب وناوله أياه فأخذه وقرأه ثم حرك رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه خذ هذا الشاب وأنزله في دار الضيافة فأخذه وسار حتى أنزله هناك فأقام بها مدة ثلاثة أيام في أكل وشرب وليس عنده إلا الخادم الذي معه فصار ذلك الخادم يحدثه ويؤانسه ويسأله عن خبره وكيف وصل إلى هذه الديار فأخبره بجميع ما حصل له وكل ما هو فيه وفي اليوم الرابع فأخذه الغلام وأحضره بين يدي الملك فقال له يا حسن أنت قد حضرت عندي تريد أن تدخل جزائر واق الواق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ يا ولدي أنا أرسلك في هذه الأيام إلا أن في طريقك مهالك كثيرة وبراري معطشة كثيرة المخاوف ولكن اصبر ولا يكون إلا خيراً فلابد أن أتحيل وأوصلك إلى ما تريد أن شاء الله تعالى واعلم يا ولدي أن هنا عسكراً من الديلم تريدون الدخول في جزائر واق الواق مهيئين بالسلاح والخيل والعدد وما قدروا على الدخول ولكن يا ولدي لأجل شيخ الشيوخ أبي الريش ابن بلقيس بن معن ما أقدر أن أردك إليه إلا مقضي الحاجة وعن قريب تأتي إلينا مراكب من جزائر واق الواق وما بقي لها إلا القليل فإذا حضرت واحدة منها أنزلتك فيها وأوصى البحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك إلى جزائر واق الواق وكل من سالك عن حالك وخبرك فقل له أنا صهر الملك حسون صاحب أرض الكافور وإذا رست المركب على جزائر واق الواق وقال لك الريس اطلع البر فاطلع ترى دككا كثيرة في جميع جهات البر فاختر لك دكة وأقعد تحتها ولا تتحرك فإذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد أحاط بالبضائع فمد يدك وأمسك صاحبه هذه الدكة التي أنت تحتها واستجر بها واعلم يا ولدي إذا جارتك قضيت حاجتك فتصل إلى زوجتك وأولادك وإن لم تجرك فاحزن على نفسك وأيأس من الحياة وتيقن هلاك نفسك واعلم يا ولدي أنك مخاطر بنفسك ولا أقدر لك على شيء غير هذا والسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما قال له الملك حسون هذا الكلام وأوصاه بالذي ذكرناه وقال له أنا لا أقدر لك على شيء غير هذا قال بعد ذلك واعلم أنه لولا حصلت لك عناية من رب السماء ما وصلت إلى هنا فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكي حتى غشي عليه فلما أفاق أنشد هذين البيتين:

لابد من مدة محتومة	فإذا انقضت أيامها مت
لو صارعتني الأسد في غاباتها	لقهرتها ما دام لي وقت

فلما فرغ حسن من شعره قبل الأرض بين يدي الملك وقال له أيها الملك العظيم وكم بقي من الأيام حتى تأتي المراكب قال مدة شهر ويمكثون هنا لبيع ما فيها مدة شهرين ثم يرجعون إلى بلادهم فلا ترج



سفرك فيها إلا بعد سنة أشهر كاملة ثم أن الملك أمر حسناً أن يذهب إلى دار الضيافة وأمر أن يحمل إليه كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وملبوس من الذي يناسب الملوك فأقام في دار الضيافة شهراً وبعد الشهر حضرت المراكب فخرج الملك والتجار وأخذ حسناً معه إلى المراكب فرأى مركباً فيهـا خلـق كثيـر مثـل الحصي ما يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وتلك المركب في وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل ما فيهـا مـن البضائع إلى البر فأقام حسن عندهم حتى نزع أهلها البضائع منها إلى البر وباعوا واشتروا وما بقي للسفر إلا ثلاثة أيام فأحضر حسناً بين يديه وجهز له ما يحتاج إليه وأنعم عليه أنعاماً عظيماً ثم بعد ذلك استدعى رئيس المركب وقال له خذ هذا الشاب معك في المركب ولا تعلم به أحداً وأوصله إلى جزائر واق الـواق وأتركـه هناك ولا تأت به فقال الريس سمعاً وطاعة ثم أن الملك أوصى حسناً وقال له لا تعلم أحداً من الذين معك في المركب بشيء من حالك ولا تطلع أحداً على قصتك فتهلك قال سمعاً وطاعة ثم ودعه بعد أن دعا له بطـول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والأعداء وشكره الملك على ذلك ودعا له بالسلامة وقضاء حاجتـه ثم سلمه للريس فأخذه وحطه في صندوق وأنزله في قارب ولم يطلعه في المركب إلا والناس مشغولون فـي نقل البضائع وبعد ذلك سافرت المركب ولم تزل مسافرة مدة عشرة أيام فلما كان اليوم الحادي عشر وصـلوا إلى البر فطلعه الريس من المركب فلما طلع من المركب إلى البر رأى فيه دككا لا يعلم عددها إلا ا فمشى حتى وصل إلى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها فلما أقبل الليل جاء خلق كثير من النسـاء مثـل الجـراد المنتشر وهن ماشيات على أقدامهن وسيوفهن مشهورة في أيديهن ولكنهم غائصات فـي الـزرد فلمـا رأت السماء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لأجل الاستراحة فجلست واحدة منهن على الدكة التـي تحتهـا حسن فأخذ حسن طرف ذيلها وحطه فوق راسه ورمى نفسه عليها وصار يقبل يديها وقدميها وهو يبكي فقالت له يا هذا قم واقفاً قبل أن يراك أحداً فيقتلك فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائماً علـى قدميـه وقبل يديها وقال لها يا سيدتي أنا في جيرتك ثم بكى وقال لها ارحمي من فارق أهله وزوجته وأولاده وبـادر إلى الاجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته فأرحميني وأيقني أنك تؤجرين على ذلك بالجنة وإن لـم تقبلينـي فأسألك با العظيم الستار أن تستري على فصارت التجار شاخصة له وهو يكلمها فلما سمعت كلامه ونظرت تضرعه رحمته ورق قلبها إليه وعلمت أنه ما خطر بنفسه وجاء إلى هذا المكان إلا لأمر عظيم فعنـد ذلـك قالت لحسن يا ولدي طب نفساً وقر عيناً وطيب قلبك وخاطرك وارجع إلى مكانك واختف تحت الدكـة كمـا كنت أولاً إلى الليلة الآتية يفعل ا ما يريد ثم ودعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان ثم أن العسـاكر بـتن يوقدون الشموع الممزوجة بالعود الند والعنبر الخام إلى الصباح فلما طلع النهار ورجعت المراكب إلى البـر واشتغل التجار بنقل البضائع والأمتعة إلى أن أقبل الليل وحسن مختف تحت الدكة باكي العين حزين القلـب ولم يعلم بالذي قدر له في الغيب فبينما هو كذلك إذا أقبلت عليه المرأة التاجرة التي كان استجار بها وناولتـه زردية وسيفاً وحياصة مذهباً ورمحاً ثم انصرفت عنه خوفاً من العسكر فلما رأى ذلك علم أن التـاجرة مـا أحضرت له هذه العدة إلا ليلبسها فقام حسن ولبس الزردية وشد الحياصة على وسطه وتقلد بالسـيف تحـت أبطه وأخذ الرمح بيده وجلس على تلك الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر ا تعالى بل يطلب منه السـتر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما أخذ السلاح الذي عطته إياها الصبية التي استجار بها وقالت له اجلس تحت الدكة ولا تخل أحد يفهم حالك وتقلد به ثم جلس فوق الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر ا تعالى وصار يطلب من ا الستر فبينما هو جالس إذا أقبلت المشاعل والفوانيس والشموع وأقبلت عساكر النساء فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصلن إلى خيامهن ودخلت كل واحدة خيمتها فدخل حسن خيمة واحدة منهن وإذا هي خيمة صاحبته التي كان استجار بها فلما دخلت خيمتها ألقت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب وألقى حسن سلاحه فنظر إلى صاحبته فوجدها زرقاء العينين كبيرة الأنف وهي داهية من الدواهي أقبح ما يكون في الخلق بوجه أجدر وحاجب أمعط وأسنان مكسرة وخدود معجزة وشعر شائب وفم بالريالة سائل وهي كما قال في مثلها الشاعر:

لهـا فـي زوايـا الوجـه تسـع مصـائب   فواحـدة مـنهن تبـدي جهنمـا

بوجـه بشـيع ثـم ذات قبيحـة   كصـورة خنزيـر تـراه مرمرمـا

وهي بذات معطاء كحية رقطاء فلما نظرت العجوز إلى حسن تعجبت وقالت كيف وصل هذا إلى هذه الدار وفي أي المراكب حضر وكيف سلم وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله فعند ذلك وقع حسن على أقدامها ومرغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشي عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات:

متـى الأيـام تسـمح بـالتلاقي   وتجمـع شـملنا بعـد الفـراق

وأحظـى بالـذي أرضـاه مـنهم   عتابـاً ينقضـي والـود بـاقي

لـو أن النيـل يجـري مثـل دمعـي   لمـا خلـى علـى الـدنيا شـراقي

وفـاض علـى الحجـاز وأرض مصـر   كـذاك الشـام مـع أرض العـراق

وذاك لأجـل صـدك يـا حبيبـي   ترفـق بـي وواعـد بـالتلاقي

فلما فرغ من شعره أخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وصار يبكي ويستجير بها فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته وتوجعه وكربته حن قلبها إليه وأجارته وقالت له لا تخف أبداً ثم سألته عن حاله فحكى لها جميع ما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له طيب قلبك وطيب خاطرك ما بقى عليك خوف وقد وصلت إلى مطلوبك وقضاء حاجتك إن شاء ا تعالى ففرح حسن بذلك فرحاً شديد ثم أن العجوز أرسلت إلى قواد العسكر أن يحضروا وكان ذلك في آخر يوم من الشهر فلما حضروا بين يديها قالت لهم أخرجوا ونادوا في جميع العسكر إن يخرجوا في غد بكرة النهار ولا يتخلف أحد منهم فإن تخلف أحد راحت روحه فقالوا لها سمعاً وطاعة ثم خرجوا ونادوا في جميع العسكر بالرحيل في غد بكرة النهار ثم عادوا وأخبروها بذلك فعلم حسن أنها رئيسة العسكر وصاحبة الرأي فيه وهي المقدمة عليه ثم أن حسناً لم يقلع السلاح من فوق بدنه في ذلك النهار وكان اسم تلك العجوز التي هو عندها شواهي وتكنى بأم الدواهي فما فرغت العجوز من أمرها ونهيها إلا وقد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من أماكنها ولم تخرج العجوز معهم فلما سار العسكر خلت منه الأماكن قالت شواهي لحسن أدن مني يا ولدي فدنا منها ووقف بين يديها فأقبلت عليه وقالت له ما السبب في مخاطرتك بنفسك ودخولك إلى هذه البلاد وكيف رضيت نفسك بالهلاك

فأخبرني بالصحيح عن جميع شأنك ولا تخبى عني منه شيئاً ولا تخف فإنك قد صرت في عهدي وقد أجرتك ورحمتك ورثيت لحالك فإن أخبرتني بالصدق أعنتك على قضاء حاجتك ولو كان فيها رواح إلا رواح وهلاك الأشباح وحيث وصلت إلى ما بقي عليك بأس ولا أخلى أحداً يصل إليك بسوء أبداً من كل ما في جزائر واق الواق فحكى لها قصته من أولها إلى آخرها وعرفها بشأن زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف تزوج بها ثم أقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف أخذت أولادها وطارت حين عرفت طريق الثوب الريش ولم يخف من حديثه شيئا من أوله إلى يومه الذي هو فيه فلما سمعت العجوز كلامه حركت رأسها وقالت سبحان ا الذي سلمك وأوصلك إلى هنا وأوقعك عندي ولو كنت وقعت عند غيري كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك إلى زوجتك وأولادك هو الذي أوصلك إلى حصول بغيتك ولولا أنك لها محب وبها ولهان ما كنت خاطرت بنفسك هذه المخاطرة والحمد على السلامة وحينئذ يجب علينا أن تقضي لك حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب إن شاء ا تعالى ولكن اعلم يا ولدي أن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر ليلاً ونهاراً فأننا نسير من هنا حتى نصل إلى أرض يقال لها أرض الطيور ومن شدة صياح الطيور وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضنا كلام بعض وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لحسن أن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق ومسافة ما بيننا وبينها سنة كاملة للراكب المجد في السير وعلى شاطيء هذا النهر جبل آخر يسمى جبل واق وهذا الاسم علم على شجرة أغصانها تشبه رؤوس بني آدم فإذا طلعت الشمس عليها تصيح تلك الرؤوس جميعاً وتقول في صياحها واق واق سبحان الملك الخلاق فإذا سمعنا صياحها نعلم أن الشمس قد طلعت وكذلك إذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤوس وتقول في صياحها أيضاً واق واق سبحان الملك الخلاق فتعلم أن الشمس غربت ولا يقدر أحد من الرجال أن يقيم عندنا ولا يصل إلينا ولا يطأ أرضنا وبيننا وبين الملكة التي تحكم على هذه الأرض مسافة شهر من هذا البر وجميع الرعية التي في ذلك البر تحت يد تلك الملكة وتحت يدها أيضاً قبائل الجان المردة والشياطين وتحت يدها من السحرة مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم فإن كنت تخاف أرسلت معك من يوصلك إلى الساحل وأجيء بالذي يحملك معه في مركب ويوصلك إلى بلادك وإن كان يطيب على قلبك الإقامة معنا فلا أمنعك وأنت عندي في عيني حتى تقضي حاجتك إن شاء ا تعالى فقال حسن يا سيدتي ما بقيت أفارقك حتى اجتمع بزوجتي أو تذهب روحي فقالت له هذا أمر يسير فطيب قلبك وسوف تصل إلى مطلوبك إن شاء ا تعالى ولابد أن أطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك فدعا لها حسن وقبل يديك ورأسها وشكرها على فعلها وفرط مروءتها وسار معها وهو متفكر في عاقبة أمره وأهوال غربته فسار يبكي وينتحب وجعل ينشد هذه الأبيات:

من كان الحبيب هب نسيم ... فتراني من فرط وجدي أهيم

إن ليل الوصال صبح مضيء ... ونهار الفراق ليل بهيم

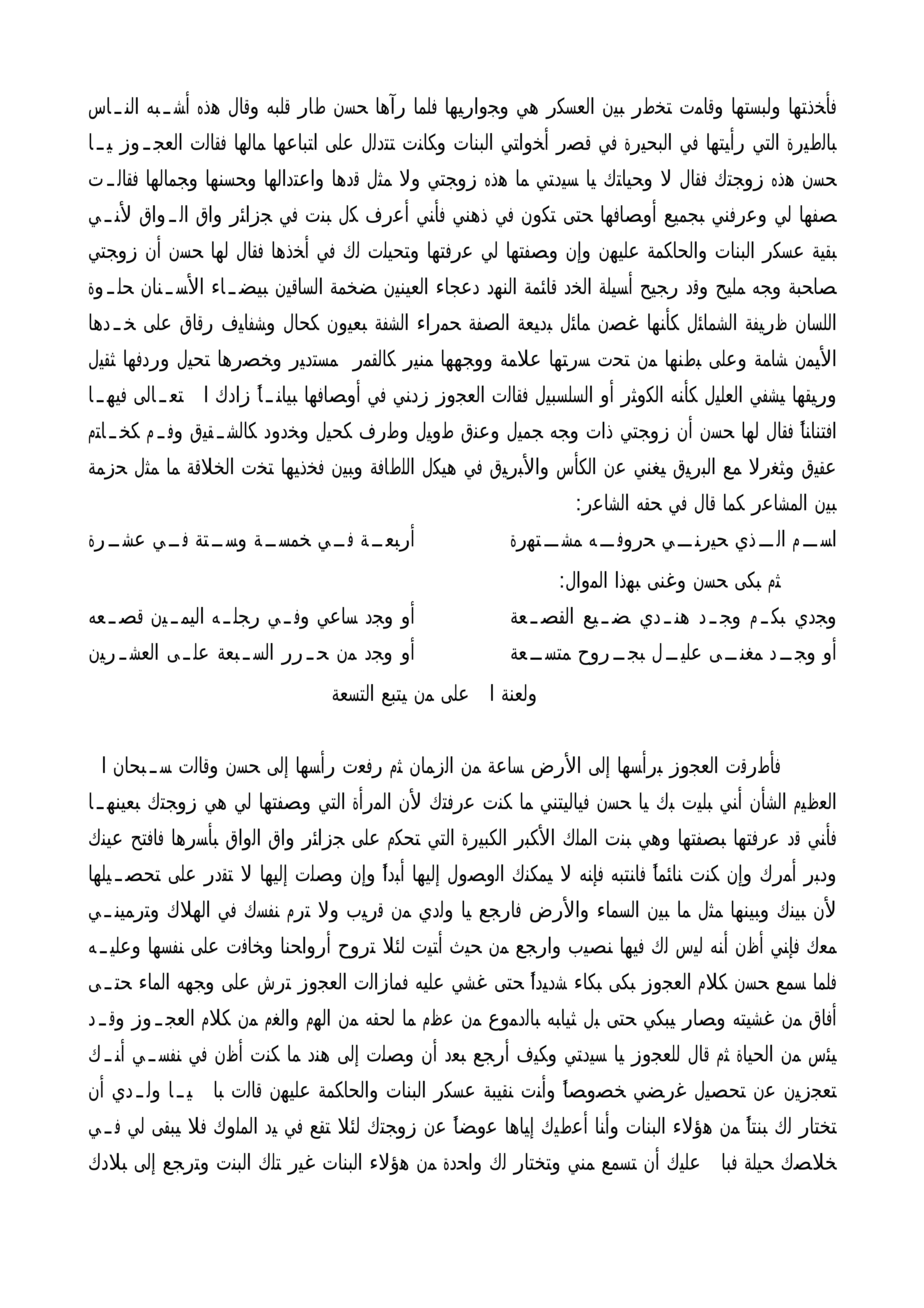
ووداع الحبيب صعب شديد ... وفراق الأنيس خطب جسيم

لســت أشــكو جفــاه إلا إليــه	لــم يكــن فــي الــوري صــديق حمــيم
وســاوى عــنكم محــال فــأني	لــيس يســلي قلبــي عــذول ذمــيم
يــا وحيــد الجمــال عشــقي وحيــد	يــا عــديم المثــال قلبــي عــديم
كــل مــن يــدعي المحبــة فــيكم	ويهــاب المــلام فهــو ملــوم

ثم أن العجوز أمرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر وسار حسن صحبة العجوز وهو غرقـان فـي بحر الأفكار يتضجر وينشد الأشعار والعجوز تصبره وتسليه وهو لا يفيق ولا يعي ما إليه تلقيه ولم يزالـوا سائرين إلى أن وصلوا إلى جزيرة من الجزائر السبعة وهي جزيرة الطيور فلما دخلوها ظن حسن أن الـدنيا قد انقلبت من شدة الصياح وأوجعته رأسه وطاش عقله وعمي بصره وانعدت أذناه وخاف خوفاً شديداً وأيقـن بالموت وقال في نفسه إذا كانت هذه أرض الطيور فكيف أرض الوحوش فلما رأته العجوز المسماه بشواهي على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له يا ولدي إذا كان هذا حالك من أول جزيرة فكيف بك إذا وصلت إلى بقية الجزائر فسأل ا وتضرع إليه وطلب منه أن يعينه على ما بلاه وأن يبلغه مناه ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا أرض الطيور وخرجوا منها ودخلوا في أرض الجان فلما رآها حسن خاف وندم على دخولـه فيهـا معهم ثم استعان با تعالى وسار معهم فعند ذلك خلصوا من أرض الجان ووصلوا إلى النهر فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا خيامهم على شاطيء النهر ووضعت العجوز لحسن دكه من المرمر مرصـعة بالـدر والجوهر وسبائك الذهب الأحمر في جنب النهر فجلس عليها وتقدمت العساكر فعرضتهم عليه ثم بعـد ذلـك نصبوا خيامهم حوله واستراحوا ساعة ثم أكلوا وشربوا وناموا مطمئنين لأنهم وصلوا إلى بلادهم وكان حسن واضعاً على وجهه لثاما بحيث لا يظهر منه غير عينه وإذا بجماعة من البنات مشين إلى قرب النهر ثم قلعن ثيابهن ونزلن في النهر فصار حسن ينظر إليهن وهن يغتسلن فصرن يلعبن وينشرحن ولا يعلمن أنه نـاظر إليهن لأنهن سمعن أنه من بنات الملوك فاشتد على حسن وتره حيث كان ينظر إليهن وهـن مجـردات مـن ثيابهن وقد رأى ما بين أفخاذهن أنواع مختلفة ما بين ناعم ومقبقب وسمين مربرب وغليظ المشـافر وكامـل وبسيط ووافر ووجوههن كالأقمار وشعورهن كليل على نهار لأنهن من بنات الملوك ثم أن العجوز نصبت له سرير وأجلسته فوقه فلما خلصن طلعن من النهر وهن متجردات كالقمر ليلة البدر وقد اجتمع جميع العسـكر قدام حسن لأن العجوز أمرت أن ينادي في جميع العسكر أن يجتمعن قدام خيمته ويتجردن من ثيابهن وينزلن في النهر ويغتسلن فيه لعل زوجته أن تكون فيهن فيعرفها وصارت العجوز تسأله عنهن طائفة بعـد طائفـة فيقول ما هي في هؤلاء يا سيدتي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز كانت تسأل حسناً عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعـرف زوجته بينهن وكلما سألته عن طائفة يقول ما هي في هؤلاء يا سيدتي ثم بعد ذلك تقدمت جارية فـي آخـر الناس وفي خدمتها ثلاثون خادمة كلهن بهذا بكارفنز عن ثيابهن ونزلن معها في النهر فصارت تتدلل علـيهن وترميهن في البحر وتغطسهن ولم تزل معهن على هذا الحال ساعة زمانية ثم طلعن من النهر وقعدن فقـدمن إليها مناشف من حرير مزرقشة بالذهب فأخذتها وتنشفت بهائم قدموا إليها ثياباً وحللا وحلياً من عمل الجـن



فأخذتها ولبستها وقامت تخطر بين العسكر هي وجواريها فلما رآها حسن طار قلبه وقال هذه أشـبه النـاس بالطيرة التي رأيتها في البحيرة في قصر أخواتي البنات وكانت تتدال على اتباعها مالها فقالت العجـوز يـا حسن هذه زوجتك فقال لا وحياتك يا سيدتي ما هذه زوجتي ولا مثل قدها واعتدالها وحسنها وجمالها فقالـت صفها لي وعرفني بجميع أوصافها حتى تكون في ذهني فأني أعرف كل بنت في جزائر واق الـواق لأنـي بقية عسكر البنات والحاكمة عليهن وإن وصفتها لي عرفتها وتحيلت لك في أخذها فقال لها حسن أن زوجتي صاحبة وجه مليح وقد رجيح أسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضـاء الأسـنان حلـوة اللسان ظريفة الشمائل كأنها غصن مائل بديعة الصفة حمراء الشفة بعيون كحال وشفايف رقاق على خـدها الأيمن شامة وعلى بطنها من تحت سرتها علامة ووجهها منير كالقمر مستدير وخصرها نحيل وردفها ثقيل وريقها يشفي العليل كأنه الكوثر أو السلسبيل فقالت العجوز زدني في أوصافها بيانـاً زادك ا تعـالى فيهـا افتناناً فقال لها حسن أن زوجتي ذات وجه جميل وعنق طويل وطرف كحيل وخدود كالشـقيق وفـم كخـاتم عقيق وثغرلا مع البريق يغني عن الكأس والأبريق في هيكل اللطافة وبين فخذيها تخت الخلافة ما مثل حرمة بين المشاعر كما قال في حقه الشاعر:

اســم الــذي حيرنــي حروفــه مشــتهرة   أربعــة فــي خمســة وســتة فــي عشــرة

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموال:

وجدي بكـم وجـد هنـدي ضـيع القصـعة   أو وجد ساعي وفـي رجلـه اليمـين قصـعه

أو وجــد مغنــى عليــل بجــروح متســعة   أو وجد من حـرر السـبعة علـى العشـرين

ولعنة ا على من يتبع التسعة

فأطرقت العجوز برأسها إلى الأرض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها إلى حسن وقالت سـبحان ا العظيم الشأن أني بليت بك يا حسن فياليتني ما كنت عرفتك لأن المرأة التي وصفتها لي هي زوجتك بعينهـا فأني قد عرفتها بصفتها وهي بنت الملك الأكبر الكبيرة التي تحكم على جزائر واق الواق بأسرها فافتح عينك ودبر أمرك وإن كنت نائماً فانتبه فإنه لا يمكنك الوصول إليها أبداً وإن وصلت إليها لا تقدر على تحصـيلها لأن بينك وبينها مثل ما بين السماء والأرض فارجع يا ولدي من قريب ولا ترم نفسك في الهلاك وترمينـي معك فإني أظن أنه ليس لك فيها نصيب وارجع من حيث أتيت لئلا تروح أرواحنا وخافت على نفسها وعليـه فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه فمازالت العجوز ترش على وجهه الماء حتـى أفاق من غشيته وصار يبكي حتى بل ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجـوز وقـد يئس من الحياة ثم قال للعجوز يا سيدتي وكيف أرجع بعد أن وصلت إلى هند ما كنت أظن في نفسـي أنـك تعجزين عن تحصيل غرضي خصوصاً وأنت نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن قالت با يـا ولـدي أن تختار لك بنتاً من هؤلاء البنات وأنا أعطيك إياها عوضاً عن زوجتك لئلا تقع في يد الملوك فلا يبقى لي فـي خلاصك حيلة فبا عليك أن تسمع مني وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع إلى بلادك

من قريب سالماً ولا تجرعني غصتك وا لقد رميت نفسك في بلاء عظيم وخطر جسـيم لا يقـدر أحـد أن يخلصك منه فعند ذلك أطرق حسن رأسه وبكى بكاء شديداً وأنشد هذه الأبيات:

فقالـــت لعـــذالي لا تعــــذلوني   لغيـر الـدمع مـا خلقـت جفـوني
مـــدامع مقلتــي طفحـــت ففاضــت   علـى خـدي وإحبـابي جفـوني
دعـوني فـي الهـوى قـد رق جسـمي   لأنـي فـي الهـوى أهـوى جنـوني
ويـا أحبـاب قـد زاد اشـتياقي   إلـيكم مـا لكـم لا ترحمـوني
جفـوتم بعـد ميثـاقي وعهـدي   وخنـتم صـحبتي وتركتمـوني
ويـوم البـين لمـا قـد رحلـتم سـقيت   مـن الصـدود شـراب هـون
فيـا قلبـي علـيهم دب غرامـاً   وجـودي بالمـدامع يـا عيـوني

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لحسن با عليك يا ولدي أن تسمع كلامي وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع إلى بلادك من قريب سالماً فاطرق رأسه وبكى بكاء شـديداً فأنشد الأبيات المذكورة فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فمازالت العجوز ترش على وجهـه المـاء حتى أفاق من غشيته ثم قبلت عليه وقالت له يا سيدي ارجع إلى بلادك فإني متى سافرت بك إلـى المدينـة راحت روحك وروحي لأن الملكة إذا علمت بذلك تلومني على دخولي بك إلى بلادها وجزائرهـا التـي لـم يصلها أحد من بني آدم وتقتلني حيث حملتك معي واطلعتك على هؤلاء الأبكار التي رأيتهن في البحر مع أنه لم يمسهن فحل ولم يقربهن بعل فحلف حسن أنه ما نظر إليهن نظر سوء قط فقالت له يا ولدي ارجـع إلـى بلادك وأنا أعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغنين به عن جميع النساء فاسمع كلامي وارجـع مـن قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك فما سمع كلامها بكى ومرغ خديه على أقدامها وقال يا سيدتي ومولاتي وقرة عيني كيف أرجع بعد ما وصلت على هذا المكان ولم أنظر من أريد وقـد قربـت مـن دار الحبيـب وترجيت اللقاء عن قريب لعله أن يكون لي في الاجتماع نصيب ثم أنشد هذه الأبيات:

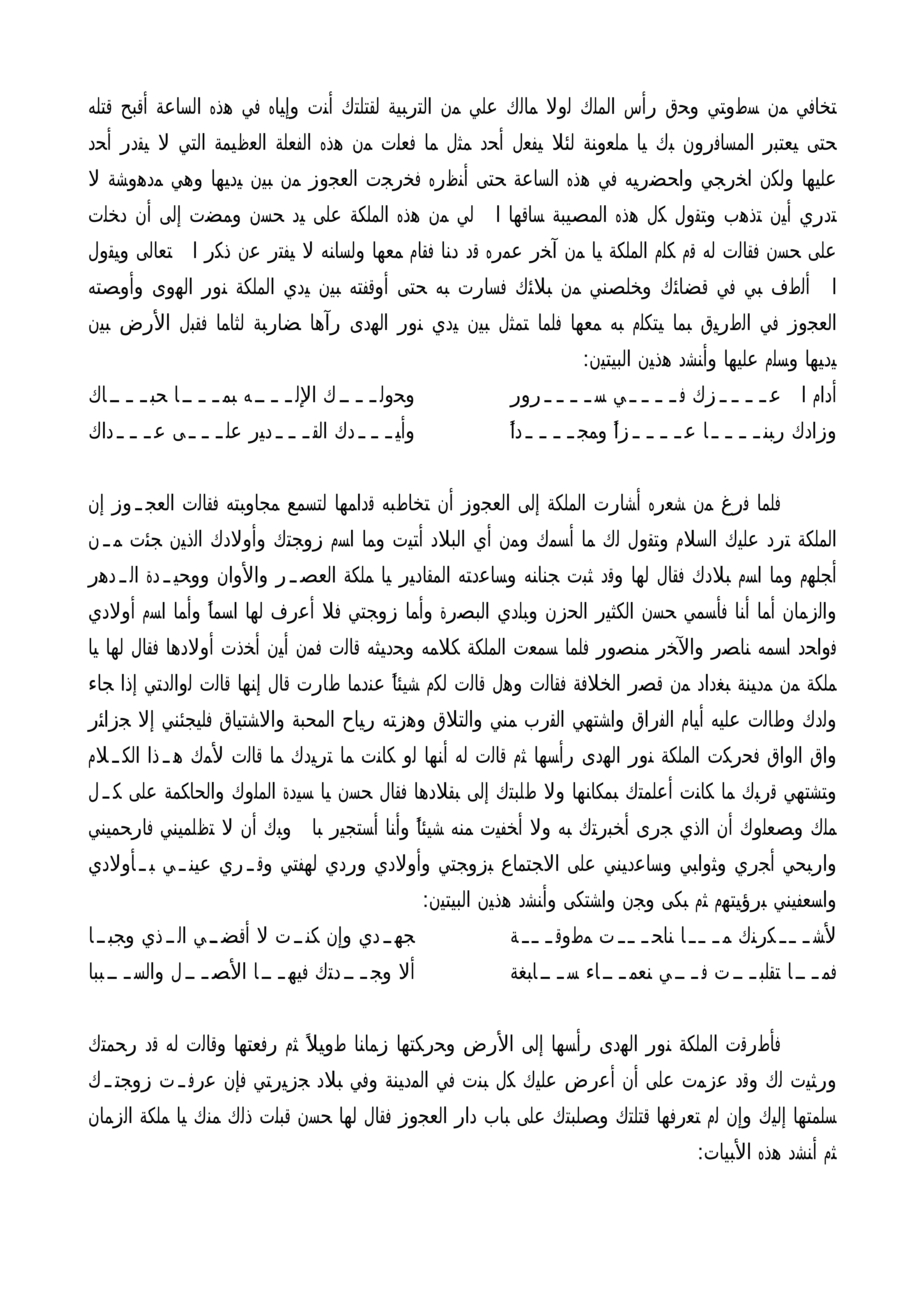
يـا ملـوك الجمـال رفقـاً يـا سـرى   لجفـون تملكـت ملـك كسـرى
قـد غلبـتم روائـح المسـك طيبـاً"   وبهـرتم محاسـن الـورد زهـراً
ويسـيم النعـيم حيـث حللـتم   فالصـبا مـن هنـاك تعبـق نشـرا
عـاذلي كـف عـن ملامـي ونصـحي   أنمـا جئـت بالنصـيحة نكـراً
مـا علـى صـوتي مـن العـذل واللـوم   إذا لـم تحـط بـذاك خبـراً
أسـرتني العيـون وهـي مـراض   ورمتنـي فـي الحـب عنفـاً وقهـرا
أنثـر الـدمع حـين أنظـم شـعري   هـاك منـي الحـديث نظمـاً ونثـراً
حمـرة الخـد قـد أذابـت فـؤادي   فتلظـت منـي الجـوارح جمـراً
خبرانـي متـى تركـت حـديثي   فبـأي الحـديث اشـرح صـدراً

طـول عمـري أهـوى الحسـان ولكـن يحـدث ا بعـد ذلـك أمـرا

فلما فرغ حسن من شعره رقت له العجوز ورحمته وأقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له طب نفساً وقر عيناً وأخل فكرك من الهم وا لأخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك أو تدركني منيتي فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز إلى آخر النهار فلما أقبل الليل تفرقت البنات كلهن فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الخيام ثم أن العجوز أخذت حسناً معها ودخلت به إلى البلد فأخلت له مكاناً وحده لئلا يطلع عليه أحد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من أتى به ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من سطوة الملك الأكبر أبا زوجته وهو يبكي بين يديها ويقول يا سيدتي قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا إن لم أجتمع بزوجتي وأولادي فأنا أخاطر بروحي إما أن أبلغ مرادي وإما أن أموت فصارت العجوز تتفكر في كيفية وصوله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في أمر هذا المسكين الذي رمي روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده بخوف ولا غيره وقد سلا جسمه وصاحب المثل يقول العاشق لا يسمع كلام خلى وكانت تلك البنت ملكة الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى وكان لهذه الملكة سبع أخوات بنات أبكار مقيمات عند أبيهن الملك الأكبر الذي هو حاكم على السبع جزائر وأقطار واق الواق وكان تخت ذلك الملك في المدينة التي هي أكبر مدن ذلك البر وكانت بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينة التي فيها حسن وعلى سائر أقطارها ثم أن العجوز لما رأت حسناً محترقاً على الاجتماع بزوجته وأولاده قامت وتوجهت إلى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبلت الأرض بين يديها وكان للعجوز فضل عليها لأنها ربت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة وهي مكرمة عندهم عزيزة عند الملك فلما دخلت العجوز على الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها وأجلستها جنبها وسألتها عن سفرتها فقالت لها وا يا سيدتي أنها كانت سفرة مباركة وقد أصبحت لك معي هدية سأحضرها بين يديك ثم قالت لها يا بنتي يا ملكة العصر والزمان إني أتيت معي بشيء عجيب وأريد أن أطلعك عليه لأجل أن تساعديني على قضاء حاجته فقالت لها وما هو فأخبرتها بحكاية حسن من أولها إلى آخرها وهي ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك وقالت لها يا سيدتي قد استجار بي شخص على الساحل كان مختفياً تحت الدكة فأجرته وأتيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه أحد وأدخلته البلد ثم قالت لها وقد خوفته من سطوتك وعرفته ببأسك وقوتك وكلما أخوفه يبكي وينشد الأشعار ويقول لابد لي من رؤية زوجتي وأولادي أو أموت ولا أرجع إلى بلادي من غيرهم وقد خاطر بنفسه وجاء إلى جزائر واق الواق ولم أر عمري آدمياً أقوى قلباً منه ولا أشد بأساً منه لأن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها وما رأيت أقوى قلباً منه لأن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضباً شديداً وأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إلى العجوز وقالت لها يا عجوز النحس هل بلغ من خبثك أنك تحملين الذكور وتأتين بهم معك إلى جزائر واق الواق وتدخلين بهم علي ولا



تخافي من سطوتي وحق رأس الملك لولا مالك علي من التربية لقتلتك أنت وإياه في هذه الساعة أقبح قتله حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لئلا يفعل أحد مثل ما فعلت من هذه الفعلة العظيمة التي لا يقدر أحد عليها ولكن اخرجي واحضريه في هذه الساعة حتى أنظره فخرجت العجوز من بين يديها وهي مدهوشة لا تدري أين تذهب وتقول كل هذه المصيبة ساقها ا لي من هذه الملكة على يد حسن ومضت إلى أن دخلت على حسن فقالت له قم كلم الملكة يا من آخر عمره قد دنا فقام معها ولسانه لا يفتر عن ذكر ا تعالى ويقول ا ألطف بي في قضائك وخلصني من بلائك فسارت به حتى أوقفته بين يدي الملكة نور الهوى وأوصته العجوز في الطريق بما يتكلم به معها فلما تمثل بين يدي نور الهدى رآها ضاربة لثاما فقبل الأرض بين يديها وسلم عليها وأنشد هذين البيتين:

أدام ا عـ ـ ـ ـزك فـ ـ ـ ـي سـ ـ ـ ـرور	وحولـ ـ ـك الإلـ ـ ـه بمـ ـ ـا حبـ ـ ـاك
وزادك ربنـ ـ ـ ـا عـ ـ ـ ـزاً ومجـ ـ ـ ـداً	وأيـ ـ ـدك القـ ـ ـدير علـ ـ ـى عـ ـ ـداك

فلما فرغ من شعره أشارت الملكة إلى العجوز أن تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته فقالت العجـوز إن الملكة ترد عليك السلام وتقول لك ما أسمك ومن أي البلاد أتيت وما اسم زوجتك وأولادك الذين جئت مـن أجلهم وما اسم بلادك فقال لها وقد ثبت جنانه وساعدته المقادير يا ملكة العصـر والأوان ووحيـدة الـدهر والزمان أما أنا فأسمي حسن الكثير الحزن وبلادي البصرة وأما زوجتي فلا أعرف لها اسماً وأما اسم أولادي فواحد اسمه ناصر والآخر منصور فلما سمعت الملكة كلامه وحديثه قالت فمن أين أخذت أولادها فقال لها يا ملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة فقالت وهل قالت لكم شيئاً عندما طارت قال إنها قالت لوالدتي إذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهي القرب مني والتلاق وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجئني إلا جزائر واق الواق فحركت الملكة نور الهدى رأسها ثم قالت له أنها لو كانت ما تريدك ما قالت لأمك هـذا الكـلام وتشتهي قربك ما كانت أعلمتك بمكانها ولا طلبتك إلى بقلادها فقال حسن يا سيدة الملوك والحاكمة على كـل ملك وصعلوك أن الذي جرى أخبرتك به ولا أخفيت منه شيئاً وأنا أستجير با وبك أن لا تظلميني فارحميني واربحي أجري وثوابي وساعديني على الاجتماع بزوجتي وأولادي وردي لهفتي وقـري عينـي بـأولادي واسعفيني برؤيتهم ثم بكى وجن واشتكى وأنشد هذين البيتين:

لأشـ ـكرنك مـ ـا ناحـ ـت مطوقـ ـة	جهـ ـدي وإن كنـ ـت لا أقضـ ـي الـ ـذي وجبـ ـا
فمـ ـا تقلبـ ـت فـ ـي نعمـ ـاء سـ ـابغة	ألا وجـ ـدتك فيهـ ـا الأصـ ـل والسـ ـببا

فأطرقت الملكة نور الهدى رأسها إلى الأرض وحركتها زمانا طويلاً ثم رفعتها وقالت له قد رحمتك ورثيت لك وقد عزمت على أن أعرض عليك كل بنت في المدينة وفي بلاد جزيرتي فإن عرفـت زوجتـك سلمتها إليك وإن لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز فقال لها حسن قبلت ذلك منك يا ملكة الزمان ثم أنشد هذه الأبيات:

أقمتم غرامي في الهوى وقعدتم ... وأسهرتم جفني القريح ونمتم

وعاهدتموني أنكم لن تماطلوا ... فلما أخذتم بالقياد غدرتم

عشقتكم طفلاً ولم أدر الهوى ... فلا تقتلوني أنني متظلم

أما تتقون ا في قتل عاشق ... يبيت يراعي النجم، والناس نوم

فبا يا قومي إذا مت فاكتبوا ... على لوح قبري أن هذا متيم

لعل فتى مثلي أضربه الهوى ... إذا ما رأى قبري على يسلم

فلما فرغ من شعره قال رضيت بالشرط الذي شرطتيه ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فعند ذلك أمرت الملكة نور الهدى أن لا تبقى بنت في المدينة إلا تطلع القصر وتمر أمامه ثم أن الملكة أمرت العجوز شواهي أن تنزل بنفسها إلى المدينة وتحضر كل بنت كانت في المدينة إلى الملكة في قصرها وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم يبق في المدينة بنت إلا وعرضتها على حسن فلم ير زوجته فيهن فسألته الملكة وقالت له هل رأيتها في هؤلاء فقال لها وحياتك يا ملكة ما هي فيهن فاشتد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز ادخلي واخرجي كل من في القصر واعرضيه عليه فلما عرضت عليه كل من في القصر ولم ير زوجته فيهن قال للملكة وحياة رأسك يا ملكة ما هي فيهن فغضبت وصرخت على من حولها وقالت خذوه واسحبوه على وجهه فوق الأرض واضربوا عنقه لئلا يخطر بنفسه أحد بعده ويطلع على حالنا ويجوز علينا في بلادنا ويطأ أرضنا وجزائرنا فسحبوه على وجهه ورفضوا أذيله فوقه وغمضوا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الإذن فعند ذلك تقدمت شواهي إلى الملكة وقبلت الأرض بين يديها وأمسكت ذيلها ورفعت فوق رأسها وقالت لها يا ملكة بحق التربية لا تعجلي عليه خصوصاً وأنت تعرفين أن هذا المسكين غريب قد خاطر بنفسه وقاسى أموراً ما قاساها أحد قبله ونجاه ا تعالى عز وجل من الموت لطول عمره وقد سمع بعد لك فدخل بلادك وحماك فإن قتلتيه تنتشر الأخبار عنك مع المسافرين بأنك تبغضين الأغراب وتقتلينهم وهو على كل حال تحت قهرك ومقتول سيفك إن لم تظهر زوجته في بلدك وأي وقت تشتهين حضوره فأنا قادرة على رده إليك وأيضاً فأنا ما أجرته إلا طمعاً في كرمك بسبب مالي عليك من التربية حتى ضمنت له أنك توصليه إلى بغيته لعلمي بعدلك وشفقتك ولولا أني أعلم منك هذا ما كنت أدخلته بلادك وقلت في نفسي أن الملكة تتفرج عليه وعلى ما يقوله من الأشعار والكلام المليح الفصيح الذي يشبه الدر المنظوم وهذا قد دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب إكرامه علينا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت غلمانها بأخذ حسن وضرب عنقه صارت العجوز تتعطف بخاطرها وتقول لها أنه دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب علينا إكرامه خصوصاً وقد وعدت بالاجتماع بك وأنت تعرفين أن الفراق صعب وتعرفين أن الفراق قتال خصوصاً فراق الأولاد وما بقي علينا من النساء واحدة إلا أنت نارية وجهك فتبسمت الملكة وقالت من أين له أن يكون زوجي وخلف

مني أولاد حتى أريه وجهي ثم أمرت بحضوره فأدخلوه عليها وأوقفوه بين يديها فكشفت عن وجهها فلما رآها حسن صرخ صرخة عظيمة وخر مغشياً عليه فلم تزل العجوز تلاطفه حتى أنهك من غشـيته وأنشـد هـذه الأبيات:

يـا نسـيماً هـب مـن أرض العـراق — فـي زوايـا أرض مـن قـد قـال واق
بلّـغ الأحبـاب عنـي أننـي — مـت مـن طعـم الهـوى مـر المـذاق
يـا أهيـل الحـب منـوا واعطفـوا — ذاب قلبـي مـن تبـاريح الفـراق

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد منها القصر أن يسقط على من فيه ثم وقع مغشياً عليه فما زالت العجوز تلاطفه حتى أفاق وسألته عن حاله فقال إن هذه الملكة إما زوجتـي وإمـا أشبه الناس بزوجتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما سألته عن حاله قال لها إن هذه الملكة أما زوجتي وأمـا أشبه الناس بزوجتي فقالت الملكة للعجوز ويلك يا داية أن هذا الغريب مجنون أو مختل لأنه ينظر إلى وجهي ويحملق إلي فقالت لها العجوز يا ملكة أن هذا معذور فلا تؤاخذيه فإنه قيل في المثل مريض الهوى ماله دواء وهو والمجنون سواء ثم أن حسناً بكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين:

أرى آثـارهم فـأذوب شـوقاً — وأسـكب فـي مـواطنهم دمـوعي
وأسـأل مـن بفـرقتهم بلانـي — يمـن علـى مـنهم بـالرجوع

ثم أن حسناً قال للملكة وا ما أنت زوجتي ولكنك أشبه الناس بها فضحكت الملكة نور الهدى حتـى استلقت على قفاها ومالت على جنبها ثم قالت يا حبيبي تمهل على روحك وميزني وجاوبني عن الذي أسـألك عنه ودع عنك الجنون والحيرة والذهول فإنه قد قرب لك الفرج فقال حسن يا سيدة الملوك وملجأ كل عنـي وصعلوك إني حين نظرتك جننت لأنك إما زوجتي وإما أشبه الناس بزوجتي فاسأليني الآن عما تريدين فقالت أي شيء في زوجتك يشبهني فقال جميع ما فيك من الحسن والجمال والظـرف والـدلال كاعتـدال قوامـك وعذوبة كلامك وحمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك مما يشبهها ثم أن الملكة التفتـت إلـى شـواهي أم الدواهي وقالت لها يا أمي ارجعيه إلى موضعه الذي فيه عندك واخدميه أنت بنفسك حتى أتفحص عن أمـره فإن كان هذا الرجل صاحب مروءة بحيث أنه يحفظ الصحبة والود وجب علينا مساعدته على قضاء حاجتـه خصوصاً وقد نزل أرضنا وأكل طعامنا مع ما تحمله من مشقات الأسفار ومكابدة أهوال الأخطار ولكـن إذا أوصلتيه إلى بيتك فأوصي عليه أتباعك وارجعي إلي بسرعة وإن شاء ا تعالى لا يكون الأخير فعند ذلـك خرجت العجوز وأخذت حسناً ومضت به إلى منزلها وأمرت جواريها وخدمها وحشمها بخدمته وأمـرتهم أن يحضروا له جميع ما يحتاج إليه وأن لا يقصروا في حقه ثم عادت إلى الملكة بسـرعة فأمرتهـا أن تحمـل سلاحها وتأخذ معها ألف فارس من الشجعان فامتثلت العجوز شواهي أمرها ولبسـت دروعهـا وأحضـرت

الألف فارس ولما وقفت بين يديها وأخبرتها بإحضار الألف فارس أمرتها أن تسير إلى مدينة الملك الأكبـر أبيها وتنزل عند بنته منار السنا أختها وتقول لها ألبسي ولديك الدرعين اللذين عملتيهما لهما وأرسليهما إلـى خالتهما فإنها مشتاقة إليهما وقالت لها أوصيك يا أمي بكتمان أمر حسن فإذا أخذتيهما منها فقولي لها إن أختك تستدعيك إلى زيارتها فإذا أعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة فاحضري بهما سريعاً وخليها تحضر على مهلها وتعالي من طريق غير الطريق التي تجيء هي منها ويكون سفرك ليلاً ونهاراً واحذري أن يطّلع على هذا الأمر أحد أبداً ثم احلف بجميع الأقسام إن طلعت أختي زوجته وظهر أن ولديها ولداه لا أمنعه مـن أخذها ولا من السفر معه بأولادها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد الملكة قالت إني أحلف با وأقسم بجميع الأقسام أنها إن طلعت أختي زوجته لا أمنعه من أخذها بل أساعده على أخذها وعلى سفرها معه إلى بلاده فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما أضمرته في نفسها وقد أضمرت العاهرة في نفسها أنها إن لم تكن زوجته ولا أولادها يشبهونه تقتله ثم أن الملكة قالت للعجوز يا أمي إن صدق حزري تكون زوجته أختي منار السنا وا أعلم فإن هذه الصفات صفاتها وجميع الأوصاف التي ذكرها من الجمال البارع والحسن البارع لا يوجد في أحد غير أخواتي خصوصاً الصغيرة ثم أن العجوز قبلت يدها ورجعت إلى حسن وأعلمته بما قالته الملكة فطار عقله من الفرح وقام إلى العجوزه قبل رأسها فقالت له يا ولدي لا تقبل رأسي وقبلني في فمي واجعل هذه القبلة حلاوة السلامة وطب نفساً وقر عيناً ولا يكن صدرك إلا منشرحاً ولا تستكره أن تقبلني في فمي فإنني أنا السبب في اجتماعك بها فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن إلا منشرح الصدر قرير العين مطمئن النفس ثم ودعته وانصرفت فأنشد حسن هذين البيتين:

لـي فـي محبـتكم شـهود أربـع ... وشـهود كـل قضـية اثنـان

خفقـان قلبـي واضطراب جـوارحي ... ونحـول جسـمي وانعقـاد لسـاني

ثم أنشد أيضاً هذين البيتين:

شـيآن لـو بكـت الـدماء عليهمـا ... عينـاي حتـى تؤذنـا بـذهاب

لـم يقضـيا المعشـار مـن حقيهمـا ... وشـرح الشـباب وفرقـة الأحبـاب

ثم أن العجوز حمت سلاحها وأخذت معها ألف فارس حاملين السلاح وتوجهت إلى تلك الجزيرة التي فيها أخت الملكة وسارت إلى أن وصلت إلى أخت الملكة وكان بين مدينة نور الهدى وبين مدينة أختها ثلاثة أيام فلما وصلت شواهي إلى المدينة وطلعت إلى أخت الملكة منار السنا سلمت عليها وبلغت السلام من أختها نور الهدى وأخبرتها باشتياقها إليها وإلى أولادها وعرفتها أن الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها إياها فقالت لها الملكة منار السنا أن الحق على أختي وأنا مقصرة بعدم زيارتي لها ولكن أزورها الآن ثم أمرت بتبرير خيامها إلى خارج المدينة وأخذت لأختها معها ما يصلح لها من الهدايا والتحف ثم أن

الملك أباها نظر من طبقات القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له إن الملكة منار السنا نصبت خيامها بتلك الطريق لأنها تريد زيارة أختها نور الهدى فلما سمع الملك بذلك جهز لها عسكراً يوصلها إلى أختها وأخرج من خزائنه من الأموال ومن المأكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف وكانت بنات الملك السبعة أشقاء من أب واحد وأم واحدة إلا الصغيرة وكان اسم الكبيرة نور الهدى والثانية نجم الصباح والثالثة شمس الضحى والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السنا وهي الصغيرة فيهن وهي زوجة حسن وكانت أختهن من أبيهن فقط ثم أن العجوز تقدمت وقبلت الأرض بين يدي مثار السنا فقالت لها منار السنا هل اك حاجة يا أمي فقالت لها أن الملكة نور الهدى أختك تأمرك أن تغيري لواديك وتلبيسهما الدرعين الذين فصلتيهما لهما وأن ترسليهما معي إليها فأخذهما وأسبق بهما وأكون المبشرة بقدومك عليها فلما سمعت منار السنا كلام العجوز أطرقت رأسها إلى الأرض وتغير لونها ولم تزل مطرقة زماناطو يلاثم حركت رأسها ورفعتها إلى العجوز وقالت لها ياأمي قد ارتجف فؤادي وخفق قلبي عندما ذكرت أولادي فأنهم من حين ولادتهم لم ينظر أحداً وجوههم من الجن والبشر لا أنثي ولا ذكر وأنا أغار عليهم من النسيم إذا سرى فقالت العجوز أي شيء هذا الكلام يا سيدتي أتخافين عليهم من أختك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت للسيدة منار السنا أي شيء هذا الكلام يا سيدتي أتخافين عليهم من أختك سلامة عقلك وإن خالفت الملكة في هذا الأمر لا يمكنك المخالفة فإنها تعتب عليك ولكن يا سيدتي أولادك صغار وأنت معذورة في الخوف عليهم والمحب مولع بسوء الظن ولكن يا بنتي أنت تعلمين شفقتي ومحبتي اك ولاولادك وقدر بيتكم قبلهم وأنا أتسلمهم وآخذهم وأفرش لهم خدي وأفتح قلبي وأجعلهم في داخله ولا أحتاج إلى الوصية عليهم في هذا الأمر فطيبي نفساً وقرى عيناً وأرسليهم لها وأكثر ما أسبقك به يوم واحداً ويومان ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ أختها ولم تدر ما هو مخبوء لها في عالم الغيب فسمحت بإرسالهم مع العجوز ثم أنها دعت بهم وأدخلتهم الحمام وهيأتهم وغيرت لهم وألبستهم الدرعين وسلمتهم للعجوز فسارت بهم مثل الطير على غير الطريق التي تسير فيها أسهم مثل ما أوصتها الملكة نور الهدى ولم تزل تجد في السير وهي خائفة عليهم إلى أن وصلت بهم إلى مدينة الملكة نور الهدى فعدت بهم البحر ودخلت المدينة وتوجهت بهم إلى الملكة نور الهدى خالتهم فلما رأتهم فرحت بهم وعانقتهم وضمتهم إلى صدرها وأجلست واحداً على فخذها الأيمن والثاني على فخذه الأيسر ثم التفتت إلى العجوز وقالت لها أحضري الآن حسناً فأنا قد أعطيته أماني وأجرته من حمامي وقد تحصن بداري ونزل في جواري بعد أن قاسى الأهوال والشدائد وتعدى أسباب الموت التي همها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كاسه وقطع أنفاسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت العجوز بإحضار حسن قالت لها إنه قاسى الأهوال والشدائد وتعدى أسباب الموت التي همها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كاسه

وقطع أنفاسه وأنا أقسم بخالق السماء وبانيها وساطح الأرض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها إن لم يكونوا أولاده لأقتلنه وأنا التي أضرب عنقه بيدي ثم أنها صرخت على العجوز فوقعت من الخوف وأغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكاً وقالت لهم امضوا مع هذه العجوز وأئتوني بالصبى الذي عندها في بيتها بسرعة فخرجت العجوز مع الحاجب والمماليك وقد أصفر لونها وارتعدت فرائصها ثم سارت إلى منزلها ودخلت على حسن فلما دخلت عليه قام إليها وقبل يديها وسلم عليها فلم تسلم عليه وقالت له قم كلم الملكة أما قلت لك ارجع إلى بلادك ونهيتك عن هذا كله فما سمعت قولي وقلت لك أعطيك شيئاً لا يقدر عليه أحد وارجع إلى بلادك من قريب فما أطعتني ولا سمعت مني بل خالفتني وأخترت الهلاك لي ولك فدونك وما اخترت فإن الموت قريب قم كلم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول يا سلام سلم اللهم الطف بي فيما قدرته على من بلائك واسترني يا أرحم الراحمين وقد يئس من الحياة وتوجه مع العشرين مملوكاً والحاجب والعجوز فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصراً ومنصوراً جالسين في حجرها وهي تلاعبهما وتؤانسهما فلما وقع نظره عليهما عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشياً عليه من شدة الفرح بولديه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشياً عليه فلما أفاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلصا من حجر الملكة ووقفا عند حسن وانطقهما ا عز وجل بقولهما يا أبانا فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا الحمد الذي جمع شملكما بأبيكما فلما أفاق حسن من غشيته عانق أولاده ثم بكى حتى غشي عليه فلما أفاق من غشيته أنش هذه الأبيات:

وحقكـم أن قلبـي لـم يعلـق جلـداً ... علـى الفـراق ولـو كـان الوصـال ردي

يقـول لـي طـيفكم أن اللقـاء غـدا ... وهـل أعـيش علـى رغـم العـداة غـدا

وحقكـم سـادتي مـن يـوم فـرقتكم ... مـا لـذ لـي طيـب عـيش بعـدكم أبـدا

وأن قضـى ا نحبـي فـي محبـتكم ... أمـوت فـي حـبكم مـن أعظـم الشـهدا

وظبيـة فـي زوايـا القلـب مرتعهـا ... وشخصـها كـالكري عـن مقلتـي شـردا

أن أنكرت في مجـال الشـرع سـفك دمـي ... فإنـه فـوق خـديها لقـد شـهدا

فلما تحققت الملكة أن الصغار أولاد حسن وأن أختها السيدة منار السنا زوجته التي جاء في طلبها غضبت غضباً شديداً ما عليه من مزيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما تحققت أن الصغار أولاد حسن وأن أختها منار السنا زوجته التي جاء في طلبها غضبت عليها غضباً شديداً ما عليه من مزيد وصرخت في وجه حسن فغشي عليه فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات:

بعـدتم وأنـتم أقـرب النـاس فـي الحشـا   وغبـتم وأنـتم فـي الفـؤاد حضـور

فـو ا مـا مـال الفـؤاد لغيـركم   وأنـي علـى جـور الزمـان صـبور

فـي الليـالي فـي هـواكم وتنقضـي   وفـي القلـب منـي زفـرة وسـعير

وكنـت فتـى لا أرتضـي البعـد سـاعة   فكيـف وقـد مـرت علـى شـهور

أغـار إذا ذهبـت علـيكم نسـيمة   وأنـي علـى الغيـد المـلاح غيـور

فلما فرغ حسن من شعره خر مغشياً عليه فلما أفاق رآهم قد أخرجوه مسحوباً على وجهه فقام يمشي ويتعثر في أذياله وهو لا يصدق بالنجاة مما قاساه منها فعز ذلك على العجوز شواهي ولم تقدر أن تخاطب الملكة في شأنه من قوة غضبها فلما خرج حسن من القصر صار متحير ألا يعرف أين يروح ولا يجيء ولا أين يذهب وضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يجد من يحدثه ويؤانسه ولا من يسليه ولا من يستشيره ولا من يقصده ويلجأ إليه فأيقن بالهلاك لأنه لا يقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولا يقدر أن يجوز على وادى الجان وأرض الوحوش وجزائر الطيور فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه فلما أفاق تفكر أولاده وزوجته وقدومها على أختها وتفكر فيما يجري لها مع الملكة أختها ثم ندم على حضوره في هذه الديار وعلى كونه لم يسمع كلام أحد فأنشد هذه الأبيات:

دعوا مقلتي تبكـي علـى فقـد مـن أهـوى   فقـد عـز سـلواني وزادت بـي البلـوى

وكـأس صـروف البـين صـرفاً شـربتها   فمـن ذا علـي فقـد ألأحبـة قـد يقـوي

بسـطتم بسـاط العتـب بينـي وبينـكم   ألا يـا بسـاط العتـب عنـي متـى تطـوي

سـهرت ونمـتم إذ زعمـتم بـأنني   سـلوت هـواكم إذ سـلوت عـن السـلوى

إلا أن قلبـي مولـع بوصـالكم   وأنـتم أطبـائي حفظـتم مـن الأدوا

ألم تنظـروا مـا حـل بـي مـن صـدودكم   ذللت لمن يسـوى ومـن لـم يكـن يسـوى

كتمـت هـواكم والغـرام يذيعـه   وقلبـي بنيـران الهـوى أبـداً يكـوى

فرقـوا لحـالي وارحمـوني لأننـي   أقمت علـى الميثـاق فـي السـر والنجـوى

فيـا هـل تـرى الأيـام تجمعنـي بكـم   فـأنتم منـي قلبـي وروحـي لكـم تهـوى

فـؤادي جـريح بـالفراق فليـتكم   تفيـدوننا عـن حـبكم خبـراً يـروي

ثم أنه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهبا إلى أن خرج إلى ظاهر المدينة فوجد النهر فسار على جانبه وهو لا يعلم أين يتوجه هذا ما كان من أمر حسن (وأما) ما كان من أمر زوجته منار السنا فإنها أرادت الرحيل في اليوم الثاني من اليوم الذي رحلت فيه العجوز فبينما هي عازمة على الرحيل إذ دخل عليهما حاجب الملك أبيها وقبل الأرض بين يديها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن منار السنا هي عازمة على الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الأرض بين يديها وقال لها يا ملكة أن أباك الملك الأكبر يسلم عليك ويدعوك إليه فنهضت متوجهة مع الحاجب إلى أبيها تنظر حاجته فلما رآها أبوها أجلسها إلى جانبه فوق السرير وقال لها يا بنتي أعلمي أني رأيت في هذه الليلة رؤيا وأنا خائف عليك منها وخائف أن يصل لك من سفرك هذا هم طويل فقالت له لأي شيء يا ابتي وأي شيء رأيت في المنام قال رأيت كأني دخلت كنز فرأيت فيه أموالاً عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكأنه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعها إلا سبع حبات وهي أحسن ما فيه فاخترت من السبع جواهر واحدة وهي أصغرها وأحسنها وأعظمها نوراً وكأني أخذتها في كفى لما أعجبني حسنها وخرجت بها من الكنزل فلما خرجت من بابه فتحت يدي وأنا فرحان وقبلت الجوهرة وإذا بطائر غريب قد أقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا قد أنقض على من السماء وخطف الجوهرة من يدي رجع بها إلى المكان الذي أتيت بها منه فلحقني الهم والحزن والضيق وفزعت فزعاً عظيماً أيقظني من المنام فانتبهت وأنا حزين متأسف على تلك الجوهرة فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامي فقالوا أن ذلك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهراً بغير رضاك وأنت يا بنتي أصغر بناتي وأعزهن عندي وأكرمهن على وها أنت مسافرة إلى أختك ولا أعلم ما يجري عليك منها فلا تروحي وارجعي إلى قصرك فلما سمعت منار السنا كلام أبيها خفق قلبها وخافت على أولادها وأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعتها إلى أبيها وقالت له يا أيها الملك أن الملك نور الهدى قد هيأت لي ضيافة وهي في انتظار قدومي عليها ساعة بعد ساعة ولها أربع سنين ما رأتني وأن قعدت عن زيارتها تغضب علي ومعظم قعودي عندها شهر زمان وأحضر عندك ومن هذا الذي يطرق بلادنا ويصل إلى جزائر واق الواق ومن يقدر أن يصل إلى الأرض البيضاء والجبل الأسود ويصل إلى جزيرة الكافور وقلعة الطيور وكيف يقطع وادي الطيور ثم وادي الوحوش ثم وادي الجان ثم يدخل جزائرنا ولو دخل إليها غريب لغرق في بحار الهلكات فطب نفساً وقر عيناً من شأن سفري فإنه لا قدرة لأحد على أن يدوس أرضنا ولم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن في المسير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها لم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن في المسير ثم أنه أمر ألف فارس أن يسافروا معها ليوصلواها إلى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل إلى مدينة أختها وتدخل قصر أختها وأمرهم أن يقيموا عندها حتى يأخذوها ويحضروها إلى أبيها وأوصاها أبوها أن تقعد عند أختها يومين ثم تعود بسرعة فقالت سمعاً وطاعة ثم أنها نهضت وخرجت وخرج معها أبوها وودعها وقد أثر كلام أبيها في قلبها فخافت على أولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر فجدت في السير ثلاثة أيام بلياليها حتى وصلت إلى النهر وضربت خيامها على ساحله ثم عدت أنهر معها وبعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها ولما وصلت إلى مدينة الملكة نور الهدى طلعت القصر ودخلت عليها فرأت أولادها يبكون عندها ويصيحون يابابا فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمت أولادها إلى صدرها وقالت لهم هل رأيتم أباكم فلا كانت الساعة

التي فارقته ولو عرفت أنه في دار الدنيا لكنت وصلتكم إليه ثم ناحت على نفسها وعلى زوجها وعلى بكاء أولادها وأنشدت هذه الأبيات:

أأحبابنـــا أنـــي علـــى البعـــد والجفـــا	أحـــن إلـــيكم حيـــث كنـــتم وأعطـــف
وطرفـــي إلـــى أوطـــانكم متلفـــت	وقلبـــي علـــى أيـــامكم متلهـــف
وكـــم ليلـــة بتنـــا علـــى غيـــر ريبـــة	"محبـــين يهنينـــا الوفـــا والتلطـــف

فلما رأتها قد ضمت أولادها وقالت أنا التي فعلت بنفسي وبأولادي هكذا وأخربت بيتي فلم تسلم عليها أختها نور الهدى بل قالت لها يا عاهرة من أين لك هذه الأولاد هل تزوجت بغير علم أبيك أو زنيت فإن كنت زنيت وجب تنكيلك وأن كنت تزوجت من غير علمنا فلأي شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى قالت لأختها منار السنا وإن كنت تزوجت من غير علمنا فلأي شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وقد أخفيت أولادك عنا أتظنين أننا لا ندري بذلك وا تعالى علاّم الغيوب قد أظهر لنا أمرك وكشف حالك وبين عوراتك ثم بعد ذلك أمرت أعوانها أن يمسكوها فقبضوا عليها فكتفتها وقيدتها بالقيود الحديد وضربتها ضرباً وجيعاً حتى شرحت جسدها وصلبتها من شعرها وضعتها في السجن وكتبت كتاباً إلى الملك الأكبر أبيها تخبره بخبرها وتقول له أنه ظهر في بلادنا رجل من الأنس وأختي منار السنا تدعي أنها تزوجته في الحلال وجاءت منه بولدين وقد أخفتهما عنا وعنك ولم تظهر عن نفسها شيئاً إلى أن أتانا ذلك الرجل الذي من الأنس وهو يسمي حسناً وأخبرنا أنه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم أخذت أولادها وأتت من غير علمه وأخبرت والدته عند مجيئها وقالت لها قولي لولدك إذا حصل له اشتياق أن يجيئني إلى جزائر واق الواق فقبضنا على ذلك الرجل عندنا وارسلت إليها العجوز شواهي تحضرها عندي هي وأولادها فجهزت نفسها وحضرت وقد كنت أمرت العجوز أن تحضر لي أولادها أولا فتسبق بهم إلى قبل حضورها فجاءت العجوز بالأولاد قبل حضورها فأرسلت إلى الرجل الذي أدعى أنها زوجته فلما دخل على ورأي الأولاد عرفهم فتحققت أن الأولاد أولاده وانها زوجته وعلمت أن كلام الرجل صحيح وليس عنده عيب ورأيت أن القبح والعيب عند أختي فخفت من هتك عرضنا عند أهل جزائر نا فلما دخلت على هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها وضربتها ضرباً وجيعاً وصلبتها من شعرها وقد أعلمتك بخبرها والأمر أمرك فالذي تأمرنا به نفعله وأنت تعلم أن هذا الأمر فيه هتيكة لنا وعيب في حقنا وحقك وربما تسمع أهل الجزائر بذلك فنصير بينهم مثله فينبغي أن ترد لنا جوابا سريعاً ثم أعطت المكتوب للرسول فسار به إلى الملك فلما قرأه الملك الأعظم اغتاظ غيظاً شديداً على ابنته منار السنا وكتب إلى ابنته نور الهدى مكتوباً يقول لها فيه أنا قد فوضت أمرها إليك وحكمت في دمها فإن كان الأمر كما ذكرت فاقتليها ولاتشاوريني في أمرها فلما وصل إليها كتاب أبيها وقرأته أرسلت إلى منار السنا وأحضرتها بين يديها وهي غريقة في دمها مكتفة بشعرها مقيدة بقيد ثقيل من حديد وعليها اللباس الشعر

ثم أوقفوها بين يدي الملكة فوقفت حقيرة ذليلة فلما رأت نفسها في هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد تفكرت ما كان فيه من العز وبكت بكاء شديداً وأنشدت هذين البيتين :

يـــارب أن العـــدا يســـعون فـــي تلفـــي ويزعمـــون بـــأني لســـت بالنـــاجي

وقـــد رجوتـــك فـــي أبطـــال مـــا صـــنعوا يـــارب أنـــت مـــلاذ الخـــائف الراجـــي

ثم بكت بكاء شديداً حتى وقعت مغشياً عليها فلما أفاقت أنشدت هذين البيتين:

ألـــف الحـــوادث مهجتـــي وألفتهـــا بعـــد التنـــافر والكـــريم ألـــوف

لـــيس الهمـــوم علـــى صـــنفاً واحـــداً عنـــدي بحمـــد الله منـــه ألـــوف

ثم أنشدت هذين البيتين:

ولـــرب نازلـــة يضـــيق لهـــا الفتـــى درعـــاً وعنـــد الله منهـــا المخـــرج

ضـــاقت فلمـــا اســـتحكمت حلقاتهـــا فرجـــت وكنـــت أظنهـــا لا تفـــرج

(وفي ليلة ٧٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت بإحضار أختها الملكة منار السنا أوقفوها بين يديها وهي مكتفة فأنشدت الأشعار السابقة ثم أن أختها أحضرت لها سلماً من خشب ومدتها عليه وأمرت أن يربطوها على ظهرها فوق السلم ومدت سواعدها وربطتها في الحبال ثم كشفت رأسها ولفت شعرها على السلم الخشب وقد انتزعت الشفقة عليها من قلبها فلما رأت منار السنا نفسها في هذه الحالة من الذل والهوان صاحت وبكت فلم يغثها أحد فقالت لها يا أختي كيف قسا قلبك على فلا ترحميني ولا ترحمي الأطفال الصغار فلما سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها وشمتها وقالت لها يا عاشقة يا عاهرة لا رحم الله من يرحمك كيف أشفق عليك يا خائنة فقالت لها منار السنا وهي مشبوحة احتسبت عليك برب السماء فيما تسبيني به وأنا بريئة منه والله ما زنيت وأنما تزوجته في الحلال وربي يعلم هل قولي صحيح أم لا وقلبي قد غضب عليك من شدة قسوة قلبك علي فكيف ترميني بالزنا من غير علم ولكن ربي يخلصني منك وإن كان الذي قد قذفتيني به من الزنا حقاً فسيعاقبني الله عليه فتفكرت أختها في نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها كيف تخاطبينني بهذا الكلام ثم قامت لها وضربتها حتى غشي عليها فرشّوا على وجهها الماء حتى أفاقت وقد تغيرت محاسنها من شدة الضرب ومن قوة الرباط ومن فرط ما حصل لها من الإهانة ثم أنشدت هذين البيتين:

وإذا جنيـــت جنايـــة وأتيـــت شـــيئاً منكـــراً أنا تائـــب عمـــا مضـــى وأتيـــتكم مســـتغفراً

فلما سمعت شعرها نور الهدى غضبت غضباً شديداً وقالت لها أنت تتكلمين يا عاهرة قدامي بالشعر وتستعذرين من الذي فعلتيه من الكبائر وكان مرادي أن ترجعي لزوجك حتى أشاهد فجورك وقوة عينك لأنك

تفتخرين بالذي وقع منك من الفجور والفحش والكبائر ثم أنها أمرت الغلمان أن يحضروا لها الجريد فأحضروه فقامت وشمرت عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسها إلى قدميها ثم دعت بسوط مضفور ولو ضرب به الفيل لهرول مسرعاً فنزلت بذاك السوط على ظهرها وبطنها وجميع أعضائها حتى غشي عليها فلما رأت العجوز شواهي ذاك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها وهي تبكي وتدعو عليها فصاحت على الخدم وقالت لهم أئتوني بها فتجاروا عليها ومسكوها وأحضروها بين يديها فأمرت برميها على الأرض وقالت للجواري اسحبوها على وجهها وأخرجوها فسحبوها واخرجوها من بين يديها هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر حسن فإنه قام متجلداً ومشى في شاطيء النهر واستقبل البرية وهو حيران مهموم وقد يئس من الحياة وصار مدهوشاً لا يعرف الليل من النهار ولشدة ما أصابه ومازال يمشي إلى أن قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلقة فتناولها حسن بيده ونظرها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات:

دبـ ـ ـ ـ ـرت أمـ ـ ـ ـ ـرك عنـ ـ ـ ـ ـدها   كنـ ـ ـ ـت الجنـ ـ ـين بـ ـ ـ ـبطن أمـ ـ ـك

وعليـ ـ ـ ـ ـك قـ ـ ـ ـ ـد حننهـ ـ ـ ـ ـا   حتـ ـ ـى لقـ ـ ـد جـ ـ ـادت بضـ ـ ـمك

أنـ ـ ـ ـا لكـ ـ ـ ـ ـافوك الـ ـ ـ ـ ـذي   يـ ـ ـ ـأتي بهمـ ـ ـ ـ ـك أو بغمـ ـ ـ ـ ـك

فأضـ ـ ـ ـرع إلينـ ـ ـ ـا ناهضـ ـ ـ ـاً   نأخـ ـ ـذ بكفـ ـ ـك فـ ـ ـي مهمـ ـ ـك

فلما فرغ من قراءة الورقة أيقن بالنجاة من الشدة والظفر بجمع الشمل ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً في موضع قفز خطر لا يجد فيه أحداً يستأنس به فطار قلبه من الوحدة والخوف وارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

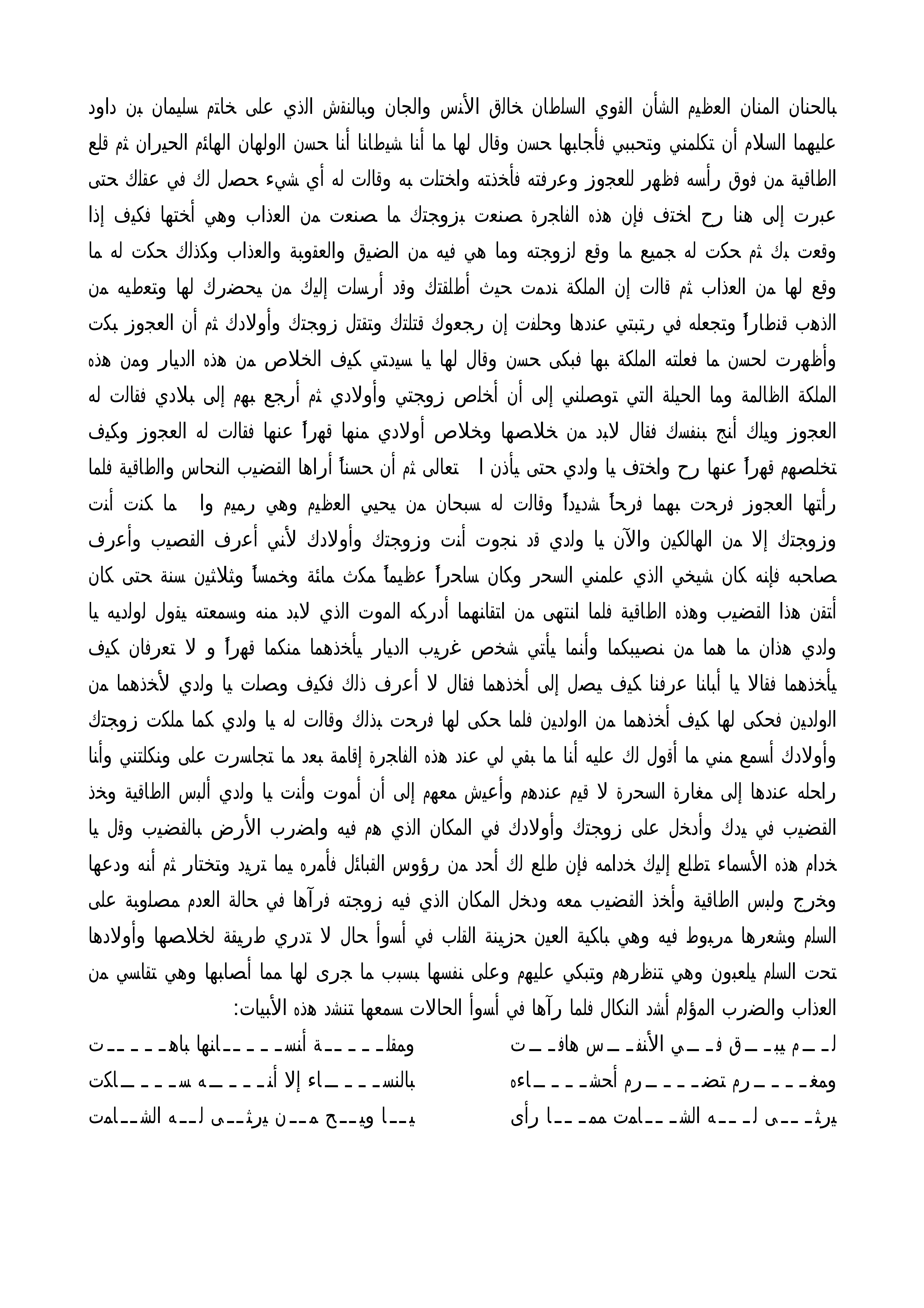
(وفي ليلة ٧٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما قرأ الورقة أيقن بالنجاة من الشدة وتحقق الظفر بجمع الشمل ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً في موضع خطر وما عنده أحد يؤانسه فبكى بكاء شديداً وأنشد الأشعار التي ذكرناها ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من أولاد السحرة والكهان وبين أيديهما قضيب من النحاس منقوش بالطلاسم وبجانب القضيب طاقية من الأدم بثلاثة تروك منقوش عليها بالبولاد أسماء وخواتم والقضيب والطاقية مرميان على الأرض والولدان يختصمان وينضار بأن عليهما حتى سال الدم بينهما وهذا يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا والآخر يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا فدخل حسن بينهما وخلصهما من بعضهما وقال لهما ما سبب هذه المخاصمة فقال له يا عم احكم بيننا فإن ا تعالى ساقك إلينا لتقضي بيننا بالحق فقال قصاً على حكايتكما وأنا أحكم بينكما فقالا له نحن الاثنان أخوان شقيقان وكان أبونا من السحرة الكبار وكان مقيماً في مغارة في هذا الجبل ثم مات وخلف لنا هذه الطاقية وهذا القضيب وأخي يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا وأنا أقول ما يأخذه إلا أنا فاحكم بيننا وخلصنا من بعضنا فلما سمع حسن كلامهما قال لهما ما الفرق بين القضيب والطاقية وما مقدارهما فإن القضيب بحسب الظاهر يساوي سته جدد والطاقية تساوي ثلاثة جدد فقالا له أنت ما تعرف فضلهما فقال لهما أي شيء فضلهما فالإله في كل منهما سر عجيب وهو أن القضيب يساوي خراج جزائر واق الواق بأقطارها والطاقية كذلك فقال لهما

حسن يا ولدي بالله اكشفا لي عن سرهما فقالا له يا عم إن سرهما عظيم لأن أبانا عاش مائة وخمساً وثلاثين سنة يعالج تدبيرهما حتى أحكمهما غاية الإحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما الإستخدامات الغريبة ونقشهما على مثل الفلك الدائر وحل بهما جميع الطلاسم وعندما فرع من تدبيرهما أدركه الموت الذي لا بد لكل أحد منه فأما الطاقية يأتي سرها أن كل من وضعها على رأسه اختفى عن أعين الناس جميعاً فلا ينظره أحد مادامت على رأسه وأما القضيب فإن سره أن كل من ملكه يحكم على سبع طوائف من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيب فكلهم تحت أمره وحكمه وكل من ملكه وصار في يده إذا ضرب به الأرض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن في خدمته فلما سمع حسن هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم قال في نفسه والله أنني لمنصور بهذا القضيب وبهذه الطاقية إن شاء الله تعالى فإنني أحق بهما منهما ففي هذه الساعة أتحيل على أخذهما منهما لأستعين بهما على خلاصي وخلاص زوجتي وأولادي من هذه الملكة الظالمة وتسافر من هذا المكان المظلم الذي مالأحد من الإنس خلاص منه ولا مفر ولعل الله ما ساقني لهذين الغلامين إلا لأستخاص منهما القضيب والطاقية ثم رفع رأسه إلى الغلامين وقال لهما إن شئتما فصل القضية فأنا أمتحنكما فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية فإن أمتحنتكما وميزت بينكما عرفت ما يستحقه كل منكما فقالا له يا عم وكلناك في امتحاننا واحكم بيننا بما تختار فقال لهما حسن هل تسمعان مني وترجعان إلى قولي فقالا له نعم فقال لهما حسن أنا آخذ حجراً وأرميه فمن سبق منكم إليه وأخذه قبل رفيقه يأخذ القضيب ومن تأخر ولم يلد من يأخذ الطاقية فقالا قبلنا منك هذا الكلام ورضينا به ثم أن حسنا أخذ حجراً ورماه بعزمه فغاب عن السيوف فتسارع الغلمان نحوه فلما بعد أخذ حسن الطاقية ولبسها وأخذ القضيب في يده وانتقل من موضعه لينظر صحة قولهما في شأن سر أبيهما فسبق الولد الصغير إلى الحجر وأخذه ورجع به إلى المكان الذي فيه حسن فلم ير له أثر فصاح على أخيه وقال له أين الرجل الحاكم بيننا فقال لا أراه ولم أعرف هل طلع إلى السماء العليا أو نزل إلى الأرض السفلى ثم أنهما فتشا عليه فلم ينظراه وحسن واقف في مكانه فشتما بعضهما وقالا قد راح القضيب والطاقية لا لي ولا لك وكأن أبونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكنا نسينا ما أخبرنا به ثم أنهما رجعا على أعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقية وفي يده القضيب فلم يره أحد من الناس ثم دخل القصر وطلع إلى الموضع الذي فيه شواهي ذات الدواهي فدخل عليها وهو لابس الطاقية فلم تره ومشى حتى تقرب من رف كان فوق رأسها وعليه زجاج وصيني فحركه بيده فوقع الذي فوقه على الأرض فصاحت شواهي ذات الدواهي ولطمت على وجهها ثم قامت وأرجعت الذي وقع إلى مكانه وقالت في نفسها والله ما أظن إلا أن الملكة نور الهدى أرسلت إلى شيطاناً فعمل معي هذه العملة فأنا أسأل الله تعالى أن يخلصني منها ويسلمني من غضبها فيارب إذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب والصلب مع أختها وهي عزيزة عند أبيها فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلي إذا غضبت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز شواهي ذات الدواهي لما قالت إذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذه الفعال مع أختها فكيف يكون حال الغريب معها إذا غضبت عليه ثم قالت أقسمت عليك أيها الشيطان



بالحنان المنان العظيم الشأن القوي السلطان خالق الأنس والجان وبالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تكلمني وتحببي فأجابها حسن وقال لها ما أنا شيطانا أنا حسن الولهان الهائم الحيران ثم قلع الطاقية من فوق رأسه فظهر للعجوز وعرفته فأخذته واختلت به وقالت له أي شيء حصل لك في عقلك حتى عبرت إلى هنا رح اختف فإن هذه الفاجرة صنعت بزوجتك ما صنعت من العذاب وهي أختها فكيف إذا وقعت بك ثم حكت له جميع ما وقع لزوجته وما هي فيه من الضيق والعقوبة والعذاب وكذلك حكت له ما وقع لها من العذاب ثم قالت إن الملكة ندمت حيث أطلقتك وقد أرسلت إليك من يحضرك لها وتعطيه من الذهب قنطاراً وتجعله في رتبتي عندها وحلفت إن رجعوك قتلتك وتقتل زوجتك وأولادك ثم أن العجوز بكت وأظهرت لحسن ما فعلته الملكة بها فبكى حسن وقال لها يا سيدتي كيف الخلاص من هذه الديار ومن هذه الملكة الظالمة وما الحيلة التي توصلني إلى أن أخلص زوجتي وأولادي ثم أرجع بهم إلى بلادي فقالت له العجوز ويلك أنج بنفسك فقال لابد من خلاصها وخلاص أولادي منها قهراً عنها فقالت له العجوز وكيف تخلصهم قهراً عنها رح واختف يا ولدي حتى يأذن ا تعالى ثم أن حسناً أراها القضيب النحاس والطاقية فلما رأتها العجوز فرحت بهما فرحاً شديداً وقالت له سبحان من يحيي العظيم وهي رميم وا ما كنت أنت وزوجتك إلا من الهالكين والآن يا ولدي قد نجوت أنت وزوجتك وأولادك لأنني أعرف القصيب وأعرف صاحبه فإنه كان شيخي الذي علمني السحر وكان ساحراً عظيماً مكث مائة وخمساً وثلاثين سنة حتى كان أتقن هذا القضيب وهذه الطاقية فلما انتهى من اتقانهما أدركه الموت الذي لابد منه وسمعته يقول لولديه يا ولدي هذان ما هما من نصيبكما وأنما يأتي شخص غريب الديار يأخذهما منكما قهراً و لا تعرفان كيف يأخذهما فقالا يا أبانا عرفنا كيف يصل إلى أخذهما فقال لا أعرف ذلك فكيف وصلت يا ولدي لأخذهما من الولدين فحكى لها كيف أخذهما من الولدين فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له يا ولدي كما ملكت زوجتك وأولادك أسمع مني ما أقول لك عليه أنا ما بقي لي عند هذه الفاجرة إقامة بعد ما تجاسرت على ونكلتني وأنا راحله عندها إلى مغارة السحرة لا قيم عندهم وأعيش معهم إلى أن أموت وأنت يا ولدي ألبس الطاقية وخذ القضيب في يدك وأدخل على زوجتك وأولادك في المكان الذي هم فيه واضرب الأرض بالقضيب وقل يا خدام هذه الأسماء تطلع إليك خدامه فإن طلع لك أحد من رؤوس القبائل فأمره بما تريد وتختار ثم أنه ودعها وخرج ولبس الطاقية وأخذ القضيب معه ودخل المكان الذي فيه زوجته فرآها في حالة العدم مصلوبة على السلم وشعرها مربوط فيه وهي باكية العين حزينة القلب في أسوأ حال لا تدري طريقة لخلاصها وأولادها تحت السلم يلعبون وهي تنظرهم وتبكي عليهم وعلى نفسها بسبب ما جرى لها مما أصابها وهي تقاسي من العذاب والضرب المؤلم أشد النكال فلما رآها في أسوأ الحالات سمعها تنشد هذه الأبيات:

لـ ــم يبـ ــق فـ ــي الأنفـ ــس هافـ ــت ... ومقلـ ـ ـ ـــة أنسـ ـ ـ ـــانها باهـ ـ ـ ـــت

ومغـ ـ ـ ـــرم تضـ ـ ـ ـــرم أحشـ ـ ـ ـــاءه ... بالنسـ ـ ـــاء إلا أنـ ـ ـــه سـ ـ ـــاكت

يرثـ ـــى لـ ـــه الشـ ـــامت ممـ ـــا رأى ... يـــا ويـــح مـــن يرثـــى لـــه الشـــامت

ثم أن حسناً لما رأى هي ما فيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشى عليه فلما أفاق ورأى أولاده وهم يلعبون وقد غشي على أمهم من كثرة التألم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا يا أبانا فغطي رأسه واستفاقت أمهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة حسن لما أفاقت من غشيتها على صياح أولادها وهما يقولان يا أبانا وقد التفتت يميناً وشمالاً لترى سبب صياح أولادها وندائهم لأبيهم فلم ترا أحداً تعجبت من ذكر أولادها لأبيهم في هذا الوقت هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر حسن لما رآها هكذا بكي حتى غشي عليه وجرت دموعه على خديه مثل المطر ودنا من الأولاد وكشف الطاقية فلما رأوه عرفوه وصاحوا بقولهم يا أبانا فبكت أمهم حين سمعتهم يذكرون أباهم وقالت لا حيلة في قدرة ا وقالت في نفسها يا للعجب ما سبب ذكرهم لأبيهم في هذا الوقت زندائهم له فلم يطق حسن الصبر دون أن كشف الطاقية عن رأسه فنظرته زوجته فلما عرفته زعقت زعقة أزعجت جميع من في القصر ثم قالت له كيف وصلت إلى ههنا هل من السماء نزلت أو من الأرض طلعت ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له يا رجل ما هذا وقت بكاء ولا وقت عتاب قد نفذ القضاء وعمي البصر وجري القلم بما حكم ا في القدم فبا عليك من أي مكان جئت رح واختف لئلا ينظرك أحد فيعلم أختي بذلك فتذبحني وتذبحك فقال لها حسن يا سيدتي وسيدة كل ملكة أنا خاطرت بروحي وجئت إلى هنا فإما أن أموت وإما أن أخلصك من الذي أنت فيه وأسافر أنا وأنت وأولادي إلى بلادي على رغم أنف هذه الفاجرة أختك فلما سمعت كلامه تبسمت وضحكت وصارت تحرك رأسها زماناً طويلاً وقالت له هيهات يا روحي هيهات أن يخلصني أحد مما أنا فيه إلا ا تعالى ففز بنفسك وأرحل ولا ترم روحك في الهلاك فما حل بي هذا إلا لكوني عاصيتك وخالفت أمرك وخرجت من غير إذنك فبا عليك يا رجل لا تؤاخذني بذنبي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة حسين أعتذرت إليه وقالت له لا تؤاخذني بذنبي واعلم أن المرأة ما تعرف قيمة الرجل حتى تفارقه وأنا أذنبت وأخطأت ولكن استغفر ا العظيم مما وقع مني وأن جمع ا شملنا لا أعصي لك أمراً بعد ذلك أبداً فقال لها حسن وقد أوجعه قلبه عليها أنت ما أخطأت وما أخطأ إلا أنا لأني سافرت وخليتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك بقيمة ولا مقدار واعلمي يا حبيبة قلبي وثمرة فؤادي ونور عيني أن ا سبحانه وتعالى أقدرني على تخليصك فهل تحبين أن أوصلك إلى دار أبيك وتستوفي عنده ما قدر ا عليك أو تسافرين إلى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج فقالت له ومن يقدر على تخليصي إلا رب السماء فرح إلى بلادك وخل عنك الطمع فإنك لا تعرف أخطار هذه الديار وأن لم تعطني سوف تنظر ثم أنها أنشدت هذه الأبيات

علـى وعنـدي مـا تريـد مـن الرضـا ... فمـا لـك غضـباناً علـي ومعرضـاً

وما قـد جـرى خاشـى الـذي كـان بيننـا ... مـن الـودان ينسـى قـديما وينقضـا

ومـا بـرح الواشـي لنـا متجنبـاً ... فلمـا رأى الأعـراض منـا تعرضـاً

فـــإنني بحـــس الظـــن منـــك لواثـــق وأن جهـــل الواشـــي وقـــال وحرضـــا

فنكـــــتم ســـــراً بيننـــــا ونصـــــونه ولـــو كـــان ســـيف العـــذل بـــاللوم منتضـــى

أظـــــل نهـــــاري كلـــــه متشـــــوقاً لعـــل بشـــيراً منـــك يقبـــل بالرضـــا

ثم بكت هي وأولادها فسمع الجواري بكاءهم فدخلن عليهم فوجدت الملكة منار السنا تبكي هي وأولادها ولم ينظرون حسناً عندهم فبكي الجواري رحمة لهم ودعون على الملكة نور الهدى فصبر حسن إلى أن أقبل الليل وذهب الحراس الموكلون بها إلى مراقدهم ثم بعد ذلك قام وشد وسطه وجاء إلى زوجته وحلها وقبل رأسها وضمها إلى صدره وقبل بين عينيها وقال لها ما أطول شوقنا إلى ديارنا واجتماع شملنا هناك فهل اجتماعنا هذا في المنام أو في اليقظة ثم أنه حمل ولده الكبير وحملت هي الولد الصغير وخرجا من القصر وأسبل ا عليهما الستر وسارا فلما وصلا إلى خارج القصر وقفا عند الباب الذي يقفل على سراية الملكة فلما صار هناك رأياه مقفولاً فقال حسن لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم إنا وإنا إليه راجعون ثم أنهما يئسا من الخلاص فقال حسن يا مفرج الكروب ودق يد علي يد وقال كل شيء حسبته ونظرت في عاقبته إلا هذا فإنه إذا طلع علينا النهار يأخذوننا وكيف تكون الحيلة في هذا الأمر فقالت زوجته وا ما لنا فرح إلا أن نقتل أرواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم ولا نصبح نقاسي العذاب الأليم فبينما هما في الكلام وإذا بقائل يقول من خارج الباب وا ما أفتح لك يا سيدتي منار السنا وزوجك حسن إلا أن تطاوعاني فيما أقوله لكما فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وأراد الرجوع إلى المكان الذي كانا فيه وإذا بقائل يقول ما لكما سكتما ولم تردا على الجواب فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهي ذات الدواهي فقالا لها ما تأمرينا به نعمله ولكن افتحي الباب فإن هذا الوقت ما هو وقت كلام فقالت لهما وا ما أفتح لكما حتى تحلفا لي أنكما تأخذاني معكما ولا تتركاني عند هذه العاهرة ومهما أصابكما أصابني وإن سلمتما سلمت وأن عطبتما عطبت فإن هذه الفاجرة المساحقة تحتقرني وفي كل ساعة تنكلني من أجلكما وأنت يا بنتي تعرفين مقداري فلما عرفاها أطمأنا بها وحلفا لها بالإيمان التي تثق بها فلما حلفا لها بما تثق فتحت لهما الباب وخرجا فلما خرجا وجدها راكبة على زير رومي من فخار أحمر وفي حلق الزير حبل من ليف وهو يتقلب من تحتها ويجري جرياً أقوى من جري المهر النجدي فتقدمت قدامهما وقالت لهما اتبعاني ولا تفزعا من شيء فإني أحفظ أربعين بابا من السحر أقل باب منها أجعل به هذه المدينة بحراً عجاجا متلاطما بالأمواج واسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك أعمله قبل الصبح ولكني كنت لا أقدر أن أفعل شيئاً من ذلك الشر خوفاً من الملك أبيها ورعاية لأخواتها لأنهم مستعزون بكثرة الأعوان والأرهاط والخدم ولكن سوف أريكما عجائب سحري فسيروا بنا على بركة ا تعالى وعونه فعند ذلك فرح حسن هو وزوجته وأيقنا الخلاص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً وزوجته والعجوز شواهي لما طلعوا من القصر وأيقنوا بالخلاص خرجوا إلى ظاهر المدينة فأخذ حسن القضيب بيده وضرب به الأرض وقوى جنانه وقال يا خدام

هذه الأسماء احضروا لي واطلعوني على أخوانكم وإذا بالأرض قد انشقت وخرج منها عشر عفاريت كل عفريت منهم رجلاه في تخوم الأرض ورأسه في السحاب فقبلوا الأرض بين يدي حسن ثلاث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد لبيك يا سيدنا والحاكم علينا بأي شيء تأمرنا فنحن لأمرك سامعون مطيعون إن شئت نيبس لك البحار وتنقل لك الجبال من أماكنها ففرح حسن بكلامهم وبسرعة جوابهم وشجع قلبه وقوي جنانه وعزمه وقال لهم من أنتم وما أسمكم ولمن تنسبون من القبائل ومن أي طائفة أنتم ومن أي قبيلة ومن أي رهط فقبلوا الأرض ثانياً وقالوا بلسان واحد نحن سبع ملوك كل ملك منا يحكم على سبع قبائل من الجن والشياطين والمردة فنحن سبع ملوك تحكم على تسع وأربعين قبيلة من سائر طوائف الجن والشياطين والمردة والأرهاط والأعوان الطيارة والغواصة وسكان الجبال والبراري والقفار وعمار البحار فأمرنا بما تريد فنحن لك خدام وعبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنا جميعاً ونصير تحت طاعته فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحاً عظيماً وكذلك زوجته والعجوز فعند ذلك قال حسن للجان أريد منكم أن تطلعوني على أرهطكم وجنودكم وأعوانكم فقالوا يا سيدنا إذا أطلعناك على رهطنا نخاف عليك وعلى من معك لأنهم جنود كثيرة مختلفة الصور والخلق والألوان والوجوه والأبدان فمنا رؤوس بلا أبدان ومنا أبدان بلا رؤوس ومنا من هو على صفة الوحوش ومنا من هو على صفة السباع ولكن إن شئت ذلك فلابد لنا من أن نعرض عليك أولاً من هو على صفة الوحوش ولكن ياسيدي ما تريد منا في هذا الوقت فقال لهم حسن أريد منكم أن تحملوني أنا وزوجتي وهذه المرأة الصالحة في هذه الساعة إلى مدينة بغداد فلما سمعوا كلامه أطرقوا برؤوسهم فقال لهم حسن لم لا تجيبوني فقالوا بلسان واحد أيها السيد الحاكم علينا أننا من عهد السيد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلفنا أننا لا نحمل أحد من بني آدم على ظهورنا فنحن من ذلك الوقت ما حملنا أحد من بني آدم على أكتافنا ولا على ظهورنا ولكن نحن في هذه الساعة نعد لك من خيول الجن ما يبلغك مرادك أنت ومن معك فقال لهم حسن وكم بيننا وبين بغداد فقالوا له مسافة سبع سنين للفارس المجد فتعجب حسن من ذلك وقال لهم كيف جئت أنا إلى هنا فيما دون السنة فقالوا له أنت قد حنّن ا عليك قلوب عباده الصالحين ولولا ذلك ما كنت تصل هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك أبداً لأن الشيخ عبد القدوس الذي أركبك الفيل وأركبك الجواد الميمون قطع بك في الثلاثة أيام ثلاث سنين للفارس المجد في السير وأما الشيخ أبو الريش الذي أعطاك الدهنش فإنه قطع بك في اليوم والليلة مسافة ثلاث سنين وهذا من بركة ا العظيم لأن الشيخ أبو الريش من ذرية آصف بن برخيا وهو يحفظ اسم ا الأعظم ومن بغداد إلى قصر البنات سنة فهذه هي السبع سنين فلما سمع حسن كلامه تعجب تعجباً عظيماً وقال سبحان ا مهون العسير وجابر الكسير ومقرب البعيد ومذل كل جبار عنيد الذي هون على كل أمر وأوصلني إلى هذه الديار وسخر لي هؤلاء العالم وجمع شملي بزوجتي وأولادي فما أدري هل أنا نائم أو يقظان وهل أنا صاح أو سكران ثم التفت إليهم وقال لهم إذا أركبتموني خيولكم في كم يوم توصلنا إلى بغداد فقالوا تصل بك فيما دون السنة بعد أن تقاسي الأمور الصعاب والشدائد والأهوال وتقطع أودية معطشة وقفاراً موحشة وبراري ومهالك كثيرة ولا نأمن عليك يا سيدي من أهل هذه الجزائر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجان قالوا الحسن لا نأمن عليك يا سيدي من أهل هذه الجزائر ولا من شر الملك الأكبر ولا من هذه السحرة واللهنة فربما يقهرونا ويأخذوكم منا ونبتلي بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا أنتم الظالمون كيف قدمتم على الملك الأكبر وحملتم الإنسي من بلاده وحملتم أيضاً ابنته معكم ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الأمر ولكن الذي أوصلك إلى هذه الجزائر قادر أن يوصلك إلى بلادك ويجمع شملك بأمك قريباً غير بعيد فاعزم وتوكل على ا ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك إلى بلادك فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم جزاكم ا خيراً ثم قال لهم عجلوا بالخيل فقالوا سمعاً وطاعة ثم دفعوا الأرض بأرجلهم فأنشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا وإذا بهم قد طلعوا ومعهم ثلاث أفراس مسرجة ملجمة وفي مقدم كل سرج خرج في إحدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الأخرى ملآنة زاد ثم قدموا الخيل فركب حسن جواده وأخذ ولد أقدامه وركبت زوجته الجواد الثاني وأخذت ولد قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا ولم يزالوا سائرين طول الليل حتى أصبح الصباح فعرجوا عن الطريق وقصدوا الجبل وألسنتهم لا تفتر عن ذكر ا وساروا النهار كله تحت الجبل فبينما هم سائرون وإذ نظر حسن إلى جبل قدامه مثل العمود وهو طويل كالدخان المتصاعد إلى السماء فقرأ شيئاً من القرآن وتعوذ با من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقربوا منه فلما دنوا منه وجدوه عفريتاً رأسه كالقبة العظيمة وأنيابه كالكلاليب ومنخراه كالأبريق وأذناه كالأدراق وفمه كالمغارة وأسنانه كعواميد الحجارة ويداه كالمداري ورجلاه كالصواري ورأسه في السحاب وقدمه في تخوم الأرض تحت التراب فلما نظر حسن إلى العفريت أنحنى وقبل الأرض بين يديه فقال له يا حسن لا تخف مني أنا رئيس عمار تلك الأرض وهذه أول جزيرة من جزائر واق الواق وأنا مسلم موحد با وسمعت بكم وعرفت قدومكم ولما أطلعت على حالكم اشتهيت أن أرحل من بلاد السحرة إلى أرض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة عن الأنس والجان أعيش فيها منفرداً وحدي وأعبد ا حتى يدركني أجلي فأردت أن أرافقكم وأكون دليلكم حتى تخرجوا من هذه الجزائر وأنا ما أظهر إلا بالليل فطيبوا قلوبكم من جهتي فأنني مسلم مثل ما أنتم مسلمون فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحاً شديداً وأيقن بالنجاة ثم ألتفت إليه وقال له جزاك ا خيراً فسر معنا على بركة ا فسار العفريت قدامهم وساروا يتحدثون ويلعبون وقد طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وصار حسن يحكي لزوجته جميع ما قاساه ولم يزالوا سائرين طول الليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم لم يزالوا سائرين طول الليل إلى الصباح والخيل تسير كالبرق الخاطف فلما طلع النهار مد كل واحد يده في خرجه وأخرج منه شيئاً وأكله وأخرج ماء وشربه ثم جدوا السير ولم يزالوا سائرين والعفريت أمامهم وقد عرج بهم عن الطريق إلى طريق أخرى غير مسلوكة على شاطيء البحر ومازالوا يقطعون الأودية والقفار مدة شهر كامل وفي اليوم الحادي والثلاثين طلعت عليهم غبرة سدت الأقطار وأظلم منها النهار فلما نظرها حسن لحقه الاصفرار وقد سمعوا ضجات مزعجة فالتفتت العجوز إلى حسن وقالت يا ولدي هذه عساكر واق الواق قد لحقونا وفي هذه الساعة يأخذوننا قبضا باليد فقال

لها حسن ما أصنع يا أمي فقالت له اضرب الأرض بالقضيب ففعل فطلع إليه السبعة ملوك وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالو له لا تخف ولا تحزن ففرح حسن بكلامهم وقال أحسنتم ياسادة الجن والعفاريت هذا وقتكم فقالوا له اطلع أنت وزوجتك وأولادك ومن معك فوق الجبل وخلّونا نحن وإياهم لأننا نعرف أنكم على الحق وهم على الباطل وينصرنا ا عليهم فنزل حسن هو وزوجته وأولاده والعجوز عن ظهور الخيل وصرفوا الخيل وطلعوا على طرف الجبل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً صعد هو وزوجته وأولاده والعجوز على طرف الجبل بعد أن صرفوا الخيل ثم بعد ذلك أقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة وميسرة ودارت عليهم النقباء وصفوهم جملة جملة وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان والتهبت النيران وأقدمت الشجعان وفر الجبان ورمت الجن من أفواهها لهيب الشرر إلى أن أقبل الليل بالاضكار فافترق الجمعان وانفصل الفريقان ولما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الأرض اشعلوا النيران وطلع السبعة ملوك إلى حسن وقبلوا الأرض بين يديه فأقبل عليهم وشكرهم ودعا لهم بالنصر وسألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى فقالوا له أنهم لا يثبتون معنا غير ثلاثة أيام فنحن كنا اليوم ظافرين بهم وقد قبضنا منهم مقدار ألفين وقتلنا منهم خلقاً كثيراً لا يحصي عددهم فطب نفساً وأنشرح صدراً ثم أنهم ودعوه ونزلوا إلى عسكرهم يحرسونه ومازالوا يشعلون النيران إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الخيل القراح وتضاربوا بمرهفات الصفاح وتطاعنوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلتطمون التظام البحار واستعر بينهم في الحرب لهيب النار ولم يزالوا في نضال وسباق حتى انهزمت عساكر واق الواق وانكسرت شوكتهم وانحطت همتهم وزلت أقدامهم وأينما هربوا فالهزيمة قدامهم فولوا الأدبار وركبوا إلى الفرار وقتل أكثرهم وأسرت الملكة نور الهدى هي وكبار مملكتها وخواصها فلما أصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدي حسن ونصبوا له سريراً من المرمر مصفحاً بالدر والجوهر فجلس فوقه ونصبوا عنده سريراً آخر للسيدة منار السنا زوجته وذلك السرير من العاج المصفح بالذهب الوهاج ونصبوا سريراً آخر للعجوز شواهي ذات الدواهي ثم أنهم قدموا الأسارى بين يدي حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهي مكتفة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأتها العجوز قالت لها ما جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة إلا أن يجوع كلبتان ويربطا معك في أذناب الخيل ويساقان إلى البحر حتى يتمزق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك وتطعمين منه كيف فعلت بأختك هذه الفعال يا فاجرة مع أنها تزوجت في الحلال بسنة ا ورسوله لأنه لا رهبانية في الإسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام وما خلقت النساء إلا للرجال فعند ذلك أمر حسن بقتل الأسارى جميعهم فصاحت العجوز وقالت اقتلوهم ولا تبقوا منهم أحداً فلما رأت الملكة منار السنا أختها في هذه الحالة وهي مقيدة مأسورة بكت عليها وقالت لها يا أختي ومن هذا الذي أسرنا في بلادنا وغلبنا فقالت لها هذا أمر عظيم أن هذا الرجل الذي اسمه حسن قد ملكنا وحكمه ا فينا وفي سائر ملكنا وتغلب علينا وعلى ملوك الجن فقالت لها أختها ما نصره ا عليكم ولا قهركم ولا أسركم إلا بهذه الطاقية والقضيب فتحققت أختها ذلك وعرفت أنه خلصها بهذا السبب ثم أن السيدة منار السنا حكت لأختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من أجلها وقالت لها يا أختي

من كانت هذه الفعال فعاله وهذه القوة قوته وقد أيده ا تعالى بشدة البأس حتى دخل بلادنا وأخذك وأسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الأكبر الذي يحكم على ملوك الجن يجب أن لا يفرط في حقه فقالت لها أختها وا يا أختي لقد صدقت فيما أخبرتيني به من العجائب التي قاساها هذا الرجل وهل كل هذا من أجلك يا أختي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة منار السنا لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها وا إن هذا الرجل ما يفرط فيه خصوصاً بسبب مروءته وهل كل هذا من أجلك قالت نعم ثم أنهم باتوا يتحدثون إلى الصباح فلما طلعت الشمس أرادوا الرحيل فودع بعضهم بعضاً ودعت منار السنا والعجوز بعدما أصلحت بينها وبين أختها نور الهدى فعند ذلك ضرب حسن الأرض بالقضيب فطلع له خدامه وسلموا عليه وقالوا له الحمد على هدو سرك فأمرنا بما تريد حتى نعلمله في أسرع من لمح البصر فشكرهم على قولهم وقال لهم جزاكم ا خيراً ثم أنه قال لهم شدوا لنا جوادين من أحسن الخيل ففعلوا ما أمرهم به في الوقت قدموا له جوادين مسرجين فركب حسن جواداً منهما وأخذ ولده الكبير قدامه وركبت زوجته الجواد وأخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة نور الهدى هي والعجوز وتوجه الجميع إلى بلادهم فسار حسن هو وزوجته يميناً وسارت الملكة نور الهدى هي والعجوز شمالاً ولم يزل حسن سائراً هو وزوجته وأولاده مدة شهر كامل وبعد الشهر أشرفوا على المدينة فوجدوا حولها أثمار وأنهار فلموا صلوا إلى تلك الأشجار نزلوا عن ظهور الخيل وأراد والراحة ثم جلسوا يتحدثون وإذا هم بخيول كثيرة قد أقبلت عليهم فلما رآهم حسن قام على رجليه وتلقاهم وإذا هم الملك حسون صاحب أرض الكافور وقلعة الطيور فعند ذلك تقدم حسن إلى الملك وقبل يديه وسلم عليه ولما رآه الملك ترجل عن ظهر جواده وجلس هو وحسن على الفرش تحت الأشجار بعد أن سلم على حسن وهنأه بالسلامة وفرح به فرحاً شديداً وقال له يا حسن أخبرني بما جرى لك من أوله إلى آخره فأخبره حسن بجميع ذلك فتعجب منه الملك حسون وقال يا ولدي ما وصل أحد إلى جزائر واق الواق ورجع منها أبداً إلا أنت فأمرك عجيب ولكن الحمد على السلامة ثم بعد ذلك قام الملك وركب وأمر حسناً أن يركب ويسير معه ففعل ولم يزالوا سائرين إلى أن أتوا إلى المدينة فدخل دار الملك فنزل الملك حسون ونزل حسن هو وزوجته وأولاده في دار الضيافة وأقاموا عنده ثلاثة أيام في أكل وشرب ولعب وطرب ثم بعد ذكل أستأذن حسن الملك حسون في السفر إلى بلاده فأذن له فركب هو وزوجته وأولاده وركب الملك معهم وساروا عشرة أيام فلما أراد الملك الرجوع ودع حسناً وسار حسن هو وزوجته وأولاده ولم يزالوا سائرين مدة شهر كامل فلما كان بعد الشهر أشرفوا على مغارة كبيرة أرضها من النحاس الأصفر فقال حسن لزوجته انظري هذه المغارة هل تعرفينها قالت نعم قال أن فيها شيخاً يسمى أبي الريش وله علي فضل كبير لأنه هو الذي كان سبب في المعرفة بيني وبين الملك حسون وصار يحدث زوجته بخبر أبي الريش وإذا بالشيخ أبي الريش خارج من المغارة فلما رآه حسن نزل عن جواده وقبل يديه فسلم عليه الشيخ أبو الريش وهناه بالسلامة وفرح به وأخذه ودخل به المغارة وجلس هو وإياه وسار يحدث الشيخ أبا الريش بما جرى له في جزائر واق الواق فتعجب الشيخ أبو الريش غاية العجب وقال يا حسن كيف خلصت زوجتك وأولادك فقال له

حسن نعم ياسيدي فبينما هما في الكلام وإذا بطارق يطرق باب المغارة فخرج الشيخ أبو الريش وفتح الباب فوجد الشيخ عبد القدوس قد أتى وهو راكب فوق الفيل فتقدم الشيخ أبو الريش وسلم عليه واعتنقه وفرح به فرحاً عظيماً وهنأه بالسلامة وبعد ذلك قال الشيخ أبو الريش لحسن أحك للشيخ عبد القدوس جميع ما جرى لك يا حسن فشرع حسن يحكي للشيخ جميع ما جرى له من أوله إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً شرع يحكي للشيخ عبد القدوس والشيخ أبي الريش وهم في المغارة يتحدثون جميع ما جرى له من أوله إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي أما أنت فقد خلصت زوجتك وأولادك ولم يبق لك حاجة بهم وأما نحن فإننا كنا السبب في وصولك إلى جزائر واق الواق وقد عملت معك جميل لأجل بنات أخي وأنا أسألك من فضلك وإحسانك أن تعطيني القضيب وتعطي الشيخ أبا الريش الطاقية فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس أطرق رأسه إلى الأرض واستحى أن يقول ما أعطيهما لكما ثم قال في نفسه إن هذين الشيخين قد فعل معي جميلاً عظيماً وهما اللذان كانا السبب في وصولي إلى جزائر واق الواق ولولا هما ما وصلت إلى هذه الأماكن ولا خلصت زوجتي وأولادي ولا حصلت على هذا القضيب وهذه الطاقية ثم رفع رأسه وقال نعم أنا أعطيهما لكما ولكن يا سادتي أني أخاف من الملك الأكبر والد زوجتي أن يأتيني بعساكر إلى بلادنا فيقاتلونني ولا أقدر على دفعهم إلا بالقضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي لا تخف فنحن لك جاسوساً وأدرع وفي هذا الموضع وكل من أتي إليك من عند والد زوجتك ندفعه عنك ولا تخف من شيء أصلاً جملة كافية فطب نفساً وقر عيناً وانشرح صدراً ما عليك بأس فلما سمع حسن كلام الشيخ أخذه الحياء وأعطى الطاقية للشيخ أبي الريش وقال للشيخ عبد القدوس أصحبني إلى بلادي وأنا أعطيك القضيب ففرح الشيخان بذلك فرحاً شديداً وجهز الحسن من الأموال والذخائر ما يعجز عنه الوصف ثم أقام عندهما ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب السفر فتجهز الشيخ عبد القدوس للسفر معه فركب حسن دابة وأركب زوجته دابة فصفر الشيخ عبد القدوس وإذا بفيل عظيم قد أقبل يهرول بيديه ورجليه من صدر البرية فأخذه الشيخ عبد القدوس وركبه وسار هو وحسن وزوجته وأولاده وأما الشيخ أبو الريش فإنه دخل المغارة ومازال حسن وزوجته وأولاده والشيخ عبد القدوس سائرين يقطعون الأرض بالطول والعرض والشيخ عبد القدوس يدلهم على الطريق السهلة والمنافذ القريبة حتى قربوا من الديار وفرح حسن بقربه من ديار والدته ورجوع زوجته وأولاده إليه وحين وصل حسن إلى تلك الديار بعد هذه الأهوال الصعبة حمد ا تعالى على ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن حمد ا تعالى على نجاته من تلك الأهوال الصعبة وشكره على نعمته وفضله ونظر وإذا هم قد لا حت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر الأخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد فقال الشيخ عبد القدوس يا حسن أبشر بالخير فأنت الليلة ضيف عند بنات أخي ففرح حسن

بذلك فرحاً شديداً وكذلك زوجته ثم نزلوا عند القبة واستراحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر فلما أشرفوا عليه خرجت لهم بنات أخ الشيخ عبد القدوس وتلقينهم وسلمن عليهم وعلى عمهم وسلم عليهم عمهم وقال لهم يا بنات أخي ها أنا قد قضيت حاجة أخيكم حسن وساعدته على خلاص زوجته وأولاده فتقدم إليه البنات وعانقته وفرحن يه وهنينه بالسلامة والعافية وجمع الشمل بزوجته وأولاده وكان عندهن يوم عيد ثم تقدمت أخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديداً وكذلك حسن بكي معها على طول الوحشة ثم شكت له ما تجده من ألم الفراق وتعب سرها وما قاسته من فراقه وأنشدت هذين البيتين :

ومــا نظــرت مــن بعــد بعــدك مقلتــي	إلـــى أحـــد إلا وشخصـــك مائـــل
ومــا غمضــت إلا رأيتــك فــي الكــرى	كأنــك بــين الجفــن والعــين نــازل

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحاً شديداً فقال لها حسن يا أختي أنا ما أشكر أحداً في هذا الأمر إلا أنت من دون سائر الأخوات فا تعالى يكون لك بالعون والعناية ثم أنه حدثها بجميع ما جرى له في سفره من أوله إلى آخره وما قاساه وما أتفق له مع أخت زوجته وكيف خلّص زوجته وأولاده وحدثها بما رآه من العجائب والأهوال الصعاب حتى أن أختها كانت أرادت أن تذبحه وتذبحها وتذبح أولادها وما سلمهم منها إلا ا تعالى ثم حكى لها حكاية القضيب والطاقية وأن الشيخ أبا الريش والشيخ عبد القدوس طلباهما منه وأنه ما أعطاهما لهما إلا من شأنها فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء فقال وا ما أنسي كل ما فعلتيه معي من الخير من أول الأمر إلى آخره فالتفتت أخته إلى زوجته منار السنا وعانقتها وضمت أولادها إلى صدرها ثم قالت لها يا بنت الملك الأكبر أما في قلبك رحمة حتى فرقت بينه وبين أولاده وأحرقت قلبه عليهم فهل كنت تريدين بهذا الفعل أن تموت فسكتت وقالت بهذا حكم ا سبحانه وتعالى ومن خادع الناس خدعه ا ثم أنه أقام عندهم عشرة أيام في أكل وشرب وفرح وسرور ثم بعد العشرة أيام تجهز حسن للسفر فقامت أخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته إلى صدرها لأجل الوداع وعانقته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخت حسن لما ضمته إلى صدرها ثم أن حسناً أعطي الشيخ عبد القدوس القضيب ففرح به فرحاً شديداً وشكر حسناً على ذلك وبعد أن أخذه منه ركب ورجع إلى محله ثم ركب حسن هو وزوجته وأولاده من قصر البنات فخرجوا معه يودعونه وبعد ذلك رجعوا ثم توجه حسن إلى بلاده فسار في البر الأقفر مدة شهرين وعشرة أيام حتى وصل إلى مدينة بغداد دار السلام فجاء إلى داره من باب السر الذي يفتح إلى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب وكانت والدته من طول غيبته قد هجرت المنام ولزمت الحزن والبكاء والعويل حتى مرضت وصارت لا تأكل طعاماً ولا تلتذ بمنام بل تبكي في الليل والنهار ولا تفتر عن ذكر ولدها وقد يئست من رجوعه إليها فلما وقف على الباب وسمعها تبكي وتنشد هذه الأبيات:

بـــا يـــا ســـادتي طبـــوا مريضـــكم فجســـمه ناحـــل والقلـــب مكســـور

فـــإن ســـمحتم بوصـــل مـــنكم كرمـــا فالصـــب مـــن نعـــم الأحبـــاب مغمـــور

لا بـــأس مـــن قـــربكم فبـــا مقتـــدر فبينمـــا العســـر إذ دارت مياســـير

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسناً ينادي على الباب يا أماه إن الأيام قد سمحت بجمع الشمل فلما سمعت كلامه عرفته فجاءت إلى الباب وهي ما بين مصدقة ومكذبة فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفاً هو وزوجته وأولاده معه فصاحت من شدة الفرح ووقعت في الأرض مغشياً عليها فمازال حسن يلاطفها حتى أفاقت وعانقته ثم بكت وبعد ذلك نادت غلمانه وعبيده وأمرتهم أن يدخلوا جميع ما معه في الدار فأدخلوا الأحمال في الدار ثم دخلت زوجته وأولاده فقامت لها أمه وعانقتها وقبلت رأسها وقبلت قدميها وقالت لها يا بنت الملك الأكبر أن كنت أخطأت في حقك فها أنا استغفر ا العظيم ثم التفتت إلى ابنها وقالت له يا ولدي ما سبب هذه الغيبة الطويلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم حسناً لما قالت له ما هذه الغيبة فأخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت في الأرض مغشياً عليها من ذكر ما جرى لولدها فلم يزل يلاطفها حتى أفاقت وقالت له يا ولدي وا لقد فرطت في القضيب والطاقية فلو كنت أحتفظت عليهما وأبقيتهما لكنت ملكت الأرض بطولها والعرض ولكن الحمد يا ولدي على سلامتك أنت وزوجتك وأولادك وباتوا في أهنأ ليلة وأطيبها فلما أصبح الصباح غير ما عليه من الثياب ولبس بدلة من أحسن القماش ثم خرج إلى السوق وصار يشتري العبيد والجواري والقماش والشيء النفيس من الحلي والحال والفراش ومن الأواني المثمنة التي لا يوجد مثلها إلا عند الملوك ثم أشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك وأقام هو وأولاده وزوجته ووالدته في أكل وشرب ولذة لم يزالوا في أرغد عيش وأهناه حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان ذي الملك والملكوت وهو الحي الباقي الذي لا يموت.

حكاية مسرور التاجرو معشوقته زين المواصف

(ومما يحكي) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلك الرجل من أحسن أهل زمانه كثير المال مرفه الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض والبساتين ويتلهى بهوى النساء الملاح فاتفق أنه كان نائماً في ليلة من الليالي فرأى في نومه أنه في روضة من أحسن الرياض وفيها أربع طيور من جملتهما حمامة بيضاء مثل الفضة الجلية فعجبته تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك رأى أنه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج أشواقه إلى الصباح فقال في نفسه لابد أن أروح اليوم إلى من يفسر لي هذا المنام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح..

(وفي ليلة ٧٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج أشواقه إلى الصباح فلما أصبح الصباح قال لابد أن أروح اليوم على من يفسر لي هذا المنام فقام وصار يمشي يميناً وشمالاً إلى أن بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام ثم بعد ذلك طلب الرجوع إلى منزله فبينما هو في الطريق إذ خطر بباله أنه يميل إلى دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الأغنياء فلما وصل إليها وإذا به يسمع بها صوت أنين من كبد حزين وهو ينشد هذه الأبيات:

نســيم الصــبا هبــت لنــا مــن رســومها	معطــرة يشــفى العليــل شــميمها
وقفـــت بـــأطلال دوراس ســـائلاً	ولــيس يجيــب الــدمع إلا رميمهــا
فقلــت نــيم الــريح بــا خبــري	هــل الــدار هــذي قــد يعــود نعيمهــا
وأحظــى بظبــي مــال بــي لــين قــده	وأجفانــه الوســنا ضنــاني ســقيمها

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر في داخل البيت فرأى روضة من أحسن الرياض في باطنها ستر من ديباج أحمر مكلل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر أربع جوار بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كأنها البدر المنير والقمر المستدير بعينين كحيلتين وحاجبين مقرنين وفم كأنه خاتم سليمان وشفتين وأسنان كالدر والمرجان وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فلما رآها مسرور ودخل الدار وبالغ في الدخول حتى وصل إلى الستر فرفعت رأسها إليه ونظرته فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام فلما نظرها وتأملها طاش عقله وذهب قلبه ونظر إلى الروضة وكانت من الياسمين المنثور والبنفسج والورود والنارنج وجميع ما يكون فيها من المشموم وقد توشحت جميع الأشجار بالأثمار وفي تلك الروضة طيور من قرى وحمام وبلبل ويمام وكل طير يغرد بصوته والصبية تتمايل في حسنها وجمالها وقدها واعتدالها يفتتن بها كل من رآها ثم قالت أيها الرجل ما الذي أقدمك على دار غير دارك وعلى جوار غير جواريك من غير إجازة أصحابها فقال لها يا سيدتي رأيت هذه الروضة فأعجبني حسن اخضرارها وفيح أزهارها وترنم أطيارها فدخلتها لأتفرج فيها ساعة من الزمان وأروح إلى حال سبيلي فقالت له حباً وكرامة فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر إلى ظرفها ورشاقة قدها تحير من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير فطار عقله من ذلك وصار متحيراً في أمره وأنشد هذه الأبيات :

قمــر تبــدي فــي بــديع محاســن	بــين الربــا والــروح والريحــان
والآس والنســرين ثــم بنفســج	فاحــت روائحــه مــن الأغصــان
يــا روضــة كملــت بحســن صــفاتها	وحــوت جميــع الزهــر والأفنــان
فالبــدر يجلــي تحــت ظــل غصــونها	والطيــر تنشــد أطيــب الألحــان
قمريهــا وهزارهــا ويمامهــا	وكــذا البلابــل هيجــت أشــجاني
وقــف الغــرام بمهجتــي متحيــراً	فــي حســنها كتحيــر الســكران

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور نظرت له نظرة أعقبته ألف حسرة وسلبت بها عقله ولبه وأجابته عن شعره بهذه الأبيات:

لا ترتجـــي وصـــل التـــي علقتهـــا واقطـــع مطامعـــك التـــي أماتهـــا
وذر الـــذي ترجـــوه أنـــك لـــم تطـــق صـــد التـــي فـــي الغانيـــات عشـــقتها
تجنـــي علـــى العشـــاق ألحـــاظي ولـــم تعظـــم علـــى مقالـــة قـــد قلتهـــا

فلما سمع مسرور كلامها تجلد وصبر وكتم أمرها في سره وتنكر وقال في نفسه ما للبلية إلا الصبر ثم داموا على ذلك إلى أن هجم الليل فأمرت بحضور المائدة فحضرت بين أيديهما وفيها من سائر الألوان من السماني وأفراخ الحمام ولحوم الضأن فأكلا حتى اكتفيا ثم أمرت برفع الموائد فرفعت وحضرت الآت الغسل فغسلا أيديهما ثم أمرت بوضع الشمعدانات فوضعت وجعل فيها شمع الكافور ثم بعد ذلك قالت زين المواصف وا إن صدري ضيق في هذه الليلة لأني محمومة فقال لها مسرور شرح ا صدرك وكشف غمك فقالت يا مسرور أنا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئاً قال نعم أنا عارف به فقدمته بين أيديهما وإذا هو من الأبنوس مقطع بالعاج له رقعت مرموقة بالذهب الوهاج وحجارته من در وياقوت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها لما أمرت بإحضار الشطرنج أحضروه بين أيديهما فلما رآه مسرور حار فكره فالتفتت إليه زين المواصف وقالت له هل أنت تريد الحمر أم البيض فقال يا سيدة الملاح وزين الصباح خذي أنت الحمر لأنهم ملاح ولمثلك أملح ودعي لي الحجارة البيض فقالت رضيت بذلك فأخذت الحمر وصفتها مقابلة البيض ومدت يدين إلى القطع تنقل في الميدان فنظر إلى أناملها فرآها كأنها من عجين فاندهش مسرور من حسن أناملها ولطف شمائلها فالتفتت إليه وقالت يا مسرور لا تندهش واصبر واثبت فقال لها يا ذات الحسن الذي فضح الأقمار إذا نظرك المحب كيف يكون له اصطبار فبينما هو كذلك وإذا هي تقول له الشاة مات فغلبته عند ذلك وعلمت زين المواصف أنه بحبها مجنون فقالت له يا مسرور لا ألعب معك يا مسرور إلا برهن معلوم وقدر مفهوم فقال لها سمعاً وطاعة فقالت له احلف لي وأحلف لك أن كلانا لا يغدر صاحبه فتحالفا معاً على ذلك فقالت له يا مسرور إن غلبتك أخذت منك عشرة دنانير وإن غلبتني لم أعطك شيئاً فظن أنه يغلبها فقال لها يا سيدتي لا تخشي في يمينك فأني أراك أقوى مني في اللعب فقالت له رضيت بذلك وصار يلعبان ويتسابقان بالبيادق وألحقتهم بالأفزار وصفتهم وقرنتهم بالرماح وسمحت النفس بتقديم الأفراس وكان على رأس زين المواصف وشاح من الديباج الأزرق فوضعته عن رأسها وشمرت عن معصم كأنه عمود من نور ومرت بكفها على القطع الحمر وقالت له خذ حذرك فاندهش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر إلى رشاقتها ومعانيها فاحتار وأخذه الإنبهار فمد يده إلى البيض فراحت إلى الحمر فقالت يا مسرور أين عقلك الحمر لي والبيض لك فقال لها إن من ينظر إليك ليس يملك عقله فلما نظرت زين المواصف إلى حاله أخذت منه البيض وأعطته الحمر فلعب بها فغلبته ولم يزل يلعب معها وهي تغلبه ويدفع

لها في كل مرة عشرة دنانير فلما عرفت زين المواصف أنه مشغول بهواها قالت له يا مسرور ما بقيت تنال مرادك إلا إذا كنت تغلبني كما هو شرطك ولا بقيت ألعب معك في كل مرة إلا بمائة دينار فقال لها حباً وكرامة فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرر ذلك وهو في كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على ذلك إلى الصبح وهو لم يغلبها أبداً فنهض قائماً على أقدامه فقالت له ما الذي تريد يا مسرور قال أمضي إلى منزلي وآتي بمالي لعلي أبلغ منك آمالي فقالت له افعل ما تريد مما أبد الك فمضى إلى منزله وأتاها بالمال جميعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما مضى إلى منزله وأتى لها بالمال جميعه صار يلعب معها وهي تغلبه ولم يقدر أن يغلبها دوراً واحداً ولم يزالا كذلك ثلاثة أيام حتى أخذت منه جميع ما له فلما نفذ ماله قالت له يا مسرور ما الذي تريد قال ألاعبك على دكان العطارة قالت له كم تساوي تلك الدكان قال خمسمائة دينار فلعب بها خمسة أشواط فغلبته ثم لعب معها بها على الجواري والعقارات والبساتين والعمارات فأخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه وبعد ذلك التفتت إليه وقالت له هل بقي معك شيء من المال تلعب به فقال لها وحق من أوقعني معك في شرك المحبة ما بقيت يدي تلم شيء من المال وغيره لا قليلاً ولا كثيراً فقالت له يا مسرور كل شيء يكون أوله رضا لا يكون آخره ندامة فإن كنت ندمت فخذ مالك واذهب عنا إلى حال سبيلك وأنا أجعلك في حل من قلبي فقال مسرور وحق من قضى علينا بهذه الأمور لو أردت أخذ روحي لكانت قليلة في رضاك فما أعشق أحداً سواك فقالت له يا مسرور حينئذ اذهب واحضر القاضي والشهود واكتب لي جميع الأملاك والعقارات فقال حباً وكرامة ثم نهض قائماً في الوقت والساعة وأتى بالقاضي والشهود وأحضروهم عندها فلما رآها القاضي طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من حسن أناملها وقال يا سيدتي لا أكتب الحجة إلا بشرط أن تشتر العقارات والجواري والأملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفي حيازتك فقالت قد اتفقنا على ذلك فاكتب لي حجة بأن ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينقل إلى ملك زين المواصف بثمن جملته كذا وكذا فكتب القاضي ووضع الشهود خطوطهم على ذلك وأخذت الحجة زين المواصف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما أخذت الحجة من القاضي مشتملة على أن جميع ما كان ملكاً لمسرور صار ملكاً لها قالت له يا مسرور اذهب إلى حال سبيلك فالتفتت جاريتها هبوب وقالت له أنشد شيئاً من الأشعار فأنشد في شأن لعب الشطرنج هذه الأبيات:

أشكر الزمان ومـا قـد حـل بـي وجـرى ... واشـتكي الخسـر والشـطرنج والنظـرا

فـي حـب جاريـة غيـداء ناعمـة ... مـا مثلهـا فـي الـورى أنثـى ولا ذكـرا

قـد فرقـت لـي سـهاماً مـن لواحظهـا ... وقـدمت لـي جيوشـاً تغالـب البشـرا

حمـراً وبيضـاً وفرسـاناً مصـادمة ... فبـادرتني وقالـت لـي خـذ الحـذرا

وأهملتنـي إذا مـرت أناملهـا ... فـي جـنح ليـل بهـيم يشـبه العشـرا

لم أستطع لخلاص البيض أنقلها ... والوجد صير مني الدمع منهمرا

بيادق ورخوج مع فرازنة ... كرت فأدبر جيش البيض منكسرا

وخيرتني بين العسكرين ... فاخترت تلك الجيوش البيض مقتمرا

وقلت لهم هذي الجيوش البيض تصلح ... لي هم المراد وأما أنت فالحمرا

ولا عبتني على رهن رضيت به ... ولم أكن عن رضاها أبلغ الوطرا

يا لهف قلبي ويا شوقي ويا حزني ... على وصال فتاة تشبه القمرا

ما القلب في حرق كلا ولا أسف ... على عقاري ولكن يألف النظرا

وصرت حيران مبهوتاً على وجل ... أعاتب الدهر فيما تم لي وجرى

قالت فما لك مبهوتاً فقلت لها ... هل شارب الخمر يصحوا عندما سكرا

أنسية سلبت عقلي بقامتها ... أن لان منها فؤاد يشبه الحجرا

أطمعت نفسي وقلت اليوم أملكها ... على الرهان ولا خوفاً ولا حذرا

لا زال يطمع قلبي في تواصلها ... حتى بقيت على الحالين مفتقرا

هل يرجع الصب عن عشق أضربه ... ولو غدا في بحار الوجد منحدراً

فأصبح العبد لا مال بقلبه ... أسير شوقي ووجد ما قضى وطرا

فلما سمعت زين المواصف هذه الأبيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع إلى عقلك وامض إلى حال سبيلك فقد أفنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك إليه فالتفت مسرور إلى زين المواصف وقال لها يا سيدتي اطلبي أي شيء ولك كل ما تطلبينه فأني أجيء به إليك وأحضره بين يديك فقالت يا مسرور ما بقي معك شيء من المال فقال لها يا منتهى الآمال إذا لم يكن عندي شيء من المال تساعدني الرجال فقالت له هل الذي يعطي يصير مستطيعاً فقال لها إن لي أقارباً وأصحاباً ومهما طلبته يعطوني أياه فقالت له أريد منك أربع نوافج من المسك الأذفر وأربع أواق من الغالية وأربعة أرطال من العنبر وأربعة آلاف دينار وأربعة مائة حلة من الديباج الملوكي المزركش فإن كنت يا مسرور تأتي بذلك الأمر أبحث لك الوصال فقال لها هذا على هين يا مخجلة الأقمار ثم أن مسرور أخرج من عندها ليأتيها بالذي طلبته منه فأرسلت خلفه هبوب الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذي ذكرهم لها فبينما هو يمشي في شوارع المدينة إذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوب على بعد فوقف إلى أن لحقته فقال لها يا هبوب إلى أين أنت ذاهبة فقالت له أن سيدتي أرسلتني خلفك من أجل كذا وكذا وأخبرته بما قالته لها زين المواصف من أوله إلى آخره فقال لها وا يا هبوب أن يدي لا تملك شيئاً من المال قالت له فلأي شيء وعدتها فقال لكم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل في الحب لابد منه فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يا مسرور طب نفساً وقر عيناً وا لأكونن سبباً في اتصالك بها ثم أنها تركته ومشت ومازالت ماشية إلى أن وصلت إلى سيدتها فبكت بكاء شديداً وقالت لها يا سيدتي وا أنه رجل كبير المقدار محترم عند الناس فقالت لها سيدتها لا حيلة في قضاء ا تعالى أن هذا الرجل ما وجد عندنا قلباً

رحيماً لأننا أخذنا ماله ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة في الوصال وإن مات إلى مراده أخاف أن يشيع الأمر فقالت لها هبوب يا سيدتي ما سهل علينا حاله وأخذ ماله ولكن ما عندك إلا أنا وجاريتك سكوب فمن يقدر أن يتكلم منافيك ونحن جواريك فعند ذلك أطرقت برأسها إلى الأرض فقال لها الجواري يا سيدتي الرأي عندنا أن ترسل خلفه وتنعمي عليه ولا تدعيه يسأل أحداً من اللئام فما أمر السؤال فقبلت كلام الجواري ودعت بدواة وقرطاساً وكتبت إليه هذه الأبيات:

دنا الوصل يـا مسـرور فابشـر بـلا مطـل ... إذا أسـود جـنح الليـل فلتـات بالفعـل
ولا تسـأل الأنـدال فـي المـال يـا فتـى ... فقد كنـت فـي سـكر وقـد رد لـي عقلـي
فمالـــك مـــردود عليـــك جميعـــه ... وزدتـك يـا مسـرور مـن فوقـه وصـلي
لأنـــك ذو صـــبر وفيـــك حـــلاوة ... علـى جـور محبـوب جفـاك بـلا عـدل
فبـادر لتحظـى بـالمني ولـك الهنـا ... ولا تعـط إهمـالاً فيـدري بنـا أهلـي
هلـم إلينـا مسـرعاً غيـر مبطـيء ... وكل من ثمـار الوصـل فـي غيبـة البعـل

ثم أنها طوت الكتاب وأعطته لجارتها هبوب فأخذته ومضت إلى مسرور فوجدته يبكي وينشد قول الشاعر:

وهـب علـى قلبـي نسـيم مـن الجـوى ... ففتـت الأكبـاد مـن فـرط لـوعتي
لقـد زاد وجـدي بعـد بعـد أحبتـي ... وفاضـت جفـوني فـي تزايـد عبرتـي
وعنـدي مـن الأوهـام مـا أن أبـح بـه ... لصـنم الحصـى والصـخر لانـت بسـرعة
ألا ليـت شـعري هـل أرى مـا يسـرني ... وأحظـى بمـا أرجـوه مـن نيـل بغيتـي
وتطـوي ليـالي الصـد مـن بعـد نشـرها ... وأبـرأ ممـا دخـل القلـب حلـت

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسروراً لما زاد به الهيام صار ينشد الأشعار وهو في غاية الشوق فبينما هو يترنم بتلك الأبيات ويرددها إذ سمعته هبوب فطرقت عليه الباب فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب فأخذه وقرأه وقال لها يا هبوب ما وراءك من أخبار سيدتك فقالت له يا سيدي إن في هذا الكتاب ما يغني عن رد الجواب وأنت من ذي الألباب ففرح مسرور فرحاً شديداً وأنشد هذين البيتين:

وردا الكتـــاب فســـرنا مضـــمونه ... ووددت أنـــي فـــي الفـــؤاد أصـــونه
وازددت شـــوقاً عنـــد مـــا قبلتـــه ... فكأنمـــا در الهـــوى مكنونـــة

ثم أنه كتب كتاباً جواباً لها وأعطاه لهبوب فأخذته وأتت به إلى زين المواصف فلما وصلت إليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر أوصافه وكرمه وصارت مساعدة له على جمع شمله بها فقالت لها زين

المواصف يا هبوب أنه أبطأ عن الوصول إلينا فقالت لها هبوب أنه سيأتي سريعاً فلم تستتم كلامها وإذا به قد أقبل وطرق الباب ففتحت له وأخذته وأجلسته عند سيدتها زين المواصف فسلمت عليه ورجعت به وأجلسته إلى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب هات له بدلة من أحسن ما يكون فقامت هبوب وأتت ببدلة مذهبة فأخذتها وأفرغتها عليه وأفرغت على سيدتها بدلة أيضاً من أفخر الملابس ووضعت على رأسها سبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على السبيكة عصابة من الديباج مكللة بالدر والجوهر واليواقيت وأرخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت في كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج وأرخت شعرها كأنه الليل الداج وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر فقالت لها جاريتها هبوب ا يحفظك من العين فصارت تمشي وتتبختر في خطواتها وتنعطف فأنشدت الجارية من بديع شعرها هذه الأبيات:

خجلــت غصــون البــان مــن خطواتهــا	وســطت علــى العشــاق مــن لحظاتهــا
قمــر تبــدي فــي غياهــب شــعرها	كالشــمس تشــرق فــي دجــى وفراتهــا
طــوبى لمــن باتــت تتيــه بحســنها	ويمــوت فيهــا حالفــاً بحياتهــا

فشكرتها زين المواصف ثم أنها أقبلت على مسرور وهي كالبدر المشهور فلما رآها مسرور نهض قائماً على قدميه وقال أن صدق قلبي فما هي أنسية وأنما هي من عرائس الجنة ثم أنها دعت بالمائدة فحضرت ثم أنهم أكلوا وشربوا وتلاذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس وملأ الكاس مسرور وقال يا من أنا عبدها وهي سيدتي فقالت يا مسرور كل من تمسك بدينه وأكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا فخل عنك هذه الأمور وأنا أرد عليك أملاكك وجميع ما أخذناه منك فقال يا سيدتي أنت في حل مما تذكرينه وإن كنت غدرت في اليمين الذي بيني وبينك فأنا أروح وأصير مسلماً فقالت جاريتها هبوب يا سيدتي أنت صغيرة السن وتعرفين كثيراً وأنا استشفع عندك با العظيم فإن لم تطيعيني وتجبري خاطري لا أنام الليلة عندك في الدار فقالت لها يا هبوب لا يكون إلا ما تريدينه قومي جددي لنا مجلساً وزينته وعطرته بأحسن العطر كما تحب وتختار وجهزت الطعام وأحضرت المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما أمرت جاريتها هبوب جديد مجلس الأنس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس فقالت زين المواصف يا مسرور قد آن أوان اللقاء والتداني فإن كنت لحبنا تعاني فأنشد لنا شعر بديع المعاني فأنشد مسرور هذه القصيدة:

أســرت وفــي قلبــي لهيــب تضــرمــا	بحبــل وصــال فــي الفــراق تصــرمــا
وحــب فتــاة قــد قلبــي قــدها	وقــد ســلبت عقلــي بخــد تنعمــا
لهــا الحاجــب المقــرون والطــرف أحــور	وثغــر يحــاكي البــرق حــين تبســماً
لهــا مــن ســنين العمــر عشــر وأربــع	ودمعــي حكــى فــي حــب هاتيــك عنــدما
فعاينتهــا مــا بــين نهــر وروضــة	بوجــه يفــوق البــدر فــي أفــق الســما

وقفت لها شبه الأسير مهابة ... وقالت سلام ا يا ساكن الحمى
فردت سلامي عند ذلك رغبة ... بلطف حديث مثل در تنظما
وحين رأت قولي لديها تحققت ... مرامي وصار القلب منها مصمما
وقالت أما هذا الكلام جهالة ... فقالت لها كفى عن الصب اللوما
فأن تقبليني اليوم فالخطب هين ... فمثلك معشوق ومثلي متيما
فلما رأت مني المرام تبسمت ... وقالت ورب خالق الأرض والسما
يهودية أقسى النهود ديتها ... وما أنت إلا للنصارى ملازما
فكيف ترى وصلى ولست بملتي ... فإن تبع هذا الفعل تصبح نادما
وتلعب بالدينين هل حل في الهوى ... ويصبح مثلي بالملام مكلما
وتهوى به الأديان في كل وجهة ... وتبقى على ديني ودينك محرما
وتحلف بالإنجيل قولاً محققا ... لتحفظ سري في هواك وتكتما
واحلف بالتوراة إيمان صادق ... بأني على العهد الذي قد تقدما
حلفت على ديني وشرعي ومذهبي ... وحلفتها مثلي يميناً معظما
وقلت ليها ما الاسم يا غاية المنى ... فقالت أنا زين المواصف في الحمى
فناديت يا زين المواصف أنني ... بحبك مشغوف الفؤاد متيما
وعاينت من تحت اللثام جمالها ... فصرت كئيب القلب والحال مغرما
فمازلت تحت الستر أخضع شاكيا ... كثير غرام في الفؤاد تحكما
فلما رأت حالي وفرط تولهي ... جالت لي وجهاً ضاحكاً متبسماً
وهب لنا ريح الوصال وعطرت ... نوافج عطر المسك جيداً ومعصما
وقد عبقت منها الأماكن كلها ... وقبلت من فيها رحيقاً ومبتسماً
ومالت كغصن البان تحت غلائل ... وحللت وصلا كان قبل محرما
وبتنا بجمع الشمل والشمل جامع ... بضم ولثم وارتشاف من اللمى
وما زينة الدنيا سوى من تحبه ... يكون قريباً منك كي تتحكما
فلما تجلى الصبح قامت وودعت ... بوجه جميل فائق قمر السما
وقد أنشدت عند الوداع ودمعها فلم أنسي عهد ... على الخد منثوراً وبعضها منظما
ا ما عشت في الورى ... وحسن الليالي واليمين المعظما

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما أنشد القصيدة المذكورة وسمعتها زين المواصف أطربت وقالت له يا مسرور ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها

واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ما ظن أنه محال وفرح بما نال من طيب الوصال فعند ذلك قالت له زين المواصف يا مسرور أن مالك حرام علينا حلال لك لا نناقد صرنا أحباباً ثم أنها ردت عليه جميع ما أخذته من الأموال وقالت له يا مسرور هل لك من روضة تأتي إليها ونتفرج عليها قال نعم لي روضة ليس لها نظير ثم مضى إلى منزله وأمر جواريه أن يصنعن طعاماً فاخراً و أن يهيئن مجلساً حسناً وصحبة عظيمة ثم أنه دعاها إلى منزله فحضرت هي وجواريها فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس وخلا كل حبيب بحبيبة فقالت يا مسرور أنه خطر ببالي شعر رقيق أريد أن أقوله على العود فقال لها قوليه فأخذت العود بيدها وأصلحت شأنه وحركت أوتاره وحسنت النغمات وأنشدت تقول هذه الأبيات:

"قـــد مـــال بـــي طـــرب مـــن الأوتـــار   وصـــفا الصـــبوح لنـــا لـــدى الأســـحار
والحـــب يكشـــف عـــن فـــؤاد متـــيم   فبـــدا الهـــوى بهتـــك الأســـتار
مـــع حمـــرة رقـــت بحســـن صـــفاتها   كالشـــمس نجلـــي فـــي يـــد الأقمـــار
فـــي ليلـــة جـــاءت لنـــا بســـرورها   تمحـــو بصـــفو شـــائب الأكـــدار

فلما فرغت من شعرها قالت يا مسرور أنشدنا شيئاً من أشعارك ومتعنا بفواكه أثمارك فأنشد هذين البيتين:

طربنـــا علـــى بـــدر يـــدير مدامـــة   ونغمـــة عـــود فـــي ريـــاض مقامنـــا
وغنـــت قماريهـــا ومالـــت غصـــونها   ســـحيراً وفـــي أنحائهـــا غايـــة المنـــى

(وفي ليلة ٧٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف قالت لمسرور إن كنت مشغولاً بحبنا فأنشد لنا شعراً فيما وقع لنا فقال حباً وكرامة وأنشد هذه القصيدة :

قـــف واســـتمع مـــا جـــرا لـــي   فـــي حـــب هـــذا الغزالـــي
ريـــم رمـــاني بنبـــل   ولحظـــة قـــد غزالـــي
فتنـــت عشـــقاً وأنـــي   فـــي الحـــب ضـــاق احتيـــالي
هويـــت ذات دلال   محجوبـــة بالنصـــال
أبصـــرتها وســـط روض   وقـــدها ذو اعتـــدال
ســـلمت قالـــت ســـلاماً   لمـــا صـــغت لمقـــالي
ســـألت مـــا الاســـم قالـــت   اســـمي وفـــاق جمـــالي
ســـميت زيـــن المواصـــف   فقلـــت رقـــي لحـــالي
فـــإن عنـــدي غرامـــاً   هيهـــات صـــب مثـــالي
قالـــت فـــإن كنـــت تهـــوى   وطامعـــاً فـــي وصـــالي

أريـــد مـــالا جـــزيلاً … بفـــوق كـــل نـــوال
أريـــد منـــك شبابـــا … مـــن الحريـــر الغـــوالي
وربـــع قنطـــار مســـك … برســـم ليـــل وصـــالي
ولؤلـــؤ وعقيقـــا … مـــن النفـــيس الغـــالي
فضـــة وتضـــار … مـــن الحلـــي الحـــوالي
أظهـــرت صـــبراً جمـــيلاً … علـــى عظـــيم اشـــتغالي
فأنعمـــت لـــي بوصـــل … فيـــا لـــه مـــن وصـــال
أن لا منـــى الغيـــر فيهـــا … أقـــول يـــا للرجـــال
لهـــا شـــعور طـــوال … واللـــون لـــون الليـــالي
وخـــدها فيـــه ورد … مثـــل اللظـــى فـــي اشـــتعال
وجفنهـــا فيـــه ســـف … ولحظهـــا كالنبـــال
وثغرهـــا فيـــه خمـــر … وريقهـــا كـــالزلال
كأنـــه عقـــد در … حـــوى نظـــام اللآلـــي
وجيـــدها جيـــد ظبـــي … مليحـــة فـــي كمـــال
وصـــدها كرخـــام … ونهـــدها كـــالقلال
وبطنهـــا فيـــه طـــي … معطـــر بـــالغوالي
تحـــت ذلـــك شـــيء … لـــه انتهـــت آمـــالي
مربـــرت وســـمين … مكلـــثم يـــا مـــوالي
كأنـــه تخـــت ملـــك … عليـــه أعـــرض حـــالي
بـــين العمـــودين تلقـــى … مصـــاطباً بتعـــالي
لكنـــه فيـــه وصـــف … يـــدهى عقـــول الرجـــال
لـــه شـــفاه كبـــار … ونفـــرة كالبغـــال
يبـــدو بحمـــرة عـــين … ومشـــفر كالجمـــال
إذا أتيـــت إليـــه … بهمـــة فـــي الفعـــال
تلقـــاه حـــر الملاقـــي … بقـــوة واحتفـــال
يـــرد كـــل شـــجاع … محـــول عـــزم القتـــال
وتـــارة تلقـــاه … بلحيـــة فـــي عطـــال
يهبـــك مضـــجع … ذو يجســـمه رجـــال
كمثـــل زيـــن المواصـــف … مليحـــة فـــي انتقـــال
أليـــت لـــيلاً قلبهـــا … ويثبـــت شـــيئاً حـــلال
وليلـــة مـــن معهـــا … فاقـــت جميـــع الليـــالي

لمـــا آتـــي ســبع قامــت	ووجههـــــا كـــــالهلال
تهـــز منهـــا قوامـــاً	عـــز الرمـــاح الغـــوالي
وودعتنـــــي وقالــــت	مـــن تمـــيم الليـــالي
فقالـــت يـــا نـــور عينـــي	إذا أردت تعـــــــــــــالي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما انتهى من القصيدة فطربت زين المواصف طرباً عظيماً وحصل لها غاية الإنشراح وقالت يا مسرور قد دنا الصباح يبق الرواح خوفاً من الافتضاح فقال حباً وكرامة ثم نهض قائماً على قدميه وأتى بها إلى أن أوصلها إلى منزلها ومضى إلى محله وبات يتفكر في محاسنها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هيأ لها هدية فاخرة وأتى بها إليها وجلس عندها وأقام على ذلك مدة أيام وهما في أرغد عيش وأهنأه ثم ورد عليها في بعض الأيام كتاب من عند زوجها مضمونه أنه يصل إليها عن قريب فقالت في نفسها لا سلمه ا ولا حياه لأنه وصل إلينا تكدر علينا عيشنا يا ليتني كنت يئست منه فلما أتى إليها مصرع وجامعي يتحدث معها على العادة فقالت له يا مسرور قد ورد علينا كتاباً من عند زوجي مضمونه أنه يصل إلينا من سفر مضن قريب فكيف يكون العمل وما لأحد منا عن صاحبه صبر فقال لها لست أدري ما يكون بل أنت أعرف وأدري بأخلاق زوجك ولا سيما أنت من أعقل النساء صاحبة الحيل التي تحتال بشيء تعجز عن أسئلة الرجال فقالت إنه رجل صعب وله غيرة على أهل بيته ولكن إذا قدم من سفره وسمعت بقدومه وفاقدم عليه وسلم واجلس إلى جانبه وقل له يا أخي أنا رجل عطار واشتر منه شيئاً من أنواع عطارة وتوعد عليه مرار وأطل معه الكلام ومهما أمرك به فلا تخالفه فيه فلعل ما احتال به يكون مصادفاً فقال لها سمعاً وطاعة وخرج مسرور من عندها وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة فلما وصل زوجها إلى الدار ففرحت بوصوله ورحبت به وسلمت عليه فنظر في وجهها فرأى فيه لون الأصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل النساء فسألها عن حالها فذكرت له أنها مريضة من وقت ما سافر هي والجواري وقالت له إن قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك با تشكو إليه مشقة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول لو كان معك رفيق ما أحمل قلبي هذا الهم كله فبا عليك يا سيدي ما بقيت تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما قالت لزوجها لا تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك قال لها حباً وكرامة وا أن أمرك رشيد ورأيك سديد وحياتك على قلبي ما يكون إلا ما تريدينه ثم أنه خرج بشيء من بضاعته إلى دكانه وفتحها وجلس يبيع في السوق فبينما هو في دكانه وإذا بمسرور أقبل وسلم عليه وجلس إلى جانبه وصار يحيينه ومكث يتحدث معه

ساعة ثم أخرج كيساً وحله وأخرج منه ذهباً ودفعه إلى زوج زين المواصف وقال له أعطني بهذه الدنانير شيء من أنواع العطارة لأبيعه في دكاني فقال له سمعاً وطاعة ثم أعطاه الذي طلبه وصار مسرور يتردد عليه أياماً فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له أنا مرادي رجل أشاركه في المتجر فقال له مسرور أنا الآخر مرادي رجل أشاركه في المتجر لأن أبي كان تاجراً في اليمن وخلف مالاً عظيماً وأنا خائف على ذهابه فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له هل لك أن تكون رفيقاً لي وصاحباً وصديقاً في السفر والحضر وأعلمك البيع والشراء والأخذ والعطاء فقال له مسرور حباً وكرامة ثم أنه أخذه وأتى به إلى منزله وأجلسه في الدهليز ودخل إلى زوجته زين المواصف وقال لها أني رافقت رفيقاً ودعوته إلى الضيافة فجهزي لنا ضيافة حسنة ففرحت زين المواصف وعرفت أنه مسرور فجهزت وليمة فاخرة وصنعت طعاماً حسناً من فرحتها بمسرور حيث تم تدبير حيلتها فلما حضر مسرور في دار زوج زين المواصف قال اخرجي معي إليه ورحبي به وقولي له آنستنا فغضبت زين المواصف وقالت تحضرني قدام رجل غريب أجنبي أعوذ با ولو قطعتني قطعاً ما أحضر قدامه فقال لها زوجها لأي شيء تستحين منه وهو نصراني ونحن يهود ونصير أصحابا فقالت أنا ما أشتهي أن أحضر قدام الرجل الأجنبي الذي ما نظرته عيني قط ولا أعرفه فظن زوجها أنها صادقة في قولها ولم يزل يعالجها حتى قامت وتلفلفت وأخذت الطعام وخرجت إلى مسرور ورحبت به فأطرق رأسه إلى الأرض كأنه مستح فنظر الرجل إلى أطرافه وقال لاشك أن هذا زاهد فأكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين المواصف قبال مسرور وصارت تنظره وينظرها إلى أن مضى النهار فانصرف مسرور إلى منزله والتهبت في قلبه النار وأما زوج زين المواصف فإنه صار مفتكر في لطف صاحبه وفي حسنه فلما أقبل الليل قدمت إليه زوجته طعاماً ليتعشى كعادته وكان عنده في الدار طيراً هزاز إذا جلس يأكل يأتي إليه ذلك الطير يأكل معه ويرفرف على رأسه وكان ذلك الطير قد ألف مسروراً فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام فحين غاب مسرور وحضر صاحبه لم يعرفه ولم يقرب منه فصار مفتكراً في أمر ذلك الطير وفي بعده عنه وأما زين المواصف فإنها لم تنم بل صار قلبها مشغولاً بمسرور واستمر ذلك الأمر إلى ثاني ليلة وثالث ليلة ففهم اليهودي أمرها ونقد عليها وهي مشغولة البال فأنكر عليها وفي رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج في منامها بذكر مسرور وهي نائمة في حضنه فأنكر ذلك عليها وكتم أمره فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكانه وجلس فيها فبينما هو جالس وإذا بمسرور قد أقبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً يا أخي ثم قال أني مشتاق إليك وجلس يتحدث معه ساعة زمانية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور جلس مع اليهودي ساعة ثم قال له اليهودي قم يا أخي إلى منزلي حتى نعقد المؤاخاة فقال مسرور حباً وكرامة فلما وصل إلى المنزل تقدم اليهودي وأخبر زوجته بقدوم مسرور وأنه يريد أن يتجر هو وإياه ويؤاخيه وقال لها هيئي لنا مجلساً حسناً ولابد أنك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة فقالت له با عليك لا تحضرني قدام هذا الرجل الغريب فمالي غرض أن أحضر قدامه فسكت عنها وأمر الجواري أن يقدمن الطعام والشراب ثم أنه استدعى بالطير الهزاز فنزل في حجر مسرور

ولم يعرف صاحبه فعند ذلك قال له يا سيدي ما أسمك قال اسمي مسرور والحال أن زوجته طول الليل تلهج في منامها بهذا الاسم ثم رفع رأسه فنظرها وهي تشير إليه وتغموه بحاجبها فعرف أن الحيلة قد تمت إليه فقال يا سيدي أمهلني حتى أجيء بأولاد عمي يحضرون المؤاخاه فقال له مسرور افعل ما بدا لك فقام زوج زين المواصف وخرج من المجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوج زين المواصف قال لمسرور أمهلني حتى أجيء بأولاد عمي ليحضروا وأعقد المؤاخاه بيني وبينك ثم مشى وجاء من وراء المجلس ووقف وكان هناك طاقة تشرف عليها فجاء إليها وصار ينظرهما منها وهما لا ينظرانه وإذا بزين المواصف قالت لجاريتهما سكوب اين راح سيدك قالت لي خارج الدار فقالت لها اغلقي الباب ومكنيه بالحديد ولا تفتحي له حتى يدق الباب بعد أن تخبريني قالت لها الجارية وهو كذلك كل ذلك وزوجها يعاين حالهم ثم أن زين المواصف أخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت إلى مسرور فقام لها وتلقاها وقال لها وا أن ريقك أحلى من الشراب وصارت تسقيه ويسقيها وبعد ذلك رشته بماء الورد من فوقه إلى قدمه حتى فاحت رائحته في المجلس كل ذلك وزوجها ينظر إليهما ويتعجب من شدة الحب الذي بينهما وقد امتلأ قلبه غيظاً مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة فأتيى إلى الباب فوجده مغلقاً فطرقه طرقاً قوياً من شدة غيظه فقالت الجارية يا سيدتي قد جاء سيدي فقالت افتحي له الباب فلا رده ا بسلامة فمضت سكوب إلى الباب وفتحته فقال له مالك تغلقين الباب قالت هكذا في غيابك لم يزل مغلقاً ولا يفتح ليلاً ولا نهاراً فقال أحسنت فإنه يعجبني ذلك ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم أمره وقال يا مسرور دعنا من المؤاخاة في هذا اليوم ونتآخى في يوم آخر غير هذا اليوم فقال سمعاً وطاعة أفعل ما تريد فعند ذلك مضى مسرور إلى منزله وصار زوج زين المواصف مفتكراً في أمره ولا يدري ما يصنع وصار خاطره في غاية التكدير فقال في نفسه حتى الهزاز أنكر لي والجواري أغلقت الأبواب في وجهي وملن إلى غيري ثم أنه صار من شدة قهره يردد إنشاد هذه الأبيات:

لقـد عـاش مسـرور زمانـاً منعمـاً ... بلـدة أيـام وعـيش تصـرما
تعانـدني الأيـام فـيمن أحبـه ... وقلبـي بنيـران يزيـد تضـرما
صـفا لـك دهـر بالمليحـة قـد مضـى ... ولازلـت فـي ذاك الجمـال مهيمـا
لقـد عاينـت عينـي حسـن جمالهـا ... فأصـبح قلبـي فـي هواهـا متيمـا
لقـد طالمـا أرشـفتني مـع الرضـا ... بعـذب ثناياهـا رحيقـاً علـى ظمـا
فمالـك يـا طيـر الهـزار تركتنـي ... وصـرت لغيـري فـي الغـرام مسـلما
وقـد أبصـرت عينـي أمـوراً عجيبـة ... تنبـه أجفـاني إذا كـن نومـاً
رأيـت حبيبـي قـد أضـاع مـودتي ... وطيـر هـزاري لـم يكـن لـي محومـا
وحـق إلـه العـالمين الـذي إذا ... أراد قضـاء فـي الخليفـة أبرمـا
لأ فعـل مـا يسـتوجب الظـالم الـذي ... بجهـل دنـا مـن وصـلها وتقـدما

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسروراً لما أنشد الأبيات المذكورة وسمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائضها وأصفر لونها وقالت لجاريتها هل سمعت هذا الشعر فقالت الجارية ما سمعته في عمري قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول ما يقول فلما تحقق زوجها أن هذا الأمر صحيح صار يبيع في كل ما تملكه يده وقال في نفسه إن لم أغربها عن أوطانها لم يرجعا عما هما فيه أبداً فلما باع جميع أملاكه كتب كتاباً مزوراً ثم قرأه عليها وأدعى إن هذا الكتاب جاء من عند أولاد عمه يتضمن طلب زيارته لهم هو وزوجته فقالت وكم نقيم عندهم قال اثنى عشر يوماً فأجابته إلى ذلك وقالت له هل آخذ معي بعض جواري قال خذي منهن هبوب وسكوب ودعى هنا خطوب ثم هيأ لهن هو دجا مليحاً وعزم على الرحيل بهن فأرسلت زين المواصف إلى مسرور إن فات الميعاد الذي بيننا ولم نأت فاعلم أنه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة وأبعدنا عن بعضنا فلا تنس العهود والمواثيق التي بيننا فأني أخاف من حيلة ومكره ثم أن زوجها جهز حاله للسفر وأما زين المواصف فإنها صارت تبكي وتنتحب ولا يقر لها قرار في ليل ولا نهار فلما رأى زوجها ذلك لم ينكر عليها فلما رأت زين المواصف أن زوجها لابد له من السفر لمت قماشها ومتاعها وأودعت جميع ذلك عند أختها وأخبرتها بما جرى لها ودعتها وخرجت من عندها وهي تبكي ثم رجعت إلى بيتها فرأت زوجها قد أحضر الجمال وصار يضع عليها الأحمال وهيأ لزين المواصف أحسن الجمال فلما رأت زين المواصف أنه لابد من فراقها لمسرور تحيرت فاتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما رأت زوجها أحضر لها الجمال وعلمت بالسفر تحيرت فأتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت هذه الأبيات:

ألا يـــا حمـــام الـــدار بلّـــغ ســـلامنا ... مـــن الصـــب للمحبـــوب عنـــد فراقنـــا

وبلّغـــــه أنـــــي لا أزال حزينـــــة ... وندمي علـــى مـــا كـــان مـــن طيـــب وقتنـــا

كمـــا أن حبـــي لا يـــزال متيمـــاً ... حزيناً على مـــا قـــد مضـــى مـــن ســـرورنا

قضـــينا زمانـــاً بالمســـرة والهنـــا ... وفزنـــا بوصـــل ليلنـــا ونهارنـــا

"فلم نستفق إلا وأصبح صائحاً رحالنـــا وخلينـــا ... علينـــا غـــراب البـــين ينعـــي فراقنـــا

الـــــديار بـــــلا قعـــــا ... فيـــا ليتنـــا لـــم نخـــل تلـــك المســـاكنا

ثم أتت الباب الثاني وكتبت عليه هذه الأبيات:

أيـــا واصـــلا للبـــاب بـــا فـــانظرا ... جمـــال حبيبـــي فـــي الـــدياجي وأخبـــرا

بـــأنني أبكـــي إن تـــذكرت وصـــله ... ولاينفـــد الـــدمع الـــذي بالبكـــا جـــرى

فإن لم تجد صبراً على ما أصابنا ... فضع فوق رأسك من تراب وغبرا
وسافر إلى شرق البلاد وغربها ... وعش صابراً فـا للأمر قدرا

ثم أتت الباب الثالث وبكت بكاء شديداً وكتبت عليه هذه الأبيات:

رويدك يا مسرور إن زرت دارها ... فمر على الأبواب واقرأ سطورها
ولا تنس عهد الود إن كنت صادقاً ... فكم طعمت حلو الليالي ومرها
فبا يا مسرور لا تنس قربها ... فقد تركت فيك الهنا وسرورها
ألا فابك أيام الوصال وطيبها ... وأنت متى ما جئت أرخت ستورها
فسافر قصيات البلاد لأجلنا ... وخض بحارها واستقص عنابرورها
لقد ذهبت عنا ليالي وصالنا ... وفرط ظلام الهجر أطفأ نورها
رعي ا أياماً مضت ما أسرها ... بروض الأماني إذ قطفنا زهورها
فهلا استمرت مثل ما كنت أرتجي ... إلى ا ألا وردها وصدورها
فهل ترجع الأيام تجمع شملنا ... وأوفى إذا وافت لربي نذورها
وكن عالماً أن الأمور بكف من ... يخط على لوح الجبين سطورها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما كتبت على الباب الثالث الأبيات المذكورة حضرت بين يدي زوجها فحملها على الهودج الذي صنعه لها فلما أن صارت على ظهر البعير أنشدت هذه الأبيات:

عليك صام ا يا منزلا خلا ... وقد طالما زدنا هناك تجملا
فليت زماني في ذراك تصرمت ... لياليه حتى في الصبابة أقتلا
جزعت على بعدي وشوقي لموطن ... شعفت به ولم أدر ما قد تحصلا
فيا ليت شعري هل أري فيه عودة ... تروق كما راقت لنا فيه أولا

فقال لها زوجها يا زين المواصف لا تحزني على فراق منزلك فإنك تعودين إليه عن قريب وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتى خرجوا إلى ظاهر البلد واستقبلوا الطريق وعلمت بأن الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها كل هذا ومسرور قاعد في منزله متفكر في أمره وأمر محبوبته فأحس قلبه بالفراق فنهض قائماً على قدميه من وقته وساعته وسار حتى جاء إلى منزلها فرأى الباب مقفولاً ورأي الأبيات التي كتبتها زين المواصف فقرأ ما على الباب الأول فلما قرأه وقع في الأرض مغشياً عليه ثم أفاق من غشيته وفتح الباب الأول ودخل إلى الباب الثاني فرأى ما كتبته وكذلك الثالث فلما قرأ على جميع هذه الكتابة زاد به

الغرام والشوق والهيام فخرج في أثرها يسرع في خطاه حتى لحق بالركب فرآها في آخره وزوجها في أوله لأجل حوائجه فلما رآها تعلق بالهودج باكياً حزيناً من ألم الفراق وأنشد هذه الأبيات:

ليـ ـت شـ ـعري بـ ـأي ذنـ ـب رمينـ ـا   بسـ ـهام الصـ ـدود طـ ـول السـ ـنينا

يـ ـا منـ ـى القلـ ـب جئـ ـت للـ ـدار يومـ ـا   عنـ ـدما زدت فـ ـي هـ ـواك شـ ـجونا

فرأيـ ـ ـت الـ ـ ـديار قفـ ـ ـرا يبـ ـ ـاب   فشـ ـ ـكوت النـ ـ ـوى وزدت أنينـ ـ ـا

وسـ ـألت الجـ ـدار عـ ـن كـ ـل قصـ ـدي   أيـ ـن راحـ ـوا وصـ ـار قلبـ ـي رهينـ ـا

قـ ـال سـ ـاروا عـ ـن المنـ ـازل حتـ ـى   صـ ـيروا الوجـ ـد فـ ـي الفـ ـؤاد كمينـ ـا

كتبـ ـت لـ ـي علـ ـى الجـ ـدار سـ ـطوراً   فعـ ـل أهـ ـل الـ ـوفى مـ ـن العالمينـ ـا

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت أنه مسرور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت أنه مسرور فبكت هي وجواريها ثم قالت له يا مسرور سألتك با أن ترجع عنا لئلا يراك ويراني زوجي فلما سمع مسرور ذلك غشي عليك فلما أفاق ودعا بعضهما وأنشد هذه الأبيات:

نادى الرحيل سـ ـحيراً فـ ـي الـ ـدجى الهـ ـادي   قبـ ـل الصـ ـباح وهبـ ـت نسـ ـمة النـ ـادي

شـ ـدوا المطايـ ـا وجـ ـدوا فـ ـي تـ ـرحلهم   وأسرع الركب لما زمـ ـزم الحـ ـادي وعجلـ ـوا

وعطـ ـروا أرضـ ـهم فـ ـي كـ ـل ناحيـ ـة   سـ ـ ـيرهم فـ ـ ـي ذلـ ـ ـك الـ ـ ـوادي

تملكـ ـوا مهجتـ ـي عشـ ـقاً وقـ ـد رحلـ ـوا   وغـ ـادروني علـ ـى آثـ ـارهم غـ ـادي

يـ ـا جيـ ـرة مقصـ ـدي أن لا أفـ ـارقهم   حتـ ـى بللـ ـت الثـ ـرى مـ ـن دمعـ ـي الغـ ـادي

يـ ـا ويـ ـح قلبـ ـي بعـ ـد البعـ ـد مـ ـا صـ ـنعت   يـ ـد الفـ ـراق علـ ـى رغمـ ـي بأكبـ ـادي

وما زال مسرور ملازماً للركب وهو يبكي وينتحب وهي تستعطفه في أن يرجع قبل الصباح خشية من الافتضاح فتقدم إلى الهودج وودعها ثاني مرة وغشي عليه ساعة زمانه فلما أفاق وجدهم سائرين فعند ذلك رجع مسرور إلى دار زين المواصف وهو في غاية الاشتياق فرآها خالية من الأطناب موحشة من الأحباب فبكى حتى بل الثياب وغشي عليه وكادت أن تخرج روحه من جسده وقد غشي عليه ساعة من الزمان فلما أفاق قام وتوجه إلى منزله وصار متحيراً من أجل ذلك باكي العين ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام هذا ما كان من أمر مسرور (وأما) ما كان من أمر زين المواصف فإنها عرفت أن الحيلة قد تمت عليها فإن زوجها مازال سائراً بها مدة عشرة أيام ثم أنزلها في بعض المدن فكتبت زين المواصف كتاباً لمسرور وناولته لجاريتها هبوب وقالت أرسلي هذا الكتاب إلى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف

غدر بنا اليهودي فأخذت الجارية منها الكتاب وأرسلته إلى مسرور فلما وصل إليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بل التراب وكتب كتاباً وأرسله إلى زين المواصف وختمه بهذين البيتين:

كيـف الطريـق إلـى أبـواب سـلوان وكيـف يسـلوا الـذي فـي حـر نيـران
مـا كـان أطيـب أوقاتـاً لهـم سـلفت فليـت منهـا لـذي نـاء بعـض أحيـان

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور كتب الكتاب وأرسله إلى زين المواصف فلما وصل إليها أخذته وقرأته وأعطته لجاريتها هبوب وقالت لها اكتمى خبره فعلم زوجها أنهما يتراسلان فأخذ زين المواصف وجواريها وسافر بهن مسافة عشرين يوماً ثم نزل بهن في بعض المدن هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر مسرور فإنه صار لا يهنأ له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اطيار ولم يزل كذلك أذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في منامه أن زين المواصف قد جاءت إليه في الروضة وصارت تعانقه فانتبه من نومه فلم يرها فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه في غاية الولوع فأنشد هذه الأبيات:

سـلام علـى مـن زار فـي النـوم طيفهـا فهـيـج أشـواقي وزاد هيـامي
وقـد قمـت مـن ذاك المنـام مولعـاً برؤيـة طيـف زارنـي بمنـامي
فهـل تصـدق الأحـلام فـيمن أحبـه وتشـفي غليلـي فـي الهـوي وسـقامي
فطـوراً تعـاطيني وطـوراً تصـمني وطـورا تواسـيني بطيـب كـلام
ولمـا أنقضـى فـي المنـام عتابنـا وصـارت عيـوني بالـدموع دوامـي
رضـفت رضـانا مـن لماهـا كأنـه رحيـق أرى ربـاه مسـك ختـام
عجبـت لمـا قـد كـان فـي اليـوم بيننـا وقـد نلـت منهـا منيتـي ومرامـي
"وقـد قمـت مـن ذاك المنـام ولـم أجـد مـن الطيـف إلا لـوعتي وغرامـي
فأصـبحت كـالمجنون حـين رأيتهـا وأمسـيت سـكراناً بغيـر مـدام

فبكى مسرور بكاء شديداً لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام وكانت أختها تعرف ما هما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له با عليك يا مسرور كف عن هذا المنزل لئلا يشعر بك أحد فينظرانك تأتي من أجلى لأنك رحلت أختي وتريد أن ترحلني أنا الأخرى وأنت تعرف أنه لولا أنت ما خلت الدار من سكانها فتسل عنها واتركها فقد مضي ما مضى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخت زين المواصف قالت له قد مضى ما مضى فلما سمع مسرور ذلك من أختها بكى بكاء شديداً وقال لها يا نسيم لو قدرت أن أطير لطرت شوقاً إليها فكيف أتسلى عنها فقالت

مالك حيلة إلا الصبر فقال لها سألتك بالله أن تكتبي لها كتاباً من عندك وتردي لنا جوابا ليطيب خاطري وتنطفي النار التي في ضمائري فقالت حبا وكرامة ثم أخذت دواة وقرطاساً وصار مسرور يصف لها شدة شوقه وما يكابده من ألم الفراق ويقول أن هذا الكتاب عن لسان الهائم الحزين المفارق المسكين الذي لا يقر له قرار في ليل ولا في نهار بل يبكي بدموع غزار قد ملأت الدموع أجفانه وأضرمت في كده أحزانه وطال تأسفه وكثر تلهفه مثل طير فقد ألفه وعجل تلفه فيا أسفي من مفارقتك ويا لهفي على معاشرتك لقد ضر جسمي النحول ودمعي صار في همول وضاقت على الجبال والسهول فأمسيت من فرط وجدي أقول:

وجـــدي علـــى تلـــك المنـــازل بـــاقي   زادت إلـــى ســـكانها أشـــواقي
وبعثـــت نحـــوكم حـــديث صـــبابتي   وبكـــأس حـــبكم ســـقاني الســـاقي
وعلـــى رحلـــيكم وبعـــد ديـــاركم   حـــرت الحقـــول بدمعـــه المهـــراق
يـــا حـــادي الأظعـــان عـــرج بـــالحمى   فالقلـــب منـــي زائـــد الإحـــراق
وأقـــرأ ســـلامي للحبيـــب وقـــل لـــه   مـــا أن لـــه غيـــر اللمـــى مـــن راقـــي
أودي الزمـــان بـــه فشـــتت شـــمله   ورمـــى حشاشـــته بســـهم فـــراق
بلّـــغ لهـــم وجـــدي وشـــدة لـــوعتي   مـــن بعـــد فـــرقتهم ومـــا أنـــا لاقـــى
قســـماً بحـــبكم يمينـــاً أننـــي   أوفـــى لكـــم بالعهـــد والميثـــاق
مـــا ملـــت قـــط ولا ســـلوت هـــواكم   كيـــف الســـلو لعاشـــق مشـــتاق
فعلـــيكم منـــي الســـلام تحيـــة   ممزوجـــة بالمســـك فـــي الأوراق

فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة أشعاره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك إلا ذفر وبخرته بالندى والعنب وأوصلته إلى بعض التجار وقالت له لا تسلم هذا إلا لأختي أو جاريتها هبوب فقال حباً وكرامة فلما وصل الكتاب إلى زين المواصف عرفت أنه من إملاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه فقبلته ووضعته على عينيها وأجرت الدموع من جفنيها ولم تزل تبكي حتى غشي عليها فلما أفاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وما هي فيه من الحنين إلى الأحباب وشكت حالها إليه وما نالها من الوجد عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت له فيه إن هذا كتاب إلى سيدي ومالك رقى ومولاي وصاحب سري ونجواي أما بعد فقد أقلقني السهر وزاد بي الفكر ومالي على بعدك مصطبراً من حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق أقلقني الوجد أهلكني وكيف لا أكون كذلك وأنا مع الهالكين فيا بهجة الدنيا وزينة الأحياء هل لمن انقطعت أنفاسه أن يطيب كاسه لا هو مع الأحياء ولا مع الأموات ثم أنشدت هذه الأبيات:

كتابـــك يـــا مســـرور قـــد هـــيج البلـــوى   فـــو الله مـــالي عنـــك صـــبر ولا ســـلوى
ولمـــا قـــرأت الخـــط حنـــت جـــوارحي   ومـــن مـــاء دمعـــي دائمـــاً لـــم أزل أروى

ولو كنـت طيـرا طـرت فـي جـنح ليلـة   فلـم أدر طعـم المـن بعـدك والسـلوى
حـرام علـى العـيش مـن بعـد بعـدكم   فـأني علـى حـر التفـرق لا أقـوى

ثم تربت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وأرسلته مع بعض التجار وقالت له لا تسلمه إلا لأختي نسيم فما وصل إلى أختها نسيم أوصلته إلى مسرور فقبله ووضعه على عينيه وبكى حتى غشي عليه هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر زوج زين المواصف فإنه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجاريتها من محل إلى محل فقالت له زين المواصف سبحان ا إلى أين تسير بنا وتبعدنا عن الأوطان قال إلى أن أقطع بكم سنة حتى لا يصل إليكن مراسلات من مسرور وأنظر كيف أخذتن جميع مالي وأعطيتيه لمسرور فكل شيء ضاع لي آخذه منكن وانظر هل ينفعكن مسرور ويقدر على خلاصكن من يدي ثم أنه مضى إلى الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الجديد وأتى بها إليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير والبسهن ثياباً من الشعر وصار يبخرهن بالكبريت ثم جاء إليهن بالحداد وقال له ضع هذه القيود في أرجل هؤلاء الجواري فأول ما قدم زين المواصف فلما رآها الحداد غاب صوابه وعض على أنامله وطار عقله من رأسه وزاد غرامه وقال لليهودي ما ذنب هؤلاء الجواري فقال أنهن جواري وسرقن مالي وهربن مني فقال له الحداد خيب ا ظنك وا لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة وأذ نبت كل يوم ألف ذنب لا يؤاخذها وأيضاً لا يظهر عليها علامة السرقة ولا يقدر على وضع الحديد في رجليها ثم سأله أن لا يقيدها وصار يستشفع عنده في عدم تقييدها فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودي سألتك با لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف قالت لليهودي سألتك يا لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب فقال لها وكيف خرجت قدام مسرور فلم ترد له جواباً ثم قبل شفاعة الحداد ووضع في رجليها قيداً صغيراً وقيد الجواري بالقيود الثقيلة وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يتحمل الخشونة فلم تزل لابسة ثياب الشعر هي وجواريها ليلاً ونهاراً إلى أن انتحلت أجسامهن وتغيرت ألوانهن وأما الحداد فإنه وقع في قلبه لزين المواصف عشق عظيم فسار إلى منزله وهو ناشد الحسرات وجعل ينشد هذه الأبيات:

شـلت يمينـك يـا قـين بمـا وثقـت   تلك القيود على الأقدام والعصب أنيسة خلقـت
قيـدت أقـدام مـولاة منعمـة   مـن أعجـب العجـب
لـو كنـت تنصـف مـا كانـت خلاخلهـا   مـن الحديـد وقـد كانـت مـن الـذهب
ولـو رأى حسـنها قاضـي القضـاة رثـي   لهـا وأجلسـها تيهـاً أعلـى الرتـب

وكان قاضي القضاة ماراً على دار الحداد وهو يترنم بإنشاد هذه الأبيات فأرسل إليه فلما حضر قال يا حداد من هذه التي تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها فنهض الحداد قائماً على قدميه بين يدي القاضي وقبل يده وقال أدام ا أيام مولانا القاضي وفسح في عمره أنها جارية صفتها كذا وكذا وصار يصف له الجارية

وما هي فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والظرف والكمال وأنها بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل ثم أخبره بما هي فيه من الذل والحبس والقيود وقلة الزاد فقال القاضي يا حداد دلها علينا وأوصلها إلينا حتى نأخذ لها حقها لأن هذه الجارية صارت معلقة برقبتك وأن كنت لاتدلها علينا فإن ا يجازيك يوم القيامة فقال الحداد سمعاً وطاعة ثم توجه من وقته وساعته إلى ديار زين المواصف فوجد الباب مغلوقاً وسمع كلاما رخيماً من كبد حزين لأن زين المواصف كانت في ذلك الوقت تنشد هذه الأبيات:

قـد كنـت فـي وطنـي والشـمل مجتمـع ... والحـب يمـلأ لـي بالصـفو أقـداحاً

دارت علينـا بمـا تهـواه مـن طـرب ... فلـيس تنكـر أمسـاء وأصـباحاً

لقـد قضـينا زمانـاً كـان ينعشـنا ... كأسـاً وعـوداً وقانونـاً وأفراحـاً

ففـرق الـدهر والتصـريف الفتنـا ... والحـب ولـى ووقـت الصـفو قـد راحـا

فليـت عنـا غـراب البيـت منزجـر ... وليـت فجـر وصـالي فـي الهـوى لاحـا

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام بكى بدمع كدمع الغمام ثم طرق الباب عليهن فقلن من بالباب فقال لهن أنا الحداد ثم أخبرهن بما قاله القاضي وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوى بين يديه حتى يخلص لهن حقهن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحداد لما أخبر زين المواصف كلام القاضي وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوة بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن قالت للحداد كيف نروح إليه والباب مغلوق علينا والقيود في أرجلنا والمفاتيح مع اليهودي قال لهن الحداد أنا أعمل للأقفال مفاتيح وافتح بها الباب والقيود قالت فمن يعرفنا بيت القاضي فقال الحداد أنا أصفه لكن فقالت زين المواصف وكيف يمضي عند القاضي ونحن لا بسات ثياب الشعر المبخرة بالكبريت فقال الحداد أن القاضي لا يعيبكن وأنتن في هذه الحالة ثم نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح للأقفال ثم فتح الباب وفتح القيود وحلها من أرجلهن وأخرجهن ودلهن على بيت القاضي ثم أن جاريتها هبوب نزعت ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها إلى الحمام وغسلتها وألبستها ثياب الحرير فرجع لونها إليها ومن تمام السعادة أن زوجها كان في وليمة عند بعض التجار فتزينت زين المواصف بأحسن الزينة ومضت إلى بيت القاضي فلما نظرها القاضي وقف قائماً على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة ألفاظ ورشقته في ضمن ذلك بسهام الألحاظ وقالت له أدام ا مولانا القاضي ثم أخبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الأجواد وبما صنع بها زوجها من العذاب الذي يدهش الألباب وأخبرته أنه قد زاد بهن الهلاك ولم يجدن لهن من فكاك فقال القاضي يا جارية ما اسمك قالت اسمي زين المواصف وجاريتي هذه اسمها هبوب فقال لها القاضي كيف أنقضي سبابك مع هذا اليهودي فقالت له اعلم أيها القاضي أدام ا أيامك بالتراضي وبلغك آمالك وختم بالصالحات أعمالك أن أبي خلف لي بعد وفاته خمسة عشر ألف دينار وجعلها في يد هذا اليهودي يتجر فيها والكسب بيننا وبينه ورأس المال ثابت بالبينة الشريعة فعندما مات أني طمع اليهودي في وطلبني من أمي ليتزوج بي فقالت له

أمي كيف أخرجها من دينها وأجعلها يهودية فو ا لأعرفن الدولة بك فخاف ذلك اليهودي من كلامها وأخذ المال وقرب إلى مدينة عدن وعندما سمعنا به أنه في مدينة عدن جئنا في طلبه فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا أنه يتاجر في البضائع ويشتري بضاعة بعد بضاعة فصدقناه ولم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعدنا أشد العذاب ونحن غرباء وما لنا معين إلا ا تعالى ومولانا القاضي فلما سمع القاضي هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب هل هذه سيدتك وأنتن غرباء وليس لها بعل قالت نعم قال زوجيني بها وأنا يلزمني العتق والصيام والحج والصدقة إن لم أخلص لكن حقكن من هذا الكلب بعد أن أجازيه بما فعل فقالت هبوب لك السمع والطاعة فقال القاضي روحي طيبي قلبك وقلب سيدتك وفي غد إن شاء ا تعالى أرسل إلى هذا الكافر وأخلص لكن حقكن منه وتنظرين العجب في عذابه فدعت له الجارية وانصرفت من عنده وخلته في كرب وهيام وشوق وغرام وبعد أن انصرفت من عنده هي وسيدتها سألتا عن دار القاضي الثاني فدلوهما عليه فلما حضرتا لديه أعلمتاه بذلك وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت أمرها إلى القضاة الأربعة وكل واحد يسألها أن تتزوج به فتقول له نعم ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحد يطمع فيها ولم يعلم اليهودي بشيء من ذلك لأنه كان في دار الوليمة فلما أصبح الصباح نهضت جاريتها وأفرغت عليها حلة من أفخر الملابس ودخلت بها على القضاة الأربعة في مجلس الحكم فلما رأت القضاة حاضرين أسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلمت عليهم فردوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم وكان بعضهم يكتب فوقع القلم من يده وبعضهم كان يتحدث فتلجلج لسانه وبعضهم كان يحسب فغلط في حسابه فعند ذلك قالوا لها يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيباً فلابد من أن نخلص لك حقك ونبلغك مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القضاة قالوا لزين المواصف يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيباً بقضاء غرضك وبلوغ مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت هذا كله واليهودي مقيم عند أصحابه في الوليمة وليس له علم بذلك وصارت زين المواصف تدعوا ولاة الأحكام وأرباب الأقلام لينصروها على هذا الكافر المرتاب ويخلصوها من أليم العذاب ثم أنها كتبت كتاباً يتضمن جميع ما عمله معها اليهودي من الأول إلى الآخروسطرت فيه الأشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريتها هبوب وقالت لها احفظي هذا الكتاب في جيبك حتى نرسله إلى مسرور فبينما هما كذلك وإذا باليهودي قد دخل عليهما فرآهما فرحانتين فقال مالي أرا كما فرحانتين هل جاءكما كتاب من عند صديقكما مسرور فقالت له زين المواصف نحن ما لنا معين عليك إلا ا سبحانه وتعالى فإنه هو الذي يخلصنا من جورك وإن لم تردنا إلى بلادنا وأوطاننا فنحن في غد نترافع إياك إلى حاكم هذه المدينة وقاضيها فقال اليهودي ومن خلص القيود من أرجلكما ولكن لابد أن أصنع لكل واحدة منكن قيداً قدر عشرة أرطال وأطوف بكن حول المدينة فقالت له هبوب جميع ما نويته لنا ستقع فيه إن شاء ا كما أبعدتنا عن أوطاننا وفي غد نقف وإياك قدام حاكم المدينة واستمروا على ذلك على الصباح ثم نهض اليهودي وجاء إلى الحداد ليصنع قيوداً لهن فعند ذلك قامت زين المواصف هي وجواريها وأتت إلى دار الحكم ودخلتها فرأت القضاة فسلمت عليهم فرد عليها جميع القضاة

السلام ثم قال قاضي القضاة لمن حوله إن هذه الجارية زهراوية وكل من رآها أحبها وخضع لحسنها وجمالها ثم أن القاضي أرسل معها من الرسل أربعة وكانوا أشرافاً وقال لهم أحضروا غريمها في أسوأ حال هذا ما كان من أمرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القاضي أرسل مع زين المواصف أربعة وقال لهم حضروا غريمها في أسوأ حال هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر اليهودي فإنه لما صنع لهن القيود توجه إلى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار في أمره فبينما هو كذلك وإذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضرباً شديداً وجروه سحباً على وجهه حتى أتوا به إلى القاضي فلما رآه القاضي صرخ في وجهه وقال ويلك يا عدو ا هل وصل من أمرك أنك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهن وسرقت ما لهن وتريد أن تجعلهن يهوداً فكيف تريد تكفير المسلمين فقال اليهودي يا مولاي إن هذه زوجتي فلما سمع القضاة منه هذا الكلام صاحوا كلهم وقالوا ارموا هذا الكلب على الأرض وانزلوا على وجه بنعالكم وأضربوه ضرباً وجيعاً فإن ذنبه لا يغتفر فنزعوا عنه ثيابه الحرير وألبسوه ثياباً من الشعر وألقوه على الأرض ونتفوا لحيته وضربوه ضرباً وجيعاً على وجه بالنعال ثم أركبوه على حماره وجعلوا وجهه إلى كفله وأمسكوه ذيل الحمار في يده وطافوا به حول البلد حتى جرسوه في سائر البلد ثم عادوا به إلى القاضي وهو في ذل عظيم فحكم عليه القضاة الأربعة بأن تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يصلب فاندهش الملعون من هذا القول وغاب عقله وقال يا سادتي القضاة ما تريدون مني فقالوا له قل أن هذه الجارية ما هي زوجتي وأن المال ما لها وأنا تعديت عليها وشتتها عن أوطانها فأقر بذلك وكتبوا بإقراره حجة وأخذوا منه المال ودفعوه إلى زين المواصف وأعطوها الحجة وخرجت فصار كل من رأي حسنها وجمالها متحيراً في عقله وظن كل واحد من القضاة أنها يؤول أمرها إليه فلما وصلت إلى منزلها جهزت أمرها من جميع ما تحتاج إليه وصبرت إلى أن دخل الليل فأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسارت هي وجواريها في ظلام الليل ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة أيام ولياليها هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر القضاة فإنهم بعد ذهابها أمروا بحبس اليهودي زوجها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القضاة أمروا بحبس اليهودي زوج زين المواصف فلما أصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون أن تحضر عندهم زين المواصف فلم تحضر عند أحد منهم ثم أن القاضي الذي ذهبت إليه أولاً قال أنا أريد اليوم أن أتفرج على خارج المدينة لأني لي حاجة هناك ثم ركب بغلته وأخذ غلمانه وصار يطوف أزقة المدينة طولاً وعرضاً ويفتش على زين المواصف فلم يقع لها على خبراً فبينما هو كذلك أذ وجد باقي القضاة دائرين وكل واحد منهم يظن أنه ليس بينها وبين غيره ميعاد فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم في أزقة المدينة فأخبره بشأنهم فرأى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله فصار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر فانصرف كل واحد منهم إلى منزله مريضا ورقوا على فرش الضني ثم أن قاضي القضاة تذكر الحداد فأرسل إليه فلما حضر بين يديه قال له يا حداد هل تعرف شيئاً من خبر

الجارية التي دللتها علينا فو ا إن لم تطلعني عليها ضربتك بالسياط فلما سمع كلام القاضي أنشد هذه الأبيات:

أن التـــي ملكتنـــي فـــي الهـــوى ملكـــت مجامع الحسن حتى لم تدع حسناً شمساً وماجت

رنـــت غـــزالاً وفاحـــت عنبـــراً وبـــدت غـ ـ ـ ـ ـ ـديراً وأنثنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـت غصـ ـ ـ ـ ـ ـباً

ثم أن الحداد قال وا يا مولاي من حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني أبداً وقد ملكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي وشغلي وقد مضيت إلى منزلها فلم أجدها ولم أر أحد يخبرني عن شأنها فكأنها غطست في قرار الماء أو عرج بها إلى السماء فلما سمع القاضي كلامه شهق شهقة كادت روحه أن تخرج منه ثم قال وا ما كان لنا حاجة برؤيتها فانصرف الحداد ووقع القاضي على فرشه وصار من أجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الأربعة وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج إلى الطبيب ثم أن وجهاء الناس دخلوا على القاضي الأول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله فتنهد وباح بما في ضميره وبكى بكاء شديداً ثم أنه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الأبيات:

كملـــت صـــفات العاشـــقين لمـــن غـــدا فـــي القبـــر مقتـــول الحبيـــب وصـــده

قـــد كـــان هـــذا للبريـــة قاضـــياً وبراعـــه ســـجن الحســـام بغمـــده

فقضـــى عليـــه الحـــب لـــم نـــر قبلـــه مـــولى تـــذلل فـــي الأنـــام لعبـــده

ثم أنهم ترحموا عليه وانصرفوا إلى القاضي الثاني ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضرراً ولا ألماً يحتاج إلى طبيب فسألوه عن حاله وشغل باله فعرفهم بقضيته فلاموه وعنفوه على تلك الحالة ثم أنه شهق شهقة فلما رقت روحه جسده فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم توجهوا إلى القاضي الثالث فوجدوه مريضاً وحصل له ما حصل للثاني وكذلك الرابع فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود أيضاً مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بحبها وإن لم يمت يكابد لوعة الغرام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بعشقها وإن لم عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم ا أجمعين هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان أمر زين المواصف فإنها جدت في السير مدة أيام حتى قطعت مسافة بعيدة فاتفق أنها خرجت هي وجواريها فمرت على دير في الطريق وفيه راهب كبير أسمه دانس وكان عنده أربعون بطريقاً فلما رأى جمال زين المواصف نزل إليها وعزم عليها وقال لها استريحوا عندنا عشرة أيام ثم سافروا فنزلت عنده هي وجواريها في ذلك الدير فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها أفسدت عقيدته وأفتتن بها وسار يرسل إليها مع البطارقة واحد بعد واحد لأجل أن يؤلفها فصار كل من أرسله إليها يقع في حبها ويراودها عن نفسها له وهي

تعتذر وتمتنع ولم يزل دانس يرسل إليها الأربعين بطريقاً وكل واحد حين يراها يتعلق بعشقها ويكثر من ملاطفتها ويراودها عن نفسها ولا يذكر لها اسم دانس فتمتنع من ذلك وتجاوبهم بأغلظ جواب فلما فرغ صبر دانس واشتد غرامه قال في نفسه أن صاحب المثل يقول ماحك جسمي غير ظفري ولا سعي في مرامي مثل أقدامي ثم نهض قائماً على قدميه وصنع طعاماً مفتخراً وحمله ووضعه بين يديها قال تفضلي باسم ا خير الزاد ما حصل فمدت يديها وقالت باسم ا الرحمن الرحيم وأكلت هي وجواريها فلما فرغت من الأكل قال لها يا سيدتي أريد أن أنشدك أبياتاً من الشعر فقالت له قل فأنشد هذه الأبيات:

ملكـــت قلبـــي بألحـــاظ ووجنـــات ... وفـــي هـــواك غـــداً نثـــري وأبيـــاتي
أتتركينـــي محبـــاً مغرمـــاً دنفـــا ... أعـــالج العشـــق حتـــى فـــي المنامـــات
لا تتركينـــي صـــريعاً والهـــا فلقـــد ... تركـــت أشـــغال ديـــري بعـــد لـــذاتي
يا غـــادة جـــوزت فـــي الحـــب ســـفك دمـــي ... رفقـــاً بحـــالي وعطفـــاً فـــي شـــكاياتي

فلما سمعت زين المواصف شعره أجابته عن شعره بهذين البيتين:

يـــا طالـــب الوصـــل لا يغـــررك بـــي أمـــل ... أكفـــف ســـؤالك عنـــي أيهـــا الرجـــل
لا تطمـــع الـــنفس فيمـــا لســـت تملكـــه ... أن المطـــامع مقـــرون بهـــا الأجـــل

فلما سمع شعرها رجع إلى صومعته وهو مفتكر في نفسه ولم يدر كيف يصنع في أمرها ثم بات تلك الليلة في أسوأ حال فلما جن الليل قامت زين المواصف وقالت لجواريها قوموا بنا فإننا لا نقدر على أربعين رجلاً رهباناً وكل واحد يراودني عن نفسي فقال لها الجواري حباً وكرامة ثم أنهن ركبن دوابهن وخرجن من باب الدير ليلاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما خرجت هي وجواريها من الدير ليلاً لم يزلن سائرات وإذا هن بقافلة فاختلطن بها وإذا بالقافلة من مدينة عدن التي كانت فيها زين المواصف فسمعت أهل القافلة يتحدثون بخبر زين المواصف ويذكرون أن القضاه والشهود ماتوا في حبها وولّى أهل المدينة قضاه وشهوداً غيرهم وأطلقوا زوج زين المواصف من الحبس فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت إلى جواريها وقالت لجاريتها هبوب ألا تسمعين هذا الكلام فقالت لها جاريتها إذا كان الرهبان الذين عقيدتهم أن الترهب عن النساء عبادة قد أفتتنوا في هواك فكيف حال القضاه الذين عقيدتهم أنه لا رهبانيه في الإسلام ولكن أمض بنا إلى أوطاننا مدام أمرنا مكتوماً ثم أنهن سرن وبالغن في السير وهن قاصدات مدينة عدن إلى أن وصلت زين المواصف إلى منزلها وفتحت الأبواب ودخلت الدار ثم أرسلت إلى أختها نسيم فلما سمعت أختها بذلك فرحت فرحاً شديداً وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش ثم أنها فرشت لها وألبستها وأرخت الستور على الأبواب وأطلقت العود والبدو والعنبر والمسك الأذفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصارا عظيم

ما يكون ثم أن زين المواصف لبست أفخر قماشها وتزينت أحسن زينة كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه مزيد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما دخلت دارها أتت لها أختها بالفراش وفرشت لها وألبستها أفخر الثياب كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه مزيد ثم جلست زين المواصف تتحدث مع جواريها الذين تخلفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الأول إلى الآخر ثم أنها التفتت إلى هبوب وأعطتها دراهم وأمرتها أن تذهب وتأتي لها بشيء تأكله هي وجواريها فذهبت وأتت بالذي طلبته من الأكل والشرب فلما انتهى أكلهن وشربهن أمرت هبوب أن تمضي إلى مسرور وتنظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الأحوال وكان مسرور لا يقر له قرار ولا يمكنه اصطبار فلما زاد عليه الوجد والغرام قام ومشى إلى زقاق زين المواصف فشم منه الروائح الزكية فهاج لبه وفاق صدره وقلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه وإذا بهبوب متوجهة إلى قضاء حاجة فرآها وهي مقبلة من صدر الزقاق فلما رآها فرح فرحاً شديداً فلما رأته هبوب أتت إليه وسلمت عليه وبشرته بقدوم سيدتها زين المواصف وقالت لها أنها أرسلتني في طلبك إليها ففرح بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد ثم أخذته ورجعت به إليها فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته وعانقها ولم يزل يقبلان بعضهما ويتعانقان حتى غشي عليهما زمناً طويلاً من شدة المحبة والفراق فلما أفاقا من غشيتهما أمرت جاريتها هبوب بإحضار قلة مملوءة من شراب السكر وقلة مملوة من شراب الليمون فأحضرت لها الجارية جميع ما طلبته ثم أكلوا وشربوا ومازالوا كذلك إلى أن أقبل الليل فصاروا يذكرون الذي جرى لهم من أوله إلى آخره ثم أنها أخبرته بإسلامها ففرح وأسلم هو أيضاً وكذلك جواريها وتابوا إلى ا تعالى فلما أصبح الصباح أمرت بإحضار القاضي والشهود وأخبرتهم أنها عازبة وقد وفت العدة ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها وصاروا في ألذ عيش هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر زوجها اليهودي فإنه حين أطلقه أهل المدينة من السجن سافر منها متوجها إلى بلاده ولم يزل مسافراً حتى صار بينه وبين المدينة التي فيها زين المواصف ثلاثة أيام فأخبرت بذلك زين المواصف فدعت بجاريتها هبوب وقالت لها امض إلى مقبرة اليهود واحفري قبراً وضعي عليه الرياحين ورشي عليه الماء وإن جاء اليهود وسألك عني فقولي له إن سيدتي ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوماً فإن قال أريني قبرها فخذيه إلى القبر وتحيلي على دفنه فيه بالحياة فقالت سمعاً وطاعة ثم أنهم رفعوا الفراش وأدخلوه في مخدع ومضت إلى بيت مسرور فقعد هو وإياه في أكل وشرب ولم يزالوا كذلك حتى مضت الثلاثة أيام هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر زوجها فإنه لما أقبل من السفر دق الباب فقالت هبوب من بالباب فقال سيدك ففتحت له الباب فرأى دموعها تجري على خدها فقال لها ما يبكيك وأين سيدتك فقالت له أن سيدتي ماتت بسبب قهرها عليك فلما سمع منها ذلك الكلام تحير في أمره وبكى بكاء شديداً ثم قال لها يا هبوب أين قبرها فأخذته ومضت به إلى المقبرة وأرته القبر الذي حفرته فعند ذلك بكى بكاء شديداً حتى خر مغشياً عليه فلما

غشي عليه أسرعت هبوب بجره ووضعته في القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت إلى سيدتها وأعلمتها بهذا الخبر ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأنشدت هذين البيتين:

الـــدهر أقســـم لا يـــزال مكـــدري حنثـــت يمينـــك يـــا زمـــان فكفـــر

مـــات العـــذول ومـــن هويـــت مواصـــلي فـــانهض إلـــى داعـــي الســـرور وشـــمر

ثم أنهم أقاموا مع بعضهم على الأكل والشرب واللهو واللعب إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(حكاية على نور الدين مع مريم الزنارية)

(وفي ليلة ٨١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمى تاج الدين وكان من أكابر التجار ومن الأمناء الأحرار إلا أنه كان مولعاً بالسفر إلى جميع الأقطار ويحب السير في البراري والقفار والسهول والأوعار وجزائر البحار في طلب الدرهم والدينار وكان له عبيد ومماليك وخدم وجوار وطالما ركب الأخطار وقاسى في السفر ما يشيب الأطفال الصغار وكان أكثر التجار في ذلك الزمان مالا وأحسنهم مقالاً صاحب خيول وبغال وبخاتي وجمال وغرائر وأعدال وبضائع وأموال وأقمشة عديمة المثال من شدود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مرزوية وتفاصيل هندية وأزرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار زومية وغلمان مصرية وكانت غرائر أحماله من الحرير لأنه كان كثير الأموال بديع الجمال مائس الأعطاف شهي الأنعطاف وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمى على نور الدين كأنه البدر إذا بدر ليلة أربعة عشر بديع الحسن والجمال ظريف القدر والاعتدال فجلس ذلك الصبي يوماً من الأيام في دكان والده على جري عادته للبيع والشراء والأخذ والعطاء وقد دارت حوله أولاد التجار فصار هو بينهم كأنه القمر بين النجوم بجبين أزهر وخد أحمر وعذار أخضر وجسم كالمرمر كما قال فيه الشاعر.

ومليـــــــيح قـــــــال صـــــــــفني انـــــــت فـــــــي الوصـــــــف فصـــــــيح

قلـــــــت قـــــــولاً باختصـــــــــار كـــــــل مـــــــا فيـــــــك مليـــــــيح

فعزمه أولاد التجار وقال له يا سيدي نور الدين نشتهي في هذا اليوم أننا نتفرج نحن وإياك في البستان الفلاني فقال لهم حتى أشاور والدي فأني لا أقدر أن أروح إلا بأجازته فبينما هم في الكلام وإذا بوالده تاج الدين قد أتى فنظر إليه وقال يا أبي أن أولاد التجار قد عزموني لأجل أن أتفرج أنا وأياهم في البستان الفلاني فهل تأذن لي في ذلك فقال نعم يا ولدي ثم أنه أعطاه شيئاً من المال وقال توجه معهم فركب أولاد التجار حميراً وبغالاً وركب نور الدين بغلة وسار معهم إلى بستان فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهو مشيد الأركان رفيع البنيان له باب مقنطر كأنه إيوان وباب سماوي يشبه أبواب الجنان وبوابه اسمه رضوان

وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الألوان الأحمر كأنه مرجان والأسود كأنه أنوف السودان والأبيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمان والكمثرى والبرقوق والتفاح كل هذه الأنواع مختلفة الألوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كل ما تشتهي الشفة واللسان ووجد العنب مختلف الألوان صنواناً وغير صنوان كما قال فيه الشاعر:

عنـــب طعمـــه كطعـــم الشـــراب … حالـــك لونـــه كلـــون الغـــراب

بـــين أوراقـــه زهـــا فتـــراه … كبنـــان النســـاء بـــين الخطـــاب

ثم انتهوا إلى عريشة البستان فرأوا رضوان بواب البستان جالساً في تلك العريشة كأنه رضوان خازن الجنان ورأوا مكتوباً على باب العريشة هذان البيتان:

ســـقى الله بســـتاناً تـــدلت قطوفـــه … فمالت بهـا الأغصـان مـن شـدة الشـرب

إذا رقصـــت أغصـــانه بيـــد الصـــبا … تنقطهـــا الأنـــواء بـــاللؤلؤ الرطـــب

وفي ذلك البستان فواته ذات أفنان وأطيار من جميع الأصناف والألوان مثل فاخت وبلبل وكيروان وقماري وحمام يغرد على الأغصان وأنهار بها الماء الجاري وقد راقت تلك المجاري بأزهارها وأثمار ذات لذات كما قال فيها الشاعر هذين البيتين:

ســـرت النســـيم علـــى الغصـــون فشـــابهت … حســـناء تعثـــر فـــي جميـــل ثيابهـــا

وحكـــت جـــداولها الســـيوف إذا انتضـــت … أيـــدى الفـــوارس مـــن غـــلاف قرابهـــا

وفي ذلك البستان تفاح سكري ومسكي يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر:

تفاحـــت جمعـــت لـــونين قـــد حكيـــا … خـــدي حبيـــب ومحبـــوب قـــد اجتمعـــا

لاحا على الغصـن كالضـدين مـن عجـب … فـــذاك أســـود والثـــاني بـــه لمعـــا

تعانقـــــا فبـــــدا وش فراعهمـــــا … فـــأحمر ذا خجـــلاً وأصـــفر ذا ولعـــا

وفي ذلك البستان مشمش لوزي وكافور وجيلاني وعنتابي كما قال فيه الشاعر:

كأنمـــا التـــين يبـــدو منـــه أبيضـــه … مـــع أخضـــر بـــين أوراق مـــن الشـــجر

أبنـــاروم علـــى أعلـــى القصـــور وقـــد … جـــن الظـــلام بهـــم بـــاتوا علـــى حـــذر

وفي ذلك البستان من الكمثرى الطورى والحلبي والرومي ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما نزلوا البستان رأوا فيه من الفواكه ما ذكرناه ووجدوا فيه من الكمثرى الطورى والحلبي والرومي ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان ما بين أصفر وأخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر:

يهنيـــك كمثـــري غـــدا لونهـــا لـــون محـــب زائـــد الصـــفرة
شـــبيهة بـــالبكر فـــي خـــدرها والوجـــه منهـــا مســـبل الســـترة

وفي ذلك البستان من الخوخ السلطاني ما هو مختلف الألوان من أصفر وأحمر كما قال فيه الشاعر:

كأنمـــا الخـــوخ لـــدى روضـــة وقـــد كســـى مـــن حمـــرة العنـــدم
بنـــادق مـــن ذهـــب أصـــفر قـــد خضـــبت فـــي وجههـــا بالـــدم

وفي ذلك البستان من اللوز الأخضر ما هو شديد الحلاوة يشبه الجمار ولبه من داخل ثلاثة أثواب من صنعة الملك الوهاب كما قيل فيه الشاعر :

ثلاثـــة أثـــواب علـــى جســـد رطـــب مخالفـــة الأشـــكال مـــن صـــنعة الـــرب
يريـــه الـــردى فـــي ليلـــه ونهـــاره" وأن يكـــن المســـجون فيهـــا بـــلا ذنـــب

وفي ذلك البستان النارنج كأنه خولنجان كما قال فيها الشاعر الولهان

وحمـــراء مـــلء الكـــف تزهـــو بحســـنها فظاهرهـــا نـــار وباطنهـــا ثلـــج
ومـــن عجـــب ثلـــج مـــن النـــار لـــم يـــذب ومـــن عجـــب نـــار ولـــيس لهـــا وهـــج

وفي ذلك البستان الكباد متدلياً في أغصانه كنهود أبكار تشبه الغزلان وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر وأجاد:

وكبـــادة بـــين الريـــاض نظرتهـــا علـــى غصـــن رطـــب كقامـــة أغيـــد
إذا ميلتهـــا الـــريح مالـــت كـــاكرة بـــدت ذهبـــاً فـــي صـــولجان زبـــر جـــد

وفي ذلك البستان الليمون زكي الرائحة يشبه بيض الدجاج ولكن صفرته زينة مجانية وريحة يزهو لجانيه كما قال فيه بعض واصفيه.

أمـــا تـــرى الليمـــون لمـــا بـــدى يأخـــذ مـــن أشـــراقه بالعيـــان
كأنـــه بـــيض دجـــاج وقـــد لطخـــه الخمســـة بـــالزعفران

وفي ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضروات والمشمومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبري والورد بسائر أنواعه ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الأجناس وذلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان لرائيه إذا دخله العليل خرج منه كالأسد الغضبان ولا يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التي لا توجد إلا في الجنان كيف لا واسم بوابه رضوان لكن بين المقامين شتان فلما تفرج أولاد التجار في ذلك البستان جلسوا بعد التفرج والتنزه على ليوان من لواوينه وأجلسوا نور الدين في وسط الليوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما جلسوا في الليوان أجلسوا نور الدين في وسط على نطع من الأديم المزركش متكئاً على مخدة محشوة بريش النعام وطهارتها مدورة سنجابية ثم ناوله مروحة من ريش النعام مكتوباً عليها هذان البيتان:

ومروحـــــة معطـــــرة النســـــيم تـــذكر طيـــب أوقـــات النعـــيم
وتهـــدي طيبهـــا فـــي كـــل وقـــت إلـــى وجـــه الفتـــى الحـــر الكـــريم

ثم أن هؤلاء الشبان خلعوا ما كان عليهم من العمائم والثياب وجلسوا يتحدثون ويتنادمون ويتجاذبون أطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمل في نور الدين وينظر إلى حسن صورته وبعد أن اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان أقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها أواني من الصيني والبلور لأن بعض أولاد التجار كان وصى أهل بيته بها قبل خروجه إلى البستان وكان في تلك السفرة كثير مما درج وطار وسبح في البحار كالقطا والسماني وأفراخ الحمام وشياه الضأن والطف السمك فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا وأكلوا بحسب الكفاية ولما فرغوا من الأكل قاموا عن الطعام وغسلوا أيديهم بالماء الصافي والصابون الممسك وبعد ذلك نشفوا أيديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدموا لنور الدين منديلاً مطرز بالذهب الأحمر فمسح به يديه وجاءت القهوة كل منهم مطلوبة ثم جلسوا للحديث وإذا بخولي البستان جاءوا معه سفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الأحمر وأنشد يقول هذين البيتين:

هتـــف الفجـــر بالســـنى فاســـق خمـــرا عانســـاً تجعـــل الحلـــيم ســـفيها
لســـت أدري مـــن لطفهـــا وصـــفاها أبكـــاس تـــرى أم الكـــاس فيهـــا

ثم أن خولي البستان ملأ وشرب ودار الدور إلى أن وصل إلى نور الدين ابن التاجر تاج الدين فملأ خولي البستان كأساً وناوله أإاه فقال له نور الدين أنت تعرف أن هذا شيء لا أعرفه ولا شربته قط لأن فيه إثماً كبير وقد حرمه في كتابه الرب القدير فقال البستاني يا سيدي نور الدين أن كنت ما تركت شربه إلا من أجل الإثم فإن ا سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شيء ورحمة ا على بعض الشعراء حيث قال:

كـن كيـف شـئت فـإن ا ذو كـرم ومـا عليـك إذا أذنبـت مـن بـأس
إلا أثنتـين فـلا تقربهمـا أبـداً الشـرك بـا والأضـرار للنـاس

ثم قال واحد من أولاد التجار بحياتي عليك يا سيدي نور الدين أن تشرب هذا القدح وتقدم شاب آخر وحاف عليه بالطلاق وآخر وقف بين يديه على أقدامه فاستحى نور الدين وأخذ القدح من خولي البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال هذا مر فقال له خولي البستان يا سيدي نور الدين لولا أنه مر ما كانت فيه هذه المنافع ألم تعلم أن كل حلو إذا أكل على سبيل التداوي يجده الآكل مراً وأن هذه الخمر منافعها كثيرة فمن جملة منافعها أنها تهضم الطعام وتصرف الهم والغم وتزيل الأرياح وتروق الدم وتصفي اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوي همة الرجل على الجماع ولو ذكرنا منافعها كلها لطال علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء.

شـربنا وعفـو ا مـن كـل جانـب وداويـت أسـقامي بمـر تشـف الكـاس
ومـا غرنـي فيهـا وأعـرف أثمهـا سـوى قولـه فيهـا منـافع للنـاس

ثم أن خولي البستان نهض قائماً على أقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعاً من مخادع ذلك الأيوان وأخرج منه قمع سكر مكرر وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين في القدح وقال يا سيدي إن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فأشرب الآن فقد حلا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخولي قال لنور الدين إن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا فعند ذلك أخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملأ الكأس واحد من أولاد التجار قال يا سيدي نور الدين أنا عبدك وكذا الآخر قال أنا خدامك وقام الآخر وقال من أجل خاطري وقام الآخر وقال با عليك يا سيدي نور الدين أجبر بخاطري ولم يزل العشرة أولاد التجار بنور الدين إلى أن أسقوه العشرة أقداح كل واحد قدحاً وكان نور الدين باطنه بكر عمره ما شرب خمراً قط إلا في تلك الساعة فدار الخمر في دماغه وقوي عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال يا جماعة وا أنتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح إلا أنه يحتاج إلى سماع طيب فإن الشراب بلا سماع عدمه أولى من وجوده كما قال فيه الشاعر هذين البيتين:

أدرهـا بـالكبير والصـغير وخـذها مـن يـد القمـر المنيـر
ولا تشـرب بـلا طـرب فـإني رأيـت الخيـل تشـرب بالصـفير

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال أولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كأنها لية طرية أو فضة نقية أو دينار في صينية أو غزال في برية بوجه يخجل الشمس المضية وعيون بابلية وحواجب كأنها قسى محنية وخدود وردية و أسنان لؤلؤية ومراشف سكرية وعيون مرخية

ونهود عاجية وبطن خماسية وأعكان مطوية وأرداف كأنهن مخدات محشية وفخذين كالجداول الشامية وبينهما شيء كأنه صرة في بقجة مطوية كما قيل فيه هذه الأبيات:

ولـــو أنهـــا للمشـــركين تعرضـــت رأوا وجههـــا مـــن دون أصـــنامهم ربـــا

ولـــو أنهـــا فـــي الشـــرق لاحـــت لراهـــب لخلـــي ســـبيل الشـــرق واتبـــع الغربـــا

ولـــو تفلـــت فـــي البحـــر والبحـــر مـــالح لأصـــبح مـــاء البحـــر مـــن ريقهـــا عـــذباً

وتلك الصبية كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر وعليها بدلة زرقاء بقناع أخضر فوق جبين أزهر تدهش العقول وتحير أرباب المعقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خولي البستان جاءهم بالصبية التي ذكرنا أنها في غاية الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كأنها المرأة المراد بقول الشاعر:

أقبلـــت فـــي غلالـــة زرقـــاء لا زورديـــة كلـــون الســـماء

فتحققـــت فـــي الغلالـــة منهـــا قمـــر الصـــيف فـــي ليـــالي الشـــتاء

ثم أن الشاب خولي البستان قال لتلك الصبية أعلمي يا سيدة الملاح وكل كوكب لاح أننا ما قصدنا بحضورك في هذا المكان إلا أن تنادمي هذا الشاب المليح الشمائل سيدي نور الدين فإنه لم يأت محلنا إلا في هذا اليوم فقالت له الصبية ليتك كنت أخبرتني لأجل أن أجيء بالذي كان معي فقال لها سيدتي أنا أروح وأجيء به إليك فقالت افعل ما بدا لك فقال لها أعطيني أمارة فأعطته منديلاً فعند ذلك خرج سريعاً وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس أخضر من حرير أطلس بشكلين من الذهب يا فأخذته منه الصبية وحلته ونقضته فنزل منه اثنتان وثلاثون قطعة خشب ثم ركبت الخشب في بعضه على صورة ذكر في أنثى وأنثى في ذكر وكشفت عن معاصمها وأقامته فصار عوداً محلوكاً مجروداً صنعة الهمود ثم أنحنت عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها وزغزغته بأنامل يدها فعند ذلك أن العود ورن ولا ما كنه القديمة حن وقد تذكر المياه التي قد سقته والأرض التي نبت منها وتربى فيها وتذكر النجارين الذين قطعوه والدهانين الذين ذهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التي حملته فصرخ وصاح وعدد وناح وكأنها سألته عن ذلك كله فأجابها بلسان الحال منشذ هذه الأبيات:

لقـــد كنـــت عـــوداً للبلابـــل منـــزلاً أميـــل بهـــا وجـــد أو فرعـــي أخضـــر

ينوحـــون مـــن فـــوقي فعلمـــت نـــوحهم ومـــن أجـــل ذاك النـــوح ســـري مجهـــر

رمـــاني بـــلا ذنـــب علـــى الأرض قـــاطعي وصـــيرني عـــوداً نحـــيلاً كمـــا تـــروا

ولكـــن ضـــربي بالأنامـــل مخبـــر بـــأني قتيـــل فـــي الأنـــام مصـــبر

فمـــن أجـــل هـــذا صـــار كـــل منـــادم إذ مـــا رأى نـــوحي يهـــيم ويســـكر

وقـــد حـــنن المـــولى علـــى قلـــوبهم وقد صـــرت فـــي أعلـــى الصـــدور أصـــدر

تعانق قدي كل من فاق حسنها ... وكل غزال ناحل الطرف أحور
فلا فرق ا المهيمن بيننا ... ولا عاش محبوب يصد ويهجر

ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك أخذت ذلك العود في حجرها وانحنت عليه انحناءة الوالدة على ولدها وضربت عليه طرقاً عديدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية ضربت على العود طرقاً عديدة ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأنشدت هذه الأبيات:

لو أنهم جنحوا للصب أوزاروا ... لحط عنه من الأشواق أوزار
وعندليب على غصن يشاجره ... كأنه عاشق شطت به الدار
قم وانتبه فليالي الوصل مقمرة ... كأنها باجتماع الشمل أسحار
واليوم في غفلة عنا حواسدنا ... وقد دعتنا إلى اللذات أوتار
أما ترى أربعاً للهو قد جمعت ... آس وورد ومنثور وأنوار
واليوم قد جمعت للحظ أربعة ... صب وخل ومشروب ودينار
فأظفر بحظك في الدنيا فلذتها ... تفني وتبقي روايات وأخبار

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الأبيات نظر إليها بعين المحبة حتى كاد لا يملك نفسه من شدة الميل إليها وهي الأخرى كذلك لأنها نظرت إلى الجماعة الحاضرين من أولاد التجار كلهم وإلى نور الدين فرأته بينهم كالقمر بين النجوم لأنه كان رخيم اللفظ ذا دلال كامل القد والاعتدال والبهاء والجمال ألطف من النسيم وأرق من التسنيم كما قيل فيه هذه الأبيات:

قسماً بوجنته وباسم ثغره ... وباسهم قد راشها من سحره
وبلين معطفه ونبل لحاظه ... وبياض غرته وأسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن ناظري ... وسطا علي بنهيه وبأمره
وعقارب قد أرسلت من صدغه ... وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره ... وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبغصن قامته الذي هو مثمر ... زمانه يزهو جناه بصدره
وبردفه المريح في حركاته ... وبسكونه وبدقة في خصره
وحرير ملبسه وخفة ذاته ... وبما حواه أمن الجمال بأسره
أن الشذا قد من أنفاسه ... والريح تروي طيبها عن نشره
وكذاك الشمس المنيرة دونه ... وكذا الهلال قلامة من ظفره

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها أعجبه نظامها وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول:

عـــــــوادة مالـــــــت بنـــــــا ... فـــــــي نشـــــــوة المنتبـــــــذ

قالـــــــت لنـــــــا أوتارهـــــــا ... أنطقنـــــــا الـــــــذي

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وأنشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة وزادت فيه عشقاً وغراماً وقد صاحت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانياً وأنشدت هذه الأبيات:

يعـــاتبني علـــى نظـــري إليـــه ... ويهجرنـــي وروحـــي فـــي يديـــه

ويبعـــدني ويعلـــم مـــا بقلبـــي ... كـــأن الله قـــد أوحـــى إليـــه

كتبـــت مثالـــه فـــي وســـط كفـــي ... وقلـــت لنـــاظري عـــول عليـــه

فـــلا عينـــي تـــرى منـــه بـــديلا ... ولا قلبـــي يصـــبرني لديـــه

فيـــا قلبـــي نزعتـــك مـــن فـــؤادي ... لأنـــك بعـــض حســـادي عليـــه

إذا مـــا قلـــت يـــا قلبـــي تســـلى ... فقلبـــي لـــم يمـــل إلا إليـــه

فلما أنشدت الصبية تلك الأبيات تعجب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر أن يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال إليها وضمها إلى صدره فانطبقت الأخرى عليه وصارت بكليتها لديه وقبلته بين عينيه وقبل هو فاهها بعد ضم القوام ولعب معها في التقبيل كزق الحمام فالتفتت له وفعلت معه مثل ما فعل معها فهام الحاضرون وقاموا على أقدامهم فاستحى نور الدين ورفع يده عنها ثم أنها أخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذه الأبيات:

قمـــر يســـل مـــن الجفـــون إذا انثنـــى ... عضـــبا ويهـــزأ بـــالغزل إذا رنـــا

ملـــك محاســـنه البديعـــة جنـــده ... ولـــدى الطعـــان قوامـــه يحكـــي القنـــا

لـــو أن رقـــة خصـــره فـــي قلبـــه ... مـــا جـــار قـــط علـــى المحـــب ولا جنـــى

يـــا قلبـــه القاســـي ورقـــة خصـــره ... هـــلا نقلـــت إلـــى هنـــا مـــن هنـــا

يـــا عـــاذلي فـــي حبـــه كـــن عـــاذري ... فلـــك البقـــاء بحســـنه ولـــي الفنـــا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال إليها من الطرب ولم يملك عقله من شدة العجب ثم أنشد هذه الأبيات:

قلـد خلتهـا شـمس الضـحى فتخيلـت ولكـن لهيـب الحـر منهـا بمهجتـي
ومـاذا عليهـا لـو أشـارت فسـلمت علينـا بـأطراف البنـان وأومـت
رأى وجههـا اللاحـي فقـال وتـاه فـي محاسـنها اللاتـي عـن الحسـن جلـت
أهـذي التـي قـد همـت شـوقاً بحبهـا فإنـك معـذور فقالـت هـي التـي
ومتنـي بسـهم اللحـظ عمـداً ومارثـت لحـالي وذلـي وأنكسـاري وغربتـي
فأصـبحت مسـلوب الفـؤاد متيمـاً أنـوح وأبكـي طـول يـومي وليلتـي

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته وأخذت عودها وضربت عليه بأحسن حركاتها وأعادت جميع النغمات ثم أنشدت هذه الأبيات:

وحيـاة وجهـك يـا حيـاة الأنفـس لا حلـت عنـك يئسـت أم لـم أيـأس
فلـئن جفـوت فـإن طيفـك واصـل أو غبـت عـن عينـي فـذكرك مؤنسـي
يـا موحشـاً طرفـي وتعلـم أننـي أبـداً بغيـر هـواك لـم أسـتأنس
خـداك مـن ورد وريقـك قهـوة هـلا سـمحت بهـا بهـذا المجلـس

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية بعد ما فرغت من شعرها طرب نور الدين من إنشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم أجابها عن شعرها بهذه الأبيات:

ما أسفرت عن محيـا الشـمس فـي الغسـق ألا تحجـب بـدر الـتم فـي الأفـق
ولا بـدت لعيـون الصـبح طرتهـا إلا وعـوذت ذاك الفـرق بـالفلق
خذ عـن مجـاري دمـوعي فـي تسلسـلها وأرو حـديث الهـوى مـن أقـرب الطـرق
ورب راميـة بالنبـل قلـت لهـا مهـلاً بنبلـك أن القلـب فـي فـرق
إن كـان دمعـي لبحـر النيـل نسـبته فـإن ودك منسـوب إلـى الملـق
قالـت فهـات جميـع المـال قلـت خـذي قالـت ونومـك أيضـا قلـت مـن حـدقي

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبهاواندهش لبها وقد احتوى على مجامع قلبها فضمته إلى صدرها وصارت تقبله تقبيلاً كزق الحمام وكذلك الآخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق وبعد أن فرغت من التقبيل أخذت العود وأنشدت هذه الأبيات:

ويــلاه ويلــي مــن ملامــة عــاذلي ... أشــكوه أم أشــكو إليــه تململــي

يــا هــاجري مــا كنــت أحســب أنني ... ألقــى الإهانــة فــي هــواك وأنــت لــي

عنفــت أربــاب الصــبابة بــالجوي ... وأبحــت فيــك لعاذليــك تــذللي

بــالأمس كنــت ألــوم أربــاب الهــوى ... واليــوم أعــذر كــل صــب مبتلــي

وإن اعترتنــي مــن فراقــك شــدة ... أصــبحت أدعــو ا باســمك يــا علــي

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها أيضاً أنشدت هذين البيتين:

قــد قالــت العشــاق أن لــم يســقنا ... مــن ريقــه ورحيــق فيــه السلســل

نــدعو إلــه العــالمين يجيبنــا ... ويقــول فيــه الكــل منــا يــا علــى

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها وشكرها على ظرافة أفتنانها فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت من وقتها وساعتها على قدميها وخلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ وتجردت من ذلك كله ثم جلست على ركبتيها وقبلته بين عينيه وعلى شامتي خديه ووهبت له جميع ذلك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية وهبت كل ما كان عليها لنور الدين وقالت له اعلم يا حبيب قلبي أن الهدية على مقدار مهديها فقبل ذلك منها نور الدين ثم رده عليها وقبلها في فمها وخديها وعينيها فلما انقضى ذلك ولم يدم إلا الحي القيوم رازق الطاووس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف على قدميه فقالت له الصبية إلى أين يا سيدي فقال إلى بيت والدي فحلف عليه أولاد التجار أنه ينام عندهم فأبى وركب بغلته ولم يزل سائراً حتى وصلت إلى بيت والده فقامت له أمه وقالت له يا ولدي ما سبب غيابك إلى هذا الوقت وا أنك قد شوشت علي وعلى والدك لغيابك عنا وقد اشتغل خاطرنا عليك ثم أن أمه تقدمت إليه لتقبله في فمه فشمت منه رائحة الخمر فقالت يا ولدي كيف بعد الصلاة والعبادة صرت تشرب الخمر وتعصي من له الخلق والأمر فبينما هما في الكلام وإذا بوالده قد أقبل ثم أن نور الدين ارتمى في الفراش ونام فقال أبوه ما لنور الدين هكذا قالت له أمه كأن رأسه أوجعته من هواء البستان فعند ذلك تقدم والده ليسأله عن وجعه ويسلم عليه فشم رائحة الخمر وكان ذلك التاجر المسمي تاج الدين لا يحب من يشرب الخمر فقال له ويلك يا ولدي هل بلغ بك السفه إلى هذا الحد حتى تشرب الخمر فلما سمع نور الدين كلام والده رفع يده في سكره واطمه بها فجاءت اللاطمة بالأمر المقدر على عين والده اليمنى فسالت على خديه فوقع على الأرض مغشياً عليه

واستمر في غشيته ساعة فرشوا عليه ماء الورد فلما أفاق من غشيته أراد أن يضربه فحلف بالطلاق من أمه أنه إذا أصبح الصباح لابد من قطع يده اليمنى فلما سمعت أمه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تدادي والده وتأخذ بخاطره إلى أن غلب عليه النوم فصبرت إلى أن طلع القمر وأتت إلى ولدها وقد زال عنه السكر فقالت له يا نور الدين ما هذا الفعل القبيح الذي فعلته مع والدك فقال لها وما الذي فعلته مع والدي فقالت أنك لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده وقد حلف بالطلاق أنه إذا أصبح الصباح لابد أن يقطع يدك اليمنى فندم نور الدين على ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما ندم على ما وقع منه قالت له أمه يا ولدي أن هذا الندم لا ينفعك وأنما ينبغي لك أن تقوم في هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك وتختفي عند خروجك حتى تصل إلى أحد من أصحابك وانتظر ما يفعل ا فإنه يغير حالاً بعد حال ثم أن أمه فتحت صندوق المال وأخرجت منه كيساً فيه مائة دينار وقالت له يا ولدي خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك فإذا فرغت منك يا ولدي فأرسل أعلمني حتى أرسل إليك غيرها وإذا راسلتني فأرسل إلى أخبارك سراً ولعل ا أن يقدر لك فرجاً وتعود إلى منزلك ثم أنها ودعته وبكت بكاء شديداً ما عليه مزيد فعند ذلك أخذ نور الدين كيس الدنانير من أمه وأراد أن يخرج فرأى كيساً كبيراً قد نسيته أمه بجنب الصندوق فيه ألف دينار فأخذه نور الدين ثم ربط الأثنين في وسطه مخرج من الزقاق وتوجه إلى جهة بولاق قبل الفجر فلما أصبح الصباح وقامت الخلائق توحد الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم إلى مقصده ليحصل ما قسم ا له كان نور الدين وصل إلى بولاق فصار يتمشى على ساحل البحر فرأي مركباً سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها أربع مدقوقة في البر ورأى مركباً سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها أربع مدقوقة في البر ورأي البحرية واقفين فقال لهم نور الدين إلى أين أنتم مسافرون فقالوا إلى مدينة اسكندرية فقال لهم نور الدين خذوني معكم فقالوا له أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا شاب يا مليح فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى إلى السوق واشتري ما يحتاج إليه من زاد وفرش وغطاء ثم رجع إلى المركب وكانت تلك المركب تجهزت للسفر فلما نزل نور الدين في المركب لم تمكث إلا قليلاً وسارت من وقتها وساعتها ولم تزل تلك المركب سائرة حتى وصلت إلى مدينة رشيد فلما وصلوا إلى هناك رأى نور الدين زورقاً صغيراً سائراً إلى اسكندرية فنزل فيه وعدي الخليج ولم تزل سائراً إلى أن وصل إلى قنطرة تسمى قنطرة الجامي فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له باب السدرة وقد ستر ا عليه فلم ينظره أحد من الواقفين في الباب فمشى نور الدين حتى دخل مدينة اسكندرية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما دخل مدينة اسكندرية رآها مدينة خصينة الأسوار حسنة المنتزهات تلذ لسكانها وترغب في استيطانها قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع

بورده وازدهت أزهارها وأورقت أشجارها وأينعت أثمارها وتدفقت أنهارها وهي مدينة مليحة الهندسة والقياس وأهلها أجناد من خيار الناس إذا غلقت أبوابها أمنت أصحابها وهي كما قيل فيها هذه الأبيات:

قـــد قلـــت يومـــاً لخـــل	لـــه مقـــال فصـــيح
اسـكندريه صـــفها	فقـــال ثغـــر ملـــيح
وقلـــت فيهـــا معـــاش	قـــال أن هـــب ريـــح

فمشى نور الدين في تلك المدينة ولم يزل ماشياً فيها إلى أن وصل إلى سوق التجاريين ثم إلى سوق الصرافين ثم إلى سوق النقلية ثم إلى سوق الفكهانية ثم إلى سوق العطارين وهو يتعجب من تلك المدينة لأن وصفها قد شاكل اسمها فبينما هو يمشي في سوق العطارين إذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلم عليه ثم أخذه من يده ومضى به إلى منزله فرأى نور الدين زقاقاً مليحاً مكنوساً مرشوشاً قد هب عليه النسيم وراق وظللته من الأشجار أوراق وفي ذلك الزقاق ثلاث دور وفي صدر ذلك الزقاق دار أساسها راسخ في الماء وجدرانها شاهقة إلى عنان السماء قد كنسوا الساحة إلى قدامها ورشوها وبشم روائح الأزهار قاصدوها يقابلها النسيم كأنه من جنات النعيم فأول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش وآخره بالرخام مفروش فدخل الشيخ بنور الدين إلى تلك الدار وقدم له شيئاً من المأكول فأكل معاً فلما فرغ من الأكل معاً قال له الشيخ متى كان القدوم من مدينة مصر إلى هذه المدينة فقال له يا والدي في هذه الليلة قال له ما اسمك قال له علي نور الدين فقال له الشيخ يا ولدي يا نور الدين يلزمني الطلاق ثلاثاً أنك ما دمت مقيماً في هذه المدينة لا تفارقني وأنا أخلي لك موضعاً تسكن فيه فقال له نور الدين يا سيدي الشيخ زدني بك معرفة فقال له يا ولدي اعلم أني دخلت مصر في بعض السنين بتجارة فبعتها فيها واشتريت متجراً آخر فاحتجت إلى ألف دينار فوزنها عني والدك تاج الدين من غير معرفة له بي ولم يكتب على بها منشوراً وصبر على بها إلى أن رجعت إلى هذه المدينة وأرسلتها إليه مع بعض غلماني ومعها هدية وقد رأيتك وأنت صغير وإن شاء ا تعالى أجازيك ببعض ما فعل والدك معي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العطار قال لنور الدين إن شاء ا أجازيك ببعض ما فعل والدك معي فلما سمع نور الدين هذا الكلام أظهر الفرح والابتسام وأخرج الكيس الذي فيه ألف دينار وأعطاه لذلك الشيخ وقال له خذ هذا وديعة عندك حتى اشتري به شيئاً من البضائع لا تجر فيه ثم أن نور الدين أقام في مدينة اسكندرية مدة أيام وهو يتفرج كل يوم في شارع من شوارعها ويأكل ويشرب ويلتذ ويطرب إلى أن فرغت المائة دينار التي كانت معه برسم النفقة فأتى إلى الشيخ العطار ليأخذ شيئاً منه من الألف دينار وينفقه فلم يجده في الدكان فجلس في دكانه ينتظره إلى أن يعود وصار يتفرج على التجار ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال فبينما هو كذلك إذا بأعجمي قد أقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كأنها فضة نقية أو بلطية في فسقيه أو غزالة في برية بوجه يخجل الشمس المضية وعيون بابلية ونهود عاجية وأسنان لؤلؤية

وبطن خماصية وأعطاف مطوية وسيقان كأطراف لية كاملة الحسن والجمال ورشيقة القد والاعتدال عشر بغاية كما قال فيها بعض واصفيها.

كأنهـا مثـل مـا تهـواه قـد خلقـت في رونق الحسن لا طـول ولا قصـر"
الورد من خـدها يحمـر مـن خجـل والغصن مـن قـدها بزهونـه الثمـر
البـدر طلعـت والمسـك نكهتهـا والغصن من قامتها مـا مثلهـا بشـر
كأنهـا أفرغـت مـن مـاء لؤلـؤة في كـل جارحـة مـن حسـنها قمـر

ثم أن الأعجمي نزل عن بغلته وأنزل الصبية وصاح على الدلال فحضر بين يديه فقال له خذ هذه الجارية وناد عليها في السوق فأخذها الدلال ونزل بها إلى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسي من الآبنوس مزركش بالعاج الأبيض فوضعه الدلال على الأرض وأجلس عليه تلك الصبية ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمي أو كوكب دري وهي كأنها البدر في ليلة أربعة عشر بغاية الجمال الباهر كما قال فيها الشاعر:

قد عارض البدر جهلاً حسن صـورتها فـراح منكسـفاً وانشـق بالغضـب
وسـرحة البـان أن قيسـت بقامتهـا تبت يداً مـن غـدت حمالـة الحطـب

وما أحسن قول الشاعر:

قل للمليحة في الخمار المـذهب مـاذا فعلـت بعابـد مترهـب
نـور الخمـار ونـور وجهـك تحتـه هزمـا بضـوئهما جيـوش الغيهـب
وإذا أتـى طرفـي ليسـرق نظـرة فـي الخـد حـراس رمتـه بكوكـب

فعند ذلك قال الدلال للتجار كم دفعتم في درة الغواص وفليتة القناس فقال له تاجر من التجار علي بمائة دينار وقال آخر بمائتين وقال آخر بثلثمائة ولم يزل التجار يتزايدون في تلك الجارية إلى أن أوصلوا ثمنها إلى تسعمائة وخمسين ديناراً وتوقف البيع على الإيجاب والقبول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التجار يتزايدون في الجارية إلى أن بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينار فعند ذلك أقبل الدلال على الأعجمي سيدها وقال له إن جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً فهل نبيع ونقبض لك الثمن فقال الأعجمي هل هي راضية بذلك فأني أحب مراعاة خاطرها لأني ضعفت في هذه السفرة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة فحلفت أني لا أبيعها إلا لمن تشتهي وتريد وجعلت بيعها بيدها فشاورها فإن قالت رضيت فبعها لمن أرادته وإن قالت لا فلا تبيعها فعند ذلك تقدم الدلال إليها وقال لها يا

سيدة الملاح اعلمي أن سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين ديناراً أفتأذنين أن أبيعك فقالت الجارية للدلال أرني الذي يريد أن يشتريني قبل انعقاد البيع فعند ذلك جاء الدلال بها إلى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم فنظرت إليه الجارية ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت إلى الدلال وقالت له يا دلال هل أنت مجنون ومصاب في عقلك فقال لها الدلال لأي شيء يا سيدة الملاح تقولين لي هذا الكلام فقالت له الجارية أيحل لك من ا أن تبيع مثلي لهذا الشيخ الهرم الذي قال في شأن زوجته هذه الأبيات:

تقول لي وهـي غضـبى مـن تـدللها   وقد دعتنـي إلـى شـيء فمـا كانـا

إن لـم تنكنـي نيـك المـرء زوجتـه   فــلا تلمنــي إذا أصــبحت قرنانــا

كــان أيــرك شــمع مــن رخاوتــه   فكلمــا عركتــه راحتــي لانــا

فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبية هذا الهجو القبيح اغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وقال للدلال يا أنحس الدلالين ما جئت لنا في السوق إلا بجارية مشئومة تتجارى على وتهجوني بين التجار فعند ذكل أخذها الدلال وانصرف عنه وقال لها يا سيدتي لا تكوني قليلة الأدب إن هذا الشيخ الذي هجوتيه هو شيخ السوق ومحتسبه وصاحب مشورة التجار فضحكت وأنشدت هذين البيتين:

يصــلح للحكــام فــي عصــرنا   وذاك للحكــام ممــا يجــب

الشــنق للــوالي علــى بابــه   والضــرب بالــدرة للمحتســب

ثم أن الجارية قالت للدلال وا يا سيدي أنا لا أباع لهذا الشيخ فبعني إلى غيره لأنه ربما خجل مني فيبيعني إلى آخر فأصير ممتهنة ولا ينبغي لي أن أدنس نفسي بالامتهان وقد علمت أن أمر بيعي مفوض إلى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للدلال لا ينبغي أن أدنس نفسي بالامتهان وقد علمت أن أمر بيعي مفوض إلي فقال لها الدلال سمعاً وطاعة ثم توجه بها إلى رجل من التجار الكبار فلما وصل بها إلى ذلك الرجل قال لها يا سيدتي هل أبيعك إلى سيدي شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين دينار فنظرت إليه الجارية فرأته شيخاً ولكن لحيته مصبوغة فقالت للدلال هل أنت مجنون أو مصاب في عقلك حتى تبيعني إلى هذا الشيخ الفاني فهل أنا من كتكت المشاق أو من مهلهل الأخلاق حتى تطوف بي على شيخ بعد شبح وكلاهما كحد أرآيل إلى السقوط أو عفريت محقة النجم بالهبوط أما الأول فإنه ناطق فيه لسان الحال يقول من قال:

طلبــت قبلتهــا فــي الثغــر قائلــة   لا والذي أوجـد الأشـياء مـن عـدم

ما كان لي في بياض الشيب مـن أرب   ا في الحياة يكون القطن حشـو فمـي

وأما الآخر فإنه ذو عيب وريب ومسود وجه الشيب قد أتى في خضاب شيبه بأقبح عين وأنشد لسان حاله هذين البيتين:

قالت أراك خضبت الشـيب قلـت لهـا	كتمة عنك يـا سـمعي ويـا بصـري
فقهقهـت ثـم قالـت أنـي ذا عجـب	تكاثر الغش حتى صـار فـي الشـعر

فلما سمع الشيخ الذي صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وقال للدلال يا أنحس الدلالين ما جئت في هذا اليوم سوقنا إلا بجارية سفيهة تسفه على كل من في السوق واحد أبعد واحد وتهجوهم بالأشعار والكلام الفشار ثم أن ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه فأخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال وا أني ما رأيت عمري جارية أقل حياء منك وقد قطعت رزقي ورزقك في هذا النهار وقد أبغضتني من أجلك جميع التاجر فرآها في الطريق رجل من التجار فزاد في ثمنها عشرة دنانير وكان أسم ذلك التجار شهاب الدين فاستأذن الدلال الجارية في البيع فقالت أرني أياه حتى انظر إليه وسأله عن حاجة فإن كانت تلك الحاجة في بينه فأنا أباع له وإلا فلا فخلاها الدلال واقفه ثم تقدم إليه وقال له يا سيدي شهاب الدين أعلم أن هذه الجارية قالت لي أنها تسألك عن حاجة فإن كانت عندك فإنها تباع لك وها أنت وقد سمعت ما قالته لأصحابك من التجار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدلال قال للتاجر أنك سمعت ما قالته هذه الجارية لأنك أنصح التجار لأنك أنصح التجار وا خائف أن أجيء فقال أئتني بها فقال الدلال سمعاً وطاعة ثم ذهب الدلال وأتني بالجارية إليه فنظرت الجارية وقالت له يا سيدي شهاب الدين هل في بيتك مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فقال لها نعم يا سيدية الملاح عندي في البيت عشرة مدورات مدورة بقطاعة فرو السنجاب فبا عليك ماذا تصنعين بهذه المدورات فقالت اصبر عليك حتى ترقدوا جعلها على فمك وأنفك حتى تموت ثم أنها التفتت إلى الدلال وقالت له يا أخس الدلالين كأنك مجنون حتى تعرضني منذ ساعة على اثنين من الشيوخ في كل واحد منهما عيبان وبعد ذلك تعرضني على سيدي شهاب الدين وفيه ثلاث عيوب الأول أنه قصير والثاني أنه كبير والثالث أن لحيته طويلة وقد قال فيه بعض الشعراء.

مـــا رأينـــا ولا ســـمعنا بشـــخص	مثـــل هـــذا بـــين الخلائـــق أجمـــع
فلـــه لحيـــة طـــول ذراع وأنـــف	طـــول شـــبر وقامـــة طـــول أصـــبع

فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان وأخذ بطوق الدلال وقال له يا أنحس الدلالين كيف تأتي إلينا بجارية توبخنا وتهجونا واحداً بعد واحد بالأشعار والكلام الفشار فعند ذلك أخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها وا طول عمري وأنا في هذه الصناعة ما رأيت جارية أقل أدباً منك ولا أنحس على من نجمك لأنك قطعت رزقي في هذا اليوم ولا ربحت منك إلا الصفع على القفا والأخذ

بالطوق ثم أن الدلال وقف بتلك الجارية أيضاً على تاجر صاحب عبيد وغلمان وقال لها أتباعين لهذا التاجر سيدي علاء الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدلال قال للجارية اتباعين لسيدي علاء الدين فنظرته فوجدته أحدب فقالت أن هذا أحدب وقد قال فيه الشاعر

قصــرت مناكبــه وطــال قفــاه   فحكــاه شــيطان يصــادف كوكبــاً
وكـــان قـــد ذاق أول مـــرة   وأحـــس ثانيـــة فصـــار محـــدباً

فعند ذلك أسرع الدلال إليها وأخذها وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها أتباعين لهذا فنظرت إليه فوجدته أعمش فقالت أن هذا أعمش كيف تبعني له وقد قال فيه بعض الشعراء.:

رمـــــــــد أمراضـــــــــه   هـــــدت قـــــواه لحينـــــه
يــا قــوم قومــوا فــانظروا   هــذا القــذي فــي عينــه

فعند ذلك أخذها الدلال وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها اتباعين لهذا فنظرت إليه فرأت لحيته كبيرة فقالت للدلال ويلك أن هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله في حلقه كيف تبيعني له يا أنحس الدلالين أما سمعت أن كل طويل الذقن قليل العقل وعلى قدر طول اللحية يكون نقصان في العقل وهذا الأمر مشهور بين العقلاء كما قال فيه بعض الشعراء.

مــا رجــل طالــت لــه لحيــة   فــزادت اللحيــة فــي هيبتــه
إلا ومــا يــنقص مــن عقلــه   يكــون طــولاً زاد فــي لحيتــه

فعند ذلك أخذها الدلال ورجع فقالت له أين تتوجه فقال لها إلى سيدك الأعجمي وكفانا ما جرى لنا بسببك في هذا النهار وقد تسببت في منع رزقي ورزقه بقلة أدبك ثم أن الجارية نظرت في السوق والتفتت يميناً وشمالاً وخلفاً وأماماً فوقع نظرها بالأمر المقدر على نور الدين على المصري فرأته شاباً مليحاً نقي الخدر شيق القد وهو ابن أربع عشرة سنة بديع الحسن والجمال والظرف والدلال كأنه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر بجبين أزهر وخد أحمر وعنق كالمرمر وأسنان كالجوهر وريق أحلى من السكر كما قال فيه بعض واصفيه.

بــدت لتحــاكي حســنه وجمالــه   بــدور وغــزلان فقلــت لهــا قفــي
رويــدك يــا غــزلان لا تتشــبهي   بهــذا ويــا أقمــار لا تتكلفــي

وما أحسن قول بعض الشعراء

ومهفهــف مــن شــعره وجبينــه   تغــدو الــورى ظلمــة وضــياء
لا تنكــروا الخــال الــذي فــي خــده   كــل الشــقيق بنقطــة ســوداء

فلما نظرت تلك الجارية إلى نور الدين حال بينها وبين عقلها ووقع في خاطرها موقعاً عظيماً وتعلق قلبها بمحبته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما رأيت علياً نور الدين تعلّق قلبها بمحبته فالتفتت إلى الدلال وقالت له هل هذا الشاب التاجر الذي هو جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودي ما زاد في ثمني شيئاً فقال لها الدلال يا سيدة الملاح أن هذا شاب غريب مصري ووالده من أكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها وأكابرها وله مدة يسيرة في هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من أصحاب أبيه ولم يتكلم فيك بزيادة ولا نقصان فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعت من أسمعها خاتم ياقوت مثمناً وقالت أوصلني عن هذا الشاب المليح فإن اشتراني كان هذا الخاتم لك في نظير تعبك في هذا اليوم معنا ففرح الدلال وتوجه إلى نور الدين فلما صارت عنده تأملته فرأته كأنه بدر التمام لأنه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال فقالت له يا سيدي با عليك ما أنا مليحة فقال لها يا سيدة الملاح وهل في الدنيا أحسن منك فقالت له الجارية ولأي شيء رأيت التجار كلهم زادوا في ثمنى وأنت ساكت ما تكلمت بشيء ولا زدت في ثمني ديناراً واحداً كأنني ما عجبتك يا سيدي فقال لها يا سيدتي لو كنت في بلادي كنت اشتريتك بجميع ما تملكه يدي من المال فقالت له ياسيدي أنا ما قلت لك اشترني على غير مرادك ولكن لو زدت في ثمني بشيء لجبرت بخاطري ولو كنت لا تشتريني لأجل أن تقول التجار لولا أن هذه الجارية مليحة ما زاد فيها هذا التاجر المصري لأن أهل مصر لهم خبرة بالجواري فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذي ذكرته وأحمر وجهه وقال للدلال كم بلغ ثمن هذه الجارية قال بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً غير الدلالة وأما قانون السلطان فإنه على البائع فقال نور الدين للدلال خلّها علي بالألف دينار دلالة وثمناً فبادرت الجارية وتركت الدلّال وقالت بعت نفسي لهذا الشاب المليح بألف دينار فسكت نور الدين فقال واحد بعناه وقال آخر يستاهل وقال آخر ملعون ابن ملعون من يزود ولا يشتري وقال آخر وا أنهما يصلحان لبعضهما فلم يشعر نور الدين إلا والدلّال أحضر القضاة والشهود وكتبوا عقد البيع والشراء في ورقة وناولها لنور الدين. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدلال ناول ورقة الشراء لنور الدين وقال له تسلم جاريتك ا يجعلها مباركة عليك فهي ما تصلح إلا لك ولا تصلح أنت إلا لها وأنشد الدلّال هذين البيتين:

اتتـ ـ ـــه السـ ـ ـــعادة منقـ ـ ـــادة	إليـ ـ ـــه تجرجـ ـ ـــر أذيالهـ ـ ـــا
فلـ ـــم تـ ـــك تصـ ـــلح إلا لـ ـــه	ولـ ـــم يـ ـــك يصـ ـــلح إلا لهـ ـــا

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعته ووزن الألف دينار التي كان وضعها وديعة عند العطار صاحب أبيه وأخذ الجارية وأتى بها إلى البيت الذي أسكنه فيه العطار فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه بساط خلق ونطعاً عتيقاً فقالت له يا سيدي هل أنا مالي منزلة عندك فقال لها نور الدين وا يا

سيدة الملاح ما هذا بيتي الذي أنا فيه ولكنه ملك لشيخ عطار من أهل هذه المدينة وقد أخلاه لي وأسكنني فيه وقد قلت لك أنني غريب وأنني من أولاد مدينة مصر فقالت له الجارية يا سيدي أقل البيوت يكفي إلى أن نرجع إلى بلادك ولكن يا سيدي با عليك أن تقوم وتأتي لنا بشيء من اللحم المشوي والمدام والنقل والفاكهة فقال لها نور الدين وا يا سيدة الملاح ما كان عندي من المال غير الألف دينار الذي ورنته في ثمنك ولا أملك غير تلك الدنانير شيئاً من المال وكان معي بعض دراهم صرفتها بالأمس فقالت له أمالك في هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهماً وتأتيني بها حتى أقول لك أي شيء تفعل بها فقال لها مالي صديق سوى العطار ثم ذهب من وقته وتوجه إلى العطار وقال له السلام عليك يا عم فرد عليه السلام وقال يا ولدي أي شيء اشتريت بالألف دينار في هذا اليوم فقال له اشتريت بها جارية فقال له يا ولدي هل أنت مجنون حتى تشتري جارية واحدة بألف دينار يا ليت شعري ما جنس هذه الجارية فقال نور الدين يا عم أنها جارية من أولاد الإفرنج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين قال للشيخ العطار أنها جارية من أولاد الإفرنج فقال له الشيخ أعلم يا ولدي أن جباراً ولاد الأفرنج عندنا في هذه المدينة ثمنه مائتي دينار ولكن وا يا ولدي قد عملت عليك حيلة في هذه الجارية فإن كنت أحببتها فبت عندها في هذه الليلة وأقض غرضك منها وأصبح أنزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتي دينار وقدر أنها غرقت في البحر أو طلع عليك اللصوص في الطريق فقال نور الدين كلامك صحيح ولكن يا عم أنت تعرف أنه ما كان معي غير الألف دينار التي اشتريت بها الجارية ولم يبق معي شيء أنفقه ولا درهم واحد وإني أريد من فضلك وإحسانك أن تقرضني خمسين درهماً أنفقها إلى غد فأبيع الجارية وأوردها لك من ثمنها فقال الشيخ أعطيك يا ولدي على الرأس والعين ثم وزن له خمسين درهماً وقال له يا ولدي أنت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما تعلّق بها قلبك فما يهون عليك أن تبيعها وأنت ما تملك شيئاً تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهماً فتأتيني فأقرضك أول مرة وثاني مرة وثالث مرة إلى عشر مرات فإذا أتيتني بعد ذلك فلا أرد عليك السلام الشرعي وتضيع محبتنا مع والدك ثم ناوله الشيخ خمسين درهماً فأخذها نور الدين وأتى بها إلى الجارية فقالت له يا سيدي رح السوق في هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهماً حريراً ملوناً خمسة ألوان وهات لنا بالثلاثين الأخرى لحماً وخبزاً وفاكهة وشراباً ومشموماً فعند ذلك ذهب نور الدين إلى السوق واشتري منه كل ما طلبته تلك الجارية وأتى به إليها فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن يدها وطبخت طعاماً وأتقنته غاية الإتقان ثم قدمت له الطعام فأكل وأكلت معه حتى اكتفيا ثم قدمت المدام وشربت هي وإياه ولم تزل تسقيه وتؤانسه إلى أن سكر ونام فقامت الجوية من وقتها وساعتها وأخرجت من بقجتها جراباً من أديم طائفي وفتحته وأخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها إلى أن فرغ فصار زنار مليحاً فلفته في خرقة بعد صقله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرت ونامت بجانب نور الدين وكبسته فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقية أنعم من الحرير واطفي من الليلة وهي أشهر من علم وأحسن من حمر النعم خماسية القد قاعدة النهد بحواجب كأنها قسى السهام وعيون كأنها عيون غزلان وخدود كأنها شقائق النعمان وبطن خميصة الأعكان

وسرة تسع أوقية من دهن البان وفخذان كأنهما مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما شيء يكل عن وصفه اللسان وتنسكب عند ذكره العبرات فعند ذلك التفت نور الدين من وقته وساعته إلى تلك الجارية وضمها إلى صدره ومص شفتها الفوقية بعد أن مص التحتية ثم رزق اللسان بين الشفتين وقام إليها فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأزال بكارتها ونال منها الوصال وانعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال وتابع في خدها تقبيلاً كوقع الحصى في الماء وزهرا كطعن الرماح في مغارة الشعواء لأن نور الدين كان مشتاقاً إلى اعتناق الحور ومص الثغور وحل الشعور وضم الخصور وعض الخدود وركب النهود مع حركات مصرية وغنج يمانية وشهيق حبشية وفتور هندية وغلمة نوبية وتضجر ريفية وأنين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرانية وكانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال والدلال ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية إلى الصباح في لذة وانشراح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين نام هو وتلك الجارية إلى الصباح في لذة وانشراح لابسين حال العناق محكمة الأزرار آمنين طوارق الليل والنهار في الوصال كثرة القيل والقال وقد باتا على أحسن حال ولم يخشيا فلما أصبح الصباح وأضاء بنور ولاح انتبه نور الدين من نومه فرآها أحضرت الماء فاغتسل هو وإياها وأدى ما عليه من الصلاة لربه ثم أتته بما تيسر من المأكول والمشروب فأكل وشرب ثم أدخلت الجارية يدها تحت المخدة وأخرجت الزنار الذي صنعته بالليل وناولته أياه وقالت له يا سيدي خذ هذا الزنار فقال لها من أين هذا الزنار فقالت له يا سيدي هو الحرير الذي اشتريته البارحة بالعشرين درهماً فقم واذهب به إلى سوق العجم وأعطه للدلال لينادي عليه ولا تبعه إلا بعشرين ديناراً سالمة فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح هل شيء بعشرين درهماً يباع بعشرين ديناراً يعمل في ليلة واحدة قالت له الجارية يا سيدي أنت ما تعرف قيمة هذا ولكن اذهب به إلى السوق وأعطه للدلال فإذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته فعند ذلك أخذ نور الدين الزنار من الجارية وأتى به إلى سوق الأعاجم وأعطى الزنار للدلال وأمره أن ينادي عليه وقعد نور الدين على مصطبة دكان فغاب الدلال عنه ساعة ثم أتى إليه وقال له يا سيدي قم أقبض ثمن زنارك فقد بلغ عشرين ديناراً سالمة ليدك فلما سمع نور الدين كلام الدلال تعجب غاية العجب واهتز من الطرب وقام ليقبض العشرين ديناراً وهو ما بين مصدق ومكذب فلما قبضها ذهب من ساعته واشترى بها كلها حريراً من سائر الألوان لتعمله الجارية كله زنانير ثم رجع إلى البيت وأعطاها الحرير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما اشترى بالعشرين ديناراً حريراً أعطاه للجارية وقال لها أعمليه كله زنانير وعلميني أيضاً حتى أعمل معك فأني طول عمري ما رأيت صنعة أحسن من هذه الصنعة ولا أكثر مكسباً منها قط وأنها وا أحسن من التجارة بألف مرة فضحكت الجارية من كلامه وقالت له يا سيدي نور الدين أمض إلى صاحبك العطار واقترض منه ثلاثين درهماً وفي غد ادفعها له من ثمن الزنار هي والخمسين درهماً التي اقترضتها منه قبلها فقام نور الدين وأتى إلى صاحبه العطار وقال له يا عم

اقرضني ثلاثين درهماً جملة وفي غد إن شاء الله تعالى أجيء لك بثمانين درهماً جملة واحدة فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلاثين درهماً فأخذها نور الدين وأتى بها إلى السوق واشترى بها لحماً وخبزاً ونقلا وفاكهة ومشموماً كما فعل بالأمس وأتى بها إلى الجارية وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية فلما أخذت اللحم قامت من وقتها وساعتها وهيأت طعاماً فخرا ووضعته قدام سيدها نور الدين ثم بعد ذلك هيأت سفرت المدام وتقدمت تشرب هي وإياه وصارت تملأ وتسقيه ويملأ ويسقيها فلما لعب المدام بعقلهما أعجبها حسن لطافته ورقة معانيه فأنشدت هذين البيتين:

أقـول لا هيـف حيـا بكـاس	لهـا مـن مسـك نكهتـه ختـام
أمـن خـديك تعصـر قـال كـلا	متـى عصـرت مـن الـورد المـدام

ولم تزل تلك الجارية تنادم نور الدين وينادمها وتعطيه الكاس والطاس وتطلب أن يملأ لها ويسقيها ما تطيب به الأنفاس وإذا وضع يده عليها تتمنع منه دلالا وقد زادها السكر حسناً وجمالاً فأنشد هذين البيتين:

وهيفاء تهـوى الـراح قالـت لصـبها	بمجلس أنـس وهـو يخشـى ملالهـا
إذا لـم تـدر كـاس المـدام وتسـقني	أبيتـك مهجـوراً فخـاف ملالهـا

ولم يزل كذلك إلى أن غلب عليه السكر ونام فقامت هي من وقتها وساعتها وعملت شغلها في الزنار على جري عادتها ولما فرغت أصلحته ولفته في ورقة ثم نزعت ثيابها ونامت بجانبه إلى الصباح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية لما فرغت من شغل الزنار أصلحته ولفته في ورقة ونزعت ثيابها ونامت بجانبه إلى الصباح وكان بينهما ما كان من الوصل ثم قام نور الدين وقضى شغله وناولته الزنار وقالت له أمض إلى السوق وبعه بعشرين ديناراً كما بعت نظيره بالأمس فعند ذلك أخذه ومضى به إلى السوق وباعه بعشرين ديناراً وأتى إلى العطار ودفع له الثمانين درهماً وشكر فضله ودعا له فقال يا ولدي هل أنت بعت الجارية فقال نور الدين كيف أبيع روحي من جسدي ثم أنه حكى له الحكاية من المبتدأ إلى المنتهى وأخبره بجميع ما جرى له ففرح الشيخ العطار بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال له والله يا ولدي هل أنت بعت الجارية فقال نور الدين كيف أبيع روحي من جسدي ثم أنه حكى له الحكاية من المبتدأ إلى المنتهى وأخبره بجميع ما جرى له ففرح الشيخ العطار بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال له والله يا ولدي أنك قد فرحتني وإن شاء الله أنت بخير دائماً فأني أود لك الخير لمحبتي لوالدك وبقاء صحبتي معه ثم أن نور الدين فارق الشيخ العطار وراح من وقته وساعته إلى السوق واشترى اللحم والفاكهة والشراب وجميع ما يحتاج إليه على جري العادة وأتى به إلى تلك الجارية ولم يزل نور الدين هو والجارية في أكل وشرب ولعب وانشراح وود ومنادمة مدة سنة كاملة وهي تعمل في كل ليلة زناراً ويصبح يبيعه بعشرين ديناراً ينفق منها ما يحتاج إليه والباقي يعطيه لها تحفظه عندها إلى وقت الحاجة إليه وبعد السنة قالت له الجارية يا سيدي نور الدين إذا بعت الزنار في غد فخذ لي من حقه حريراً ملونا ستة ألوان فإنه قد

خطر ببالي أن أصنع لك منديلاً تجعله على كتفك ما فرحت بمثله أولاد التجار ولا أولاد الملوك فعند ذلك خرج نور الدين إلى السوق وباع الزنار واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية وجاء به إليها فقعدت مريم الزنارية تصنع في المنديل جمعة كاملة لأنها كانت كلما فرغت من زنار في ليلة تعمل في المنديل شيئاً إلى أن خلصته وناولته لنور الدين فجعله على كتفه وصار يمشي به في السوق فصار التجار والناس وأكله والبلد يقفون عنده صفوفاً ليتفرجوا على حسنه وعلى ذلك المنديل وحسن صنعته فأتفق أن نور الدين كان نائماً ذات ليلة من الليالي فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكي بكاء شديد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما انتبه من منامه وجد جاريته تبكي بكاء شديداً وتنشد هذه الأبيات:

دنـا فـراق الحبيـب واقتربـا ... وأحربـا للفـراق واحربـا

تفتـت مهجتـي فـوا أسـفي ... علـى ليـال مضـت لنـا طربـا

لابـد أن ينظـر الحسـود لنـا ... بعـين سـوء ويبلـغ الأربـا

فـي علينـا أضـر مـن حسـد ... ومـن عيـون الوشـاة والرقبـا

فقال لها نور الدين يا سيدتي مريم مالك تبكي فقالت له أبكي من ألم الفراق فقد أحس قلبي به فقال لها يا سيدة الملاح ومن الذي يفرق بيننا وأنا الآن أحب الخلق إليك وأعشقهم لك فقالت له إن عندي أضعاف ما عندك ولكن حسن الظن بالليالي يوقع الناس في الأسف فإذا كنت تحرص على عدم الفراق فخذ حذرك من رجل أفرنجي أعور العين اليمنى وأعرج الرجل الشمال وهو شيخ أغبر الوجه مكلثم اللحية لأنه هو الذي يكون سبباً لفراقنا وقد رأيته أني في تلك المدينة وأظن أنه ما جاء إلا في طلبي فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح إن وقع بصري عليه قتلته ومثلت به فقالت له مريم يا سيدي لا تقتله ولا تكلمه ولا تبايعه ولا تشاوره ولا تعامله ولا تجالسه ولا تماشه ولا تتحدث معه بكلام قط وادع ا أن يكفينا شره ومكره فلما أصبح الصباح أخذ نور الدين الزنار وذهب به إلى السوق وجلس على مصطبة دكان يتحدث هو وأولاد التجار فأخذته سنة من النوم فنام على مصطبة الدكان فبينما هو نائم وإذا بذلك الأفرنجي مر على ذلك السوق في تلك الساعة ومعه سبعة من الإفرنج فرأى نور الدين نائما على مصطبة الدكان ووجهه ملفوف بذلك المنديل وطرفه في يده فقعد الأفرنجي عنده وأخذ طرف المنديل وقلبه في يده واستمر يقلب فيه ساعة فأحس به نور الدين فأفاق من النوم فرأي الأفرنجي الذي وصفته الجارية بعينه جالساً عند رأسه فصرخ عليه نور الدين صرخة عظيمة أرعبته فقال له الأفرنجي لأي شيء تصرخ علينا هل نحن أخذنا منك شيئاً فقال له نور الدين وا يا ملعون لو كنت أخذت شيئاً لكنت ذهبت بك إلى الوالي فقال له الأفرنجي يا مسلم بحق دينك وما تعتقده أن تخبرني من أين لك هذا المنديل فقال له نور الدين هو شغل والدتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأفرنجي لما سأل نور الدين عن الذي عمل المنديل قال له إن هذا المنديل شغل والدتي عملته لي بيدها فقال له الأفرنجي أتبيع لي وتأخذ ثمة مني فقال له نور الدين وا يا ملعون لا أبيعه اك ولا لغيرك فإنها ما عملته إلا على اسمي ولم تعمل غيره فقال له بعه لي وأنا أعطيك ثمنه في هذه الساعة خمسمائة دينار ودع التي عملته تعمل اك غيره أحسن منه فقال له نور الدين أنا ما أبيعه أبداً لأنه لا نظير له في هذه المدينة فقال له الأفرنجي ياسيدي وهل تبيعه بستمائة دينار من الذهب الخالص ولم يزل يزيده مائة بعد مائة إلى أن أوصله إلى تسعمائة دينار فقال له نور الدين يفتح ا علي بغير بيعه أنا ما أبيعه ولا بألفي دينار ولا بأكثر أبداً ولم يزل ذاك الأفرنجي يرغب نور الدين بالمال في ذاك المنديل إلى أن أوصله إلى ألف دينار فقال له جماعة من التجار الحاضرين نحن بعناك هذا المنديل فادفع ثمنه فقال له نور الدين أنا ما أبيعه وا فقال له تاجر من التجار أعلم يا ولدي أن هذا المنديل قيمته مائة دينار إن كثرت وإن وجد له راغب وأن هذا الأفرنجي دفع فيه ألف دينار جملة فربحه تسعمائة دينار فأي ربح تريد أكثر من هذا الربح فالرأي عندي أنك تبيع هذا المنديل وتأخذ الألف دينار وتقول للذي عملته اك تعمل اك غيره أو أحسن منه وأربح أنت الألف دينار من هذا الأفرنجي الملعون عدو الدين فاستحى نور الدين من التجار وباع للأفرنجي المنديل بألف دينار ودفع له الثمن في الحضرة وأراد نور الدين أن ينصرف ويمضي إلى جاريته مريم ليبشرها بما كان من أمر الأفرنجي فقال الأفرنجي يا جماعة التجار أحجزوا نور الدين فإنكم وإياه ضيوفي في هذه الليلة فإن عندي بقية خمر رومي من معتق الخمر وخروفاً سمينا وفاكهة ونقلاً ومشموماً فأنتم تؤانسوننا في هذه الليلة ولا يتأخر أحد منكم فقال التاجر يا سيدي نور الدين تشتهي أن تكون معنا في مثل هذه الليلة لنتحدث وإياك فمن فضلك وإحسانك أن تكون معنا فنحن وإياك ضيوف عند هذا الأفرنجي لأنه رجل كريم ثم أنهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه بالإكراه عن الرواح إلى بيته ثم قاموا من وقتهم وساعتهم وقفلوا الدكاكين وأخذوا نور الدين معهم وراحوا مع الأفرنجي إلى قاعة مطيبة رحيبة بلوانين فأجلسهم فيها ووضع بين أيديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل فيها صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسئول ثم وضع الأفرنجي على تلك السفرة الأواني النفيسة من الصيني والبلور وكلها مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأفرنجي لما وضع السفرة وعليها أواني صيني وبلور مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم ثم قدم لهم الأفرنجي بتيه ملآنة بالخمر الرومي المعتق وأمر بذبح خروف سمين ثم أن الأفرنجي أوقد النار وصار يشوي من ذلك اللحم ويطعم التجار ويسقيهم من ذلك الخمر ويغمزهم على نور الدين أن ينزلوا عليه بالشراب فلم يزالوا يسقونه حتى سكر وغاب عن وجوده فلما رآه الأفرنجي مستغرقاً في السكر قال آنستنا يا سيدي نور الدين في هذه الليلة فمرحباً بك ثم مرحباً بك وصار الأفرنجي يؤانسه بالكلام ثم تقرب منه وجلس بجانبه وسارقه في الحديث ساعة زمانية ثم قال له يا سيدي نور الدين هل تبيعني جاريتك التي اشتريتها بحضره هؤلاء التجار بألف دينار من مدة سنة وأنا أعطيك في ثمنها الآن

خمسة آلاف دينار فأبى نور الدين ولم يزل ذلك الأفرنجي يطعمه ويسقيه ويرغبه في المال حتى أوصل الجارية إلى عشرة آلاف دينار فقال نور الدين وهو في سكرة قدام التجار بعتك إياها هات العشرة آلاف دينار ففرح الأفرنجي بذلك القول فرحاً شديداً وأشهد عليه التجار وباتوا في أكل وشرب وانشراح إلى الصباح ثم صاح الأفرنجي على غلمانه وقال لهم أئتوني بالمال فأحضروا له المال فعد لنور الدين العشرة آلاف دينار نقداً وقال له ياسيدي نور الدين تسلم هذا المال ثمن جاريتك التي بعتها في الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين فقال نور الدين يا ملعون أنا ما بعتك شيئاً وأنت تكذب علي وليس عندي جوار فقال له الأفرنجي لقد بعتني جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع فقال التجار كلهم نعم يا نور الدين أنت بعته جاريتك قدامنا ونحن نشهد عليك أنك بعته أياها بعشرة آلاف دينار قم قبض الثمن وسلم إليه الجارية وا يعوضك خيراً منها أتكره يا نور الدين أنك اشتريت جارية بألف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها وجمالها وتتلذذ في كل ليلة بمنادمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة آلاف دينار فوق ثمنها الأصلي وفي كل يوم تعمل لك زناراً تبيعه بعشرين ديناراً وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الربح أي ربح أكثر من هذا الربح وأي مكسب أكثر من هذا المكسب فإن كنت تحبها فها أنت قد شبعت منها في هذه المدة فأقبض الثمن واشتري غيرها أحسن منها أو نزوجك بنتاً من بناتنا بمهر أقل من نصف هذا الثمن وتكون البنت أجمل منها ويصير معك باقي المال رأس مال في يدك ولم يزل التجار يتكلمون مع نور الدين بالملاطفة والمخادعة إلى أن قبض العشرة آلاف دينار ثمن الجارية وأحضر الأفرنجي من وقته وساعته القضاة والشهود فكتبوا له حجة باشتراء الجارية التي اسمها مريم الزنارية من نور الدين هذا ما كان من أمر نور الدين (وأما) ما كان من أمر مريم الزنارية فإنها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم إلى المغرب ومن المغرب إلى نصف الليل فلم يعد إليها سيدها فجزعت وصارت تبكي بكاء شديداً فسمعها الشيخ العطار وهي تبكي فأرسل إليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكي فقالت لها يا سيدتي مالك تبكين فقالت لها يا أمي أني قعدت انتظر مجيء سيدي نور الدين فما جاء إلى هذا الوقت وأنا خائفة أن يكون أحد عمل عليه حيلة من أجل لأجل أن يبيعني فدخلت عليه بالحيلة وباعني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية قالت لزوجة العطار أنا خائفة أن يكون أحد عمل على سيدي حيلة من شأني لأجل أن يبيعني فدخلت عليه الحيلة وباعني فقالت لها زوجة العطار يا سيدتي مريم لو أعطوا سيدك فيك ملء هذه القاعة ذهباً لم يبعك لما أعرفه من محبته لك ولكن يا سيدتي مريم ربما يكون جماعة أتوا من مدينة مصر من عند والديه فعمل لهم عزومة في المحل الذي هم نازلون فيه واستحى أن يأتي بهم إلى هذا المحل لأنه لا يسعهم ولأن مرتبتهم أقل من أن يجيء بهم إلى البيت أو أحب أن يخفي أمرك عنهم فبات عندهم إلى الصباح ويأتي أن شاء ا تعالى اليك في غد بخير فلا تحمل نفسك هما ولا غماً يا سيدتي فهذا سبب غيابه عنك في هذه الليلة وها أنا أبيت عندك في هذه الليلة وأسليك إلى أن يأتي إليك سيدك ثم أن زوجة العطار صارت تلهي مريم وتسليها بالكلام إلى أن ذهب الليل كله فلما أصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من الزقاق وذلك الأفرنجي وراءه وجماعة التجار حواليه فلما رأتهم مريم

ارتعدت فرائصها وأصفر لونها وصارت ترتعد كأنها سفينة في وسط بحر مع شدة الريح فلما رأتها امرأة العطار قالت لها يا سيدتي مريم مالي أراك قد تغير حالك وأصفر لونك وازداد بك الذهول فقالت لها الجارية يا سيدتي وا إن قلبي قد أحس بالفراق وبعد التلاق ثم أن مريم الزنارية بكت بكاء شديداً ما عليه مزيد وتيقنت الفراق وقالت لزوجة العطار يا سيدتي أما قلت لك أن سيدي نور الدين قد عملت عليه حيلة من أجل بيعي فما أشك أنه باعني في هذه الليلة لهذا الأفرنجي وقد كنت حذرته منه ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قولي فبينما هي وزوجة العطار في الكلام وإذا بسيدها نور الدين دخل عليها في تلك الساعة فنظرت إليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهه أثر الحزن والندامة فقالت له يا سيدي نور الدين كأنك بعتني فبكى بكاء شديداً وتأوه وتنفس الصعداء وأنشد هذه الأبيات:

هـي المقـادير فمـا يغنـي الحـذر ... إن كنت أخطـأت فمـا أخطـأ القـدر

إذا أراد ا أمـــراً بـــامرىء ... وكـان ذا عقـل وسـمع وبصـر

أصـم أذنيـه وأعمـى عنـه ... وسـل منـه عقلـه سـل الشـعر

حتـى إذا أنفـذ فيـه حكمـه ... رد إليـه عقلـه ليعتبـر

فلا تقـل فيمـا جـرى كيـف جـرى ... فكـل شـيء بقضـاء وقـدر

ثم أن نور الدين اعتذر إلى الجارية وقال لها وا يا سيدتي مريم أنه قد جرى القلم بما حكم ا والناس قد عملوا على حيلة من أجل بيعك فدخلت على الحيلة فبعتك وقد فرطت فيك أعظم تفريط ولكن عسى من حكم بالفراق أن يمن بالتلاق فقالت له قد حذرتك من هذا وكان في وهمي ثم ضمته إلى صدرها وقبلته ما بين عينيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما ضمت نور الدين وقبلت ما بين عينيه أنشدت هذه الأبيات:

وحقق سـلواكم مـا سـلوت ردادكـم ... ولو تلفـت روحـي هـوى ونشـوقاً

أنـوح وأبكـي كـل يـوم وليلـة ... كما نـاح قمـري علـى شـجر النقـا

تـنغص عيشـي بعـدكم يـا أحبتـي ... متـى غبـتم عنـي فمـالي ملتقـى

فبينما هما على هذه الحالة وإذا بالأفرنجي قد طلع عليهما وتقدم ليقبل أيادي السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له أبعد يا ملعون فما زلت ورائي حتى خدعت سيدي ولكن يا ملعون إن شاء ا تعالى لا يكون الأخير فضحك الأفرنجي من قولها وتعجب من فعلها واعتذر إليها وقال لها يا سيدتي مريم أي شيء ذنبي أنا وإنما سيدك نور الدين هذا هو الذي باعك برضا نفسه وطيب خاطره وأنه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرط فيك ولولا أنه فرغ غرضه منك ما باعك وكانت هذه الجارية بنت ملك أفرنجه وهي مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والبنات تشبه مدينة القسطنطينية وقد كان لخروج تلك الجارية من عند أبيها وأمها سبباً عجيباً وأمراً غريباً وذلك أنها تربت عند أبيها وأمها في العز والدلال وتعلمت الفصاحة

والكتابة والفروسية والشجاعة وتعلمت جميع الصنائع مثل الزركشة والخياطة والحباكة وصنعة الزنار والعقادة ورمى الذهب على الفضة والفضة على الذهب وتعلمت جميع صنائع الرجال والنساء حتى صارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها وأوانها وقد أعطاها ا من الحسن والجمال والظرف والكمال ما فاقت به على جميع أهل عصرها فخطبها ملوك الجزائر من أبيها وكل من خطبها منه يأبى أن يزوجها له لأنه كان يحبها حباً عظيماً ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها وكان معه من الأولاد الذكور كثير ولكنه كان مشغوفاً بحبها أكثر منهم فأتفق أنها مرضت في بعض السنين مرضاً شديداً حتى أشرفت على الهلاك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم مرضت مرضاً شديداً حتى أشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها أنها إذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلاني الذي في الجزيرة الفلانية وكان ذلك الدير معظما عندهم وينذرون له النذور ويتبركون به فلما عوفيت مريم من مرضها أرادت أن توفي بنذرها الذي نذرته على نفسها لذلك الدير فأرسلها والدها ملك أفرنجه إلى ذلك الدير في مركب صغيرة وأرسل معها بعض من بنات أكابر المدينة ومن البطارقة لأجل خدمتها فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين والمجاهدين في سبيل ا فأخذوا جميع ما في المركب من البطارقة والبنات والأموال والتحف فباعوا ما أخذوه من مدينة القيروان فوقعت مريم في يد رجل أعجمي تاجر من التجار وقد كان ذلك الأعجمي عنينا لا يأتي النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة ثم أن ذلك الأعجمي مرض مرضاً شديداً حتى أشرف على الهلاك وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت في خدمته إلى أن عافاه ا من مرضه فتذكر ذلك الأعجمي منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فأراد أن يكافئها على ما فعلته معه من الجميل فقال لها تمني على يا مريم فقالت يا سيدي تمنيت عليك أن لا تبيعني إلا لمن أريده وأحبه فقال لها نعم لك على ذلك يا مريم ما أبيعك إلا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك ففرحت فرحاً شديداً وكان الأعجمي قد عرض عليها الإسلام فأسلمت وعلّمها العبادات فتعلمت من ذلك الأعجمي في تلك المدة أمر دينها وما وجب عليها وحفظها القرآن وما تيسر من العلوم الفقهية والأحاديث النبوية فلما دخل بها مدينة اسكندرية باعها لمن أرادته وجعل بيعها بيدها كما ذكرنا فأخذها على نور الدين كما أخبرنا هذا سبب خروجها من بلادها (وأما) ما كان من أمر أبيها ملك أفرنجه فإنه لما بلغه أمر ابنته ومن معها قامت عليه القيامة وأرسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقة والفرسان والرجال الأبطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش في جزائر المسلمين ورجعوا إلى أبيها بالويل والثبور وعظائم الأمور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم لما فقدت أرسل أبيها خلفها الرجال والأبطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش عليها فحزن عليها أبوها حزناً شديداً فأرسل وراءها ذلك الأعور اليمين والأعرج الشمال لأنه كان أعظم وزرائه وكان جباراً عنيداً ذا حيل وخداع وأمره أن يفتش عليها في جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بملء مركب ذهباً ففتش عليها ذلك الملعون في جزائر البحار وسائر المدن فلم يقع لها على

خبر إلى أن وصل إلى مدينة اسكندرية وسأل عنها فوقع على خبرها عند نور الدين المصري فجرى له معه ما جرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمنديل الذي لا يحسن صنعته غيرها وكان قد وصى التجار واتفق معهم على خلاصها بالحيلة فلما صارت عنده مكثت في بكاء وعويل فقال لها يا سيدتي مريم خلي عنك هذا الحزن والبكاء وقومي معي إلى مدينة أبيك ومحل مملكتك ومنزل عزك ووطنك لتكوني بين خدمك وغلمانك واتركي هذا الذل وهذه الغربة ويكفي ما حصل لي من التعب والسفر من أجلك وصرف أموال فإن لي في التعب والسفر نحو سنة ونصف وقد أمرني والدك أن أشتريك ولو بملء مركب ذهب ثم أن وزير ملك أفرنجه صار يقبل قدميها ويتخضع لها ولم يزل يكرر تقبيل يديها وقدميها ويزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك أدباً معها وقالت له يا ملعون ا تعالى لا يبلغك ما في مرادك ثم قدم إليها الغلمان في تلك الساعة بغلة بسرج مزركش وأركبوها عليه ورفعوا فوق رأسها سحابة من حرير بعواميد من ذهب وفضة وصار الأفرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر وأنزلوها في قارب صغير وصاروا يقذفون بها إلى أن وصلوها إلى المركب الكبيرة وأنزلوها فيها فعند ذلك نهض الوزير الأعور وقال لبحرية المركب ارفعوا الصاري فرفعوه من وقتهم وساعتهم ونشر والقلوع والأعلام ونشروا القطن والكتان واعملوا المقاذيف وسافرت بهم تلك المركب هذا كله ومريم تنظر ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فصارت تبكي في سرها بكاء شديداً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم ألزنارية صارت تنظر إلى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فبكت وانتحبت وسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

أيا منزل الأحبـاب هـل لـك عـودة — إلينـا ومـا علمـي بمـا ا صـانع
فسارت بنا سـفن الفـراق وأسـرعت — وطـرف قـريح قـد محتـه المـدافع
الفرقـة خـل كـان غايـة مقصـدي — به يشتفي سـقمي وتمحـى المواجـع
إلا يـا الهـي كـن عليـه خليفتـي — فعنـد يـوم لا تضـيع الودائـع

ولم تزل كلما تذكرته تبكي وتنوح فأقبل عليها البطارقة يلاطفونها فلم تقبل منهم كلاماً بل شغلها داعي الوجد والغرام ثم أنها سكتت وأنّت واشتكت وأنشدت هذه الأبيات:

لسان الهوى في مهجتـي لـك نـاطق — يخبـيء عنـي أننـي لـك عاشـق
ولي كبـد جمـر الهـوى قـد أذابهـا — وقلبـي جـريح مـن فراقـك خـافق
وكم أكـتم الحـب الـذي قـد أذابنـي — فجفنـي قـريح والـدموع سـوابق

ولم تزل مريم على هذه الحالة لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار مدة سفرها هذا ما كان من أمرها هي والوزير الأعور (وأما) ما كان من أمر نور الدين على المصري ابن تاج الدين فإنه بعد نزول مريم المركب وسفرها ضاقت عليه الدنيا وصار لا يقر له قرار ولا يطاوعه اصطبار فتوجه إلى القاعة التي

كان مقيماً بها هو ومريم فرآها في وجهه سوداء مظلمة ورأى العدة التي كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التي كانت على جسدها فضمها إلى صدره وبكى وفاضت من جفنه العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ترى هل يعـود الشـمل بعـد تشـتتي ... وبعــد تــوالي حســرتي وتلفتــي
فهيهات مـا قـد كـان لـيس براجـع ... فيا هل ترى أحظـي بوصـل حبيبتـي
ويا هل تـرى قـد يجمـع ا شـملنا ... وتــذكر أحبــابي وعهــود مــودتي
ويحفـظ ودي مـن بجهلـي أضعـته ... ويرعى عهودي ثـم سـالف صحبتي
فمــا أنــا إلا ميــت بعــد بعدهم ... وهل ترتضي الأحبـاب يومـاً منيتـي
فيـا أسـفي إن كـان يجدـد تأسـفي ... لقد ذبت وجـدا مـن تزايـد حسـرتي
وضاع زمـان كـان فيـه تواصـلي ... فيا هل تـرى دهـري يجـود بمنيتـي
فيا قلب زد وجدا ويـا عـين أهملـي ... دموعـاً ولا تبقـى الـدموع بمقلتـي
ويـا بعـد أحبـابي وفقـد تصـبري ... وقـد قـل أنصــاري وزادت بليتـي
ســألت إلــه العــالمين يجــود لــي ... بعــود حبيبــي والوصــال كعــادتي

ثم أن نور الدين بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد ونظر إلى زوايا القاعة وأنشد هذين البيتين:

أرى آثارهــا فــأذوب شــوقاً ... وأجــري فــي مــواطنهم دمــوعي
وأســأل مـن قضـى بالبعـد عـنهم ... يمــن علــي يومــاً بــالرجوع

ثم أن نور الدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجري إلى البحر وصار يتأمل في موضع المركب التي سافرت بمريم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما خرج يجري إلى البحر صارا يتأمل في موضع المركب التي سافرت بمريم ثم بكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

سلام عليكم لـيس لـي عـنكم غنـى ... وأني على الحالين في القـرب والبعـد
أحــن إلــيكم كــل وقــت وســاعة ... وأشتاقكم شوق العطـاش إلـى الـورد
وعنــدكم ســمعي ولبــي ونــاظري ... وتــذكاركم عنـدي ألـذ مـن الشـهد
فيــا أســفي لمــا اســتقلت ركــابكم ... وحادت بكم تلك السفينة عـن قصـدي

ثم أن نور الدين ناح وبكى وأن واشتكى ونادى يا مريم يا مريم هل كانت رؤيتي لك في المنام أم أضغاث أحلام فبينما نور الدين على هذه الحالة يبكي ويقول يا مريم يا مريم وإذا بشيخ قد طلع من مركب وأقبل عليه فرآه يبكي وينشد هذين البيتين:

يا مريم الحسن عـودي أن لـي مقـلا ... سحائب المزن تجـري مـن سـواكبها
واستخبري عـذلي دون الأنـام تـرى ... أجفان عينـي غرقـى فـي كواكبهـا

فقال الشيخ يا ولدي كأنك تبكي على الجارية التي سافرت البارحة مع الأفرنجي فلما سمع نور الدين كلام الشيخ خر مغشياً عليه ساعة زمانية ثم أفاق وبكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وأنشد هذه الأبيات:

فهل بعد هذا البعـد يرجـى وصـالها ... ولـذة أنسـى قـد يعـود كمـا لهـا

فـإن فـي قلبـي لوعـة وصـبابة ... ويزعجني قبـل الوشـاة وقـال لهـا

أقـيم نهـاري باهتـا متحيـراً ... وفي الليل أرجـو أن يـزور خيالهـا

فو ا لا أسـلو عـن العشـق سـاعة ... وكيف ونفسـي فـي الوشـاة ملالهـا

منعمـة الأطـراف مهضـومة الحشـا ... لها مقلـة فـي القلـب منـي نبالهـا

يحاكي قضيب البان في الروض قـدها ... ويخجل ضوء الشمس حسـناً جمالهـا

ولـولا أخـاف ا جـل جلالـه ... لقلـت لـذات الحسـن جـل جلالهـا

فلما نظر ذلك الشيخ إلى نور الدين ورأى جماله وقده واعتداله وفصاحة لسانه ولطف أفتنانه حزن قلبه عليه ورق لحاله وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة إلى مدينة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من تجار المسلمين المؤمنين فقال له اصبر ولا يكون الأخير فإن شاء ا سبحانه وتعالى أوصلك إليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الريس لما قال لنور الدين أنا أوصلك إليها إن شاء ا تعالى قال له نور الدين متى السفر قال الريس بعد ثلاثة أيام نسافر في خير وسلامة فلما سمع نور الدين كلام الريس فرح فرحاً شديداً وشكر فضله وإحسانه ثم أن نور الدين طلع من وقته وساعته وتوجه إلى السوق وأخذ منه جميع ما يحتاج إليه من الزاد وأدوات السفر وأقبل على ذلك الريس فلما رآه قال يا ولدي ما هذا الذي معك قال زوادتي وما أحتاج إليه في السفر فضحك الريس من كلامه وقال له يا ولدي هل أنت رائح تتفرج على عمود السواري أن بينك وبين مقصدك مسيرة شهرين إذا طاب الريح وصفت الأوقات ثم أن ذلك الشيخ أخذ من نور الدين شيئاً من الدراهم وطلع إلى السوق واشترى له جميع ما يحتاج إليه في السفر على قدر كفايته وملأ له بنية ماء حلو ثم أقام نور الدين في المركب ثلاثة أيام إلى أن تجهز التجار وقضوا مصالحهم ونزلوا في المركب ثم حل الريس قلوعها وساروا مدة إحدى وخمسين يوماً وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب وأسروا جميع من فيها وأتوا بهم إلى مدينة أفرنجة وعرضوهم على الملك وكان نور الدين من جملتهم فأمر الملك بحبسهم وفي وقت نزولهم من عند الملك إلى الحبس وصل الغراب الذي فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الأعور فلما وصل الغراب إلى المدينة طلع الوزير إلى الملك وبشره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة فدقوا البشائر وزينوا المدينة بأحسن زينة وركب الملك في جميع عسكره وأرباب دولته وتوجهوا إلى البحر ليقابلوها فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها وسلم عليها وسلمت عليه وقدم لها جواد فركبته فلما وصلت إلى القصر قابلتها أمها وعانقتها وسلمت عليها وسألتها عن حالها وهل هي بكر مثل ما كانت عندهم سابقاً أم صارت امرأة ثيباً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم مريم لما سألتها عن حالها وهل هي ثيباً أم بكراً فقالت لها مريم يا أمي بعد أن يباع الإنسان في بلاد المسلمين من تاجر إلى تاجر يصير محكوماً عليه كيف يبقى بنتاً بكراً أن التاجر الذي اشتراني هددني بالضرب وأكرهني وأزال بكارتي وباعني لآخر وآخر باعني لآخر فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً ثم أعادت على أبيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وعظم أمرها لديه وعرض حالها على أرباب دولته وبطارقته فقالوا له أيها الملك إنها تنجست من المسلمين وما يطهرها إلا ضرب مائة رقبة من المسلمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرهبان قالوا ما يطهرها إلا ضرب مائة رقبة من المسلمين فعند ذلك أمر بإحضار الأسارى الذين في الحبس فأحضروهم جميعاً بين يديه ومن جملتهم نور الدين فأمر الملك بضرب رقابهم فأول من ضربوا رقبته ريس المركب ثم ضربوا رقاب التجار واحداً بعد واحداً حتى لم يبق إلا نورالدين فشرطوا ذيله وعصبوا عينيه وقدموه إلى نطع الدم وأرادوا أن يضربوا رقبته وإذا بامرأة عجوزاً قبلت على الملك في تلك الساعة وقالت له يا مولاي أنت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة أسارى من المسلمين أن رد ا بنتك مريم لأجل أن تساعدوا في خدمتها والآن قد وصلت إليك بنتك السيدة مريم فاوف بنذرك الذي نذرته فقال لها الملك يا أمي وحق المسيح والدين الصحيح لم يبق عندي من الأسارى غير هذا الأسير الذي يريدون قتله فخذيه معك يساعدك في خدمة الكنيسة إلى أن يأتي إلينا أسارى من المسلمين فأرسل إليك أربعة آخرين ولو كنت سبقت قبل أن يضربوا رقاب هؤلاء الأسارى لأعطيناك كل ما تريدينه فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم ثم تقدمت العجوز من وقتها وساعتها إلى نور الدين وأخرجته من نطع الدم ونظرت إليه فرأته شاباً لطيفاً ظريفاً رقيق البشرة ووجهه كأنه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر فأخذته ومضت به إلى الكنيسة وقالت له يا ولدي أقلع ثيابك التي عليك فإنها لا تصلح إلا لخدمة السلطان ثم أن العجوز جاءت لنور الدين بجبة من صوف أسود ومئزر من صوف أسود وسير عريض فألبسته تلك الجبة وعممته بالمئزر وشدت وسطه بالسير وأمرته أن يخدم الكنيسة مدة سبعة أيام فبينما هو كذلك وإذا بتلك العجوز قد أقبلت عليه وقالت له يا مسلم خذ ثيابك الحرير وألبسها وخذ هذه العشرة دراهم وأخرج في هذه الساعة تفرج في هذا اليوم ولا تقف هنا ساعة واحدة لئلا تروح روحك فقال لها نور الدين يا أمي أي شيء الخبر فقالت له العجوز اعلم يا ولدي أن بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد أن تدخل الكنيسة في هذا الوقت لأجل أن تزورها وتتبرك بها وتقرب لها قرباناً حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين وتوفى لها النذور التي نذرتها بعد أن نجاها المسيح ومعها أربعمائة بنت ما واحدة منهن إلا كاملة في الحسن والجمال ومن جملتهن بنت الوزير وبنات الأمراء وأرباب الدولة وفي هذه الساعة يحضرون وربما يقع نظرهن عليك في هذه الكنيسة فيقطعنك بالسيف فعند ذلك أخذ نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد أن لبس ثيابه وخرج إلى السوق وصار يتفرج في شوارع المدينة حتى عرف جهاتها وأبوابها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما لبس ثيابه أخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج إلى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة ثم رجع إلى الكنيسة فرأى مريم الزنارية بنت ملك أفرنجة قد أقبلت على الكنيسة ومعها أربعمائة بنت نهد أبكار كأنهن الأقمار ومن جملتهن بنت الوزير الأعور وبنات الأمراء وأرباب الدولة وهي تمشي بينهن كأنها القمر به النجوم فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال يا مريم يا مريم فلما سمع البنات صياح نور الدين وهو ينادي يا مريم هجمن عليه وجردن بيض الصفاح مثل الصواعق وأردن قتله في تلك الساعة فالتفتت إليه مريم وتأملته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات اتركن هذا الشاب فإنه مجنون بلا شك لأن علامة الجنون لائحة على وجهه فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف رأسه وحملق عينيه وأشاح بيديه وعوج رجليه وأخرج الزبد من فيه وشدقيه فقالت لهن السيدة مريم أما قلت لكن إن هذا مجنون أحضر به عندي وابعدن عنه حتى أسمع ما يقول فأني أعرف كلام العرب وأنظر حاله وهل داء جنونه يقبل المداواة أم لا فعند ذلك حملته البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه فقالت له هل جئت إلى هنا من أجلي وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنوناً فقال لها نور الدين يا سيدتي أما سمعت قول الشاعر:

قالوا جننت بمـن تهـوى فقلـت لهـم	مـا لـذة العـيش إلا للمجـانين
هاتوا جنوني وهاتوا مـن جننـت بـه	فـإن وفـى بجنـوني لا تلومـوني

فقالت له مريم وا يا نور الدين أنك الجاني على نفسك فإني حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولي وتبعت هوى نفسك وأنا ما أخبرتك لا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام وإنما هو من باب المشاهدة والعيان لأني رأيت الوزير الأعور فعرفت أنه ما دخل في هذه البلدة إلا في طلبي فقال لها نور الدين يا سيدتي مريم نعوذ با من إزالة العقل ثم تزايد بنور الدين الحال فأنشد هذا المقال:

هب لي جناية مـن زلـت بـه القـدم	قد يشـمل العبـد مـن سـاداته كـرم
حسب المسـيء بـذنب مـن جنايتـه	فـرط الندامـة إذ لا ينفـع النـدم
فعلت مـا يقتضـي التأديـب معترفـاً	فـأين مـا يقتضـيه العفـو والكـرم

ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية في عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكي لصاحبه ما جرى له وينشدان الأشعار ودموعها تجري على خدودهما شبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى والضيم و الوجدة والجوي إلى أن لم يبق لأحدهما قوة على الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين والسيدة مريم شكا لبعضهما ما جرى لهما عند فراقهما وما هما عليه من شدة الهوى إلى أن لم يبق لأحدهما قوة على الكلام وكان النهار قد ولّى وأقبل الظلام وكان على السيدة مريم حلة خضراء مزركشة بالذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر فزاد حسنها وجمالها وظرف

معانيها فعند ذلك قبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن هل أغلقن الباب فقلن لها قد أغلقناه فعند ذلك أخذت السيدة مريم البنات وأتت بهن إلى مكان يقال له مكان السيدة مريم العذراء أم النور لأن النصارى يزعمون أن روحانيتها وسرها في ذلك المكان فصار البنات يتبركن به ويطفن في الكنيسة كلها ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن أني أريد أن أدخل وحدي في هذه الكنيسة وأتبرك بها فإنه حصل لي اشتياق إليها بسبب طول غيبتي في بلاد المسلمين وأما أنتن فحيث فرغتن من الزيارة فنمن حيث شئتن فقلن لها حباً وكرامة افعلي أنت ما تريدينه ثم أنهن تفرقن عنها في الكنيسة ونمن فعند ذلك استغفلتهن مريم وقامت تفتش على نور الدين فرأته في ناحية جالساً على مقالي الجمر وهو في انتظارها فلما أقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست وأجلسته في جانبها ثم نزعت ما كان عليها من الحلي والحلال ونفيس القماش وضمت نور الدين إلى صدرها وجعلته في حضنها ولم تزل هي وإياه في بوس وعناق ونغمات خاق باق وهما يقولان ما أقصر ليل التلاق وما أطول يوم الفراق وينشدان قول الشاعر:

يــا ليلــة الوصــل وبكــر الــدهر | لانــــت غــــرة الليــالي الغــر
فجــأتني بالصــبح وقــت العصــر | هل كنت كحــلاً فــي عيــون الفجــر

وقول الآخر:

أو كنــت نومــاً فــي عيــون رمــد | يــا ليلــة الهجــر ومــا أصــولها
آخرهــــا مواصــــل أولهــــا | كحلقــة مفرغــة مــا أن لهــا

وقول الآخر:

مــن طــرف والحشــر أيضــاً قبلهــا | فالصــب بعــد البعــث ميــت الصــد

فبينما هما في هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة وإذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب الناقوس فوق سطح الكنيسة ليقيم من عادتهم الشعائر وهو كما قال الشاعر:

رأيتــه يضــرب النــاقوس قلــت لــه | من علــم الظبــي ضــرباً بــالنواقيس
وقلت للنفس أي الضرب أحســن هــل | ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية ما زالت هي ونور الدين في لذة وطرب إلى أن طلع الغلام النواقيسي فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها فشق ذلك على نور الدين وتكدر وقته فبكى وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

لازلــت ألــثم ورد خــد غــض | واعــض ذاك مبالغــاً فــي العــض
حتــى إذا ظننــا ونــام رقيبنــا | وعيونــه مالــت لنحــو الغمــض
ضــربت نــواقيس تنبــه أهلهــا | كمــؤذن يــدعو صــلاة الفــرض
قامــت علــى عجــل لتلــبس ثيابهــا | مــن خــوف نجــم رقيبنــا المــنقض

وتقـول يـا سـؤلي ويا كـل المنـى ... جـاء الصـباح بوجـه المبـيض
أقسـمت لـو أعطيـت يـوم ولايـة ... وبقيـت سـلطاناً شـديد القـبض
لهـدمت أركـان الكنـائس كلهـا ... وقتلـت كـل مقسـس فـي الأرض

ثم أن السيدة مريم ضمت نور الدين إلى صدرها وقبلت خده وقالت له يا نور الدين كم يوماً لك في هذه المدينة فقال سبعة أيام فقالت له هل سرت في هذه المدينة وعرفت طرقها ومخارجها وأبوابها التي من ناحية البر والبحر قال نعم قالت وهل تعرف طريق صندوق النذر الذي في الكنيسة قال نعم قالت له حيث كنت تعرف ذلك كله إذا كانت الليلة القابلة ومضى ثلث الليل الأول فاذهب في تلك الساعة إلى صندوق النذر وخذ منه ما تريد وتشتهي وافتح باب الكنيسة الذي فيه الخوخة التي توصل إلى البحر فإنك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية فمتى رآك الريس يمد يديه إليك فناوله يدك فإنه يطلعك في السفينة فاقعد عنده حتى أجيء إليك والحذر ثم الحذر من أن يلحقك النوم في تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم ثم أن السيدة مريم ودعت نور الدين وخرجت من عنده في تلك الساعة ونبهت جواريها وسائر البنات من نومهن وأخذتهن وأتت إلى باب الكنيسة ودقته ففتحت العجوز الباب فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفاً فقدموا لها بغلة فركبتها وأرخوا عليها ناموسية من الحرير وأخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاويشية وبأيديهم السيوف مسلولة وساروا بها إلى أن وصلوا إلى قصر أبيها هذا ما كان من أمر مريم الزنارية (وأما) ما كان من أمر نور الدين فإنه لم يزل مختفياً وراء الستارة التي كان مستتراً خلفها هو ومريم إلى أن طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها فاختلط بالناس وجاء إلى تلك العجوز قيمة الكنيسة فقالت له أين كنت راقداً في هذه الليلة قال في محل داخل المدينة كما أمرتيني فقالت العجوز أنك فعلت الصواب يا ولدي ولو كنت بت الليلة في الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لنور الدين لو كنت بت الليلة في الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة فقال لها نور الدين الحمد   الذي نجاني من شر هذه الليلة ولم يزل نور الدين يقضي شغله في الكنيسة إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بدياجي الاعتكار فقام نور الدين وفتح صندوق النذر وأخذ منه ما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر إلى أن مضى ثلث الليل الأول وقام ومشى إلى باب الخوخة التي توصل إلى البحر وهو يطلب الستر من ا   ولم يزل يمشي إلى أن وصل إلى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح إلى البحر فوجد السفينة راسية على شاطىء البحر بجوار الباب ووجد الريس شيخاً كبيراً ظريفاً لحيته طويلة وهو واقف في وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه فناوله نور الدين يده كما أمرته مريم فأخذه من يده وجذبه فصار في وسط السفينة فعند ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية وقال لهم أقلعوا مرساة السفينة من البر وعوموا بنا قبل أن يطلع النهار فقال واحد من العشرة البحرية يا سيدي الريس كيف نعوم والملك أخبرنا أنه في غد يركب السفينة في هذا البحر ليطلع على ما فيه لأنه خائف على أبنته مريم من سراق المسلمين فصاح عليهم الريس وقال لهم ويلكم يا ملاعين هل بلغ من أمركم أنكم تخالفونني وتردون كلامي ثم أن الريس سل سيفه من غمده وضرب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من

رقبته فقال واحد وأي شيء عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته فمد يده إلى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم ولم يزل ذلك الريس يضرب أعناق البحرية واحداً بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطيء البحر ثم التفت إلى نور الدين وصاح عليه صيحة عظيمة أرعبته وقال له انزل اقلع الوتد فخاف نور الدين من ضرب السيف ونهض قائماً ووثب إلى البر وقلع الوتد ثم طلع في السفينة أسرع من البرق الخاطف وصار الريس يقول له أفعل كذا وكذا ودور كذا وكذا وانظر في النجوم ونور الدين يفعل جميع ما يأمره به الريس وقلبه خائف مرعوب ثم رفع شراع المركب وسارت بهما في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونور الدين في البحر العجاج وقد طاب لهما الريح كل ذلك ونور الدين ماسك بيده الراجع وهو غريق في بحر الأفكار ولم يزل مستغرقاً في الفكر ولم يعلم بما هو مخبوء له في الغيب وكلما نظر إلى الريس أرتعب قلبه ولم يعلم بالجهة التي يتوجه إليها الريس بل صار مشغولاً في فكر ووسواس إلى أن أضحى النهار فعند ذلك نظر نور الدين إلى الريس فرآه قد أخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها في يده وتأملها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زور ثم تأمل نور الدين في ذات الريس ودقق نظره فيها فرآها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه وكانت قد تحيلت بتلك الحيلة حتى قتلت الريس وسلخت وجهه بلحيته وأخذت جلده وركبته على وجهها فتعجب نور الدين من فعلها وشجاعتها ومن قوة قلبها وطار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لها مرحباً يا منيتي وسؤلي وغاية مطلبي وكانت السيدة مريم قوية القلب تعرف بأحوال سير المراكب في البحر المالح وتعرف الأهواء واختلافها وتعرف جميع طرق البحر فقال لها نور الدين وا يا سيدتي لو اطلت على هذا الأمر لمت من شدة الخوف والفزع خصوصاً من نار الوجد والاشتياق وأليم عذاب الفراق فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها وأخرجت شيئاً من المأكول والمشروب فأكلوا وشربوا وتلاذذوا وطربوا وبعد ذلك أخرجت من اليواقيت والجواهر وأصناف المعادن والذخائر الغالية وأنواع الذهب والفضة ما خف حمله وغلا ثمنه من الذي جاءت به وأخذته من قصر أبيها وخزائنه وعرضت ذلك على نور الدين ففرح به غاية الفرح كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية وشاهدوا أعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود السواري فلما وصلوا إلى المينا طلع نور الدين من وقته وساعته على تلك السفينة وربطها في حجر من أحجار القصارين وأخذ معه شيئاً من الذخائر التي جاءت بها الجارية معها وقال للسيدة مريم أقعدي يا سيدتي في السفينة حتى اطلع بك إلى اسكندرية مثل ما أحب واشتهى فقالت له ولكن ينبغي أن يكون ذلك بسرعة لأن التراخي في الأمور يورث الندامة فقال لها ما عندي تراخ فقعدت مريم في السفينة وتوجه نور الدين إلى بيت العطار صاحب أبيه ليستعير لها من زوجته نقاباً وحبرة وخفا وإزاراً كسادة اسكندرية ولم يعلم بما لم يكن له في حساب من تصرفات الدهر صاحب العجب العجاب هذا ما كان من أمر نور الدين ومريم الزنارية (وأما) ما كان من أمر أبيها ملك أفرنجة فإنه لما أصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها فسأل عنها من جواريها وخدمها فقالوا له

يا مولانا أنها خرجت بالليل وارلحت إلى الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خبراً فبينما الملك يتحدث مع الجواري والخدم في تلك الساعة وإذا بصرختين عظيمتين تحت القصر دوى لهما المكان فقال الملك ما الخبر فقالوا له أيها الملك أنه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذي في الكنيسة من جهة البحر مفتوحاً والأسير الذي كان في الكنيسة يخدمها قد فقد فقال الملك أن كانت سفينتي التي في البحر فقدت فبنتي مريم فيها بلاشك ولا ريب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك أفرنجة لما فقدت ابنته مريم جاءوا له بالخبر وقالوا له أن سفينتك فقدت فقال أن كانت سفينتي قد فقدت فابنتي مريم فيها بلا شك ولا ريب ثم أن الملك دعا من وقته وساعته بريس المينة وقال له وحق المسيح والدين الصحيح إن لم تلحق سفينتي في هذه الساعة بعسكر وتأتيني بها وبمن فيها لاقتلنك أشنع قتلة وأمثل بك أشنع مثلة ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها ما كنت تسمعين من الأسير الذي كان عندك في شأن بلاده ومنأي البلاد هو فقالت له كان يقول أنا من مدينة اسكندرية فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته وساعته إلى المينا وصاح على البحرية وقال لهم تجهزوا وحلّوا القلوع ففعلوا ما أمرهم به وسافروا ولم يزالوا مسافرين ليلاً ونهاراً حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية في الساعة التي طلع فيها نور الدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم وكان من جملة الأفرنج الوزير الأعور الأعرج الذي كان اشتراها من نور الدين فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها فربطوا مركبهم بعيداً عنها وأتوا إليها في مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء وفي تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الأعور الأعرج لأنه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً ولصاً محتالاً لا يقدر أحد على احتياله يشبه أبا محمد البطال ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى تلك السفينة فهجموا عليها وحملوا حمله واحدة فلم يجدوا فيها أحداً إلا السيدة مريم فأخذوها هي والسفينة التي هي فيها بعد أن طلعوا على الشاطيء وأقاموا زمناً طويلاً ثم عادوا من وقتهم وساعتهم إلى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح ورجعوا قاصدين بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح ولم يزالوا مسافرين على حماية إلى أن وصلوا إلى مدينة أفرنجة وطلعوا بالسيدة مريم إلى أبيها وهو في تخت مملكته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأفرنج لما طلعوا بالسيدة مريم إلى أبيها وهو على تخت مملكته فلما نظر إليها أبوها قال لها ويلك يا خائنة كيف تركت دين الآباء والأجداد وحصن المسيح الذي عليه الاعتماد وأتبعت دين الإسلام الذي قام بالسيف على رغم الصليب والأصنام فقالت له مريم أنا مالي ذنب لأني خرجت في الليل إلى الكنيسة لا زور السيدة مريم واتبرك بها فبينما أنا في غفلة وإذا بسراق المسلمين قد هجموا على وسدوا فمي وشدوا وثاقي وحطّوني في السفينة وسافروا بي إلى بلادهم فخادعتهم وتكلمت معهم في دينهم إلى أن فكوا وثاقي وما صدقت أن رجالك. أدركوني وخلصوني وأنا وحق المسيح والدين الصحيح

وحق الصليب ومن صلب عليه قد فرحت بفكاكي من أيديهم غاية الفرح واتسع صدري وانشرح حيث خلصت من أسر المسلمين فقال لها أبوها كذبت يا فاجرة يا عاهرة وحق ما في محكم الإنجيل من منزل التحريم والتحليل لابد لي من أن أقتلك أقبح قتلة وأمثل بك أشنع مثلة أما كفاك الذي فعلتيه في الأول ودخل علينا محالك حتى رجعت إلينا بهتانك ثم أن الملك أمر بقتلها وصلبها على باب القصر فدخل عليه الوزير الأعور في تلك الساعة وكان مغرماً بحبها قديماً وقال له أيها الملك لا تقتلها وزوجني بها وأنا أحرص عليها غاية الحرص وما أدخل عليها حتى أبني لها قصراً من الحجر الجلمود وأعلي بنيانه حتى لا يستطيع أحد من السارقين الصعود على سطحه وإذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين وأجعلهم قرباناً للمسيح عني وعنها فانعم عليه الملك بزواجها وأذن للقسيسين والرهبان والبطارقة أن يزوجوها له فزوجوها للوزير الأعور أذن أن يشرعوا لها في بنيان قصر مشيد يليق بها فشرعت العمال في العمل هذا ما كان من أمر الملكة مريم وأبيها والوزير الأعور (وأما) ما كان من أمر نور الدين والشيخ العطار فإن نور الدين لما توجه إلى العطار صاحب أبيه استعار من زوجته أزارا وخفا وثياباً كثياب نساء اسكندرية ورجع بها إلى البحر وقصد السفينة التي فيها السيدة مريم فوجد الجو قفرا والمزار بعيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما رجع إلى البحر وجد الجو قفر والمزار بعيد صار قلبه حزيناً فبكى بدموع متواتره وأنشد قول الشاعر:

سرى طيف سعدي طارقـاً فاسـتفزني	سحيراً وصـحبي فـي الفـلاة رقـود
فلمـا انتبهنـا للخيـال الـذي سـرى	أرى الجـو قفـرا والمـزار بعيـد

فمشي نور الدين على شاطيء البحر يتلفت يميناً وشمالاً فرأي ناسا مجتمعين على الشاطيء وهم يقولون يا مسلمين ما بقي لمدينة اسكندرية حرمة حتى صار الأفرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون إلى بلادهم على هينة ولا يخرج وراءهم أحد من المسلمين ولا من العساكر المغازين فقال لهم نور الدين ما الخبر فقالوا إله يا ولدي أن مركباً من مراكب الأفرنج فيها عساكر هجموا في تلك الساعة على تلك المدينة وأخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية إلى بلادهم فلما سمع نور الدين كلامهم وقع مغشياً عليه فلما أفاق سألوه عن قضيته فأخبرهم بخبره من الأول إلى الآخر فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له لأي شيء ما تخرجها إلا بإزار ونقاب وسار كل واحد من الناس يقول له كلاماً مؤلما ومنهم من يقول خليه في حاله يكفيه ما جرى له وصار كل واحد يوجعه بالكلام ويرميه بسهام الملام حتى وقع مغشياً عليه فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة وإذا بالشيخ العطار مقبلاً فرأى الناس مجتمعين فتوجه إليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقداً بينهم وهو مغشي عليه فقعد عند رأسه ونبهه فلما أفاق قال له يا ولدي ما هذا الذي أنت فيه فقال له يا عم أن الجارية التي كانت راحت مني قد جئت بها من مدينة أبيها في مركب وقاسيت ما قاسيت في المجيء بها فلما وصلت بها إلى هذه المدينة ربطت السفينة في البر وتركت

الجارية فيها وذهبت إلى منزلك وأخذت من زوجتك مصالح للجارية لأطلعها بها إلى المدينة فجاء الأفرنج وأخذوا السفينة والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا إلى مراكبهم فلما سمع الشيخ العطار من نور الدين هذا الكلام صار الضياء في وجه ظلام وتأسف على نور الدين تأسفاً عظيماً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العطار لما تأسف على ما جرى لنور الدين وقال له يا ولدي لأي شيء ما أخرجتها من السفينة إلى المدينة من غير أزار ولكن في هذا الوقت ما ينفع الكلام قم يا ولدي واطلع معي إلى المدينة لعل ا يرزقك بجارية أحسن منها فتتسلى بها عنها والحمد الذي ما خسرك فيها شيئاً بل حصل لك الربح فيها واعلم يا ولدي أن الاتصال والانفصال بيد الملك المتعال فقال له نور الدين وا يا عم أني ما أقدر أن أسلوها به ولا أترك طلبها ولو سقيت من أجلها كأس الردى فقال له العطار يا ولدي وأي شيء في ضميرك تريد أن تفعله فقال له نويت أن أرجع إلى بلاد الروم وأدخل إلى مدينة أفرنجه وأخاطر بنفسي فإما عليها وإما لها فقال له يا ولدي إن في الأمثال السائرة ما كل مرة تسلم الجرة وإن كانوا ما فعلوا بك في المرة الأولى شيئاً ربما يقتلونك في هذه المرة لا سيما وقد عرفوك حق المعرفة فقال نور الدين يا عم دعني أسافر وأقتل في هواها سريعاً ولا أقتل بتركها صبراً وتحسيراً وكان بمصادفة القدر مركب راسية في المينا مجهزة للسفر وركابها قضت جميع أشغالها وفي تلك الساعة قلعوا أوتادها فنزل فيها نور الدين وسافرت تلك المركب مدة أيام وصاب لركابها الوقت والريح فبينما هم سائرون وإذا بمركب من مراكب الأفرنج دائرة في البحر العجاج لا يرون مركباً إلا يأسرنها خوفاً على بنت الملك من سراق المسلمين وإذا أخذوا مركباً يوصلون جميع من فيها إلى ملك أفرنجة فيذبحهم ويوفي بهم نذره الذي كان نذره من أجل ابنته مريم فرأوا المركب التي فيها نور الدين فأسروها وأخذوا كل من كان فيها وأتوا بهم إلى الملك أبي مريم فلما أوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فأمر بذبحهم في الوقت والساعة ومن جملتهم نور الدين فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكان الجلاد قد أخره شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قده فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال أما أنت نور الدين الذي كنت عندنا في المرة الأولى قبل هذه المرة فقال له ما كنت وليس اسمي نور الدين وإنما اسمي إبراهيم فقال له الملك تكذب بل أنت نور الدين الذي وهبتك للعجوز القيمة على الكنيسة لتساعدها في خدمة الكنيسة فقال نور الدين يا مولاي أنا اسمي إبراهيم فقال له الملك إن العجوز قيمة الكنيسة إذا حضرت ونظرتك تعرف هل أنت نور الدين أو غيره فبينما هم في الكلام وإذا بالوزير الأعور الذي تزوج بنت الملك قد دخل في تلك الساعة وقبل الأرض بين أيادي الملك وقال له أيها الملك أعلم أن القصر قد فرغ بنيانه وأنت تعرف أني نذرت للمسيح إذا فرغت من بنيانه أن أذبح على بابه ثلاثين من المسلمين وقد أتيتك لآخذ من عندك ثلاثين مسلماً فأذبحهم وأوفى بهم نذر المسيح ويكونوا في ذمتي على سبيل القرض ومتى جاءني أسارى أعطيتك بدلهم فقال الملك وحق المسيح والدين الصحيح ما بقى عندي غير هذا الأسير وأشار إلى نور الدين وقال له خذه وأذبحه في هذه الساعة حتى أرسل إليك البقية إذا جاءني أسارى من المسلمين فعند ذلك قام الوزير الأعور وأخذ نور الدين ومضى به إلى القصر ليذبحه على عتبة

بابه فقال له الدهانون يا مولانا بقى علينا من الدهان شغل يومين فاصبر علينا وأخّر ذبح هذا الأسير حتى نفرغ من الدهان عسى أن يأبى إليك بقية الثلاثين فتذبح الجميع دفعه واحدة وتوفي بنذرك في يوم واحد فعند ذلك أمر الوزير بحبس نور الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما أمر بحبس نور الدين أخذوه مقيداً جائعاً عطشاناً يتحسر على نفسه وقد نظر الموت بعينه وكان بالأمر المقدر والقضاء المبرم للملك حصانين أخوان شقيقان أحدهما اسمه سابق والآخر اسمه لاحق وكانت بحسرة تحصيل واحد منهما لملك الأكاسرة وكان أحدهما أشهب نقياً والآخر أدهم كالليل الحالك وكان ملوك الجزائر جميعاً يقولون كل من سرق لنا حصاناً من هذين الحصانين نعطيه جميع ما يطلبه من الذهب الأحمر والدر والجوهر فلم يقدر أحد على سرقة واحد من هذين الحصانين فحصل لأحدهما مرض في عينه فأحضر الملك جميع البياطرة لدوائه فعجزوا عنه كلهم فدخل على الملك الوزير الأعور والذي تزوج ابنته فرآه مهموماً من قبل الحضان فأراد أن يزيل همه فقال أيها الملك أعطني هذا الحصان وأنا أداويه فأعطاه له فنقله في الأصطبل الذي فيه نور الدين فلما فارق الحصان أخاه صاح صيحة عظيمة وصهل حتى أزعج الناس من الصياح فعرف الوزير أنه ما حصل منه هذا الصياح إلا لفراقه من أخيه فراح وأعلم الملك فلما تحقق الملك كلامه قال إذا كان ذلك حيواناً ولم يصبر على فراق أخيه فكيف بذوي العقول ثم أمر الغلمان أن ينقلوا الحصان عند أخيه بدار الوزير زوج مريم وقال لهم قولوا للوزير إن الملك يقول لك أن الحصانين أنعام منه عليك لأجل خاطر ابنته مريم فبينما نور الدين نائم في الأصطبل وهو مقيد مكبل إذا نظر الحصانين فوجد على عيني أحدهما غشاوة وكان عنده بعض معرفة بأحوال الخيل وممارسة دوائها فقال في نفسه هذا وا وقت فرحت فأقوم وأكذب على الوزير وأقول له أنا أداوي هذا الحصان وأعمل له شيء يتلف عينيه فيقتلني وأستريح من هذه الحياة الذميمة ثم أن نور الدين انتظر الوزير إلى أن دخل الأصطبل ينظر الحصانين فلما دخل قال له نور الدين يا مولاي أي شيء يكون له عليك إذا أنا داويت لك هذا الحصان وأعمل لك شيئاً يطيب عينيه فقال له الوزير وحياة رأسي إن داويته أعتقك من الذبح وأخليك تتمنى على وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال لنور الدين إن داويت الحصان أعتقك وأخليك تتمنى علي فقال يا مولاي مر بفك قيدي فأمر الوزير بإطلاقه فنهض نور الدين وأخذ زجاجاً بكراً وسحقه وأخذ جيراً بلاطفء وخلطه بماء البصل ثم وضع الجميع في عيني الحصان وربطهما وقال في نفسه الآن تغور عيناه فيقتلوني وأستريح من هذه العيشة الذميمة ثم أن نور الدين نام تلك لليلة بقلب خال من وسواس الهم وتضرع إلى ا تعالى وقال يارب في علمك ما يغني عن السؤال فلما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح جاء الوزير إلى الأصطبل وفك الرباط عن عين الحصان ونظر إليهما فرآهما حسن عيون ملاح بقدرة الملك الفتاح فقال له الوزير يا مسلم ما رأيت في الدنيا مثلك في حسن معرفتك وحق المسيح والدين الصحيح أنك أعجبتني غاية الإعجاب فإنه عجز عن دواء هذا الحصان كل بيطار في بلادنا ثم تقدم إلى نور

الدين وحل قيده بيده ثم ألبسه حلة سنية وجعله ناظراً على خيله ورتب له مرتبات وجرايات وأسكنه في طبقة على الأصطبل وكان في القصر الجديد الذي بناه للسيدة مريم شباك مطل على بيت الوزير وعلى الطبقة التي فيه نور الدين فقعد نور الدين مدة أيام ياكل ويشرب ويتلاذ ويطرب ويأمر وينهي على خدمة الخيل وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوال التي فيها خدمته يرميه ويضربه ضرباً شديداً ويضع في رجليه القيد الحديد وفرح الوزير بنور الدين غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤول أمره إليه وكان نور الدين كل يوم ينزل إلى الحصانين ويمسحها بيده لما يعلم من معزتهما عند الوزير ومحبته لهما وكان للوزير الأعور بنت بكر في غاية الجمال كأنها غزال شارد أو غصن مائد فاتفق أنها كانت جالسة ذات يوم من الأيام في الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذي فيه نور الدين إذا سمعت نور الدين يغني ويسلي نفسه على المشقات: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الوزير الأعور سمعت نور الدين يسلي نفسه على المشقات بإنشاد هذه الأبيات:

يـــا عـــاذلاً أصـــبح فـــي ذاتـــه	منعمـــــاً يزهـــــو بلذاتــــــه
لـــو عضـــك الـــدهر بآفاتـــه	لقلـــــت مـــــن ذوق مرارتــــه
آه مـــــن العشـــــق وحالاتـــــه	أحـــــرق قلبـــــي بحرارتـــــه
لكـــن ســـلمت اليـــوم مـــن غـــدره	ومـــن تناهيـــة ومـــن حـــوره
فـــلا تســـلم مـــن حـــار فـــي أمـــره	وقـــال مـــن فـــرط صـــباباته
آه مـــــن العشـــــق وحالاتـــــه	أحـــــرق قلبـــــي بحراراتـــــه
كـــن عـــاذر العشـــاق فـــي حـــالهم	وتكـــن عونـــاً علـــى عـــذلهم
أيـــاك أن تشـــتد فـــي حـــبلهم	مجرعـــاً مـــن مـــر لوعاتـــه
آه مـــــن العشـــــاق وحالاتـــــه	أحـــــرق قلبـــــي بحرارتـــــه
قـــد كنـــت قبلـــك بـــين العبـــاد	كمثـــل مـــن بـــات خالـــي الفـــؤاد
لـــم أعـــرف العشـــق وطعـــم الســـهاد	حتـــــى دعـــــاني لمقاماتـــــه
آه مـــــن العشـــــق وحالاتـــــه	أحـــــرق قلبـــــي بحرارتـــــه
لـــم يـــدر العشـــق ومـــا ذلـــه	إلا الـــــذي أقســـــمه طولـــــه
وضـــاع منـــه فـــي الهـــوى عقلـــه	وشـــربه مـــن مـــر جرعاتـــه
آه مـــــن العشـــــق وحالاتـــــه	أحـــــرق قلبـــــي بحرارتـــــه
كم عين صـــب فـــي الـــدجى أســـهر	وأحـــرم الجفـــن لذيـــذ الكـــرى
وكـــم اســـأل دمعـــه أنهـــر	تجـــرى علـــى الخـــد بلوعاتـــه
آه مـــــن العشـــــق وحالاتـــــه	أحـــــرق قلبـــــي بحرارتـــــه
كم في الـــورى مـــن مغـــرم مســـتهام	ســـهران مـــن وجـــد بعيـــد المنـــام

ألبسه ثوب الضنى والسقام ... من قد نفى عنه مناماته
آه من العشق وحالاته ... أحرق قلبي بحرارته
كم قل صبري وبري أعظمي ... وسال دمعي منه كالعندم
مهفهف مر من مطعمي ... ما كان حلواً في مذاقاته
آه من العشق وحالاته ... أحرق قلبي بحرارته
مسكين من في الناس مثلي عشق ... وبات في جنح الليالي أرق
أن عام في بحر التجافي غرق ... يشكو من العشق وزفراته
آه من العشق وحالاته ... أحرق قلبي بحرارته
من ذا الذي بالعشق لم يبتل ... ومن نجا من كيده الأسهل
ومن به يعيش عيش الخلي ... وأين من فاز براحاته
آه من العشق وحالاته ... أحرق قلبي بحراراته
يارب دبر من به قد بلي ... وكفله نعم أنت من كافل
ورزقه منك بالثبات الجلي ... وألطف به في كل أوقاته
آه من العشق وحالاته ... أحرق قلبي بحرارته

فلما استتم نور الدين أقصى كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت في نفسها بنت الوزير وحق المسيح والدين الصحيح أن هذا المسلم شاب مليح ولسكنه لاشك عاشق مفارق فيا ترى معشوق هذا الشاب مليح مثله وهل عنده مثل ما عنده أم لا فإن كان معشوقه مليح مثله يحق له إسالة العبرات وشكوى الصبابات وإن كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وحرم طعم اللذات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الوزير قالت في نفسها فإن كان معشوقه مليحاً يحق له اسأله العبرات وإن كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير قد نقلت إلى القصر أمس ذلك اليوم وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر فعزمت أن تذهب إليها وتحدثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام فما استتمت الفكر في هذا الكلام حتى أرسلت خلفها السيدة مريم زوجة أبيها لأجل أن تؤانسها بالحديث فذهبت إليها فرأت صدرها ضيقاً ودموعها جارية على خدها وهي تبكي بكاء شديداً ما عليه من مزيد فقالت لها بنت الوزير أيتها الملكة لا تضيقي صدراً وقومي معي في هذه الساعة إلى شباك القصر فإن عندنا في الأصطبل شاباً مليحاً رشيق القوام حلو الكلام كأنه عاشق مفارق فقالت لها السيدة مريم بأي علامة عرفت أنه عاشق مفارق فقالت لها بنت الوزير أيتها الملكة عرفت ذلك بإنشاد القصائد والأشعار آناء الليل وأطراف النهار فقالت السيدة مريم في نفسها إن كان قول بنت الوزير بيقين فهذه صفات الكئيب المسكين على نور الدين فيا هل ترى هو ذلك الشاب الذي ذكرته بنت الوزير ثم أن السيدة مريم زاد بها العشق والهيام والوجد والغرام فقامت من وقتها وساعتها ومشت مع بنت الوزير إلى الشباك ونظرت منه

فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ودققت النظر فيه فعرفته حق المعرفة ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبته إياها ومن نار الوجد وألم الفراق والوله والاشتياق قد زاد به النحول فصار ينشد ويقول:

القلـب مملـوك وعينـي جاريـة ... لـيس لهـا سـحابة مجاريـة

بـين بكـائي وسـهادي والجـوى ... والنـوح والحـزن علـى احبابيـه

واحرقتـي وا حسـرتي وا لـوعتي ... تكاملـت أعـدادها ثمانيـة

وأتبعتهـا سـتة فـي خمسـة ... ألا قفـوا واسـتمعوا مقاليـه

ذكـر وفكـر وزفيـر وضـنى ... وفـرط شـوق واشـتغال باليـه

فـي محنـة وغربـة وصـبوة ... ولهفـة وترحـة ترانيـه

قـل اصـطباري واحتمـالي للجـوى ... لمـا نـأي صـبري دنـا محاليـه

قـد زاد فـي قلبـي تبـاريح الجـوى ... يا سائلا عـن نـار قلبـي مـا هيـه

ما بال دمعـي موقـداً فـي مهجتـي ... فنـار قلبـي لا تـزال حاميـه

أصبحت فـي طوفـان دمعـي غارقـاً ... ومن لظى هـذا الهـوى فـي هاويـه

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما فرغ من شعره وتحققت منه السيدة مريم فرأته سيدها نور الدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره تحققت أنه هو ولكنها أخفت أمرها عن بنت الوزير وقالت لها وحق المسيح والدين الصحيح ما كنت أحسب أن عندك خبراً بضيق صدري ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت إلى مكانها ومضت بنت الوزير إلى شغلها ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت إلى الشباك وجلست فيه وصارت تنظر إلى سيدها نور الدين وتتأمل في لطفه ورقة معانيه فرأته كالبدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر ولكنه دائم الحسرات جاري العبرات لأنه تذكر ما فات فأنشد هذه الأبيات:

أملـت وصـلات أحبتـي مـا نلتـه ... أبـداً ومـر العـيش قـد أوصـلته

دمعي يحـاكي البحـر فـي جريانـه ... وإذا رأيـت عـواذلي كفكتـه

آه علـى داع دعـا بفراقنـا ... لـو قلـت منـه لسـانه لقطعتـه

الأعتـب للأيـام فـي افعالهـا ... مزجت بصـرف المـر مـا جرعتـه

فلمن أسير إلى سـواكم قاصـداً مـن ... والقلـب فـي عرصـاتكم خلفتـه

منصـفي مـن ظـالم مـتحكم ... يـزداد ظلمـا كلمـا حكمتـه

ملكتـه روحـي لـيحفظ ملكـه ... فأضـاعني وأضـاع مـا ملكتـه

أنفقـت عمـري فـي هـواه وليتنـي ... أعطـي وصـولاً بالـذي أنفقتـه

يـا أيهـا الرشـا المسـلم بمهجتـي ... يكفي مـن الهجـران مـا قـد ذقتـه

أنت الـذي جمـع المحاسـن وجهـه ... لكـن عليـه تصـبري فرقتـه

أحللتـه قلبـي فحـل بـه الـبلا ... أنـي لـراض بالـذي أحللتـه

وجرت دمـوعي مثـل بحـر زاخـر ... لـو كنـت أعـرف مسـلكاً لسـلكته

وخشـيت خوفـاً أن أمـوت بحسـرة ... ويفـوت منـي كـل مـا أملتـه

فلما سمعت مريم من نور الدين العاشق المفارق المسكين أنشاد هذه الأشعار حصل عندها من كلامه استعبار فأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

تمنيـت مـن أهـوى فمـا لقيتـه ... ذهلت فلـم أملـك لسـاناً ولا طرفـاً

وكنـت معـداً للعتـاب دفـاترا ... فلما اجتمعنـا مـا وجـدت ولا حرفـاً

فلما سمع نور الدين كلام السيدة مريم عرفها فبكي بكاء شديداً وقال وا أن هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلا شك ولا رجم غيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما سمعها تنشد الأشعار قال في نفسه أن هذه نغمة السيدة مريم بلاشك ولا ريب ولا رجم غيب فيا ترى هل ظني صحيح وأنها هي بعينها أو غيرها ثم أن نور الدين زادت به الحسرات وأنشد هذه الأبيات:

لمـا رآنـي لائمـي فـي الهـوى ... صـادفت حبـي فـي مكـان رحيـب

ولـم أفـه بالعتـب عنـد اللقـا ... ورب عتـب فيـه يـره الكئيـب

فقـال مـا هـذا السـكوت الـذي ... صـدك عـن رد الجـواب المصـيب

فقلـت يـا مـن قـد غـدا جـاهلاً ... بحـال أهـل العشـق كالمسـتريب

علامـة العاشـق فـي عشـقه ... سـكوته عنـد لقـاء الحبيـب

فلما فرغ من شعره أحضرت السيدة مريم دواة وقرطاساً وكتبت فيه البسملة الشريفة أما بعد فسلام ا عليك ورحمته وبركاته أخبرك أن الجارية مريم تسلم عليك وهي كثيرة الشوق إليك وهذه مراسلتها إليك فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك أنهض من وقتك وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الاهتمام والحذر كل الحذر من المخالفة ومن أن تنام فإذا مضى ثلث الليل الأول فإن تلك الساعة من أسعد الأوقات فلا يكن لك فيها شغل إلا أن تشد الفرسين وتخرج بهما خارج المدينة وكل من قال لك أين أنت رائح فقل له أنا رائح أسيرهما فإذا قلت ذلك لا يمنعك أحد فإن أهل هذه المدينة واثقون بقفل الأبواب ثم أن السيدة مريم لفت الورقة في منديل حرير ورمتها إلى نور الدين من الشباك فأخذها وقرأها وفهم ما فيها وعرف أنها خط السيدة مريم فقبلها ووضعها بين عينيه ثم أن نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل بإصلاح الحصانين وصبر حتى مضى من الليل ثلثه الأول ثم قام من وقته وساعته إلى الحصانين ووضع عليهما سرجين من أحسن السروج وخرج بهما من باب الأصطبل وقفل الباب وسار بهما إلى باب المدينة وجلس ينظر السيدة مريم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما صار بالحصانين إلى باب المدينة جلس ينتظر السيدة مريم هذا ما كان من أمر نور الدين (وأما) ما كان من أمر الملكة مريم فإنها ذهبت من وقتها وساعتها إلى المجلس الذي هو معد لها في ذلك القصر فوجدت الوزير الأعور جالساً في ذلك المجلس متكئاً على مخده محشوة من ريش النعام وهو مستح أن يمد يده إليها أو يخاطبها فلما رأته ناجت ربها وقالت اللهم لا تبلغه مني أرباً ولا تحكم علي بالنجاسة بعد الطهارة ثم أقبلت عليه وأظهرت له المودة وجلست في جانبه ولاطفته وقالت له يا سيدي ما هذا الإعراض عنا هل هو منك تيه ودلال علينا ولكن صاحب المثل السائر يقول إذا بار السلام سلمت العقود على القيام فإن كنت يا سيدي ما تجيء عندي وتخاطبني أجيء أنا وأخاطبك فقال لها الوزير الفضل والجميل لك يا ملكة الأرض في الطول والعرض وهل أنا إلا من خدامك وأقل غلمانك وإنما أنا مستح أن أتهجم على مخاطبتك الفخمة أيتها الدرة اليتيمة ووجهي منك في الأرض فقالت له دعنا من هذا الكلام وأتنا بالمأكل والمشرب فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وأمرهم بإحضار المأكل والمشرب فقدموا له سفرة فيها ما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسماني وأفراخ الحمام ورضيع الضان وأوز سمين وفيها دجاج محمر وفيها من سائر الأشكال والألوان فمدة السيدة مريم يدها إلى السفرة وأكلت وصارت تلقم الوزير وتبوسه في فمه ومازالا يأكلان حتى اكتفيا من الأكل ثم غسلا أيديهما وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام وأحضروا سفرة المدام فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيه وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد أن يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح فلما غاب عقله عن الصواب وتمكن منه الشراب مدت يدها إلى جيبها وأخرجت منه قرصاً من البنج البكر المغربي الذي إذا شم منه الفيل أدنى رائحة نام من العام إلى العام وكانت أعدته لهذه الساعة ثم غافلت الوزير وفركته في القدح وملأته وأعطته إياه فطار عقله من الفرح وما صدق أنها تناوله إياه فأخذ القدح وشربه فما استقر في جوفه حتى خر صريعاً على الأرض في الحال فقامت السيدة مريم على قدميها وعمدت إلى خرجين كبيرين وملأتهما مما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر واليواقيت وأصناف المعادن المثمنة ثم حملت معها شيئاً من المأكل والمشرب ولبست آلة الحرب والكفاح من العدة والسلاح وأخذت معها نور الدين ما يسره من الملابس الملوكية الفاخرة وأهبة السلاح الباهرة ثم أنها رفعت الخرجين على أكتافها وخرجت من القصر وكانت ذات قوة وشجاعة وتوجهت إلى نور الدين هذا ما كان من أمر مريم (وأما) ما كان من أمر نور الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم لما خرجت من القصر توجهت إلى نور الدين وكانت ذات قوة وشجاعة هذا ما كان من أمر مريم (وأما) ما كان من أمر نور الدين العاشق المسكين فإنه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين في يده فأرسل ا عز وجل عليه النوم فنام وسبحان من لا ينام وكانت ملوك الجزائر في ذلك الزمان يبذلون المال رشوه على سرقة هذين الحصانين أو واحد منهما وكان موجوداً في تلك الأيام عبد أسود تربى في الجزائر يعرف بسرعة الخيل فصار ملوك الأفرنج يرشونه بمال كثير لأجل أن يسرق أحد الحصانين ووعده أنه أن سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعاً سنيه

وقد كان لذلك العمد زمان طويل يدور في مدينة أفرنجه وهو مختف فلم يقدر على أخذ الحصانين وهما عند الملك فلما وهبهما للوزير الأعور ونقلهما إلى اصطبله فرح فرحاً شديداً وطمع في أخذهما وقال وحق المسيح والدين الصحيح لأسرقنهما ثم أن العبد خرج في تلك الليلة قاصداً ذلك الأصطبل ليسرق الحصانين فبينما هو ماش في الطريق إذ لاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائماً ومقاود الحصانين في يده فنزع المقاود من رؤوسهما وأراد أن يركب واحد أو يسوق الآخر قدامه وإذا بالسيدة مريم قد أقبلت وهي حاملة الخرجين على كتفها فظنت أن العبد هو نور الدين فناولته أحد الخرجين فوضعه على الحصان ثم ناولته الثاني فوضعه على الحصان الآخر وهو ساكت وهي تظن أنهنور الدين ثم أنها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له يا سيدي نور الدين مالك ساكتاً فالتفت العبد إليها وهو مغضب وقال لها أي شيء تقولين يا جارية فسمعت بربرة العبد فعرفت أنها غير لغة نور الدين فرفعت رأسها إليه ونظرته فوجدت له مناخير كالأبريق فلما نظرته صار الضياء في وجهها ظلام فقالت له من تكون يا شيخ بني حام وما أسمك بين الأنام فقال لها يابنت اللئام أنا اسمي مسعود سراق الخيل والناس نيام فما ردت عليه بشيء من الكلام بل جردت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علائقه فوقع صريعاً على الأرض يتخبط في دمه وعجل ا بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك أخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحداً منهما وقبضت الآخر في يدها ورجعت على عقبها تفتش على نور الدين فلقبته راقد في المكان الذي واعدته بالاجتماع فيه والمقاود في يده وهو نائم يغط في نومه ولم يعرف يديه من رجليه فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوباً وقال لها يا سيدتي الحمد على مجيئك سالمة فقالت له قم اركب هذا الحصان وأنت ساكت فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثاني وخرجا من المدينة وسارا ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت مريم إلى نور الدين وقالت له أما قلت لك لا تنم فإنه لا أفلح من ينام فقال يا سيدتي أنا ما نمت إلا من برد فؤادي بميعادك وأي شيء جرى يا سيدتي فأخبرته بحكاية العبد من المبتدأ إلى المنتهى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة مريم لما أخبرت نور الدين بحكاية العبد من المبتدأ إلى المنتهى فقال لها نور الدين الحمد على السلامة ثم جدا في إسراع المسير وقد أسلما أمرهما إلى اللطيف الخبير وصارا يتحدثان حتى وصلا إلى العبد الذي قتلته السيدة مريم فرآه مرميا في التراب كأنه عفريت فقالت مريم لنور الدين أنزل جرده من ثيابه وخذ سلاحه فقال لها يا سيدتي وا أنا لا أقدر أن أنزل عن ظهر الحصان ولا أقف عنده ولا أتقرب منه وتعجب نور الدين من خلقته وشكر السيدة مريم على فلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم ساروا ولم يزالا سائرين سيراً عنيفاً بقية الليل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابي والبطاح فوصلا إلى مرج أفيح فيه الغزلان تمرح وقد أخضرت سنه الجوانب وتشكلات فيه الأثمار من كل جانب وأزهاره كبطون الحيات والطيور فيه عاكفات وجدا وله تجري مختلفة الصفات فعند ذلك نزلت السيدة مريم هي ونور الدين ليستريحا في ذلك الوادي فأكلا من أثماره وشربا من أنهاره وأطلقا الحصانين يأكلان في المرعى فأكلا وشربا من ذلك الوادي وجلس نور الدين هو ومريم

يتحدثان ويتذاكران حكايتهما وما جرى لهما وكل منهما يشكو لصاحبه ما لاقاه من ألم الفراق وما قاساه من الاشتياق فبينما هما كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح وكان السبب في ذلك أن الملك لما زوج ابنته للوزير ودخل عليها في تلك الليلة وأصبح الصباح أراد الملك أن يصبح عليها كما جرت به عادة الملوك في بناتهم فقام وأخذ معه أقمشة الحرير وتبر الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان إلى أن وصل إلى القصر الجديد فوجد الوزير مرمياً على الفرش لا يعرف رأسه من رجليه فالتفت الملك في القصر يميناً وشمالاً فلم ير ابنته فيه فتكدر حاله واشتغل باله وأمر بإحضار الماء السخن والخل البكر والكندر فلما أحضر له ذلك خلطهم ببعضهم وسعط الوزير بهم ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن ثم أن الملك سعط الوزير بذلك ثاني مرة فانتبه فسأله عن حاله وعن حال ابنته فقال له أيها الملك الأعظم لا علم لي بها غير أنها سقتني قدحاً من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ما عرفت روحي إلا في هذه الساعة ولا أعلم ما كان من أمرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك أن مريم من ساعة ما أعطتني قدح الخمر ما عرفت روحي إلا في هذا الوقت ولا أعلم ما كان من أمرها فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاماً وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من أضراسه ثم أن الملك أرسل من وقته وساعته إلى الغلمان والسياس فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له أيها الملك أن الحصانين فقدا في هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما أيضاً فإننا لما أصبحنا وجدنا الأبواب كلها مفتوحة فقال الملك وحق ديني وما يعتقده يقيني ما أخذ الحصانين إلا التي هي والأسير الذي كان يخدم الكنيسة وكان قد أخذها في المرة الأولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلصه من يدي إلا هذا الوزير الأعور وقد جوزي بفعله ثم أن الملك دعا في الوقت بأولاده الثلاثة وكانوا أبطالاً وشجعاناً كل واحد منهم يقوم بألف فارس في حومة الميدان ومقام الضرب والطعان ثم صاح الملك عليهم وأمرهم بالركوب فركبوا وركب الملك بجماتهم مع خواص بطارقته وأرباب دولته وأكابرهم وصاروا يتبعون أثرهما فلحقوهما في ذلك الوادي فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلدت بسيفها وحملت آلة سلاحها وقالت لنور الدين ما حالك وكيف قلبك في القتال والحرب والنزال فقال لها أن ثباتي في النزال مثل ثبات الوتد في النخال ثم أنشد وقال:

يــا مــريم اطرحــي ألــيم عتــابي	لا تقصــدي قتلــي وطــول عــذابي
من أيــن لــي أنــي أكــون محاربــاً	أنــي لأ فــزع مــن نعــاق غــراب
وإذا نظــرت الفــار أفــزع خيفـــة	وأبــول مــن خــوفي علــى أثــوابي
أنــا لا أحــب الطعـــن إلا خلــوة	والكــس يعــرف ســطوة الأزبــاب
هذا هــو الــرأي الســديد ومــا يــرى	من دون هــذا الــرأي غيــر صــواب

فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام والشعر والنظام أظهرت له الضحك والابتسام وقالت له يا سيدي نور الدين استقم مكانك وأنا أكفيك شرهم ولو كانوا عدد الرمل ثم أنها تهيأت من وقتها وساعتها

وركبت ظهر جوادها وأطلقت من يدها طرف العنان وأدارت الرمح جهة السنان فخرج ذلك الحصان من تحتها كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وقد كانت مريم أشجع أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها لأن أباها علمها وهي صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب في ظلام الليل وقالت لنور الدين أركب جوادك وكن خلف ظهري وإذا أنهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فإن جوادك ما يلحقه لا حق فلما نظر الملك إلى أبنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت إلى ولده الأكبر وقال له يا برطوط يا مقلب برأس القلوط إن هذه أختك مريم لاشك فيها ولا ريب وقد حملت علينا وطلبت حربنا وقتالنا فأبرز إليها واحمل عليها وحق المسيح والدين الصحيح أنك إن ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصارى فإن رجعت إلى دينها القديم فارجع بها اسيرة وإن لم ترجع إليه فاقتلها أقبح قتلة ومثل بها أشنع مثله وكذلك هذا الملعون الذي معها مثل به أقبح مثله فقال له برطوط السمع والطاعة ثم برز لأخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقربت إليه فقال لها برطوطياً مريم أما يكفي ما جرى منك حيث تركت دين الآباء والأجداد واتبعت دين السياحين في البلاد يعني دين الإسلام ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح إن لم ترجعي إلى دين آبائك وأجدادك من الملوك وتسلكي فيه أحسن السلوك لأقتلنك أشر قتلة وأمثل بك أقبح مثلة فضحكت مريم من كلام أخيها وقالت وهيهات أن يعود ما فات أو يعيش من مات بل أجرعك أشد الحسرات وأنا وا لست براج-عة عن دين محمد بن عبد ا الذي عم هداه فإنه هو الدين الحق فلا أترك الهدى ولو سقيت كؤوس الردى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم قالت لأخيها هيهات أن أرجع عن دين محمد بن عبد ا الذي علم هداه فإنه دين الهدى ولو سقيت كؤوس الردى فلما سمع الملعون برطوط من أخته هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وعظم ذلك عليه وكبر لديه والتحم بينهما القتال واشتد الحرب والنزال وغاص الاثنان في الأودية العراض الطوال وصبراً على الشدائد وشخصت لهم الأبصار فأخذهما الأنبهار ثم تجاولا ملياً واعتركا طويلاً وصار برطوط كلما يفتح لأخته مريم باباً من الحرب تبطله عليه وتسده بحسن صناعتها وقوة براعتها ومعرفتها وفروسيتها ولم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤسهما الغبار وغاب الفارسان عن الأبصار ولم تزل مريم تحاوله وتسد عليه طرائقه حتى كلّ وبطلت همته واضمحل عزمه وضعفت قوته فضربته بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه وعجل ا بروحه إلى النار وبئس القرار ثم أن مريم جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وطلبت البراز وسألت الأنجاز وقالت هل من مقاتل هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز لا يبرز لي إلا أبطال أعداء الدين لأسقيهم كأس العذاب المهين يا عبدة الأوثان وذي الكفر والطغيان هذا يوم تبيض فيه وجوه أهل الإيمان وتسود وجوه أهل الكفر بالرحمن فلما رأى الملك ولده الكبير قتل لطم على وجهه وشق أثوابه وصاح على ولده الوسطاني وقال له يا برطوس يا مقلب بجزء السوس أبرز ياولادي بسرعة إلى قتال أختك مريم وخذ ثار أخيك برطوط وأئتني بها أسيرة ذليلة حقيرة فقال له يا أبت السمع والطاعة ثم أنه برز لأخته مريم وحمل عليها فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هي وإياه قتالاً شديداً أشد من القتال الأول فرأى أخوها الثاني نفسه عاجزاً عن قتالها فأراد الفرار والهروب

فلم يمكنه ذلك ممن شدة بأسها لأنه كلما ركن إلى الفرار تقربت منه ولا صقته وضايقته ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبته وألحقته بأخيه وبعد ذلك جالك في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وقالت أين الفرسان والشجعان أين الوزير الأعور الأعرج فعند ذلك صاح أبوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال أنها قتلت ولدي الأوسط وحق المسيح والدين الصحيح ثم أنه صاح على ولده الصغير وقال له يا فسيان يا مقلب بسلخ الصبيان أخرج يا ولدي إلى قتال أختك وخذ منها ثار أخويك وصادمها أماك أو عليك وأن ظفرت بها فاقتلها أقبح قتلة فعند ذلك برز لها أخوها الصغير وحمل عليها فنهضت إليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها وحرفتها بالحرب وفروسيتها وقالت له يا عدو ا وعدو المسلمين لألحقنك بأخويا وبئس مثوى الكافرين ثم أنها جذبت سيفها من غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه ولحقته بأخويه وعجل ا بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع أبيها أولاده الثلاثة قد قتلوا وكانوا أشجع أهل زمانهم وقع في قلوبهم الرعب من السيدة مريم وأدهشتهم الهيبة ونكسوا رؤوسهم على الأرض وأيقنوا بالهلاك والدمار والذل والبوار واحترقت قلوبهم من الغيظ بلهيب النار فولّوا الأدبار وركنوا إلى الفرار فلما نظر الملك إلى أولاده وقد قتلوا وإلى عساكره وقد أنهزموا أخذته الحيرة والانبهار واحترق قلبه بلهيب النار وقال في نفسه أن السيدة مريم قد استقلت بناران جازفت بنفسي وبرزت إليها وحدى ربما غلبت على وقهرتني فتقتلني أشنع قتلة وتمثل بي أقبح مثلة كما قتلت أخوتها لأنها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا في رجوعها طمع والرأي عندي أن أحفظ حرمتي وأرجع إلى مدينتي ثم أن الملك أرخى عنان فرسه ورجع إلى مدينته فلما استقر في قصره انطلقت في قلبه النار من أجل قتل أولاده الثلاثة وانهزام عسكره وهتك حرمته فما استقر نصف ساعة حتى طلب أرباب دولته وكبراء مملكته وشكا إليهم فعل ابنته مريم معه من قتلها لأخواتها وما لاقاه من القهر والحزن واستشارهم فأشاروا عليه كلهم أن يكتب كتاباً إلى خليفة ا في أرضه أمير المؤمنين هارون الرشيد ويعلمه بهذه القضية فكتب إلى الرشيد مكتوباً مضمونه بعد السلام على أمير المؤمنين أن لنا بنتاً أسمها مريم الزنارية قد أفسدها علينا أسير من أسرى المسلمين اسمه نور الدين على ابن التاجر تاج الدين المصري وأخذها ليلاً وخرج بها إلى ناحية بلاده وأنا أسأل من فضل مولانا أمير المؤمنين أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها إلينا مع رسول أمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك أفرنجة لما كتب إلى الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد كتاباً يتضرع إليه فيه ويطلب ابنته مريم ويسأله من فضله أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها مع رسول أمين من خدام حضرة أمير المؤمنين ومن جملة مضمون ذلك الكتاب أننا نجعل لكم نظير مساعدتكم لنا على هذا الأمر نصف مدينة رومه الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين وتجعل إليكم خراجها وبعد أن كتب الكتاب برأي أهل مملكته وكبراء دولته طواه ودعا بوزيره الذي جعله وزيراً مكان الوزير الأعور وأمره أن يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمه أرباب دولته بعد أن وضعوا خطوط أيديهم فيه ثم قال لوزيره إن أتيت بها فلك عندي إقطاع أميرين وأخلع عليك خلعة بطرازين ثم ناوله الكتاب وأمره أن يسافر

إلى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب إلى أمير المؤمنين من يده إلى يده ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الأودية والقفار حتى وصل إلى مدينة بغداد فلما دخلها مكث فيها ثلاثة أيام حتى استقر واستراح ثم سأل عن قصر أمير المؤمنين هارون الرشيد فدلوه عليه فلما وصل إليه طلب إذناً من أمير المؤمنين في الدخول عليه فأذن له في ذلك فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب الذي من ملك أفرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بأمير المؤمنين فلما فتح الخليفة المكتوب قرأه وفهم مضمونه أمر وزرائه من وقته أن يكتبوا المكاتيب إلى سائر بلاد المسلمين ففعلوا ذلك وبينوا في المكاتيب صفة مريم وصفة نور الدين واسمه واسمها وأنهما هاربان فكل من وجدهما فليقبض عليهما ويرسلهما إلى أمير المؤمنين وحذروهم من أن يعطوا في ذلك إمهالاً أو إهمالاً أو غفلة ثم ختمت الكتب وأرسلت مع السعاة فبادروا في إمتثال الأمر وساروا يفتشون في سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة هذا ما كان من أمر هؤلاء الملوك واتباعهم (وأما) ما كان من أمر نور الدين المصري ومريم الزنارية بنت ملك أفرنجة فأنهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما وساعتهما وسارا إلى بلاد الشام وقد ستر عليهما الرحمن فوصلا إلى مدينة دمشق وكانت الطلائع التي أرسلها الخليفة قد سبقتهما إلى دمشق الشام بيوم فعلم أمير دمشق أنه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما ليحضرهما بين يدي الخليفة فلما كان يوم دخولهما إلى دمشق أقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما فأخبراهم بالصحيح رقصاً عليهم قصتهما وجميع ما جرى عليهما فعرفوهما وقبضوا عليهما وأخذوهما وساروا بهما إلى أمير دمشق فارسلهما إلى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام فلما وصلوا إليها استأذنوا في الدخول على أمير المؤمنين هارون الرشيد فأذن لهم فلما دخلوا عليه قبلوا الأرض بين يديه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواسيس دخلوا على أمير المؤمنين وقالوا له يا أمير المؤمنين إن هذه مريم الزنارية بنت ملك أفرنجة وهذا نور الدين ابن التاجر تاج الدين المصري الأسير الذي أفسدها على أبيها وسرقها من بلاده ومملكته وهرب بها إلى دمشق فوجدناهما وقت دخولهما دمشق وسألناهما عن أسمائهما فأجابونا بالصحيح فعند ذلك أتينا بهما وأحضرناهما بين يديك فنظر أمير المؤمنين إلى مريم فرآها رشيقة القد والقوام فصيحة الكلام مليحة أهل زمانها فريدة عصرها وأوانها حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب فلما وصلت إليه قبلت الأرض بين يديه ودعت له بدوام العز والنعم وزوال البؤس والنقم فأعجب الخليفة حسن قوامها وعذوبة ألفاظها وسرعة جوابها فقال لها هل أنت مريم الزنارية بنت ملك أفرنجة قالت نعم يا أمير المؤمنين وأمام الموحدين وحامي حومة الدين وابن عم سيد المرسلين فعند ذلك التفت الخليفة فرأى علياً نور الدين شاباً مليحاً حسن الشكل كأنه البدر المنير في ليلة تمامه فقال له الخليفة هل أنت علي نور الدين الأسير ابن التاجر تاج الدين المصري قال نعم يا أمير المؤمنين وعمدة القاصدين فقال الخليفة كيف أخذت هذه الصبية من مملكة أبيها وهربت بها فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ما جرى له من أول الأمر إلى آخره فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون لما سأل نور الدين عن قصته وأخبره بجميع ما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال ما أكثر ما تقاسيه لرجال ثم أنه التفت إلى السيدة مريم وقال يا مريم اعلمي أن والدك ملك أفرنجه قد كاتبنا في شأنك فما تقولين قالت يا خليفة ا في أرضه وقائماً بسنة نبيه وفرضه خلد ا عليك النعم وأجارك من البؤس والنقم أنت خليفة ا في أرضه أني قد دخلت دينكم لأنه هو الدين القويم الصحيح وتركت ملة الكفرة الذين يكذبون على المسيح وقد صرت مؤمنة با الكريم ومصدقة بما جاء به رسوله الرحيم أعبد ا سبحانه وتعالى وأوحده وأسجد خاضعة إليه وأمجده وأنا قائلة بين يدي الخليفة أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً رسول ا أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهل وسعك يا أمير المؤمنين أن تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلني إلى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الأصنام ويعتقدون إلهية عيسى وهو مخلوق فإن فعلت بي ذلك يا خليفة ا أتعلق باذيأ لك يوم العرض على ا وأشكوك إلى ابن عمك رسول ا ﷺ (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى ا بقلب سليم) فقال أمير المؤمنين يا مريم معاذ ا أن أفعل ذلك أبداً كيف أرد امرأة مسلمة موحدة با ومصدقة برسوله إلى ما نهى ا عنه ورسوله فقالت مريم أشهد أن لا إله إلا ا محمداً رسول ا فقال لها أمير المؤمنين يا مريم بارك ا فيك وزادك هداية إلى الإسلام وحيث كنت مسلمة موحدة با فقد صار لك علينا حق واجب وهو أنني لا أفرط فيك أبداً ولو بذل لي من أجلك ملء الأرض جواهر وذهباً فطيبي نفساً وقري عيناً وانشرحي صدراً ولا يكن خاطرك إلا طيباً فهل رضيت أن يكون هذا الشاب نور الدين المصري لك بعلاً وتكوني له أهلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لمريم هل رضيت أن يكون نور الدين المصري لك بعلاً وتكون له أهلاً فقالت مريم يا أمير المؤمنين كف لا أرضي أن يكون لي فعلاً وقد اشتراني بماله وأحسن إلى غاية الإحسان ومن تمام إحسانه أنه خاطر بروحه من أجلي مراراً عديدة فزوجها به مولانا أمير المؤمنين وعمل لها مهراً وأحضر القاضي والشهود وأكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوماً مشهوداً ثم بعد ذلك التفت أمير المؤمنين من وقته وساعته إلى وزير ملك الروم وكان حاضراً في تلك الساعة وقال لها هل سمعت كلامها كيف أرسلها إلى أبيها الكافر وهي مسلمة موحدة با وربما أساءها وأغلظ عليها خصوصاً وقد قتلت أولاده فأتحمل أنا ذنبها يوم القيامة وقد قال ا تعالى (ولن يجعل ا للكافرين على المؤمنين سبيلاً) فارجع إلى ملكك وقل له ارجع عن هذا الأمر ولا تطمع فيه وكان ذلك الوزير أحمق فقال للخليفة يا أمير المؤمنين وحق المسيح والدين الصحيح أني لا يمكنني الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة لأني لو رجعت إلى أبيها بدونها يقتلني فقال الخليفة خذوا هذا الملعون واقتلوه وأنشد هذا البيت:

هـ ـــذا جـ ـــزاء مـ ـــن عصـ ـــى   مـ ـ ـــن فوقـ ـ ـــه وعصـ ـ ـــيانه

ثم أمر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه فقالت السيدة مريم يا أمير المؤمنين لا تنجس سيفك بدم الملعون ثم جردت سيفها وضربته به فأطاحت رأسه عن جثته فذهب إلى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوة جنانها ثم خلع على نور الدين خلعة سنية وأفرد لهما مكاناً في قصره هي ونور الدين ورتب لهما المرتبات والجوامك والعلوفات وأمر بأن ينقل إليهما جميع ما يحتاجان إليه من الملابس والمفارش والأواني النفيسة وأقاما في بغداد مدة من الزمان وهما في أرغد عيش وأهناه وبعد ذل اشتاق نور الدين إلى أمه وأبيه فعرض الأمر على الخليفة وطلب منه إذناً في التوجه إلى بلاده وزيارة أقاربه فدعا بمريم وأحضرها بين يديه وأجازه بالتوجه وأتحفه بالهدايا والتحف المثمنة وأوصى مريم ونور الدين ببعضهما ثم أمر بالمكاتيب إلى أمراء مصر المحروسة وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين مرور والديه وجاريته وإكرامهم غاية الإكرام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين كتب إلى أمراء مصر وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين ووالديه وجاريته وأكرامهم غاية الأكرام فلما وصلت الأخبار إلى مصر فرح التاجر تاج الدين بعودة ولده نور الدين وكذلك أمه فرحت بذلك غاية الفرح وخرج للقائه الأكابر والأمراء وأرباب الدولة من أجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب وصارت الولائم كل يوم على واحد من الأمراء وفرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم والترح وكذلك فرحوا بالسيدة مريم وأكرموها غاية الأكرام ووصلت إليهم الهدايا والتحف من سائر الأمراء والتجار العظام وصار وأكل يوم في انشراح جديد وسرور أعظم من سرور العيد ولم يزالوا في فرح ولذات ونعم جزيلة مطربات وأكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الدور والقصور ومعمر بطون القبور فانتقلوا من الدنيا بالممات وصاروا في عداد الأموات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت.

(حكاية الشاب البغدادي مع جاريته التي اشتراها)

(يحكى) أنه كان في قديم الزمان رجل بغدادي من أولاد أهل النعم ورث عن أبيه مالا جزيلاً وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها إلى أن ذهب جميع ماله ولم يبق منه شيء فطلب شيئاً من أسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر وكان ذلك الفتى في أيام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء فبلغ فيها الغاية القصوى فاستشار بعض أخوانه فقال له أنا لا أعرف لك صنعة أحسن من أن تغني أنت وجاريتك فتأخذ على ذلك المال الكثير وتاكل وتشرب فكره ذلك هو والجارية فقالت له جاريته قد رأيت لك رأياً قال وما هو قالت تبيعني ونخلص من هذه الشدة أنا وأنت وأكون في نعمة فإن مثلي ما يشتريه إلا ذو نعمة وبذلك أكون سبباً في رجوعي إليك فاطلعها إلى السوق فكان أول من رآها رجل هاشمي من أهل البصرة وكان ذلك الرجل أديباً ظريفاً كريم النفس فاشتراها بألف وخمسمائة ديناراً وذلك الفتى صاحب الجارية فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت أنا والجارية وطلبت الإقالة فلم يرض فوضعت الدنانير في الكيس

وأنا لا أدري أين أذهب لأن بيتي موحش منها وحصل لي من البكاء واللطم والنحيب ما لم يحصل لي قط فدخلت بعض المساجد وقعدت أبكي فيه واندهشت حتى صرت لا أعلم بنفسي فنمت وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة فلم أشعر إلا وإنسان قد جذبه من تحت رأسي ومضى يهرول فانتبهت فزعاً مرعوبا فلم أجد الكيس فقمت أجري خلفه وإذا برجلي مربوطة في حبل فوقعت على وجهي وصرت أبكي وألطم وقلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال قلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك وزادني الحال فجئت إلى الدجلة وحملت ثوبي على وجهي وألقيت نفسي في البحر ففطن بي الحاضرون وقالوا إن ذلك لعظيم هم حصل له فرموا أرواحهم خلفي وأطلعوني وسألوني عن أمري فأخبرتهم بما حصل لي فتأسفوا لذلك ثم جاءني شيخ منهم وقال قد ذهب مالك وكيف تتسبب في ذهاب روحك فتكون من أهل النار قم معي حتى أرى منزلك ففعلت ذلك فلما وصلنا إلى منزلي قعد عندي ساعة حتى سكن ما بي فشكرته وذلك ثم انصرف فلما خرج من عندي كدت أن أقتل روحي فتذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتي هارباً إلى بعض الأصدقاء فأخبرته بما جرى لي فبكى رحمة لي وأعطاني خمسين ديناراً وقال لي أقبل رأيي وأخرج في هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك على أن يشتغل قلبك عن حبها وتسلوها وأنت من أهل الإنشاء والكتابة وخطك جيداً وأدبك بارع فأقصد من شئت من العمال واطرح نفسك عليه لعل ا يجمعك بجاريتك فسمعت منه وقد قوي عزمي وأزال عني بعض همي وعزمت على أنني أقصد فرض أواسط لأن بها أقارب فخرجت إلى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون إليها أمتعة وقماشاً فاخراً فسألتهم أن يأخذوني معهم فقالوا إن هذه السفينة لرجل هاشمي ولا يمكننا أخذك على هذه الصورة فرغبتهم في الأجرة فقالوا إن كان ولابد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التي عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت شيئاً من ثياب الملاحين ولبسته وجئت إلى السفينة وكانت متوجهة إلى البصرة فنزلت معهم فما كان إلا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان يخدمانها فسكن ما كان عندي من الغيظ وقلت في نفسي ها أنا أراها وأسمع غناءها إلى البصرة فما أسرع أن جاء الهاشمي راكباً ومعه جماعة فنزلوا في تلك السفينة وانحدرت بهم وأخرج الطعام فأكل هو والجارية وأكل الباقون في وسط السفينة ثم قال الهاشمي الجارية كم هذا التمنع من الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق من يحب فعلمت ما كان عندها من أمر حبي ثم ضرب سائراً على الجارية في جانب السفينة واستدعى الذين كانوا في ناحيتي وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فإذا هم أخوته ثم أخرج لهم ما يحتاجون إليه من الخمر والنقل ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء إلى أن استدعت بالعود وأصلحته وأخذت تغني فأنشدت هذين البيتين:

بــان الخلــيط بمــن أحــب فــادلجوا ... وعن الســرى بمنــأى لــم يتحرجــوا
والصـــب بعـــد أن اســـتقل ركـــابهم ... جمـــر الغضـــى فـــي قلبـــه يتـــأجج

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية بعدما أنشدت بيتين الشعر غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء فتنغص القوم ووقعت أنا مغشياً علي فظن القوم أني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني ولم يزالوا يلاطفونها ويطلبون منها الغناء إلى أن أصلحت العود وأخذت تغني فأنشدت

فوقفـت أنـدب ظـاعنين تحملـوا هم فـي الفـؤاد وأن نـأوا وترحلـوا

وقالت أيضاً:

ووقفـت بـالأطلال أسـأل عـنهم والـدار قفـر والمنـازل بلقـع

ثم وقعت مغشياً عليها وارتفع البكاء من الناس وصرخت أنا ووقعت مغشياً على وضح الملاحون مني فقال بعض غلمان الهاشمي كيف حملتم هذا المجنون ثم قال بعضهم لبعض إذا وصلتم إلى بعض القرى فأخرجوه وأريحونا منه فحصل لي من ذلك هم عظيم وعذاب أليم فتجلدة غاية التجلد وقلت في نفسي لا حيلة لي في الخلاص من أيديهم إلا أن أعلمها بمكاني من السفينة لتمنع من أخراجي ثم صرنا حتى وصلنا إلى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة أصعدوا بنا الشاطيء فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء فقمت حتى صرت خلف الستارة وأخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها مني ثم رجعت إلى موضعي من السفينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٨٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفتى قال ثم رجعت إلى موضعي من السفينة وبعد ذلك نزل القوم من الشاطيء ورجعوا إلى مواضعهم في السفينة وانبسط القمر على البر والبحر فقال الهاشمي للجارية با عليك لا تتغضي علينا عيشنا فأخذت العود وجسته بيدها وشهقت فظنوا أن روحها قد خرجت ثم قالت وا أن أستاذي معنا في هذه السفينة فقال الهاشمي وا لو كان معنا ما ضيعته من معاشرتنا لأنه ربما كان يخفف ما بك فننتفع بغنائك ولكن كونه في السفينة أمر بعيد فقالت لا أقدر على ضرب العود وتقليب الأهوية ومولاي معنا قال الهاشمي تسأل الملاحين فقالت أفعل فسألهم وقال هل حملتم معكم أحداً فقالوا لا فخفت أن ينقطع السؤال فضحكت وقلت نعم أنا أستاذها وعلمتها حين كنت سيدها فقالت وا إن هذا كلام مولاي فجاءني الغلمان وأخذوني إلى الهاشمي فلما رآني عرفني فقال ويحك ما هذا الذي أنت فيه وما أصابك حتى صرت في هذه الحالة فحكيت له ما جرى من أمري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمي هو وأخوته بكاء شديداً رأفة بي ثم قال وا ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولا سمعت لها غناء إلا اليوم وأنا رجل قد وسع ا علي وإنما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاقي من أمير المؤمنين وقد بلغت الأمرين ولما أردت الرجوع إلى وصني قلت في نفسي أسمع شيئاً من غناء بغداد فاشتريت هذه الجارية ولم أعلم أنكما على هذه الحالة فأنا أشهد ا على أن هذه الجارية إذا وصلت إلى البصرة اعتقتها وأزوجك إياها وأجري لكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شرط أني إذا أردت السماع يضرب لها ستارة وتغني من خلف الستارة وأنت من جملة أخواني وندمائي ففرحت بذلك ثم أن الهاشمي أدخل رأسه في الستارة وقال لها

أيرضيك ذلك فأخذت تدعوا له وتشكره ثم استدعى بغلام له وقال له خذ بيد هذا الشاب وأنزع ثيابه وألبسه ثياباً فاخرة وبخره وقدمه إلينا فأخذني الغلام وفعل بي ما أمره سيده وقدمني إليه فوضع بين يدي الشراب مثل ما وضعه بين أيديهما ثم اندفعت الجارية تغنى بأحسن النغمات وتنشد هذه الأبيات:

عبرونـــي بـــأن ســـكنت دمـــوعي حـــين جـــاء الحبيـــب للتوديـــع
لـــم يـــذوقوا طعـــم الفـــراق ولامـــا أحرقت لوعة الأســـى مـــن ضـــلوعي
إنمـــا يعـــرف الغـــرام كئيـــب ســـاقط القلـــب بـــين تلـــك الربـــوع

قال فطرب القوم من ذلك طرباً شديداً وزاد فرح الفتى بذلك ثم أخذ العود من الجارية وضرب به على أحسن النغمات وأنشد هذه الأبيات:

اســـأل العـــرف أن ســـألت كريمـــاً لـــم يـــزل يعـــرف الغنـــى واليســـار
فســـؤال الكـــريم يـــورث عـــزاً وســـؤال اللئـــيم يـــورث عـــاراً
وإذا لـــم يكـــن مـــن الـــذل بـــد فـــالق بالـــذل أن ســـألت الكبـــارا
لـــيس إجلالـــك الكـــريم بـــذل إنمـــا الـــذل أن أتجـــل الصـــغارا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم ولم يزالوا في فرح وسرور وأنا أغني ساعة والجارية ساعة إلى أن جئنا إلى بعض السواحل فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وسعدت أنا أيضاً وكنت سكران فقعدت أبول فغلبني النوم فنمت ورجعت الركاب إلى السفينة وأنحدرت بهم ولم يعلموا بي لأنهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة إلى الجارية ولم يبق معي شيء ووصلوا إلى البصرة ولم أنتبه إلا من حر الشمس فقمت من ذلك المكان فما رأيت أحداً ونسيت أن أسأل الهاشمي عن اسمه وأين داره بالبصرة وبأي شيء يعرف وبقيت حيران وكان ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام ولم أزل متحيراً حتى احتارت بي مركب عظيمة ونزلت فيها ودخلت البصرة وما كنت أعرف بها أحداً ولا أعرف بيت الهاشمي فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البغدادي صاحب الجارية لما دخل البصرة وصار حيران وهو لا يعرف أحداً ولا يعرف دار الهاشمي قال فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة وقعدت أكتب فاستحسن خطي ورأى ثوبي دنسا فسألني عن أمري فأخبرته أني غريب فقير وقال أتقيم عندي ولك في كل يوم نصف درهم وأكلك وكسوتك وتضبط لي حساب دكاني فقلت له نعم وأقمت عنده وضبطت أمره ودبرت له دخله وخرجه فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصاً فشكرني على ذلك ثم أنه جعل لي في كل يوم درهماً إلى أن حال الحول فدعاني أن أتزوج يا بنته ويشاركني في الدكان فأجبته إلى ذلك ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان إلا أني منكسر الخاطر والقلب ظاهر الحزن فمكثت على تلك الحالة مدة سنتين فبينما أنا في الدكان وإذا بجماعة معهم طعام وشراب فسألت البقال عن القضية فقال هذا يوم المتنعمين يخرج فيه أهل الطرب واللعب والفتيان من ذوي النعمة إلى شاطيء البحر يأكلون ويشربون بين الأشجار على نهر

الأيلة فدعتني نفسي إلى الفرجة على هذا الأمر وقلت في نفسي لعلي إذ شاهدت هؤلاء الناس أجتمع بمن أحب فقلت للبقال أنني أريد ذلك فقال شأنك والخروج معهم ثم جهز لي طعاماً وشراباً وسرت حتى وصلت إلى نهر الأيلة فإذا الناس ينصرفون فأردت الإنصراف معهم وإذا بريس السفينة التي كان فيها الهاشمي والجارية بعينه وهو سائر في نهر الأيلة فصحت عليهم فعرفني هو ومن معه وأخذوني عندهم وقالوا لي هل أنت حي وعانقوني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها فقالوا أنا ظننا أنه قوي عليك السكر وغرقت في الماء فسألتهم عن حال الجارية فقالوا أنها لما علمت بفقدك مزقت ثيابها وأحرقت العود وأقامت على اللطم والنحيب فلما رجعنا مع الهاشمي إلى البصرة قلنا لها أتركي هذا البكاء والحزن فقالت أنا لبس السواد واجعل لي قبراً في جانب هذه الدار فأقيم عند ذلك القبر وأتوب عن الغناء فمكناها من ذلك وهي على تلك الحالة إلى الآن ثم أخذوني معهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البغدادي قال فأخذوني معهم فلما وصلت إلى الدار رأيتها على تلك الحالة فلما رأتني شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت أنها ماتت فاعتنقتها عناقاً طويلاً ثم قال لي الهاشمي خذها فقلت نعم ولكن اعتقها كما وعدتني وزوجني بها ففعل ذلك ودفع إلينا أمتعة نفسه وثياباً كثيرة وفرشاً وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت أجراءه لكما في كل شهر ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية ثم أخلي لنا دار وأمر بأن ينقل إليها جميع ما نحتاج إليه فلما توجهت إلى تلك الدار وجدتها قد غمرت بالفرش والقماش وحملت إليها الجارية ثم أنني جئت إلى البقال وأخبرته بجميع ما حصل لي وسألته أن يجعلني في حل من طلاق ابنته من غير ذنب ودفعت إليها مهرها وما يلزمني وأقمت مع الهاشمي على ذلك سنتين وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لي حالتي التي كنت فيها أنا والجارية في بغداد وقد فرج ا الكريم عنا وأسبغ جزيل النعم علينا وجعل مال صبرنا إلى الظفر بالمراد فله الحمد في المبدأ والمعاد وا أعلم.

(حكاية ورد خان بن الملك جليعاد)

(ومما يحكي أيضاً) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من بلاد الهند وكان ملكاً عظيماً طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع محسناً للفقراء محباً للرعية ولجميع أهل دولته وكان اسمه جليعاد وكان تحت يده في مملكته اثنان وسبعون ملكاً ولبلاده ثلثمائة وخمسون قاضياً وكان له سبعون وزير وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيساً وكان أكبر وزرائه شخصاً يقال له شماس وكان عمره اثنتين وعشرون سنة وكان حسن الخلق والطباع لطيفاً في كلامه لبيبا في جوابه حاذقاً في جميع أموره حكيماً مدبراً رئيساً مع صغر سنه عارفاً بكل حكمة وأدب وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل إليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة ولما أعطاه ا من الرحمة وخفض الجناح للرعية وكان ذلك الملك عادلاً في مملكته حافظاً لرعيته مواصلاً كبيرهم وصغيرهم بالإحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والأمان والطمأنينة مخففاً للخراج عن كامل الرعية وكان محباً لهم كبيراً وصغيراً ومعاملا لهم بالإحسان إليهم والشفقة عليهم وافي في حسن سيرته بينهم بما لم يأت به أحد قبله ومع هذا كله لم يرزقه ا تعالى بولد فشق ذلك

عليه وعلى أهل مملكته فاتفق أن الملك كان مضطجعاً في ليلة من الليالي وهو مشغول الفكر في عاقبة أمر مملكته ثم غلب عليه النوم فرأى في منامه كأنه يصب ماء في أصل شجرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك رأي في منامه كأنه يصب ماء في أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة وإذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة وأحرقت جميع ما كان حولها من الأشجار فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعاً مرعوباً واستدعى أحد غلمانه وقال له اذهب بسرعة وأئتني بشماس الوزير عاجلاً فذهب الغلام إلى شماس وقال له إن الملك يدعوك في هذه الساعة لأنه انتبه من نومه مرعوباً فأرسلني إليك لتحضر عنده عاجلاً فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه إلى الملك ودخل عليه فرآه قاعداً على فراشه فسجد بين يديه داعياً له بدوام العز والنعم وقال له لا أحزنك الله أيها الملك ما الذي أقلقك في هذه الليلة وما سبب طلبك أياي بسرعة فأذن الملك بالجلوس فجلس وصار الملك نقص عليه ما رأى قائلاً أني رأيت في ليلتي هذه مناماها التي وهو كأني أصب ماء في أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة فبينما أنا في هذه الحالة وإذا بنار قد حرجت من أصل تلك الشجرة وأحرقت جميع ما حولها من الأشجار ففزعت من ذلك وأخذني الرعب فانتبهت عند ذلك وأرسلت دعوتك لكثرة معرفتك ولما أعلمه من اتساع علمك وغزارة فهمك فأطرق شماس رأسه ساعة ثم تبسم فقال له الملك ماذا رأيت يا شماس صدقني الخبر ولا تخف عني شيئاً فأجابه شماس وقال له أيها الملك أن الله تعالى خولك وأقر عينك وأمر هذه الرؤيا يؤول إلى كل خير وهو أن الله تعالى يرزقك ولداً ذكراً يكون وارثاً للملك عنك من بعد طول عمرك غير أنه يكون فيه شيء لا أحب تفسيره في هذا الوقت لأنه غير موافق لتفسيره ففرح الملك بذلك فرحاً عظيماً وزاد سروره وذهب عنه فزعه وطابت نفسه وقال أن كان الأمر كذلك من حسن تأويل المنام فكمل لي تأويله إذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله فالذي لا ينبغي تأويله الآن ينبغي أن تؤوله لي إذا آن أوانه لأجل أن يكمل فرحي لأني لا أبتغي بذلك غير رضا الله سبحانه وتعالى فلما رأى شماس من الملك أنه صمم على تمام تفسيره احتج له بحجة دافع بها عن نفسه فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للأحلام الذين في مملكته فحضروا جميعاً بين يديه وقص عليهم ذلك المنام وقال لهم أريد منكم أن تخبروني بصحة تفسيره فتقدم واحد منهم وأخذ إذناً من الملك بالكلام فلما أذن له قال أعلم أيها الملك أن وزيرك شماساً ليس بعاجز عن تفسير ذلك وإنما هو احتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية ولكن إذ أذنت لي بالكلام تكلمت فقال له الملك تكلم أيها المفسر بلا احتشام واصدق في كلامك فقال المفسر اعلم أيها الملك أنه يظهر منك غلام يكون وارثاً للملك عنك بعد طول حياتك ولكنه لا يسير في الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما أصاب الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى وقال وما حكاية السنور والفار فقال المفسر أطال الله عمر الملك أن السنور هو القط سرح سرحة من الليالي إلى شيء يفترسه في بعض الغيطان فما وجد شيئاً وضعف من شدة البرد والمطر الذين حصلاً في تلك الليلة فأخذ يحتال لنفسه بشيء فبينما هو دائر على تلك الحالة إذ رأى وكراً في أسفل شجرة فدنا منه وصار يتشمشم ويدندن حتى

أحس أن داخل الوكر فار فحوله وهم بالدخول عليه لكي يأخذه فلما أحس به الفار أعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسد باب الوكر عليه فعند ذلك صار السنور يصوت صوتاً ضعيفاً ويقول له لم تفعل ذلك يا أخي وأنا ملجيء إليك لتفعل معي رحمة بأن تقرني في وكرك هذه الليلة لأني ضعيف الحال من كبر سني وذهاب قوتي ولست أقدر على الحركة وقد توغلت في هذا الغيط هذه الليلة وكم دعوت بالموت على نفسي لكي استريح وها أنا على بابك طريح من البرد والمطر وأسألك با من صدقتك أن تأخذ بيدي وتدخلني عنك وتأويني في دهليز وكرك لأني غريب ومسكين وقد قيل من أوى بمنزله غريباً مسكيناً كان مأواه الجنة يوم الدين فأنت يا أخي حقيق بأن تكسب أجرى وتأذن لي في أن أبيت عندك هذه الليلة إلى الصباح ثم أروح إلى حال سبيلي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السنور قال للفار أئذن لي أن أبيت عندك هذه الليلة ثم أروح إلى حال سبيلي فلما سمع الفار كلام السنور قال له كيف تدخل وكري وأنت عدو لي بالطبع ومعاشك من لحمي وأخاف أن تغدر بي لأن ذلك من شيمتك لأنه لا عهد لك وقد قيل لا ينبغي الأمان للرجل الزاني على المرأة الحسناء ولا للفقير العائل على المال ولا النار على الحطب وليس بواجب على أن استأمنك على نفسي وقد قيل عداوة الطبع أضعف صاحبها كانت أقوى فأجاب السنور قائلاً بأخمد صوت وأسوأ حال أن الذي قلته من المواعظ حق ولست أنكر عليك لكن أما لك الصفح عما مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لأنه قد قيل من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنه وقد كنت قبل ذلك عدواً لك وها أنا اليوم طالب صداقتك وقد قيل إذا أردت أن يكون عدوك لك صديقاً فافعل معه خيراً وأنا يا أخي أعطيك عهد ا وميثاقه أني لا أضرك أبداً ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك فثق با وأفعل خيراً وأقبل عهدي وميثاقي فقال الفار كيف أقبل على أن تأسست العداوة بيني وبينه وعادته أن يغدر بي ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الأشياء والدم لهان على ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الأرواح وقد قيل من استأمن عدوه على نفسه كان كمن أدخل يده في فم الأفعى فقال السنور وهو ممتليء غيظاً قد ضاق صدري وضعفت نفسي وها أنا في النزع وعن قليل أموت على بابك ويبقى أملي عليك لأنك قادر على نجاتي مما أنا فيه وهذا آخر كلامي معك فحصل للفار خوف من ا تعالى ونزلت في قلبه الرحمة وقال في نفسه من أراد المعونة من ا تعالى على عدوه فليصنع معه رحمة وخيراً وأنا متوكل على ا في هذا الأمر وأنقذ هذا السنور من هذا الهلاك لأكعب أخره فعند ذلك خرج الفار إلى السنور وأدخله في وكره سحباً فأقام عنده إلى أن اشتدوا استراح ولعاً فيه قليلاً فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوته وقله أصدقائه فصار الفار يترفق به ويأخذ بخاطره ويتقرب منه ويسعى حوله وأما السنور فإنه زحف إلي الوكر حتى ملك المخرج خوفاً أن يخرج منه الفار فلما أراد الخروج قرب من السنور على عادته فلما صار قريباً منه قبض عليه وأخذه بين أظافيره وصار يعضه وينثره ويأخذه في فمه ويرفعه على الأرض ويرميه ويجري وراءه وينهشه ويعذبه فعند ذلك استغاث الفار وطلب الخلاص من ا وجعل يعاتب السنور ويقول ابن العهد الذي أهدتني به وأين أقسامك التي أقسمت بها أهذا جزائي منك وقد أدخلتك وكري واستأمنتك على نفسي ولكن صدق من قال من أخذ عهداً من عدوه لا ينبغي لنفسه نجاة ومن قال من أسلم

نفسه لعدوه وكان مستوجباً لنفسه الهلاك ولكن توكلت على خالقي فهو الذي يخلصني منك فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد أن يهجم عليه وينهض فيه ويفترسه وإذا برجل صياد معه كلاب جارحة معودة بالصيد فمر منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن أن فيه ثعلباً يفترس شيئاً فاندفع الكلب منحدراً ليصطاده فصادف السنور فجذبه إليه فلما وقع السنوربين يدي الكلب التهي بنفسه وأطلق الفار حياً ليس فيه جرح وأما هو فإنه خرج به الكلب الجارح بعد أن قطع عصبه ورماه ميتاً وصدق في حقهما قول من قال من رحم رحم آجلاً ومن ظلم ظلم عاجلاً هذا ما جرى لهما أيها الملك فلذلك لا ينبغي لأحد أن ينقض عهد من استأمنه ومن غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للعثور لأنه كما يدين الفتى يدان ومن يرجع إلى الخير ينل الثواب ولكن لا تحزن أيها الملك ولا يشق عليك ذلك لأن ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما يعود إلى حسن سيرتك وأن هذا العالم الذي هو وزيرك شماس أحب أن لا يكتم عليك شيء فيما رمزه إليك وذلك رشد منه قيل أن أكثر الناس خوفاً أوسعهم علماً وأغبطهم خيراً فأذعن الملك عند ذلك وأمر لهم بإكرام جزيل ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكر في عاقبة أمره فلما جن الليل أفضي إلى بعض نسائه وكانت أكرمهن عنده وأحبهن إليه فواقدها فلما تم لها نحو أربعة أشهر تحرك الحمل في بطنها ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأعلمت الملك بذلك فقال صدقت رؤياي وا المستعان ثم أنزلها أحسن المنازل وأكرمها غاية الإكرام وأعطاها أنعاماً جزيلاً دخولها بشيء كثيرو بعد ذلك دعا ببعض الغلمان وأرسله ليحضر شماساً فلما حضر حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلاً قد صدقت رؤياي واتصل رجائي فلعل ذلك الحمل يكون ولداً ذكر ويكون وارثاً لملكي فما تقول بالشماس في ذلك فسكت شماس ولم ينطق بجواب فقال له الملك مالي أراك لا تفرح لفرحي ولا ترد لي حواباً يا ترى هل أنت كاره لهذا الأمر يا شماس فسجد عند ذلك شماس بين أيادي الملك أطال ا عمرك ما الذي ينفع المستظل بشجرة إذا كانت النار تخرج منها وما لذة شارب الخمر الصافي إذا حصل له بها الشرق وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد إذا غرق فيه وإنما أنا عبد ا ذلك أيها الملك ولكن قد قيل ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن يتكلم في شأنها إلا إذا تمت المسافر حتى يرجع من سفره والذي في الحرب حتى يقهر عدوه والمرأة الحامل حتى تضع حملها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شماساً لما قال للملك ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن يتكلم في شأنها إلا إذا تمت قال له بعد ذلك فاعلم أيها الملك أن المتكلم في شأن شيء لم يتم مثل الناسك المدفون على رأسه فقال له الملك وكيف حكاية الناسك وما جرى له فقال له أيها الملك أنه كان إنسان ناسك عند شريف من أشراف بعض المدن وكان للناسك جراية في كل يوم من رزق ذلك الشريف وهي ثلاثة أرغفة مع قليل من السمن والعسل وكان السمن في ذلك البلد غالباً وكان الناسك يجمع الذي يجيء إليه في جرة عنده حتى ملأها وعلّقها فوق رأسه خوفاً واحتراساً فبينما هو ذات ليلة من الليالي جالس على فراشه وعصاه في يده إذ عرض له فكر في أمر السمن وغلائه فقال في نفسه ينبغي أن أبيع هذا السمن الذي عندي جميعه واشتري بثمنه نعجة وأشارك عليها أحداً من الفلاحين فإنها في أول عام تلد ذكراً وأنثى وثاني عام تلد أنثى وذكراً ولا تزال هذه

الغنم تتوالد ذكور وأناثاً حتى تصير شيئاً كثيراً وأقسم حصتي بعد ذلك وأبيع فيها ما شئت وأشتري الأرض الفلانية وأنشيء فيها غيطاً وأبني فيها قصراً عظيماً وأقتني ثياباً وملبوساً وأشتري عبيداً وجواري وأتزوج بنت التاجر الفلاني وأعمل عرساً ما صار مثله قط وأذبح الذبائح وأعمل الأطعمة الفاخرة والحلويات والملبوسات وغيرها وأجمع فيها الملاعب والفنون وآلات السماع وأجهز الأزهار والمشمومات وأصناف الرياحين وأدعو الأغنياء والفقراء والعلماء وأرباب الدولة وكل من طلب شيئاً أحضرته إليه وأجهز أنواع المآكل والمشارب وأطلق منادي ينادي من يطلب شيئاً يناله وبعد ذلك أدخل على عروسي بعد جلائها وأتمتع بحسنها وجمالها وآكل وأشرب وأطرب وأقول لنفسي قد بلغت مناك وأستريح من النسك والعبادة وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلاماً ذكراً فأفرح به وأعمل له الولائم وأربيه في الدلال وأعلمه الحكمة والأدب والحساب وأشهر اسمه بين الناس وافتخر به عند أرباب المجالس وآمره بالمعروف فلا يخالفني وأنهاه عن الفاحشة والمنكر وأوصيه بالتقوى وفعل الخير وأعطيه العطايا الحسنة السنية فإن رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة وإن رأيته مال إلى المعصية أنزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده فأصابت جرة السمن التي فوق رأسه فكسرتها فعند ذلك نزلت شقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة فلأجل ذلك أيها الملك لا ينبغي للإنسان أن يتكلم على شيء قبل أن يصير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك لا ينبغي للإنسان أن يتكلم على شيء قبل أن يصير فقال له الملك لقد صدقت فيما قلت ونعم الوزير أنت بالصدق نطقت وبالخير أشرت ولقد صارت رتبتك عندي على ما تحب ولم تزل مقبولاً فسجد شماس وللملك ودعا له بدوام النعم وقال أدام ا أيامك وأعلى شأنك وأعلم أنني لست أكتم عنك شيئاً لا في العلانية ورضاك رضاي وغضبك غضبي وليس لي فرح إلا بفرحك ولا يمكنني أن أبيت وأنت ساخط علي لأن ا تعالى رزقني كل خير بإكرامك إياي فاسأل ا تعالى أن يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه فابتهج الملك عند ذلك ثم قام شماس وانصرف من عند الملك ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاماً ذكراً فنهض المبشرون إلى الملك وبشّروه بغلامه ففرح بذلك فرحاً شديداً وشكر ا شكراً جزيلاً وقال الحمد الذي رزقني ولداً بعد اليأس وهو الشفوق الرؤوف على عباده ثم أن الملك كتب إلى سائر أهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم إلى منزله فحضر له الأمراء والرؤساء والعلماء وأرباب الدولة الذين تحت أمره هذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان أمر ولده فأنه قد دقت البشائر والأفراح في سائر المملكة وأقبل أهلها إلى الحضور من سائر الأقطار وأقبل أهل العلوم والفلسفة والأدباء والحكماء ودخلوا جميعهم إلى الملك ووصل كل منهم إلى حد مقامه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما دعى أهل المملكة دخل كل منهم على قدر مقامه ثم أشار إلى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيس شماس أن يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شأن

ما هو بصدده فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن في الكلام فأذن له فقال الحمد الذي أنشأنا من العدم إلى الوجود المنعم على عباده الملوك أهل العدل والإنصاف ثم ولاهم من الملك والعمل الصالح وبما أجراه على أيديهم لرعيتهم من الرزق وخصوصاً ملكنا الذي أحيا به أموات بلادنا بما أسداه علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل فأي ملك يصنع بأهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا وأداء حقوقنا وأنصاف بعضنا من بعض وعدم الغفلة عنا ورد مظالمنا ومن فضل ا على الناس أن يكون ملكهم متعهد الأمور هم وحافظاً لهم من عدوهم لأن العدو غاية قصده أن يقهر عدوه وأن يملكه في يده وكثير من الناس يقدمون أولادهم إلى الملوك خدماً فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لأجل أن يمنعوا عنهم الأعداء وأما نحن فلم يطأ بلادنا أعداء في زمن ملكنا لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفتها وأنما هي فوق ذلك وأنت أيها الملك حقيق بأنك أهل لهذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفي ظل جناحك أحسن ا ثوابك وأدام بقاءك لأننا كنا قبل ذلك نجد في الطلب من ا تعالى أن يمن علينا بالإجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولداً صالحاً تقربه عيناك وا سبحانه وتعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شماساً قال للملك إن ا تعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وأتانا الفرج القريب مثل ما آتى بعض السمك في غدير الماء فقال الملك وما حكاية السمك وكيف ذلك فقال شماس أعلم أيها الملك أنه كان في بعض الأماكن غدير ماء وكان فيه بعض سمكات فعرض لذاك الغدير أنه قل ماؤه وصار ينضم بعضه إلى بعض ولم يبق من الماء ما يسعها فكادت أن تهلك وقالت ما عسى أن يكون من أمرنا وكيف نحتال ومن نستشيره في نجاتنا فقامت سمكة منهن وكانت أكبرهن عقلاً وسناً وقالت مالنا حيلة في خلاصنا إلا الطلب من ا ولكن نلتمس الرأي من السرطان فإنه أكبرنا فهلموا بنا إليه لننظر ما يكون من رأيه لأنه أكبر منا معرفة بحقائق الكلام فاستحسنوا رأيها وجاءوا بأجمعهم إلى السرطان فوجدوه رابضاً في موضعه وليس عنده علم ولا خبر بما هم فيه فسلم عليه وقالوا له يا سيدنا أما يعنيك أمرنا وأنت حاكمنا ورئيسنا فأجابهم السرطان قائلاً وعليهم السلام ما الذي جاء بكم وما تريدون فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من أمر نقص الماء وأنه متى نشف حصل لهم الهلاك ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون لنا فيه النجاة لأنك كبيرنا وأعرف منا فعند ذلك أطرق رأسه مليا ثم قال لاشك أن عندكم نقص عقلي ليأسكم من رحمة ا تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعاً ألم تعلموا أن ا سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب وقدر أرزاقهم قبل أن يخلق شيئاً من الأشياء وجعل لكل شخص عمراً محدوداً ورزقاً مقسوماً بقدرته لآلهية فكيف تحملوا هم شيء هو في الغيب مسطور والرأي عندي أنه لا يكون أحسن من الطلب من ا تعالى فينبغي أن كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه في سره وعلانيته ويدعو ا أن يخلصنا وينقذنا من الشدائد لأن ا تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل إليه فإذا أصلحنا أحوالنا استقامت أمورنا وحصل لنا كل خير ونعمة وإذا جاء الشتاء وغمرت أرضنا بدعاً صالحاً فلا يهدم الخير الذي بناه فالرأي أن تصبر وننتظر ما يفعله ا بنا فإن كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا وأن كان يحصل لنا

ما يوجب الهرب هربنا ورحنا من أرضنا إلى حيث يريد ا فأجاب السمك جميعه من فم واحد صدقت يا سيدنا جزاك ا عنا خيراً وتوجه كل واحد منهم على موضعه فما مضى إلا أيام قلائل وأتاهم ا بمطر شديد حتى ملأ الغدير زيادة عما كان أولاً وهكذا نحن أيها الملك كنا يائسين من أن يكون لك ولد وحيث من ا علينا وعليك بهذا الولد المبارك فنسأل ا تعالى أن يجعله ولداً مباركاً وأن تقربه عينك ويحله خلفاً صالحاً ويرزقنا منه مثل ما رزقنا منك فإن ا تعالى لا يخيب من قصده ولا ينبغي لأحد أن يقطع رجاءه من رحمة ا تعالى ثم الوزير الثاني سلم على الملك فأجابه الملك قائلاً وعليكم السلام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الثاني لما دخل عل الملك وسلم عليه فرد الملك عليه السلام فقال ذلك الوزير أن الملك لا يسمي ملكاً إلا إذا أعطى وعدل حكم وأكرم وأحسن سيرته مع رعيته بإقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس وأنصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف الأذى عنهم ويكون موصفاً بعدم الغفلة عن فقرائهم وإسعاف أعلاهم وأدناهم وأعطاءهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعاً داعين له ممتثلين لأمره لأنه لاشك أن الملك الذي بهذه الصفة محبوب عند الرغبة مكتسب من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضا خالقها ونحن معاشر العبيد معترفون لك أيها الملك بأن جميع ما وصفناه عندك كم قيل خير الأمور أن يكون ملك الرعية عادلاً وحكيمها ماهراً وعالمها خبيراً عاملاً بعلمه ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة وكنا قبل ذلك قد وقعنا في اليأس من حصول ولداك يرث ملكك ولكن ا جلّ اسمه لم يخيب رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك به وتسليم أمرك إليه فنعم الرجاء رجاؤك وقد صار فيك ما صار للغراب والحبة فقال الملك وكيف ذلك حكاية الغراب والحية فقال الوزير أيها الملك أنه كان غراب ساكناً في شجرة هو وزوجته في أرغد عيش إلى أن بلغا زمان تفريحهما وكان زمن القيظ فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة وتعلقت بفرعها إلى أن صعد إلى عش الغراب وربضت فيه ومكثت فيه مدة أيام الصيف وصلوا الغراب مطرود لا يجد له فرصة ولا موضعاً يرقد فيه فلما انقضت أيام الحر ذهبت الحية إلى موضعها فقال الغراب لزوجته نشكر ا تعالى الذي نجانا وخلصنا من هذه الآفة وما أحرمنا من الزاد في هذه السنة لأن ا تعالى لا يقطع رجاءنا فنشكره على ما من علينا من السلامة وصحة أبداننا وليس لنا تكال إلا عليه وإذا أراد ا وعشنا إلى العام القابل عوض ا علينا نتائجنا فلما جاء وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة فبينما هي متعلقة ببعض أغصانها وهي قاصدة عش الغراب على العادة وإذا بحدأة قد انقضت عليها وضربتها في رأسها فخدشتها فعند ذلك سقطت الحياة على الأرض مغشياً عليها وطلع عليها النمل فأكلها وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطمأنينة وفرخا أولاداً كثيرة وشكر ا على سلامتهما وعلى حصول الأولاد ونحن أيها الملك يجب علينا شكر ا على ما أنعم عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء أحسن ا ثوابك وعاقبة أمرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الثاني لما فرغ من كلامه ختمه بقوله أحسن ا ثوابك وعاقبة أمرك ثم قام الوزير الثالث وقال أبشر أيها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل لأن كل من تحبه أهل السماء وا تعالى قسم ذلك المحبة وجعلها في قلوب أهل مملكتك فله الشكر والحمد منا ومنك لكي يزيد نعمته عليك وعلينا بك واعلم أيها الملك الإنسان لا يستطيع شيئاً إلا بأمر ا تعالى وأنه هو المعطي وكل خير عند شخص إليه ينتهي قسم النعم على عبيده كما يحب فمنهم من أعطاه مواهب كثيرة ومنهم من شغله بتحصيل القوت ومنهم من جعله رئيساً ومنهم من جعله زاهداً في الدنيا راغباً إليه لأنه هو الذي قال أنا الضار النافع أشفي وأمرض وأغني وأفقر وأميت وأحيي وبيدي كل شيء وإلى المصير فواجب على جميع الناس شكره وأنت أيها الملك من السعداء الأبرار كما قيل أن أسعد الأبرار من جمع ا له بين خزي الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم ا له ويشكره على ما أقامه فيه ومن تعدى وطلب غير ما قدر ا له وعليه يشبه حمار الوحش والثعلب قال الملك وما حديثهما قال الوزير اعلم أيها الملك أن ثعلباً كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه فبينما هو ذات يوم في بعض الجبال وإذا بالنهار وقد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآه ماشياً وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكاية مع ما افترسه فقال أحدهما أنني بأمس وقعت في حمار وحش وكنت جائعاً وكان لي ثلاثة أيام ما أكلت ففرحت بذلك وشكرت ا تعالى الذي سخره لي ثم أنني عمدت إلى قلبه فأكلته وشبعت ثم رجعت إلى وطني ومضى علي ثلاثة أيام ما أجد شيئاً آكله ومع ذلك أنا شبعان إلى الآن فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال في نفسه لابد لي من أكل قلب حمار الوحش فترك الأكل أيام حتى انهزل وأشرف على الموت وقصر شعبه واجتهاده وربض في وطنه فبينما هو في وطنه ذات يوم من الأيام وإذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحش فأقاما النهار كله في أثره طرد ثم أن بعضهما رماه بسهم مشعب فأصابه ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتله مقابل وكر الثعلب المذكور فأدركه الصيادان فوجداه ميتا فأخرجا السهم الذي أصابه في قلبه فلم يخرج إلا العود وبقي السهم مشعبان في بطن حمار الوحش فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحاً ففرح فرحاً شديداً حتى كاد أن يطير من الفرح وقال الحمد الذي يسر لي شهوتي من غير تعب لأني كنت لا أؤمل أني أصبت حمار وحش ولا غيره ولعل ا أوقع هذا وساقه إلى في موضعي ثم وثب عليه وشقّ بطنه وأدخل رأسه وصار يجول بفمه في أمعائه إلى أن وجد القلب فالتقمه نعمه وأبتلعه فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على إدخاله في بطنه ولا على إخراجه من حلقه وأيقن بالهلاك فلهذا أيها الملك ينبغي للإنسان أن يرضي بما قسمه ا له ويشكر نعمه ولا يقطع رجاءه من مولاه وها أنت أيها الملك بحسن نيتك وأسداء معروفك رزقك ا ولد بعد اليأس فنسأل ا تعالى أن يرزقه عمراً طويلاً وسعادة دائمة ويجعله خلفاً مباركا وفيا بعدك من بعد طول عمرك ثم قام الوزير الرابع وقال أن الملك إذا كان فيهما عالماً بأبواب الحكمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الرابع لما قام وقال إن الملك إذا كان فهيماً عالماً بأبواب الحكمة والأحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية وإكرام من يحب إكرامه وتوفير من يحب توفيره والعفو عند القدرة إلا فيما لا بد منه ورعاية الرؤساء والمرؤوسين والتخفيف عنهم والأنعام عليهم وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقاً بالسعادة الدنيوية والآخروية فإن ذلك مما يعذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على أعدائه وبلوغ مأموله مع زيادة نعمة ا عليه وتوفيقه لشكره والفوز بعديته أن الملك إذا كان بخلاف ذلك فإنه لم يزل في مصائب وبلايا هو وأهل مملكته لكون جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ما صار لابن الملك السائح فقال الملك وكيف كان ذلك فقال الوزير اعلم أيها الملك أنه كان في بلاد الغرب ملك جائر في حكمه ظالم غاشم عاسف مضيع لرعاية رعيته ومن دخل في مملكته فكان لا يدخل في مملكته أحداً لا وتأخذ عماله منه أربعة أخماس ماله ويبقون له الخمس لاغير فقدر ا أنه كان له ولد سعيد موفق فلما رأى أحوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سائحاً عابداً ا تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج في طاعة ا تعالى يسرح في البراري والقفار ويدخل المدن ففي بعض الأيام دخل تلك المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك لما دخل ابن الملك تلك المدينة فلما وقف على المحافظين أخذوه وفتشوه فلم يروا معه شيئاً سوى ثوبين أحدهما جديد والآخرعتيق فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الإهانة والتحقير فصار يشكوا ويقول ويحكم أيها الظالمون أنا رجل فقير وسائح وما عسى أن ينفعكم من هذا الثوب وإذا لم تعطوه لي ذهبت للملك وشكوتكم إليه فأجابوه قائلين إننا فعلنا ذلك بأمر الملك فما بدا اك أن تفعله فافعله فصار السائح يمشي إلى أن وصل إلى بلاد الملك وأراد الدخول فمنعه الحجاب فرجع وقال في نفسه مالي إلا أني أرصده حتى يخرج وأشكو إليه حالي وما أصابني فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك إذ سمع أحد الأجناد يخبر عنه فأخذ يتقدم قليلاً قليلاً حتى وقف قبال الباب فما شعر إلا والملك خارج فعارضه السائح ودعا له بالنصر وأخبره بما وقع له من المحافظين وشكا إليه حاله وأخبره أنه رجل من أهل ا رفض الدنيا وخرج طاب رضا ا تعالى فصار سائحاً في الأرض وكل من وفد عليه من الناس أحسن إليه بما أمكنه وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة ثم قال فلما دخلت هذه المدينة ترجيت أن يفعل بي أهلها مثل ما يفعل بغيري من السائحين فعارضني أتباعك ونزعوا أحد أثوابي وأوجعوني ضرباً فانظر في شأني وخذ بيدي وخلص لي ثوبي وأنا لا أقيم بهذه المدينة ساعة واحدة فأجابه الملك الظالم قائلاً من أشار عليك بدخولك هذه المدينة وأنت غير عالم بما يفعل ملكها فقال بعد أن آخذ ثوبي أفعل بي مرادك فلما سمع ذلك الملك الظالم من السائح هذا الكلام حصل عنده تغيير مزاج فقال أيها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكي تذل وحيث وقع منك مثل هذا الصباح عندي فأنا أنزع نفسك منك ثم أمر بسجنه فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منه من الجواب وعنّف نفسه حيث لم يترك ذلك يفوز بروحه فلما كان نصف الليل قام وصلى صلاة مطولة وقال يا إنك الحكم العدل تعلم بحالي وما انطوى عليه أمري

مع هذا الملك الجائر وأنا عبدك المظلوم أسألك من فيض رحمتك أن تنقذني من يد هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لأنك لا تغفل عن ظلم كل ظالم فإن كنت تعلم أنه ظلمني فاحلل نقمتك عليه في هذه الليلة وأنزل به عذابك لأن حكمك عدل وأنت غياث كل ملهوف يا من له القدرة والعظمة إلى آخر الدهر فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيه من الأعضاء مرعوباً فبينما هو كذلك وإذا بنار قادت في القصر الذي فيه الملك فأحرقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسائح فانطلق السائح وسار هو والسجان ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى غير تلك المدينة وأما مدينة الملك الظالم فإنها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها وأما نحن أيها الملك السعيد فما نمسي ونصبح إلا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك مطمئنين بعد لك وحسن سيرتك وكان عندنا غم كثير لعدم ولد لك يرث ملكك خوفاً أن يصير علينا ملك غيرك من بعدك والآن قد أنعم الله تعالى بكرمه علينا وأزال عنا الغم وأتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك فنسأل الله تعالى أن يجعله خليفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم ثم قام الوزير الخامس وقال تبارك الله العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الخامس قال تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية وبعد فإننا تحققنا أن الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه وأنت أيها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والإنصاف بين رعيتك بما يرضى الله تعالى فلأجل ذلك أعلى الله شأنك وأسعد أيامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التي على هذا الولد السعيد بعد اليأس وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقطع لأننا قبل ذلك كنا في هم شديد وغم زائد بسبب عدم ولدك وفي أفكار فيما أنت منطو عليه من عدلك ورأفتك بنا وخوفاً أن يقضي الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب فقال الملك وما حكاية الغراب فأجابه الوزير قائلاً اعلم أيها الملك السعيد أنه كان في بعض البراري واد متسع وكان به أنهار وأشجار وأثمار وبه أطيار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار وكان من جملة الطيور غربان وكانوا في أطيب عيش وكان المقدم عليهم والحاكم بينهم غراب رؤوف بهم شفوق عليهم وكانوا معه في أمان وطمأنينة ومن حسن تصريفهم فيما بينهم لم يكن أحد من الطيور يقدر عليهم فاتفق أن مقدمهم توفي وجاءه الأمر المحتوم على سائر الخلق فحزنوا عليه حزناً شديداً ومن زيادة حزنهم أنه لم يكن فيهم أحد مثله يقوم مقامه فاجتمعوا جميعاً وأئتمروا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحاً فطائفة منهم اختاروا غراباً وقالوا إن هذا يصلح أن يكون ملكاً علينا وآخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه فوقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينهم وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على أن يناموا تلك الليلة ولا يبكر أحد إلى السروح في طلب المعيشة غدا بل يصيرون جميعاً إلى الصباح وعند طلوع الفجر يكونون مجتمعين في موضع واحد ينظرون إلى كل طير يسبق في الطيران وقالوا أنه هو الذي يكون مختاراً عندنا للملك فنجعله ملكاً علينا ونوليه أمرنا فرضوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضاً وأتفقوا على هذا العهد فبينما هم على ذلك الحال إذ طلع بان فقالوا له يا أبا

الخير نحن اخترناك والياً علينا تنظر في أمرنا فرضي الباز بما قالوه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الخامس قال للملك فرضي الباز بما قالوه وقال لهم إن شاء ا تعالى سيكون لكم مني خير عظيم ثم أنهم بعد ما ولوه عليهم صار كل يوم إذا سرح وسرح الغربان ينفرد بأحدهم ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقي ولم يزل يفعل معهم هكذا حتى فطنوا به فرأوا غالبهم قد هلك فأيقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض كيف نصنع وقد هلك وما انتبهنا حتى هلك أكابرنا فينبغي لنا أن نتيقظ لأنفسنا فلما أصبحوا نفروا منه وتفرقوا من حوله ونحن الآن يخشى أن يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك ولكن قدمن ا علينا بهذه النعمة ووجهك إلينا ونحن الآن واثقون بالصلاح وجمع الشمل والأمن والأمانة والسلامة في الوطن فتبارك ا العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل وبارك ا للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا وإياه السعادة العظمى وجعله سعيد الوقت قائم الجد ثم قام الوزير السادس وقال هناك ا أيها الملك بأحسن الهناء في الدنيا والآخرة فقد تقدم من قول المتقدمين أن من صلى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل في حكمه لقي ربه وهو راض عنه وقد وليت علينا فعدلت فكنت بذلك سعيد الحركات فنسأل ا تعالى أن يجزل ثوابك وأجرك على إحسانك وقد سمعت ما قال هذا العائم فيما نتخوف من حرمان حظنا بعدم الملك ويوجد ملك آخر لا يكون فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الاختلاف وإذا كان الأمر على ما ذكرناه فالواجب علينا أن نبتهل إلى ا تعالى بالدعاء لعل يهب للملك ولداً سعيداً ويجعله وارثاً للملك بعده ثم بعد ذلك ربما كان الذي يحبه الإنسان من الدنيا ويشتهيه مجهول العاقبة له وحينئذ لا ينبغي للإنسان أن يسأل ربه أمر ألا يدري عاقبته لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب إليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه مثل ما أصاب الحاوي وزوجته وأولاده وأهل بيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير السادس لما قال للملك إن الإنسان لا ينبغي له أن يسأل ربه شيئاً لا يدري عاقبته لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب إليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه ما أصاب الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الملك وما حكاية الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الوزير اعلم أيها الملك أنه كان إنسان حاوياً وكان يربي الحيات وهذه كانت صنعته وكان عنده سلة كبيرة فيها ثلاث حيات لم يعلم بها أهل بيته وكان كل يوم يخرج يدور بها إلى المدينة ويتسبب بها بتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء إلى بيته ويضع الأحناش في السلة سراً وعند الصباح يأخذها ويدور بها في المدينة فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم أهل بيته بما في السلة فجاء إلى بيته على عادته فسألته زوجته وقالت له ما في هذه السلة فقال لها الحاوي وما مرادك منها أليس الزاد عندكم كثيراً زائداً فاقنعي بما قسم ا لك ولا تسألي عن غيره فسكتت عنه تلك المرأة وصارت تقول في نفسها لابد لي أن أفتش هذه السلة وأعرف ما فيها وصممت على ذلك وأعلمت أولادها وأكدت عليهم أن يسألوا والدهم عن تلك السلة ويلحوا عليه في السؤال لأجل أن يخبرهم فعند ذلك تعلق خاطر الأولاد بأن فيها شيء يأكل فصار الأولاد كل يوم يطلبون من

أبيهم أن يريهم ما في السلة وكان أبوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وأمهم تحثهم على ذلك ثم اتفقوا معها على أنهم لا يذوقون طعاماً ولا يشربون شراباً لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلة فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ حضر الحاوي ومعه شيء كثير من الأكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معه فأبوا من الحضور إليه وبينوا له الغيظ فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم انظروا ماذا تريدون حتى أجيء به إليكم أكلاً أو شرباً آه ملبوساً فقالوا له يا والدنا ما نريد منك إلا فتح هذه السلة لتنظر ما فيها وإلا قتلنا أنفسنا فقال لهم يا أولادي ليس لكم فيها خير وإنما فتحها ضرر لكم فعند ذلك ازدادوا غيظاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاوي قال لأولاده أن فتح السلة فيه ضرر لكم فازدادوا غيظاً فلما رآهم على هذه الحالة أخذ يهددهم ويشير لهم بالضرب إن لم يرجعوا عن تلك الحالة فلم يزدادوا إلا غيظاً ورغبة في السؤال فعند ذلك غضب عليهم وأخذ عصا ليضربهم بها فهربوا من قدامه في الدار وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوي في مكن فحلت المرأة الرجل مشغولاً بالأولاد وفتحت السلة بسرعة لكي تنظر ما فيها وإذا بالحيات قد خرجوا من السلة ولدغوا المرأة والأولاد فقتلوها ثم داروا في الدار وهلكوا الكبار والصغار ما عدا الحاوي فترك الحاوي الدار وخرج فلما تحققت ذلك أيها الملك السعيد علمت أن الإنسان ليس له أن يتمنى شيء لم يرده ا تعالى بل يطيب نفساً بما قدره ا تعالى وأرادوها أنت أيها الملك مع غزارة علمك وجودة فهمك أقر ا عينك بحضور ولدك بعد اليأس وطيب قلبك ونحن نسأل ا تعالى أن يجعله من الخلفاء العادلين المرضين تعالى والرعية ثم قام الوزير السابع وقال أيها الملك إني قد علمت وتحققت ما ذكره لك أخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلموا به في حضرتك أيها الملك وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميزت به عمن سواك من الملوك حيث فضلوك عنهم وذلك من بعض الواجب علينا وأما أنا فأقول الحمد الذي ولاّك نعمته وأعطاك صلاح الملك برحمته وأعانك وإيانا على أن نزيده شكراً وما ذاك إلا وجودك وما دمت فينا لم نتخوف جوراً ولا نبغي ظلماً ولا يستطيع أحد أن يستطيل علينا مع ضعفنا وقد قيل أن أحسن الرعايا من كان ملكهم عادلاً وشرهم من كان ملكهم جائراً وقيل أيضاً السكنى مع الأسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر فالحمد تعالى على ذلك حمداً دائماً حيث أنعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد اليأس والطعن في السن لأن أجمل العطايا في الدنيا الولد الصالح وقد قيل من لا ولد له لا عاقبة له ولا ذكر وأنت لقويم عدلك وحسن ظنك با تعالى أعطيت هذا الولد السعيد فجاءك هذا الولد المبارك منه من ا تعالى علينا وعليك بحسن سيرتك وجميل صبرك وصار فيك ذلك مثل ما صار في العنكبوت والريح فقال الملك وما حكاية العنكبوت والريح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال للوزير وما حكاية العنكبوت والريح فقال الوزير اعلم أيها الملك أن عنكبوتة تعلقت في باب متنح عال وعملت لها بيتاً وسكنت فيه بأمان وكانت تشكر ا تعالى الذي

يسر لها هذا المكان وآمن خوفها من الهوام فسكتت على هذا الحال مدة من الزمان وهي شاكرة على راحتها واتصال رزقها فأمتحنها خالقها بأن أخرجها لينظر شكرها وصبرها فأرسل إليها ريحاً عاصفاً شرقياً فحملها ببيتها ورماها في البحر فجرتها الأمواج إلى البر فعند ذلك شكرت ا تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها أيتها الريح لم فعلت بي ذلك وما الذي حصل لك من الخير في نقلي من مكاني إلى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة في بيتي با على ذلك الباب فقال لها الريح انتهى عن العتاب فأني سأرجع بك وأوصلك إلى مكانك كما كنت أولاً فلبثت العنكبوتة صابرة على ذلك راجية أن ترجع إلى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها وهبت ريح الجنوب فمرت بها واختطفتها وطارت بها إلى جهة ذلك البيت فلما مرت به عرفته فتعلقت به ونحن نسأل ا الذي أثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنه ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرة عين له ووهب له ما وهب من الملك والسلطان فرحم رعيته وأولاهم نعمته فقال الملك الحمد فوق كل حمد والشكر له فوق كل شكر لا إله إلا هو خالق كل شيء الذي عرفنا بنور آثاره وجلال عظمته يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده لأنه ينتحب منهم من يشاء ليجعله خليفة ووكيلاً على خلقه ويأمره فيهم بالعدل والإنصاف وإقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق والاستقامة في أمروهم على ما أحب وأحبوا فمن عمل منهم بما أمر ا كان لحظة مصيبا ولأمر ربه مطيعاً فيكفيه هول دنياه ويحس جزاؤه في أخراه أنه لا يضيع أجر المحسنين ومن عمل منهم بغير ما أمر ا أخطأ خطأ بليغاً وعصى ربه وآثر دنياه على أخراه فليس له في الدنيا مآثر ولا في الآخرة نصب لأن ا يمهل أهل الجود والفساد ولا يهمل أحداً من العباد وقد ذكر وراؤنا هؤلاء أن من عدلنا بينهم وحسن تصرفنا معهم أنعم علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد إنعامه وكل واحد منهما قال ما الهمة في ذلك وبالغوافي الشكر تعالى والثناء عليه بسبب نعمته وفضله وأنا أشكر ا لأني إنما أنا عبد مأمور وقلبي بيده ولساني تابع له راضي بما حكم ا علي وعليهم بأي شيء صار وقد قال كل واحد منهم ما خطر بباله أمر هذا الغلام وذكر ما كان من متجدد النعمة علينا حين بلغت من السن حدا يغلب معه اليأس وضعف اليقين والحمد الذي نجانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك إنعاماً عظيماً عليهم وعلينا فنحمد ا تعالى الذي رزقنا هذا الغلام سميعاً مطيعاً وجعله وارثاً من الخلافة محلاً رفيعاً نسأله من كرمه وحلمه أن يجعله سعيد الحركات موفقاً للخيرات حتى يصير ملكاً وسلطاناً على رعيته بالعدل والإنصاف حافظاً لهم من هلكات الاعتساف عنه وكرمه وجوده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك بعدما فرغ من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا وشكروا الملك وقبلوا يديه وانصرف كل واحد منهم إلى بيته فعند ذلك دخل الملك بيته وأبصر الغلام ودعا له وسماه ورد خان فلما تم له من العمر اثنتا عشرة سنة أراد الملك أن يعلمه العلوم فبنى له قصراً في وسط المدينة وبنى فيه ثلثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيه ورتب له ثلاثة من الحكماء والعلماء وأمرهم أن لا يغفلوا عن تعليمه ليلاً ونهاراً وأن يجلسوا معه في كل مقصورة يوماً ويحرصوا على أن لا يكون علم إلا ويعلمونه إياه حتى يصير بجميع العلوم عارفاً ويكتبون على باب كل مقصورة ما يعلمونه له فيها من أصناف

العلوم يرفعون إليه في كل سبعة أيام ما عرفه من العلوم ثم أن العلماء أقبلوا على الغلام وصاروا لا يفترون عن تعليمه ليلاً ونهاراً ولا يؤخرون عنه شيء مما عندهم من العلوم فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم ما لم يظهر لأحد قبله وجعلوا يرفعون للملك وفي كل أسبوع مقدار ما تعلمه ولده وأتقنه فكان الملك يستظهر من ذلك علماً حسناً وأدباً جميلاً وقال العلماء ما رأينا قط من أعطى فهماً مثل هذا الغلام فبارك ا ك فيه ومتعك بحياته فلما أتم الغلام مدة اثنتي عشرة سنة حفظ من كل علم أحسنه وفاق جميع العلماء والحكماء الذين في زمانه فأتى به العلماء إلى الملك والده وقالوا له أقر ا عينيك أيها الملك بهذا الولد السعيد وقد أتيناك به بعد أن تعلم كل علم حتى لم يكن أحد من علماء الوقت وحكمائه بلغ ما بلغه ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وزاد في شكر ا تعالى وخرسا جداً عز وجل وقال الحمد على نعمه التي لا تحصى ثم دعا بشماس الوزير وقال له اعلم يا شماس أن العلماء قد أتونى وأخبروني أن ابني هذا قد تعلم كل علم ولم يبق من العلوم علم إلا وقد علموه له حتى فاق من تقدمه في ذلك فما تقول يا شماس فسجد عند ذلك عز وجل وقبل يد الملك وقال أبت الياقوتة ولو كانت في الجبل الأصم إلا أن تكون مضيئة كالسراج وابنك هذا جوهرة فما تمنعه حداثته من أن يكون حكيماً والحمد على ما أولاه وأنا إن شاء ا تعالى في غد أسأله واستيقظه بما عنده في مجمع أجمعه له من خواص العلماء والأمراء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك جليعاد لما سمع كلام شماس أمر جهابذة العلماء وأذكياء الفضلاء ومهرة الحكماء أن يحضروا إلى قصر الملك في غد فحضروا جميعاً فلما اجتمعوا على باب الملك أذن لهم بالدخول ثم حضر شماس الوزير وقبل يدي ابن الملك فقام ابن الملك وسجد للشماس فقال له شماس لا يجب على شبل الأسد أن يسجد لأحد من الوحوش ولا ينبغي أن يقترن النور بالظلام قال الغلام أن شبل الأسد لما رأى وزير الملك سجد له فعند ذلك قال له شماس أخبرني ما الدائم المطلق وماكوناه وما الدائم من كونيه قال الغلام أما الدائم المطلق فهو ا عز وجل لأنه أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وأما كوناه فالدنيا والآخرة وأما الدائم من كونيه فهو نعيم الآخرة قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير أني أحب أن تخبرني من أين علمت أن أحد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة قال الغلام لأن الدنيا خلقت ولم يكن من شيء كائن قال أمرها إلى الكون الأول غير أنها عرض سريع الزوال مستوجب الجزاء على الأعمال وذلك يستدعي إعادة الفاني فالآخرة هي الكون الثاني قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير أني أحب أن تخبرني من أين علمت أن نعيم الآخرة هو الدائم من الكونين قال الغلام علمت ذلك من أنها دار الجزاء على الأعمال التي أعدها الباقي بلا زوال قال شماس أخبرني أهي أهل الدنيا أحمد عملاً قال الغلام من يؤثر آخرته على دنياه قال شماس ومن الذي يؤثر آخرته على دنياه قال الغلام من كان يعلم أنه في دار منقطعة وأنه ما خلق إلا للفناء وأنه بعد الفناء يحاسب وأنه لو كان في هذه الدنيا أحداً مخلداً أبدا لا يؤثر الدنيا على الآخرة قال شماس أخبرني هل تستقيم آخره بغير دنيا قال الغلام من لم يكن له دنيا فلا آخرة له ولكن رأيت الدنيا وأهلها والمعاد الذي هم سائرون إليه كمثل أهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم أمير بيتاً ضيقاً وأدخلهم

فيه وأمرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم أجلاً وكل به شخصاً فمن عمل منهم ما أمر به أخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق ومن لم يعمل ما أمر به وقد أنقضى الأجل المضروب له عوقب فبينما هم كذلك إذ رشّح لهم من شقوق البيت عسل فلما أكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته تواونوا في العمل الذي أمروا به ونبذوه وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم سائرون إليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل بهم لا يدع أحداً منهم إذا جاء أجله إلا ويخرجه من ذلك البيت فعرفنا أن الدنيا دار تتحير فيها الأبصار وضرب لأهلها فيها الآجال فمن وجد الحلاوة القليلة التي تكون في الدنيا وأشغل نفسه بها كان من الهالكين حيث آثر أمر دنياه على آخرته ومن يؤثر آخرته على دنياه ولم يلتفت إلى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين قال شماس قد سمعت ما ذكرت من أمر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكني قد رأيتهما مسلطين على الإنسان فلا بد له من إرضائهما معاهما مختلفان فإن أقبل العبد على طلب المعيشة فذلك إضرار بروحه في المعاد وإن أقبل على الآخرة كان ذلك إضرار بجسده وليس له سبيل إلى إرضاء المتخالفين معاً قال الغلام أنه من حصل المعيشة في الدنيا تقوى على الآخرة فأني رأيت أمر الدنيا والآخرة مثل ملكين عادل وجائر وكانت أرض الملك الجائر ذات أشجار وأثمار ونبات وكان ذلك الملك لا يدع أحداً من التجار إلا أخذ ماله وتجارته وهم صائرون على ذلك لما يصيبونه من خصب تلك الأرض في المعيشة وأما الملك العادل فإنه بعث رجلاً من أهل أرضه وأعطاه مالاً وافرا وأمره أن ينطلق إلى أرض الملك الجبار ليبتاع به جواهر منه فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الأرض فقيل للملك أنه قد جاء إلى أرضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد أن يبتاع به جواهر منها فأرسل إليه وأحضره وقال له من أنت ومن أين أتيت ومن جاء بك إلى أرضي وما حاجتك فقال له إني من أرض كذا وكذا وأن ملك تلك الأرض أعطاني مالاً وأمرني أن ابتاع له به جواهر من هذه الأرض فامتثلت أمره وجئت فقال له الملك ويحك أما علمت صنعي بأهلي أرضي من أني آخذ ما لهم في كل يوم فكيف تأتيني بمالك وها أنت مقيم في أرضي منذ كذا وكذا فقال له التاجر إن المال ليس لي منه شيء وإنما هو أمانة تحت يدي حتى أوصله إلى صاحبه فقال له أني لست بتاركك تأخذ معيشتك من أرسى حتى تفدى نفسك بهذا المال جميعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك الجائر قال للتاجر الذي يريد أن يشتري الجواهر من أرضه لا يمكن أن تأخذ معاشاً من أرضي حتى تفدى نفسك بهذا المال أو تهلك فقال الرجل في نفسه وقعت بين ملكين وقد علمت أن جور هذا الملك عام على كل من أقام بأرضه فإن لم أرضه كان هلاكي وذهاب المال لابد منهما ولم أصب حاجتي وإن أعطيته جميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لابد منه وليس لي حيلة سوى أن أعطيه من هذا المال جزاء يسيراً وأرضيه به وأدفع عن نفسي وعن هذا المال الهلاك وأصيب من خصب هذه الأرض قوت نفسي حتى ابتاع ما أريد من الجواهر وأكون قد أرضيته بما أعطيته وأخذ نصيبي من أرضه هذه وأتوجه إلى صاحب المال بحاجته فإني أرجو من عدله وتجاوزه مالا أخاف معه عقوبة فيما أخذه هذا الملك من المال خصوصاً إذا كان يسيراً ثم أن التاجر دعا للملك وقال له أيها الملك أنا

أفدي نفسي وهذا المال بجزء صغير من منذ دخلت أرضك حتى أخرج منها فقبل الملك منه ذلك وخلّى سبيله سنة فاشترى الرجل بماله جميعه جواهر وانطلق إلى صاحبه فالملك العادل مثالا للآخرة والجواهر التي بأرض الملك الجائر مثل الحسنات والأعمال الصالحة والرجل صاحب المال مثل لمن طلب الدنيا والمال الذي معه مثال لحياة الإنسان فلما رأيت ذلك علمت أنه ينبغي لمن طلب المعيشة في الدنيا أن لا يخلي وما عن طلب الآخرة فيكون قد أرضى الدنيا بما ناله من خصب الأرض وأرضى الآخرة بما يصرف من حياته في طلبها قال شماس فأخبرني عن الجسد والروح سواء في الثواب والعقاب أو إنما يختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات قال الغلام قد يكون الميل إلى الشهوات والخطيئات موجبات للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها والأمر بيد من يفعل ما يشاء وبضدها تتميز الأشياء على أن المعاش لابد منه للجسد ولا جسد إلا بالروح وطهارة الروح بإخلاص النية في الدنيا والالتفاتات إلى ما ينفع في الآخرة فهما فرسان رهان ورضيعا لبان ومشتركان في الأعمال وباعتبار النية تفصيل الإجمال وكذلك الجسد والروح مشتركان في الأعمال وفي الثواب والعقاب وذلك مثل الأعمى والمقعد الذين أخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستان وأمرهما أن لا يفسدا فيه ولا يصنعا فيه أمراً يضر به فلما طابت أثمار البستان قال المقعد للأعمى ويحك أن أرى أثمار طيبة وقد اشتهيت لها ولست أقدر على القيام إليها لآكل منها فقم أنت لأنك صحيح الرجلين وائتنا منها بما نأكل فقال الأعمى ويحك قد ذكرتها لي وقد كنت عنها غافلاً ولست أقدر على ذلك لأني لست أبصرها فما الحيلة في تحصيل ذلك فبينما هما كذلك إذ أتاهما الناظر على البستان وكان رجلاً عالماً فقال له المقعد ويحك يا ناظر أنا قد اشتهينا شيئاً من هذه الثمار ونحن كما ترى أنا مقعد وصاحبي هذا أعمى لا يبصر شيئاً فما حيلتنا فقال لهما الناظر ويحكما لستما تعلمان ما عاهدكما عليه صاحب البستان من أنكما لا تتعرضان لشيء مما يؤثر فيه من الفساد فانتهيا ولا تفعلا فقالا له لابد لنا من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله فأخبرنا بما عندك من الحيلة فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما الحيلة في ذلك أن يقوم الأعمى ويحملك أيها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التي تعجبك ثمارها حتى إذا أدناك منها تجني أنت ما أصبت من الثمار فقام الأعمى وحمل المقعد وجعل يهديه إلى السبيل حتى أدناه إلى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما أحب ولم يزل ذلك دأبهما حتى أفسد ما في البستان من الشجر وإذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما ويحكما ما هذه الفعال ألم أعاهدكما على أن لا تفسدا في هذا البستان فقالا له قد علمت أننا لا نقدر أن نصل إلى شيء من الأشياء لأن أحدنا مقعد لا يقوم والآخر أعمى لا يبصر ما بين يديه فما ذنبنا فقال لهما صاحب البستان لعلكما تظنان أني لست أدري كيف صنعتما وكيف أفسدتما في بستاني كأني بك أيها الأعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته إلى الشجر ثم أنه أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة وأخرجهما من البستان فالأعمى مثال للجد لأنه لا يبصر إلا بالنفس والمقعد مثال النفس التي لا حركة لها إلا بالجسد وأما البستان فإنه مثال للعمل الذي لا يجازي به العبد والناظر مثال للعقل الذي يأمر بالخير وينهي عن الشر فالجسد والروح مشتركان في الثواب والعقاب قال له شماس قد صدقت قد قبلت قولك هذا فأخبرني أي العلماء عندك أحمد قال الغلام من كان با عالماً وينفعه علمه قال شماس ومن ذلك قال الغلام من يلتمس رضا ربه ويتجنب سخطه قال فأيهم أفضل قال الغلام من كان با أعلم قال شماس فمن أشدهم

اختباراً قال من كان على العمل بالعلم صابراً قال شماس أخبرني من أرقهم قلباً قال أكثرهم استعداداً للموت وذكراً وأقلهم أملاً لأن من أدخل على نفسه طوارق الموت كان مثل الذي ينظر في المرآة الصافية فإنه يعرف الحقيقة ولا تزداد المرآة إلا صفاء وبريقاً قال شماس أي الكنوز أحسن قال كنوز السماء قال فأي كنوز السماء أحسن قال تعظيم ا وتحميده قال فأي كنوز الأرض أفضل قال اصطناع المعروف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شماساً لما قال لابن الملك أي كنوز الأرض أفضل قال له اصطناع المعروف قال صدقت وقد قبلت قولك هذا فأخبرني عن الثلاثة المختلفة العلم والرأي والذهن وعن الذي يجمع بينهما قال الغلام أنما العلم من التعلم وأما الرأي فإنه من التجارب وأما الذهن فإنه من التفكر وثباتهم واجتماعهم في العقل فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان كاملاً ومن جمع إليهن تقوى ا كان مصيباً قال شماس صدقت وقد قبلت منك ذلك فأخبرني عن العالم العليم ذي الرأي السديد والفطنة الوقادة والذهن الفائق الرائق هل يغيره الهوى والشهوة عن هذه الحالات قال الغلام إن هاتين الخصلتين إذا أدخلتا على الرجل غيرتا علمه ورأيه وذهنه وكان مثل العقاب الكاسر الذي عن القنص محاذر المقيم في جو السماء لفرط حذقه فبينما هو كذلك إذ نظر رجلاً صياداً قد نصب شركه فلما فرغ الرجل من نصب الشرك وضع فيه قطعة لحم فعند ذلك أبصر العقاب القطعة اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسي ما شاهده من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع من الطير فانقض من جو السماء حتى وقع على القطعة اللحم فاشتبك في الشرك فلما جاء الصياد رأي العقاب في شركه فتعجب عجباً شديداً وقال أنا نصبت شركي ليقع فيه حمام أو نحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيه هذا العقاب وقد قيل أن الرجل العاقل إذا حمله الهوى والشهوة على أمر يتدبر عاقبة ذلك الأمر بعقله فيمتنع مما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه فإذا حمله الهوى والشهوة على أمر ينبغي أن يجعل عقله مثل الفارس الماهر في فروسيته إذ ركب الفرس الأرعن فإنه يجذبه باللجام الشديد حتى يستقيم ويمضي معه على ما يريد وأما من كان سفيهاً لا علم له ولا أرى عنده والأمور مشتبهة عليه والهوى والشهوة مسلطان عليه فإنه يشمل بشهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون في الناس أسوأ حالاً منه قال شماس صدقت فيما قلت وقد قبلت ذلك منك فأخبرني متى يكون العلم نافعاً والعقل لونان الهوى والشهوة دافعاً قال الغلام إذا صرفهما صاحبهما في طلب الآخرة لأن العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما أن يصرفهما في طلب الدنيا إلا بمقدار ما يصيب به قوته منها ويدفع عن نفسه شرها ويصرفها في عمل الآخرة قال فأخبرني ما أحق أن يلزم الإنسان ويشغل به قلبه قال العمل الصالح قال فإذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه فكيف يفعل في المعيشة التي لابد له منها قال الغلام إن نهاره وليله أربعة وعشرون ساعة فينبغي له أن يجعل منها جزءاً واحداً في طلب المعيشة وجزءاً واحداً للدعة والراحة ويصرف الباقي في طلب العلم لأن الإنسان إذا كان عاقلاً وليس عنده علم فإنه هو كالأرض المجدبة التي ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات فإذا لم تهيأ للعمل وتغرس لا ينفع فيها ثمر وإذا هيئت للعمل وغرست انبتت ثمراً حسناً كذلك الإنسان بغير علم لا ينفع به حتى يغرس فيه العلم فإذا غرس فيه العلم أثمر

قال شماس فأخبرني عن علم بغير عاقل ما شأنه قال كعلم البهيمة التي تعلمت أو أن مطعمها ومشربها وأوان يقظتها ولا عقل لها قال شماس قد أوجزت في الإجابة عن ذلك وقد قبلت منك هذا الكلام فأخبرني كيف ينبغي أن أتقي في السلطان قال الغلام لا تجعل له عليك سبيلاً قال وكيف استطيع أن لا أجعل له على سبيلاً وهو مسلط علي وزمام أمري بيده قال الغلام أنما سلطانه عليك بحقوقه التي قبلك فإذا أعطيته حقه فلا سلطان له عليك قال شماس ما حق الملك على الويزير قال النصيحة والاجتهاد في السر والعلانية والرأي السديد وكتم سره وأن لا يخفى عنه شيئاً مما هو حقيق بالإطلاع عليه وقلة الغفلة عما قلده اياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه علهي قال شماس فأخبرني ما الذي يفعله الوزير مع الملك قال الغلام إذا كنت وزيراً للملك وحببت أن تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمله منك وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده وأحذر أن تنزل نفسك منزلة لم يرك لها أهلاً فيكون ذلك منك مثل الجراءة عليه فإذا اغتررت بحلمه ونزلت نفسك منزلة لم يرك لها أهلاً تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته إليها ويطرح لحومها فجعل الأسد يأتي إلى ذلك المكان فيأكل من تلك الجيفة فلما كثر تردده إلى ذلك المحل استأنس بالصياد والفه فأقبل الصياد يرمي إليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله فعندما رأى الصياد سكوت الأسد له واستأنسه به وتذ إليه قال في نفسه إن هذا الأسد قد خضع إلي وملكته وما أرى إلا أني أركبه وأسلخ جلده مثل غيره من الوحوش فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الأسد وطمع فيه فلما رأى الأسد ما صنع الصياد غضب غضباً شديداً ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه في أمعائه ثم طرحه تحت قوائمه ومزقه تمزيقاً فمن ذلك علمت أنه ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جلعياد قال لشماس الوزير ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه قال شماس فأخبرني ما الذي يتزين به الوزير عند الملك قال الغلام داء الأمانة التي فرض إليه أمرها من النصيحة وسداد الرأي وتنفيذه لأوامره قال له شماس أما ما ذكرت من أن حق الملك على الوزير أن يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضي أرضائه ويهتم بما قلّده إياه فإنه أمر واجب ولكن أخبرني ما الحيلة إذا كان الملك إنما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والصف فما حيلة الوزير إذا هو ابتلى بعشرة ذلك الملك الجائر فإنه إن أراد أن يصرفه عن هواه وشهوته ورأيه لا يقدر على ذلك وأن هو تابعه على هواه وحسن له رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدواً فما تقول في هذا فأجاب الغلام قائلاً أن ما ذكرت أيها الوزير من الوزر والإثم إنما هو إذا تابعه على ما ارتكبه مع الخطأ ولكن يجب على الوزير إذا شاوره الملك في مثل هذا أن يبين له طريق العدل والإنصاف ويحذره من الجور والاعتساف ويعرفه حسن السيرة في الرعية ويرغبه فيما في ذلك من الثواب ويحذره مما يلزمه من العقاب فإن مال وعطف إلى كلامه حصل المراد وإلا فلا حيلة له إلا بمفارقته إياه بطريقة لطيفة لأن في المفارقة لكل واحد منهما الراحة قال الوزير فأخبرني ما حق الملك على الرعية وما حق الرعية على الملك قال الذي يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضي ا ورسو وحق الرعية على

الملك حفظ أموالهم وصون حريمهم كما أن للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الأنفس دونه وأعطاه واجب حقه وحسن الثناء عليه بما أولاهم من عدله وإحسانه قال شماس قد بينت لي ما سألتك عنه من حق الملك والرعية فأخبرني هل بقي للرعية شيء على الملك غير ما قلت قال الغلام نعم حق الرعية على الملك أوجب لإن حق الملك على الرعية وهو أن ضياع حقهم عليه أضر من ضياع حقه عليهم لأنه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمه إلا من ضياع حق الرعية فمن تولّى ملكاً يجب عليه أن يلازم ثلاثة أشياء وهي إصلاح الدين وإصلاح الرعية وإصلاح السياسة فيلازمه هذا ثلاثة يدوم ملكه قال فأخبرني كيف ينبغي أن يستقيم في إصلاح الرعية قال بأداء حقهم وإقامة سننهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وإنصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكف عن أموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم قال فأخبرني ما حق الوزير على الملك قال الغلام ليس على الملك حق لأحد من الناس أوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلاث خصال الأولى للذي يصيبه معه عند خطأ الرأي والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأي والثانية لعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر إليه الرعية بعين الإجلال والتوقير وخفض الجناح والثالثة أن الوزير إذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفّى لهم بما يحبونه قال شماس قد سمعت جميع ما قلته لي من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك فأخبرني ما ينبغي لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسب العرض والإفراط في الكلام قال الغلام ينبغي للإنسان أن لا يتكلم إلا بالخير والحسنات ولا ينطق في شأن مالا يعنيه ويترك النميمة ولا ينقل عن حديث ما سمعه منه لعدوه ولا يطلب لصديقه ولا لعدوه ضرراً عند سلطانه ولا يعبأ بمن يرتجيء خيره ويتقي شره إلا ا تعالى لأنه هو الضار النافع على الحقيقة ولا يذكر لأحد عيباً ولا يتكلم بجهل لئلا يلزمه الوزر والإثم من ا والبغض بين الناس واعلم أن الكلام مثل السهم إذ نفذ لا يقدر أحد على رده وليحذر أن يودع سره عند من يفشيه فربما يقع في ضرره إفشائه بعد أن يكون على ثقة من الكتمان وأن مخفياً لسره عن صديقه أكثر من إخفائه عن عدوه فإن كتمان السر عن جميع الناس من أداء الأمانة قال شماس فأخبرني عن حسن الخلق مع الأهل والأقارب قال الغلام أنه لا راحة لبني آدم إلا بحسن الخلق ولكن ينبغي أن يصرف إلى الأهل ما يتسحقونه وإلى أخوانه ما يجب لهم قال فأخبرني ما الذي يجب أن يصرفه إلى الأهل قال أما الذي يصرفه للوالدين فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين الجانب والإكرام والوقار وأما الذي يصرفه للأخوان فالنصيحة وبذل المال ومساعدتهم على أسبابهم والفرح لفرحهم والأغضاء عما يقع منهم من الهفوات فإذا عرفوا منه ذلك قابلوه بأعز ما عندهم من النصيحة وبذلوا الأنفس دونه فإذا كنت من أخيك على ثقة فأبذل له وكن مساعداً له على جميع أموره. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام أبن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة ورد له أجوابتها قال له الوزير شماس أني أرى الأخوان صنفين إخوان ثقة وإخوان معاشرة أما إخوان الثقة فإنه يجب لهم ما وصفت فأسألك عن غيرهم من إخوان المعاشرة قال الغلام أما إخوان المعاشرة فإنك تصيب منهم لذة وحسن خلق وحلاوة لفظ وحسن معاشرة فلا تقطع منها لذتك بل أبذل مثل ما يبذلونه لك وعاملهم

بمثل ما يعاملونك به من طلاقه الوجه وعذوبة اللسان فيطيب عيشك ويكون كلامك مقبولاً عندهم قال شماس قد عرفنا هذه الأمور كلها فأخبرني عن الأرزاق المقدرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس والحيوان لكل أحد رزق إلى تمام أجله وإذا كان الأمر كذلك ما الذي يحمل طالب المعيشة على ارتكاب المقشة في طلب ما عرف أنه إن كان مقد وار له فلابد من حصوله وإن لم يرتكب مشقة السعي وإن لم يكن مقدوراً له فلا يتحصل له ولو سعى إلهي غاية السعي فهل يترك السعي ويكون على ربه متوكلاً ولجسده ونفسه مريحاً قال الغلام أنا قد رأينا أن لكل أحد رزقاً مقسوماً وأجلاً محتوماً ولكن لكل رزق طريق وأسباب فصاحب الطلب يصيب في طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لابد من طلب الرزق غير أن الطالب على ضربين إما أن يصيب وإما أن يحرم فاحة المصيب في الحالتين إصابة رزقه وأن عاقبة طلبه حميدة وراحة المحروم في ثلاثة خصال الاستعداد لطلب رزقه والتنزه عن أن يكون كلا على الناس والخروج عن عهده الملامة قال شماس أخبرني عن باب طلب المعيشة قال الغلام يستحل الإنسان ما أحله ا ويحرم ما حرمه ا عز وجل وانقطع بينهما الكلام لما وصل إلى هذا الحد ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظموه وضمه أبوه إلى صدره ثم بعد ذلك أجلسه على سرير الملك وقال الحمد الذي رزقني ولدا تقر به عيناي في حياتي ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء أيها العالم صاحب المسائل الروحانية إن لم يكن فتح ا على من العلم إلا بشيء قليل فأني قد فهمت قصدك في قبولك مني ما أتيت به جواباً عن ما سألتني سواء كنت فيه مصيباً أو مخطئاً ولعلك صفحت عن خطئي وأنا أريد أن أسألك عن شيء عجز عنه رأيي وضاق منه ذرعي وكل عن وصفه لساني لأنه أشكل على أشكال الماء الصافي في الإناء الأسود فأحب منك أن تشرحه لي حتى لا يكون شيء مبهما على مثلي فيما يستقبل مثل إبهامه على فيما مضى لأن ا كما جعل الحياة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت إلى كلامي قال شماس أيها المضيء العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم الفصل لحسن تفضيلك للأشياء وتقسيمك أياها وحسن إصابتك في إجابتك عما سألتك عنه قد علمت أنت لست تسألني عن شيء إلا وأنت في تأويله أصوب رأياً وأصدق مقالاً لأن ا قد آتاك من العلم ما لم يأت أحداً من الناس فأخبرني عن هذه الأشياء التي تسألني عنها قال الغلام أخبرني عن الخالق جلت قدرته من أي الأشياء خلق الخلق ولم يكن قبل ذلك شيء وليس ترى في هذه الدنيا شيء إلا مخلوق من شيء والباريء تبارك وتعالى قادر على أن يخلق الأشياء من لا شيء ولكن اقتضت إرادته مع كمال القدوة والعظمة أنه لا يخلق شيئاً إلا من شيء قال الوزير شماس أما صناع الآلات من الفخار وغيره من الصنائع فلا يقدرون على ابتداع شيء إلا من شاء أنهم مخلوقون وأما الخالق الذي صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فإن شئت أن تعرف قدرته تبارك وتعالى على إيجاد الأشياء فأطل الفكر في أصناف الخلق فإنك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته وأنه قادر على أن يخلق الأشياء من لا شيء بل أوجدها بعد العدم المحض لأن العناصر التي هي مادة الأشياء كانت عدما محضاً وقد أوضحت لك ذلك حتى لا تكون في شك منه وبين لك ذلك آية الليل والنهار فأنهما يتعاقبان حتى إذا ذهب النهار وجاء الليل خفي علينا النهار ولم نعرف له مقراً وإذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقراً وإذا أشرقت علينا الشمس لا نعرف أين يطوى نورها وإذا غربت

لم نعرف مستقر غروبها وأمثال ذلك من افعال الخالق عز أسمه وجلت قدرته كثيرة مما يحير أفكار الأذكياء من المخلوقات قال الغلام أيها العالم أنك عرفتني عن قدرة الخالق مالا يستطاع إنكاره ولكن اخبرني كيف إيجاده لخلقه قال شماس إنما الخلق مخلوقه بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الأشياء قال الغلام أن ا تعاظم اسمه وارتفعت قدرته أنما أراد إيجاد الخلق قبل وجودهم قال شماس وبإرادته خلقهم بكلمته فلولا أن له نطقا وأظهر كلمة لم تكن الخليقة موجودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما سأل شماساً عن المسائل المتقدمة إجابة عنها ثم قال له يا بني أنه لا يخبرك أحد من الناس غير ما قلته إلا بتحريف الكلام الوارد في الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها ومن ذلك قولهم أن الكلمة لها استطاعة أعوذ با من هذه العقيدة بل قولنا في ا عز وجل أنه خلق الخلق بكلمته معناه أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وليس معناه أن كلمة ا لها قدرة بل القدرة صفة كما أن الكلام وغيره من صفات الكمال صفات تعالى شأنه وعز سلطانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونه فا جل ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق وأنما خلق الأشياء بكلمته الحق فبالحق نحن مخلوقون قال الغلام قد فهمت من أمر الخالق وعزة كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك بفهم لكني سمعتك تقول إنما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن أين عرض الباطل وكيف يمكن عرضه للحق حتى يشتبه به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون إلى الفصل بينهما وهو الخالق عز وجل محب لهذا الباطل أم مبغض له فإن قلت أنه محب للحق وبه حق خلقه ومبغض للباطل فمن أين دخل هذا الذي يبغضه الخالق على ما يحبه وهو الحق قال شماس أن ا لما خلق الإنسان ولم يكن محتاجاً إلى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذي هو مخلوق به سبب الاستطاعة التي جعلها ا في الإنسان وهي الإرادة والميل المسمى بالكسب فلما دخل الباطل على الحق بهذا الاعتبار التبس الباطل بالحق بسبب إرادة الإنسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الاختياري مع ضعف طبيعة الإنسان فخلق ا له التوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبته على الحق وخلق له العقوبة أن هو أقام على ملابسه الباطل قال الغلام فأخبرني ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى التبس به وكيف وجبت العقوبة على الإنسان حتى احتاج إلى التوبة قال شماس إن ا خلق الإنسان بالحق جعله محباً له ولم يكن له عقوبة ولا توبة واستمر كذلك حتى ركب ا فيه النفس التي هي من كمال الإنسانية مع ما هي مطبوعة عليه من الميل إلى الشهوات فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذي خلق الإنسان به وطبع على حمة فلما صار الإنسان إلى هذه الغاية زاغ عن الحق إنما يقع في الباطل قال الغلام إن الحق أنما دخل عليه الباطل بالمعصية والمخالفة قال شماس وهو كذلك لأن ا يحب الإنسان ومن زيادة محبته له خلق الإنسان محتاجاً إليه وذلك هو الحق بعينه ولكن ربما استرخى الإنسان عن ذلك بسبب ميل النفس إلى الشهوات ومال إلى الخلاف فصار إلى ذلك الباطل بالمعصية التي بها عصى ربه فاستوجب العقوبة وبإزاحة الباطل عنه بتوبة ورجوعه إلى محبة الحق استوجب الثواب قال الغلام أخبرني عن مبتدأ المخالفة مع أن الخلق مرجعهم جميعاً إلى آدم وقد خلقه ا بالحق فكيف جلب المعصية

لنفسه ثم قرنت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه ليكون عاقبة الثواب أو العقاب ونحن نرى بعض الخلق مقيماً على المخالفة مائلاً إلى ما لا يحبه مخالفاً لمقتضى أصل خلقته من حب الحق مستوجباً لسخط ربه عليه وترى بعضهم مقيماً على رضا خالقه وطاعته مستوجباً للرحمة والثواب فما سبب اختلاف الحاصل بينهم قال شماس أن أول نزول هذه المعصية بالخلق أنما كان بسبب إبليس الذي كان أشرف ما خلق ا جل اسمه من الملائكة والإنس والجن وكان مطبوعاً على المحبة لا يعرف غيرها فلما انفرد بهذا الأمر داخله العجب والعظمة والتجبر والتكبر عن الإيمان والطاعة لأمر خالقه فجعله ا دون الخلائق جميعهم وأخرجه من المحبة وصير مثواه إلى نفسه في المعصية فحين علم أن ا جل اسمه لا يحب المعصية ورأى دم وما هو فيه من ذلك ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه داخله الحسد فاستعمل الحيلة في صرفه لآدم عن الحق ليكون مشتركاً معه في الباطل فلزم آدم العقوبة لميله إلى المعصية التي زينها له عدوه وانقياده إلى هواه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شماس قال فلزم آدم العقوبة لميله إلى المعصية التي زينها له عدوه وانقياده إلى هواه وحيث خالف وسية ربه بسبب عروض الباطل ولما علم الخالق جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ضعف الإنسان وسرعة ميله إلى عدوه وتركه الحق جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة الميل إلى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه إبليس وجنوده ويرجع إلى الحق الذي هو مطبوع عليه فلما نظر إبليس أن ا جل ثناؤه وتقدست أسماؤه قد جعل له امتداداً بارداً إلى الإنسان بالمحاربة وأدخل عليه الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعله شريكاً له في السخط الذي استوجبه هو وجنوده فجعل ا جل ثناؤه للإنسان استطاعة للتوبة وأمره أن يلزم الحق ويداوم عليه ونهاه عن المعصية والخلاف والهمه أن له على الأرض عدواً محارباً لا يفتر عنه ليلاً ولا نهار فبذلك استحق الإنسان ثواباً أن لازم الحق الذي جبلت طبيعته على حبه وعقاباً أن غلبته نفسه ومالت به الشهوات فقال له الغلام بعد ذلك أخبرني بأي قوة استطاع الخلق أن يخالفوا خالقهم وهو في غاية العظمة كما وصفت مع أنشه لا يقهره شيء ولا يخرج عن إرادته إلا ترى أنه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبة دائماً قال شماس أن ا تعالى جل اسمه عادل منصف رؤوف بأهل محبته قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الاستطاعة والقدرة على فعل ما أرادوا من الخير فإن عملوا بخلاف ذلك صاروا في الهلاك والمعصية قال الغلام إذا كان الخالق هو الذي منحهم الاستطاعة وهم بسببها قادرون على فعل ما أرادوا فلاي شيء لم يحل بينهم وبين ما يريدون من الباطل حتى يردهم إلى الحق قال شماس ذلك لعظيم رحمته وباهر حكمته لأنه كما سبق منه لإبليس السخط ولم يرحمه كذلك سبقت منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضي عنه بعد سخطه عليه قال الغلام هذا هو الحق بعينه لأنه هو المجازى لكل أحد على عمله وليس خالق غير ا له القدرة على كل شيء ثم قال الغلام هل خلق ا ما يحب ومالا يحب أو إنما خلق ما يحب لا غيرة قال شماس قد خلق كل شيء ولم يرض إلا ما يحب قال الغلام ما بال هذين الشيئين أحدهما يرضى ا ويوجب الثواب لصاحبه والآخر يغضب ا فيحل العذاب بصاحبه قال شماس بين لي هذين الأمرين وفهمنيهما حتى اتكلم في شأنهما قال الغلام هما الخير والشر المركبان في

الجسم والروح قال شماس أيها العاقل أراك قد علمت أن الخير والشر من الأعمال التي يعملها الجسد والروح فسمي الخير منهما خيراً لكونه فيه رضا ا وسمى الشرشرا لكونه فيه سخط ا وقد وجب عليك أن تعرف ا وترضيه بفعل الخير لأنه أمرنا بذلك ونهانا عن فعل الشر قال الغلام أني أرى هذين الشيئين أعني الخير والشر إنما بعملهما الحواس الخمس المعروفة في جسد الإنسان وهي محل الذوق الناشيء عنه الكلام والسمع والبصر والشم واللمس وأحب أن تعرفني هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعاً أم للشر قال شماس أفهم أيها الإنسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها في ذهنك وأشربها قلبك وهو أن الخالق تبارك وتعالى خلق الإنسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر عنه مخلوق إلا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث ولا ينسب تبارك وتعالى إلا إلى الحكم بالعدل والإنصاف والإحسان وقد خلق الإنسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة على الميل إلى الشهوات وجعل له الاستطاعة وجعل هذه الحواس الخمس سبباً للنعيم أو الجحيم قال الغلام وكيف ذلك قال شماس لأنه خلق اللسان للتعلق واليدين للعمل والرجلين للمشي والبصر للنظر والأذنين للسماع وقد أعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة وهيجها على العمل والحركة وأمر كل واحدة منها أن لا تعمل إلا برضاه والذي يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضده الذي هو الكذب ومما يرضيه من البصر صرف النظر إلى ما يحبه ا وترك ضده وهو صرف النظر إلى ما يكرهه ا كالنظر إلى الشهوات ومما يرضيه من السمع أن لا يستمع إلا إلى الحق كالموعظة كتب ا وترك ضده وهو أن يسمع ما يوجب سخط ا ومما يرضيه من اليدين أن لا يقصر ما حولهما ا بل يصرفاه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الإمساك أو صرف ما خولهما ا في معصية ومما يرضيه من الرجلين أن يكون سعيهما في الخير كقصد التعليم وترك ضده وهو أن يمشيا في غير سبيل ا وما سوى ذلك من الشهوات التي يعملها الإنسان فإنه يصدر من الجسد بأمر الروح ثم الشهوة التي تصدر من الجسد نوعان شهوة التناسل وشهوة البطن فالذي يرضي ا من شهوة التناسل أنها لا تكون إلا حلالاً وسخطه أن تكون حراماً وأما شهوة البطن فالأكل والشرب والذي يرضي ا من ذلك أن لا يتعاطى منه كل أحد إلا ما أحله له قليلاً كان أو كثيراً ويحمد ا ويشكره والذي يغضب ا منه أن يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه الأحكام باطل وقد علمت أن ا خلق كل شيء ولا يرضى إلا بالخير وأمر كل عضو من أعضاء الجسد أن يفعل ما أوجبه عليه لأنه هو العليم الحكيم قال الغلام فأخبرني هل سبق في علم ا جلت قدرته أن آدم يأكل من الشجرة التي نهاه ا عنها حتى كان من أمره ما كان وبذلك خرج من الطاعة إلى المعصية قال شماس نعم أيها العالم قد سبق ذلك في علم ا تعالى قبل أن يخلق آدم وبيان ذلك ودليل ما تقدم له من التحذير عن الأكل وأعلامه بأنه إذا أكل منها يكون عاصياً وذلك من طريق العدل والإنصاف لئلا يكون لآدم حجة يحتج بها على ربه فلما أن سقط في الورطة والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة جرى ذلك في نسله من بعده فبعث ا تعالى الأنبياء والرسل وأعطاهم كتباً فاعلمتمونا بالشرائع وبينوا لنا ما فيها من المواعظ والأحكام وفصلوه لنا وأوضحوا لنا السبيل الموصل وبينوا لنا ما يجب أن نفعله وما يجب أن نتركه فنحن مسلطون بالاستطاعة فمن عمل بهذه الحدود فقد أصاب وربح ومن تعدى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا فقد خالف وخسر في الدارين وهذه سبيل الخير والشر فقد علمت أن ا قادر على جميع الأشياء وما خلق الشهوات لنا إلا برضاه وإرادته وأمرنا

أن نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيراً وإذا استعملناها على وجه الحرام فإنها تكون لنا شراً فما أصابنا من حسنه فمن الله تعالى وما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماسا عن هذه المسائل ورد له أجوبتها قال له ما وصفته لي مما ينسب إلى الله تعالى ومما ينسب إلى خلفه فقد فهمته فأخبرني عن هذا الأمر الذي حير عقلي فرط التعجب منه فأني عجبت من ولد آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا أنهم يتركونها ويخرجون منها وهم صاغرون قال شماس نعم فإن الذي تراه من تغيرها وغدرها بأهلها دليل على أنه لا يدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه فليس يأمن صاحبها تغيرها وإن كان قادرا عليها ومغتبطاً بها فلابد أن يتغير حاله ويسرع إليه الانتقال وليس الإنسان منها على ثقة ولا ينتفع بما هو فيه من زخرفها وحيث عرفنا ذلك عرفنا أن أسوأ الناس حالاً من اغتر بها وسها عن الآخرة وإن ذلك النعيم الذي قد أصابه لا يعادل ذلك الخوف والمشقة والأهوال التي تحصل له الملك لا فقال منها وعلمنا أنه لو كان العبد يعلم ما يصيبه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيه من اللذات والنعيم لرفض الدنيا وما فيها وتيقن أن الآخرة خير لنا وأنفع قال الغلام أيها العالم قد زالت هذه الظلمة التي كانت على قلبي بمصباحك المضيء وأرشدتني إلى السبيل التي سلكتها من اتباع الحق وأعطيتني سراجاً أنظر به فعند ذلك قام أحد الحكماء الذين كانوا بالحضرة وقال إنه إذا كان زمان الربيع فلابد أن يطلب الأرنب مع الفيل مرعي وقد سمعت منكما من المسائل والتفاسير ما لم أرني أسمعه أبداً فدعاني ذلك إلى أن أسألكما عن شيء فأخبراني ما خير مواهب الدنيا قال الغلام صحة الجسم ورزق حلال وولد صالح قال فأخبراني ما الكبير وما الصغير قال الغلام أما الكبير فهو ما صبر له أصغر منه وأما الصغير فهو ما صبر لا كبر منه قال فأخبراني ما الأربعة أشياء التي تجتمع الخلائق فيها قال الغلام تجتمع الخلائق في الطعام والشراب ولذة النوم وشهوة النساء وفي سكرات الموت قال فما الثلاثة أشياء لا يقدر أحد على تنحية القباحة عنها قال الغلام الحماقة وخسة الطبع والكذب قال فأي الكذب أحسن مع أنه كله قبيح قال الغلام الكذب الذي يضع عن صاحبه الضرر ويجر النفع قال وأي الصدق قبيح وإن كان كله حسناً قال الغلام كبر الإنسان بما عنده وإعجابه به قال وما أقبح القبيح قال الغلام إذا أعجب الإنسان بما ليس عنده قال فأي الرجال أحمق قال الغلام من كان ليس له همة إلا في شيء يضعه في بطنه قال شماس أيها الملك أنت ملكنا ولكن نحب أن تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية فعند ذلك حثّ الملك من حضر من العلماء والناس على أن ما سمعوه منه يحفظونه ويعملون به وأمرهم أن يمتثلوا أمر ابنه فإنه جعله ولي عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده وأخذ العهد على جميع أهل مملكته من العلماء والشجعان والشيوخ والصبيان وبقية الناس أن لا يتخالفوا عليه ولا ينكثؤوا عليه أمره فلما أتي على ابن الملك سبع عشر سنة مرض الملك مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت فلما أيقن الملك أن الموت قد نزل به قال لأهله هذا داء الموت قد نزل بي فادعوا إلى أقاربي وولدي وأجمعوا إلى أهل مملكتي حتى لا يبقى منهم أحد لا ويحضر فخرجوا ونادوا الناس القريبين

وجهزوا بالنداء للناس البعد بن حتى حضروا بأجمعهم ودخلوا على الملك ثم قالوا له كيف أنت أيها الملك وكيف ترى نفسك من مرضك هذا قال لهم الملك أن مرضي هذا هو الذي القاضية وقد نفذ السهم بما قدره تعالى علي وأنا الآن في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ثم قال لابنه أدن مني فدنا منه الغلام وهو يبكي بكاء شديداً حتى كاد أن يبل فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكي كل من حضر ثم قال الملك لولده لا تبك يا ابني فأني لست بأول من جرى له هذا المحتوم لأنه جار على جميع ما خلقه ا فاتق ا واعمل خيراً يسبقك إلى الموضع الذي تقصده جميع الخلائق ولا تطع الهوى واشغل نفسك بذكر ا في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك واجعل الحق نصب عينيك وهذا آخر كلامي معك والسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك جليعاد لما أوصى ولده بهذه الوصية وعهد له الملك من بعده قال الغلام لأبيه قد علمت يا ابني أني لم أزل لك مطيعاً ولوصيتك حافظاً ولأمرك منفذا ولرضاك طالباً وأنت لي نعم الأب فكيف أخرج بعد موتك عما ترضى به وأنت بعد حسن تربيتي مفارق ولا أقدر على ردك علي فإذا حفظت وصيتك صرت بها سعيداً وصار لي النصيب الأكبر فقال له الملك وهو في غاية الاستغراق من سكرات الموت يا ابني الزم عشر خصال ينفعك ا بها في الدنيا والآخرة وهن إذا اغتظت فاكظم غيظك وإذا بليت فاصبر وإذا نطقت فاصدق وإذا وعدت اوف وإذا حكمت فاعدل وإذا قدرت فاعف واكرم قوادك واصفح عن أعدائك وابذل معروفك لعدوك وكف أذاك عنه والزم أيضاً عشر خصال أخرى ينفعك ا بها في أهل مملكتك وهي إذا قسمت فاعدل وإذا عاقبت بحق فلا تجور إذا عاهدت فاوف بعهدك واقبل النصح واترك الحاجة والزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة وكن حاكماً عادلاً بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتبهم ومفسدهم ثم قال للحاضرين العلماء والأمراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده إياكم ومخالفة أمر ملككم وترك الاستماع لكثيركم فإن في ذلك هلاكاً لأرضكم وتفريقاً لجمعكم وضرراً لأبدانكم وتلفاً لأموالكم فتشمت بكم أعداؤكم وها أنتم علمتم ما عاهدتموني عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذي بيني وبينكم وبينه وعليكم بالسمع والطاعة لأمره لأن في ذلك صلاح أحوالكم واثبتوا معه على ما كنتم معي فتستقيم أموركم ويحسن حالكم وها هو ذا ملككم وولي نعمتكم والسلام ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت والتحم لسانه فضم ابنه إليه وقبله وشكر ا ثم قضي نحبه وطلعت روحه فناح عليه جميع رعيته وأهل مملكته ثم أنهم كفنوه ودفنوه بإكرام وتبجيل وإعظام ثم رجعوا والغلام معهم فألبسوه حلة الملك وتوجوه بتاج والده وألبسوه الخاتم في أصبعه وأجلسوه على سرير الملك فسار الغلام فيهم بسير أبيه من الحكم والعدل والإحسان مدة يسيرة ثم تعرضت له الدنيا وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاتها وأقبل على زخارف أمورها وترك ما كان قلّده به أبوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده وأهمل مملكته ومشى فيما فيه هلاكه واشتد به حب النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء إلا ويرسل إليها ويتزوج بها فجمع من النساء عدداً أكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بني إسرائيل وصار يختلي كل يوم بطائفة منهن ويستمر مع من يختلي بين شهراً كاملاً لا يخرج من عندهن ولا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو إليه

من رعيته وإذا كاتبوه فلا يرد لهم جواباً فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطو عليه من ترك النظر في أمورهم وإهماله لأمور دولته وأمور رعيته تحققوا أنهم عن قليل يحل بهم البلاء فشق ذلك عليهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال بعضهم لبعض امشوا بنا إلى شماس كبير وزرائه فنقص عليه أمرنا ونعرفه ما يكون من أمر هذا الملك لينصحه وإلا فعن قليل يحل بنا البلاء فإن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها فقاموا وأتوا شماساً وقالوا له أيها العالم الحكيم إن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها فأقبل على الباطل وسعي في فساد مملكته وبفساد المملكة تفسد العامة يصير أمرنا إلى الهلاك وسببه أننا نمكث شهراً وأياماً نراه ولا يبرز إلينا من عنده أمر لا للوزير ولا لغيره ولا يمكن أن ترفع إليه حاجة ولا ينظر في حكومة ولا يتعهد حال أحد من رعيته لغفلته عنهم وأننا قد أتينا إليك لنخبرك بحقيقة الأمور لأنك أكبرنا وأكمل منا وليس ينبغي أن يكون بلاء في أرض أنت مقيم بها لأنك أقدر الناس على إصلاح هذا الملك فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع إلى ا فقام شماس ومضى إلى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول إليه وقال له أيها الولد الجيد أسألك أن تستأذن لي في الدخول للملك لأن عندي أمر أريد أنظر وجهه وأخبره به وأسمع ما يجيبني به عنه فأجاب الغلام قائلاً وا يا سيدي من منذ شهر لم يأذن لأحد في الدخول عليه ولا أنا فطول هذه المدة ما رأيت له وجهاً ولكن أدلك على من يستأذنه لك وهو أنك تتعلق فالوصيف الفلاني الذي يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ فإذا خرج إلى المطبخ ليأخذ الطعام أسأله عما بذلك فإنه يفعل لك ما تريده فانطلق شماس إلى باب المطبخ وجلس قليلاً وإذا بالوصيف أقبل وأراد الدخول في المطبخ فكلمه شماس قائلاً له يا بني أحب أن اجتمع بالملك لأخبره بكلام يخصه فمن فضلك إذا فرغ من غذائه وطابت نفسه أن تكلمه لي وتأخذ لي منه إذناً بالدخول عليه لكي أكلمه بما يليق به فقال الوصيف سمعاً وطاعة فلما أخذ الوصيف الطعام وتوجه به إلى الملك وأكل منه وطابت نفسه قال له الوصيف إن شماساً واقفاً بالباب يريد منك الإذن في الدخول عليك ليعلمك بأمور تختص بك ففزع الملك وارتاب من ذلك وأمر الوصيف بإدخاله عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما أمر الوصيف بإدخال شماس عليه خرج الوصيف إلى شماس ودعاه إلى الدخول فلما دخل على الملك خر ساجداً وقبل يدي الملك ودعا له فقال الملك ما أصابك يا شماس حتى طلبت الدخول علي فقال له أن لي مدة لم أروجه سيدي الملك وقد اشتقت إليك كثيراً فها أنا شاهدت طلعتك وجئت إليك بكلام أذكره لك أيها الملك المؤيد بكل نعمه فقال له قل ما بدا لك فقال شماس اعلم أيها الملك أن ا تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنك ما لم يرزقه أحداً من الملوك قبلك وأن ا تمم لك ذلك بالملك وأن ا يحب أنك لا تخرج عما حواك إلى غيره بسبب عصيانك فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي أن تكون لوصاياه حافظاً ولأموره طائعاً لأني قد رأيتك منذ أيام قلائل نسيت أباك ووصيته ورفضت عهده وأضعت نصيحته وكلامه وزهدت في عدله وأحكامه ولم تذكر نعمة ا عليك ولم تعيذها بشكره قال الملك وكيف ذلك وما سببه قال شماس سببه أنك تركت تعهد أمور مملكتك وما قلدك ا أياه من أمور رعيتك وأقبلت على النفس فيما حسنته لك من قليل شهوات الدنيا وقد قيل أن إصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي

للملك أن يحافظ عليه والرأي عندي أن تحسن النظر في عاقبتك فإنك تجد السبيل الواضح الذي فيه النجاة ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة إلى ورطة الهلاك فيصيبك ما أصاب صياد السمك فقال له الملك وكيف كان ذلك قال شماس قد بلغني أن صياداً قد أتى إلى نهر ليصطاد منه على عادته فلما وصل إلى النهر ومشى على الجسر أبصر سمكة عظيمة فقال في نفسه ليس لي حاجة بالمقام ههنا فأنا أمشي واتبع هذه السمكة إلى حيث تذهب حتى آخذها وهي تغنني عن الصيد مدة أيام فتعرى من ثيابه ونزل خلف السمكة وأخذها جريان الماء إلى أن ظفر بالسمكة وقبض عليها ثم التفت فوجد نفسه بعيداً عن الشاطيء فلما رأى ما قد صنع به من جريان الماء فمازال يسحبه الماء إلى أن رماه في وسط دوامة لا يدخلها أحد ويخلص منها فسار يصيح ويقول أنقذوا الغريق فأتاه ناس من المحافظين على البحر وقالوا له ما شأنك وما دهاك حتى ألقيت نفسك في هذا الخطر العظيم فقال لهم أنا الذي تركت السبيل الواضح الذي فيه النجاة وأقبلت على الهوى والمملكة فقالوا يا هذا كيف تركت سبيل النجاة وأدخلت نفسك في هذه المملكة وأنت تعرف من قديم أنه ما دخل ههنا أحد وسلم فما الذي منعك عن رمى ما في يدك ونجاة نفسك فكنت تنقذ روحك ولا تقع في هذا الهلاك الذي لا نجاة منه والآن ليس أحد منا ينقذك من هذه الهلكة فقطع الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه عليك هاك هلاكاً عظيماً وما ضربت لك أيها الملك هذا المثل إلا لأجل أن تدع هذا الأمر الحقير الذي فيه اللهو عن مصالحك وتنظر فيما أنت متقلد به من سياسة رعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى أحد فيك عيباً قال الملك فما الذي تأمرني به قال شماس إذ كان في غد وأنت بخير وعافية فائذن للناس في الدخول عليك وانظر في أحوالهم واعتذر إليهم ثم عندهم من نفسك بالخير وحسن السيرة فقال الملك يا شماس أنك تكلمت بالصواب وأني فاعل ما نصحتني به في غدان شاء ا تعالى فخرج شماس من عنده واعلم الناس بكل ما ذكره له فلما أصبح الصباح خرج الملك من حجابه وأذن للناس في الدخول عليه وصار يعتذر إليهم ووعدهم أن صنع لهم ما يحبون فرضوا بذلك وانصرفوا وسار كل واحد إلى منزله ثم أن بعض نساء الملك وكانت أحبهن إليه وأكرمهن عنده قد دخلت عليه فرأته متغيراً للون متفكراً في أموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت مالي أراك أيها الملك قلق النفس هل تشتكي شيئاً فقال لها لا وإنما استغرقتني اللذات عن شئوني فمالي ولهذه الغفلة عن أحوالي وعن أحوال رعيتي وأن استمريت على ذلك فعن قليل يخرج ملكي من يدي فأجابته قائلة أني أراك أيها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشاً فإنهم إنما يريدون أن تقضي عمرك في دفاع المشقة عنهم حتى أن عمرك يفنى بالنصب والتعب وتكون مثل الذي قتل نفسه لإصلاح غيره أو تكون مثل الفتى واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك فقالت ذكروا أن سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب فدخلوا ذلك البستان وإذا هم بولد صغير واقف بينهم فقالوا له يا فتى هل لك أن تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزاً فأجابهم الفتى إلى ذلك ودخل معهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفتى لما أجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم لبعض انظروا إلى أخفنا وأصغرنا فاصعدوه فقالوا ما ترى فينا ألطف من هذا الفتى فلما أصعدوه قالوا يا فتى لا تلمس من

الشجرة شيئاً لئلا يراك أحد فيؤذيك فقال الفتى وكيف أفعل فقالوا له اقعد في وسطها وحرك كل غصن منها تحريكاً قوياً حتى يتناثر ما فيه فتلتقطه وإذا فرغ ما فيها ونزلت إلينا فخذ نصيبك مما التقطناه فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرك كل غصن وحده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه فبينما هم كذلك وإذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال فقال لهم ما لكم ولهذه الشجرة فقالوا له لم نأخذ منها شيئاً غير أننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا أنه صاحبها فطلبنا منه أن يطعمنا منها فهز بعض الأغصان حتى أنثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب فقال صاحب الشجرة للغلام فما تقول أنت فقال كذب هؤلاء ولكن أنا أقول لك الحق وهو أننا أتينا جميعاً إلى هنا فأمروني بالصعود على هذه الشجرة لأهز الأغصان كي ينتثر الجوز عليهم فامتثلت أمرهم فقال صاحب الشجرة لقد ألقيت نفسك في بلاء عظيم وهل انتفعت بأكل شيء منها فقال الغلام ما أكلت منها شيئاً فقال له صاحب الشجرة لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو أنك سعيت في تلاف نفسك لإصلاح غيرك ثم قال للصوص مالي عليكم سبيل أمضوا لي حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه وهكذا وزراؤك وأهل دولتك يريدون أن يهلكوك لإصلاح أمرهم ويفعلوا بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى فقال الملك حقاً ما قلتيه ولقد صدقت في خبرك فأنا لا أخرج إليهم ولا أترك لذاتي ثم بات مع زوجته في أرغد عيش إلى أن أصبح الصباح فلما أصبح الصباح قام الوزير وجمع أرباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية ثم جاءوا إلى باب الملك مستبشرين فرحين فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج إليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه فلما يئسوا من ذلك قالوا الشماس أيها الوزير الفاضل والحكيم الكامل أما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل العقل الذي قد جمع إلى ذنوبه الكذب فانظر وعده لك كيف أخلفه ولم يوف بما وعده وهذا ذنب يجب أن نضيفه إلى ذنوبه ولكن نرجو أن تدخل إليه ثانياً وتنظر ما السبب في تأخيره ومنعه من الخروج فأنا غير منكرين على طباعه الدميمة مثل هذا الأمر فإنه بلغ غاية القساوة ثم أن شماساً توجه إليه ودخل عليه وقال السلام عليك أيها الملك مالي أراك قد أقبلت على شيء يسير من اللذة وتركت الأمر الكبير الذي ينبغي الاعتناء به وكنت مثل الذي له ناقة وهو منطو على لبنها قالها حسن لينها عن ضبط زمامها فأقبل يوماً على حلبها ولم يعتن بزمامها فلما أحست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع أن ضرر ما لقيه أكثر من نفعه فانظر أيها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك فإنه ليس ينبغي للرجل أن يديم الجلوس على باب المطبخ من أجل حاجته إلى الطعام ولا ينبغي له أن يكثر الجلوس مع النساء من أجل ميله إليهن وكما أن الرجل يبتغي من الطعام ما يدفع ألم الجوع ومن الشراب ما يدفع ألم العطش كذلك ينبغي للرجل العاقل أن يكتفي من هذه الأربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء في كل نهار ويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن أكثر من ساعتين فإن ذلك فيه مضرة للقلة وبدنه لأنهن لا يأمرن بخير ولا يرشدن إليه ولا ينبغي أن يقبل منهن قولاً ولا فعلاً وقد بلغني أن ناساً كثيرة هلكوا بسبب نسائهم فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه أطاعها فيما أمرنا فقال الملك وكيف كان ذلك قال شماس زعموا أن رجلاً كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده فكان يسمع قولها ويعمل رأيها وكان له بستان غرسه بيده جديداً فكان يأتي إليه في كل يوم ليصلحه ويسقيه فقالت له زوجته يوماً من الأيام أي شيء غرست في بستانك فقال لها كل ما تحبينه

وتريدينه وما أنا مجتهد في إصلاحه وسقيه فقالت له هل لك أن تأخذني وتفرجني فيه حتى أراه وأدعوا لك دعوة صالحة فإن دعائي مستجاب فقال نعم أمهليني حتى آتي إليك في غد وآخذك فلما أصبح الرجل أخذ زوجته معه وتوجه بها إلى البستان ودخلا فيه وفي حال دخولهما نظر إليهما اثنان من الشبان على بعد فقال بعضهما لبعض إن هذا الرجل زان وأن هذه المرأة زانية وما دخلا هذا البستان إلا ليزنيا فيه فتبعهما لينظرا ما يكون من أمرهما فأما الشابان فأنهما وقفا على جانب البستان وأما الرجل وزوجته فأنهما لما دخلا البستان واستقرا فيه قال الرجل لزوجته ادعي لي الدعوة التي وعدتيني بها فقالت لا أدعو لك حتى تقوم بحاجتي التي تبتغيها النساء من الرجال فقال لها ويحك أيتها المرأة ما كان مني في البيت كفاية وههنا أخاف على نفسي من الفضيحة وربما أشغلتني عن مصالحي أما تخافين أن يرانا أحد قالت فلا نبال من ذلك لأننا لم نرتكب فاحشة ولا حراماً وأما سقي هذا البستان ففيه مهلة وأنت قادر على سقيه في أي وقت أردت ولم تقبل منه عذراً ولا حجة وألحت عليه في طلب النكاح فعند ذلك قام ونام معها فعندما أبصراهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وأمسكاهما وقالا لهما لأنطقكما لأنكما من الزناة وإن لم نواقع المرأة نرفع أمرنا إلى الحاكم فقال لهما الرجل ويحكما إن هذه زوجتي وأنا صاحب البستان فما سمعا له كلاماً بل نهضا على المرأة فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة له لا تدع الرجال يفضحونني فأقبل نحوهما وهو يستغيث فرجع إليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله وأتيا المرأة وفضحاها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان إلى المرأة وفضحاها وأنما قلنا لك هذا أيها الملك لتعلم أنه ليس ينبغي للرجل أن يسمع من امرأة كلاماً ولا يطيعها في أمر ولا يقبل لها رأياً في مشورة فإياك أن تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة و العلم أو تتبع الرأي الفاسد بعد معرفتك للرأي الرشيد النافع فلا تتبع لذة يسيرة مصيرها إلى الفساد ومآلها إلى الخسران الزائد الشديد فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له أنا في غد أخرج إليهم إن شاء ا تعالى فخرج شماس إلى الحاضرين من كبراء المملكة وأعلمهم بما قال الملك فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له إنما الرعية عبيد للملك والآن رأيت أنك أيها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم وهم إنما يريدون أن يختبروا باطنك فإن وجدوك ضعيفاً تهاونوا بك وإن وجدوك شجاعاً هابوك وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لأن حيلهم كثيرة وقد أوضحت لك حقيقة كيدهم فإن وافقتهم على ما يريدون أخرجوك من أمرك إلى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من أمر إلى أمر حتى يوقعوك في الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك قالت بلغني أنه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة ليبيعها في بعض المدن فلما انتهى إلى المدينة أكترى له بها منزلاً ونزل فيه فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم فانطلقوا إلى منزل ذلك التاجر واحتالوا في الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلاً إلى ذلك فقال لهم رئيسهم أنا أكفيكم أمره ثم أنه انطلق فلبس ثياب الأطباء وجعل على عاتقه جراباً فيه شيء من الدواء وأقبل ينادي من يحتاج إلى طبيب حتى وصل إلى منزل ذلك التاجر فرآه جالساً على غداءه فقال له أتريد لك طبيباً فقال لست محتاجاً إلى طبيب ولكن اقعد وكل معي فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه وكان ذلك التاجر جيداً لأكل فقال اللص في نفسه لقد وجدت فرصتي

ثم التفت إلى التاجر وقال له لقد وجب على نصيحتك لما حصل لي من إحسانك وليس يمكن أن أخفي عليك نصيحة وهو إنني أراك رجلاً كثير الأكل وهذا سببه مرض في معدتك فإن لم تبادر بالسعي على دوائك وإلا آل أمرك إلى الهلاك فقال التاجر إن جسمي صحيح ومعدتي سريعة الهضم وإن كنت جيد الأكل فليس ببدني مرض و الحمد والشكر فقال له اللص أنما ذلك بحسب ما يظهر لك وإلا فقد عرفت أن في باطنك مرضاً خفياً فإن أنت أطعتني فداوي نفسك فقال التاجر وأين أجد من يعرف دوائي فقال له اللص أنما المداوي هو ا ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر مكانه فقال له التاجر أرني الآن دوائي وأعطني منه شيء فأعطاه سفوفاً فيه صبر كثير وقال له استعمل هذا في هذه الليلة فأخذه منه ولما كان الليل تعاطي منه شيء فرآه صبراً كريه الطعم فلم ينكر منه شيء فلما تعاطاه وجد منه خفة في تلك الليلة فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء صبر أكثر من الأول فأعطاه منه شيء فلما تعاطاه أسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره فلما رأى اللص أن التاجر أعتنى بقوله وأستأمنه على نفسه وتحقق أنه لا يخالفه أنطلق وجاء بدواء قاتل وأعطاه له فأخذه منه التاجر وشربه فعندما شرب ذلك الدواء نزل ما كان في بطنه وتقطعت أمعاؤه وأصبح ميتاً فقام اللصوص وأخذوا جميع ما كان للتاجر وأني أيها الملك ما قلت لك هذا إلا لأجل أنك لا تقبل من هذا المخادع كلاماً فيلحقك أموراً تهلك بها نفسك فقال الملك صدقت فأنا لا أخرج إليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الناس وجاءوا على باب الملك وقعدوا أكثر النهار حتى يئسوا من خروجه ثم رجعوا إلى شماس وقالوا له أيها الفيلسوف الحكيم الماهر أما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد إلا كذباً علينا وأن خراج الملك من يده واستبدال غيره به فيه الصواب فتنتظم بذلك أحوالنا وتستقيم أمورنا ولكن ادخل إليه ثالثاً واعلمه أنه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع الملك منه إلا إحسان والده إلينا وما أخذه علينا من العهود والمواثيق ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن فإن خرج إلينا وصنع لنا ما نحب فلا بأس وإلا دخلنا عليه وقتلناه وجعلنا الملك في يد غيره فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال له أيها الملك المنهمك في شهواته ولهوه ما هذا الذي تصنعه بنفسك فيا هل ترى من يغريك على هذا فإن كنت أنت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة فليت شعري من الذي حولك ونقلك من العلم إلى الجهل ومن الوفاء إلى الجفاء ومن اللين إلى القسوة ومن قبولك مني إلا أعراضك عني فكيف نصحتك ثلاث مرات ولم تقبل نصيحتي وأشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي فأخبرني ما هذه الغفلة وما هذا اللهو ومن أغراك عليه أعلم أن أهل مملكتك قد تواعدوا على أنهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك فهل لك قوة على جميعهم والنجاة من أيديهم أو تقدر على حياة نفسك بعد قتلها فإن كنت أعطيت هذا كله آمنت من قبلهم فلا حاجة لك بكلامي وإن كان حاجتك إلى الدنيا والملك فأفق لنفسك واضبط ملكك وأظهر للناس قوة بأسك واعلمهم بأعذارك فإنهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه إلى غيرك وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات فإن الحجارة إذا طال مكثها في الماء متى أخرجت منه وضرب بعضها بعضاً تقدحت منها النار والآن رعيتك خلق كثير وهم يتزاورون عليك ويريدون نقل الملك منك إلى غيرك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شماساً قال للملك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب فقال الملك وكيف كان ذلك قال زعموا أن جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون فبينما هم يجولون في طلب ذلك وإذا هم بجمل ميت فقالوا في أنفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمناً طويلاً ولكن نخاف أن يبغي بعضنا على بعض ويميل القوي بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا فينبغي لنا أن نطلب حكماً يحكم بيننا ونجعل له نصيباً فلا يكون للقوي سلاطة على الضعيف فبينما هم يتشاورون في شأن ذلك وإذا بذئب أقبل عليهم فقال بعضهم لبعض أن أصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكماً بيننا لأنه أقوى الناس وأبوه سابقاً كان سلطاناً علينا ونحن نرجو من ا أن يعدل بيننا ثم أنهم توجهوا إليه وأخبروه بما صار إليه رأيهم وقالوا لقد حكمناك بيننا لأجل أن تعطي لكل واحد منا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغي قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضاً فأجابهم الذئب إلى قولهم وتعاطي أمروهم وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم فلما كان من الغد قال الذئب في نفسه أن قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود علي شيء منها إلا الجزء الذي جعلوه لي وأن أكلته وحدي فهم لا يستطيعون لي ضراً مع أنهم غنم لي ولأهل بيتي فمن الذي يمنعني عن أخذ هذا لنفسي ولعل ا مسببه لي بغير جميلة فالأحسن لي أن أختص به دونهم ومن هذا الوقت لا أعطيهم شيء فلما أصبح الثعالب جاءوا إليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا له يا أبا سرحان أعطنا مؤونة يومنا فأجابهم قائلاً ما بقي عندي شيء أعطيه لكم فذهبوا من عنده على أسوأ حال ثم قالوا إن ا أوقعنا في هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي ا ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة ثم قال بعضهم لبعض إنما حمله على هذا الأمر ضرورة الجوع فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب إليه فلما أصبحوا توجهوا إليه وقالوا له يا أبا سرحان إنما وليناك علينا لأجل أن تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوي وإذا فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره ونصير دائماً تحت كنفك ورعايتك وقد مسنا الجوع ولنا يومان ما أكلنا فأعطنا مؤنتنا وأنت في حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك فلم يرد عليهم جواباً بل ازداد قسوة فراجعوه فلم يرجع فقال بعضهم لبعض ليس لنا حيلة إلا أننا ننطلق إلى الأسد ونرمي أنفسنا عليه ونجعل له الجمل فإن أحسن لنا بشيء منه كان من فضله وإلا فهو أحق به من هذا الخبيث ثم انطلقوا إلى الأسد وأخبروه بما حصل لهم مع الذئب ثم قالوا له نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيداً فلما سمع الأسد كلام الثعالب أخذته الحمية وغار ا تعالى ومضى معهم إلى الذئب فلما رأى الذئب الأسد مقبلاً طلب الفرار من قدامه فجرى الأسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعاً ومكّن الثعالب من فريستهم فمن هذا عرفنا أنه لا ينبغي لأحد من الملوك أن يتهاون في أمر رعيته فأقبل نصيحتي وصدق القول الذي قلته لك واعلم أن أباك قبل وفاته قد أوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامي معك والسلام فقال الملك إني سامع منك وفي غد إن شاء ا تعالى أطلع إليهم فخرج شماس من عنده وأخبرهم بأن الملك قبل نصيحته ووعده في غد أنه يخرج إليهم فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولاً عن شماس وتحققت أنه لابد من خروج الملك إلى الرعية أقبلت على الملك مسرعة وقالت له ما أكثر تعجبي من إذعانك وطاعتك لعبيدك أما تعلم أن وزراءك هؤلاء عبيد لك فلأي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى

أوهمتهم أنهم هم الذين أعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وأنهم أعطوك العطايا مع أنهم لا يقدرون أن يفعلوا معك أدنى مكروه فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك وتنفيذ أمورك فكيف تكون مرعوباً منهم هذا الرعب العظيم وقد قيل إذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح أن تكون ملكاً وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع أنه ينبغي أن يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد إليك فإن أنت سارعت لقبول كلامهم وأهملتهم على ماهم فيه وقضيت لهم أدنى حاجة على غير مرادك ثقلوا عليك وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة فإن أطعتني ألا ترفع لأحد منهم شأناً ولا تقبل لأحد منهم كلاماً ولا تطمعهم في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي واللص فقال لها الملك وكيف كان ذلك قالت زعموا أنه كان رجل راعي غنم وكان محافظاً على رعايتها فأتاه لص ذات ليلة يريد أن يسرق من غنمه شيء فرآه محافظاً عليها لا ينام ليلاً ولا يغفل نهاراً فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشيء فلما أعيته الحيلة أنطلق إلى البرية واصطاد أسداً وسلخ جلده وحشاه تبنا ثم أتى به ونصبه على محل عال في البرية بحيث يراه الراعي ويتحققه ثم أقبل اللص على الراعي وقا ل له أن هذا الأسد قد أرسلني إليك يطلب عشاه من هذه الغنم فقال له الراعي وأين الأسد فقال له اللص ارفع بصرك ها هو واقف فرفع الراعي رأسه فرأى صورة الأسد فلما رآها ظن أنها أسد حقيقة ففزع منها فزعاً شديداً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها قالت له أن الراعي لما رأى صورة الأسد ظن أنها أسد حقيقة ففزع منها فزعاً شديداً وأخذه الرعب وقال للص يا أخي خذ ما شئت ليس عندي مخالفة فأخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه في الراعي بسبب شدة خوفه فصار كل قليل أتي إليه ويرعبه ويقول له إن الأسد يحتاج إلى كذا وقصده أن يفعل كذا ثم يأخذ من الغنم كفايته ولم يزل اللص مع الراعي على هذه الحالة حتى أفنى غالب الغنم وإنما قلت لك هذا الكلام أيها الملك لئلا ينثر كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك والرأي السديد أن يكون موتهم أقرب مما يفعلونه فقبل الملك قولها وقال أني قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعاً لمشورتهم ولا خارجاً إليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الوزراء وأكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا إلى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولّوا غيره فلما وصلوا إلى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولّوا غيره تقربوا قريباً من المنزل وسألوا البواب أن يفتح لهم فلم يفتح لهم فأرسلوا ليحضروا ناراً فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة وأعلم الملك أن الخلق مجتمعون على الباب وقال أنهم سألوني أن أفتح لهم فأبيت فأرسلوا ليحضروا نار فيحقوا بها الأبواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فماذا تأمرني فقال الملك في نفسه أني وقعت في الهلكة العظيمة ثم أرسل خلف المرأة فحضرت فقال لها أن شماساً لم يخبرني بشيء إلا وقد وجدته صحيحاً وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلك ولما لم يفتح لهم البواب أرسلوا ليحضروا نار فيحرقوا الأبواب فيحترق البيت ونحن داخله فماذا تشيرين علينا فقالت له المرأة لا بأس عليك ولا يهولنك أمرهم فإن هذا الزمان يقوم فيه السفهاء على ملوكهم فقال لها الملك فما تشيرين علي به لأفعله وما الحيلة في هذا الأمر فقالت له الرأي

عندي أنك تعصب رأسك بعصابة وتظهر أنك مريض ثم ترسل إلى الوزير شماس فيحضر إليك ويرى حالك الذي أنت فيه فإذا حضر فقل له قد أردت الخروج إلى الناس في هذا اليوم فمنعني هذا المرض فأخرج إلى الناس وأخبرهم بما أنا فيه وأخبرهم أني فيغداً أخرج إليهم وأقضي حوائجهم وأنظر في أحوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم وإذا أصبحت فاستدع بعشرة من عبيد أبيك ويكونون سامعين لقولك طائعين لأمرك كاتمين لسرك حافظين لودك ثم أوقفهم على رأسك وأمرهم أن لا يمكنوا أحد من الدخول عليك إلا واحد بعد واحد فإذا دخل واحد فقل لهم خذوه واقتلوه وإذا اتفقوا معك على ذلك فأصبح ناصبك كرسيك في ديوانك وافتح بابك فإنهم إذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم وأتوك بقلب سليم واستأذنوا في الدخول عليك فأذن لهم في الدخول واحداً بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك ولكن ينبغي أن تبدأ بقتل شماس الكبير أولهم فإنه هو الوزير الأعظم وهو صاحب الأمر فاقتله أولاً ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحداً بعد واحد ولا تبق منهم من تعرف أنه ينكث لك عهداً وكذلك كل من تخاف صولته فإنك إذا فعلت بهم ذلك لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منها الراحة الكلية ويصفو لك الملك وتعمل ما تحب واعلم أنه لا حيلة لك أنفع من هذه الحيلة فقال لها الملك أن رأيك هذا سديد وأمرك رشيد فلابد أن أعمل ما ذكرت ثم أمر بعصابة فشد بها رأسه وتضاعف وأرسل إلى شماس فلما حضر بين يديه قال له يا شماس قد علمت أنا لك محب ولرأيك مطيع وأنت كالأخ والوالد دون كل أحد وتعرف أني أقبل منك جميع ما أمرتني به وقد كنت أمرتني بالخروج إلى الرعية والجلوس لأحكامهم وتحققت أنها نصيحة منك لي وقد أردت الخروج إليهم بالأمس فعرض لي هذا المرض ولست أستطيع الجلوس وقد بلغني أن أهل المملكة متنغصون من عدم خروجي إليهم وهمو أن يفعلوا بي مالا يليق من شرهم فإنهم غير عالمين بما أنا فيه من المرض فأخرج إليهم وأعلمهم بحالي وما أنا فيه وأعتذر إليهم عني فأنني تابع لما يقولون وفاعل ما يحبون فأصلح لهم هذا الأمر وأضمن لهم عني ذلك فإنك نصيح لي ولوالدي من قبل وعادتك الإصلاح بين الناس وإن شاء الله تعالى في غداً خرج إليهم ولعل مرضي يزول عني في هذه الليلة ببركة صالح نيتي وما أضمرته لهم من الخير في سريرتي فسجد شماس لله ودعا للملك وقبل يديه ورجليه وفرح بذلك وخرج إلى الناس وأخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما أرادوه وأعلمهم بالعذر وسبب امتناع الملك عن الخروج وأخبرهم أنه وعده في غد بالخروج إليهم وأنه يصنع لهم ما يحبون فانصرفوا عند ذلك إلى منازلهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شماساً خرج إلى الدولة وقال لهم أن الملك في غد يخرج إليكم ويصنع لكم ما تحبون فانصرفوا إلى منازلهم هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه بعث إلى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة أبيه وكانوا ذوي عزم جليد وبأس شديد وقال لهم قد علمتم ما كان لكم عند والدي من الحظوة ورفعة الشأن والإحسان إليكم مع لطفه بكم وإكرامه إياكم فأنا أنزلكم بعده عندي في درجة أرفع من تلك الدرجة وساعرفكم سبب ذلك وأنتم في أمان الله مني ولكن أسألكم عن مسألة هل تكونون معي فيها طائعين لأمري فيها أقوله كاتمين لسري عن جميع الناس ولكم مني الإحسان فوق ما تريدون حيث مثلتم أمري فأجابه العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين جميع ما تأمرنا به يا سيدنا

نحن به عاملون ولا نخرج عما تشير به علينا مطلقاً وأنت ولي أمرنا فقال لهم أحسن ا لكم فأنا الآن أعرفكم سبب اختصاصكم بمزيد الإكرام عندي أنكم قد علمتم ما كان يفعله أبي بأهل مملكته من الإكرام وما عاهدهم عليه من أمري وإقرارهم له بأنهم لا ينكثون لي عهد أو لا يخالفون لي أمر وقد نظرتم ما كان منهم بالأمس حيث اجتمعوا جميعاً حولي يريدون قتلي وأنا أريد أن أصنع بهم أمراً وذلك إني نظرت ما كان منهم بالأمس فرأيت أنه لا يزجرهم عن مثله إلا نكالهم فلابد أن أوكلكم بقتل من أشير لكم بقتله سراً حتى أدفع الشر والبلاء عن بلادي بقتل أكابرهم ورؤسائهم وطريقة ذلك أني أقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غدو آذن لهم بالدخول على واحد أبعد واحد وأن يدخلوا من باب ويخرجوا من آخر فقفوا أنتم العشرة بين يدي فاهمين لإشارتي وكلما يدخل واحد فخذوه وأدخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثته فقالوا سمعاً لقولك وطاعة لأمرك فعند ذلك أحسن إليهم وصرفهم وبات فلما أصبح طلبهم وأمر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك وأخذ في يده كتاب القضاء وأمر بفتح الباب ففتح وأوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى من كان له حكومة فليحضر إلى بساط الملك فأتى الوزراء والقواد والحجاب ووقف كل واحد في مرتبته ثم أمر لهم بالدخول واحداً بعد واحد فدخل شماس الوزير أولاً كما هي عادة الوزير الأكبر فلما دخل واستقر قدام الملك لم يشعر إلا والعشرة عبيد محتاطون به وأخذوه وأدخلوه البيت وقتلوه وأقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحداً بعد واحد حتى فرغوا من الجميع ثم دعا بالجلادين وأمرهم بحط السيف فيمن بقي من أهل الشجاعة وقوة البأس فلم يتركوا أحداً ممن يعرفون أن له شهامة إلا قتلوه ولم يتركوا إلا سفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم بأهله ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذاته وأعطى نفسه شهواتها واتبع البغي والجور والظلم حتى سبق من تقدمه من أهل الشر وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة ويتوقعون له البلاء فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين له أني ظفرت بما كنت أريد من أخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لأكابر دولته وأهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا في أرضه فهذا هو وقت الفرصة والنزاع ما في يده لكونه صغيراً ولا دراية له بالحرب ولا رأي له ولم يبق عنده من يرشده ولا من يعضده فأنا اليوم افتح معه باب الشر وهواني أكتب له كتاباً وأعبث به فيه وأبكته على ما حصل منه وانظر ما يكون من جوابه فكتب له مكتوباً مضمونه بسم ا الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وأما أوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين طغيت وأفسدت وأن ا قد أعطاني النصر عليك وظفرني بك كلامي وامتثل أمري ابن لي قصراً معيناً في وسط البحر وإن لم تقدر على ذلك فأخرج من بلادك وفز بنفسك فأني باعث إليك من أقصى الهند اثنى عشر كردوساً كحل كردوس اثنا عشر ألف مقاتل فيدخلون بلادك وينهبون أموالك ويقتلون رجالك ويسلبون حريمك واجعل قائدهم بديعاً وزيري وآمره أن يرسخ عليها محاصراً إلى أن يملكها وقد أمرت هذا الغلام المرسل إليك أنه لا يقيم عندك غير ثلاثة أيام فإن امتثلت أمري نجوت وإلا أرسلت إليك ما ذكرته لك ثم ختم الكتاب وأعطاه للرسول فسار به حتى وصل إلى تلك المدينة ودخل على الملك وأعطاه الكتاب فلما قرأه الملك ضعفت قوته وضاق صدره والتبس عليه أمره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين ولا من

ينجده فقام ودخل على زوجته وهو متغير اللون فقالت له ما شأنك أيها الملك فقال لها لست اليوم بملك ولكني عبد للملك ثم فتح الكتاب وقرأه عليها فلما سمعته أخذت في البكاء والنحيب وشقت ثيابها فقال لها الملك هل عندك شيء من الرأي والحيلة في هذا الأمر العسير فقالت له وما عند النساء من الحيلة في الحروب والنساء لا قوة لهن ولا رأي لهن وإنما القوة والرأي والحيلة للرجال في مثل هذا الأمر فلما سمع الملك منها هذا الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منه في حق جماعته ورؤساء دولته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف على ما فرط منه من قتل وزرائه وأشراف رعيته وتمنى الموت لنفسه قبل أن يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع ثم قال لنسائه لقد وقع لي منكن ما وقع للدراج مع السحالف فقلن له وكيف كان ذلك فقال الملك زعموا أن سحالف كانت في جزيرة من الجزائر وكانت تلك الجزيرة ذات أشجار وأثمار وأنهار فاتفق أن دراجاً اجتاز بها يوماً وقد أصابه الحر والتعب فلما أضربه ذلك حط من طيرانه في تلك الجزيرة التي بها تلك السحالف فلما رأى السحالف التجأ إليها ونزل عندها وكانت السحالف ترعى في جهات الجزيرة ثم ترجع إلى مكانها فلما رجعت من مسارحها إلى مكانها رأت الدراج فيه فلما رأته أعجبها وزينه ا لها فسبحت خالقها وأحبت هذا الدراج حباً شديداً وفرحت به ثم قال بعضها لبعض شك أن هذا من أحسن الطيور فصارت كلها تلاطفه وتجنح إليه فلما رأى منها عين المحبة مال إليها واستأنس بها وصار يطير إلى أي جهة أرادوا عند المساء يرجع إل المبيت عندها فإذا أصبح الصباح يطير إلى حيث أرادوا صارت هذه عادته واستمر على هذا الحال مدة من الزمان فلما رأت السحالف أن غيابه عنها يوحشها وتحققت أنها لا تراه إلا في الليل وإذا أصبح طار مبادراً ولا تشعر به مع زيادة حبها له قال بعضها لبعض أن هذا الدراج قد أحببناه وصار لنا صديقاً وما بقي لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة الموصلة إلى إقامته عندنا دائماً لأنه إذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه إلا في الليل فأشارت عليهن واحدة قائلة استريحوا يا أخوتي وأنا اجعله لا يفارقنا طرفة عين فقال لها الجميع أن فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيداً فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينهم تقربت منه السلحفة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة وقالت له ياسيدي أعلم أن قد رزقك منا المحبة وكذلك أودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر أنيساً وأحسن أوقات المحبين إذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد إلينا إلا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة وقد شق علينا ذلك كثيراً ونحن في وجد عظيم لهذا السبب فقال لها الدراج نعم أنا عندي محبة لكن واشتياق عظيم أليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلاً عندي ولكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيراً أجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائماً لأن هذا ليس من طبعي فإن الطير ذا الأجنحة ليس له مستقراً لا في الليل لأجل النوم وإذا أصبح طار وسرح في أي موضع أعجبه فقالت له السحلفة صدقت ولكن ذو الأجنحة في غالب الأوقات لا راحة له ولكونه لا يناله من الخير ربع ما يحصل له من المشقة وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة ونحن قد جعل ا بيننا وبينك المحبة والألفة ونخشى عليك ممن يصطادك من أعدائك فتهلك ونحرم

من رؤية وجهك فأجابها الدراج قائلاً صدقت ولكن ما عندك من الرأي والحيلة في أمري فقالت له الرأي عندي أن تنتف سواعدك التي تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحاً وتأكل من أكلنا وتشرب من شربنا في هذه المسرحة الكثيرة الأشجار اليانعة الأثمار ونقيم نحن وأنت في هذا الموضع الخصب ويتمتع كل منا بصاحبه فمال الدراج إلى قولها وقصد الراحة لنفسه ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكم ما استحسنه من رأي السحلفة واستقر عندهن عائشاً معهن ورضي باللذة اليسيرة والطرب الزائل فبينما هم على تلك الحالة وإذا بابن عرس قد مر عليه فرمقه بعينيه وتأمله فرآه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض فلما رآه على تلك الحالة فرح به فرحاً شديداً وقال في نفسه أن هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش ثم دنا منه ابن عرش وافترسه فصاح الدراج وطلب النجدة من السحالف فلم ينجده بل تباعدون عنه وانكمش في بعضهن لما رأين ابن عرس قابضاً عليه وحين رأين ابن عرس يعذبه خقهن البكا عليه فقال لهن الدراج هل عندكن شيء غير البكاء فقلن له يا أخانا ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة في أمر ابن عرس فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حياة نفسه وقال لهن ليس لكن ذنب إنما الذنب لي حيث أطعتكن ونتفت أجنحتي التي أطير بها فأنا استحق الهلاك لمطاوعتي لكي ولا ألومكن في شيء وأنا الآن لا ألومكن أيتها النساء بل ألوم نفسي وأؤديها حيث لم أتذكر أنكر الشهوة التي حصلت من أبينا آدم لأجلها خرج ونسيت أنكن أصل كل شر فأطعكن بجهلي وخطأ رأيي وسوء تدبير وقتلت وزرائي وحكام مملكتي الذين كانوا لي نصحاء في الأمور وكانوا عدتي وقوتي على كل أمر أهمني فأنا الآن لا أجد عوضاً عنهم ولا أرى أحداً يقوم مقامهم وقد وقعت في الهلاك العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لأم نفسه وقال أنا الذي أطعتكن بجهلي وقتلت وزرائي ولم أجد عوضاً عنهم يقوم مقامهم وإن لم يفتح ا علي بمن له رأي سديد يرشدني إلى ما فيه خلاصي وقعت في الهلكة العظيمة ثم أنه قام ودخل مرقده بعد أن نعي الوزراء والحكماء قائلاً يا ليت هؤلاء الأسود عندي في هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر إليهم وأنظرهم وأشكوا إليهم أمري وما حل بي بعدهم ولم يزل غريقاً في بحر الهم طول نهاره لا يأكل ولا يشرب فلما جن عليه الليل قام وغير لباسه ولبس ثياباً رديئة وتنكر وخرج يسبح في المدينة لعله يسمع من أخذ كلمة يرتاح بها فبينما هو يطوف في الشوارع وإذا هو بغلامين مختليين بأنفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان في السن عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة فسمعهما يتحدثان مع بعضهما فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه فسمع واحد منهما يقول للآخر اسمع ماحكاه لي والدي ليلة أمس من أجل ما وقع له في زرعه وييبسه قبل أوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة فقال له الآخر أتعرف ما سبب هذا البلاء قال له لا فإن كنت تعرفه أنت فاذكره لي فأجابه قائلاً نعم أعرفه وأخبرك به أعلم أن بعض أصحاب والدي قال لي أن ملكنا قتل وزراءه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل أجل من أحبه للنساء وميله إليهن وأن الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وأمر بقتلهم طاعة لنسائه حتى أنه قتل شماساً وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ولكن سوف تنظر ما يفعل ا به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه فقال الغلام وما عسى أن يفعل ا به بعد هلاكهم

قال له اعلم أن ملك الهند الأقصى قد استخف بملكنا وبعث إليه كتاباً يوبخه فيه ويقول له ابن لي قصراً في وسط البحر وإن لم تفعل ذلك فأنا أرسل إليك اثنى عشر كردوساً كل كردوس فيه اثنا عشر ألف مقاتل واجعل قائد هذه العساكر بديعاً وزيري فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك فلما جاء رسول ملك الهند الأقصى بهذا الكتاب أمهله ثلاثة أيام واعلم يا أخي أن ذلك الملك جبار عنيد ذو قوة وبأس شديد وفي مملكته خلق كثيرون لم يحتل ملكنا فيما يمنعه وقع في الهلكة وبعد ذلك ملكنا يأخذ هذا الملك أرزاقنا ويقتل رجالنا ويسبي حريمنا فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطراباً ومال إليهما وقال في نفسه أن هذا الغلام لحكيم لكونه أخبر عن شيء لم يبلغه مني فإن الكتاب الذي جاء من ملك أقصى الهند عندي والسر معي ولم يطلع أحد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام به ولكن أنا التجيء إليه وأكلمه وأسأل ا أن يكون خلاصنا على يديه ثم أن الملك دنا من الغلام بلطف وقال له أيها الولد الحبيب ما هذا الذي ذكرته من أجل ملكنا فإنه قد أساء كل الإساءة في قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه في الحقيقة قد أساء لنفسه ورعيته وأنت صدقت فيما قلته ولكن عرفني أيها الولد من أين عرفت أن ملك الهند الأقصى كتب إلى ملكنا كتاباً ووبخه فيه وقال له هذا الكلام الصعب الذي قلته قال له هذا الغلام قد علمت هذا من قول القدماء أنه ليس بخفي على ا خافية والخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهر لهم الأسرار الخفية فقال له صدقت يا ولدي لكن هل لملكنا حيلة وتدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم فأجاب الغلام قائلاً نعم إذا أرسل الملك إلي وسألني ماذا يصنعه ليدفع به عدوه وينجو من أخبرته بما فيه نجاته بقوة ا تعالى قال له الملك ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل إليك ويدعوك فأجابه قائلاً أني سمعت عنه أنه يفتش على أهل الخبرة والرأي الرشيد وإذا أرسل إلى سرت معهم إليه وعرفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنه وأن أهمل هذا الأمر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه وأردت أني أعلمه بما فيه نجاته وتوجهت إليه من تلقاء نفسه فأنه يأمر بقتلي مثل أولئك الوزراء وتكون معترفتي به سبباً لهلاكي وتستقل الناس بي ويستنقصون عقلي وأكون من مضمون قول من قال من كان علمه أكثر من عقله هلك ذلك العالم فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتيقن فضيلته أن النجاة تحصل له ولرعيته على يديه فعند ذلك أعاد الملك الكلام على الغلام وقال له من أين أنت وأم بيتك فقال له الغلام أن هذه الحائط توصل إلى بيتنا فتعهد الملك ذلك المكان ثم أنه ودع الغلام ورجع إلى مملكته مسروراً فلما استقر في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والرشراب ومنع عنه النساء وأكل وشرب وشكر ا تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم ثم تاب إلى ا توبة خالصة واقترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر ودعا بأحد غلمانه الخواص ووصف له مكان الغلام وأمره أن ينطلق إليه ويحضره بين يديه برفق فمضى ذلك العبد إلى الغلام وقال له الملك يدعوك لخير يصل إليك من قبله ويسألك سؤالاً ثم تعود في خير إلى منزلك فأجاب الغلام قائلاً ولحاجة الملك التي دعاني من أجلها قال له الخادم إن حاجة مولاي التي دعاك من أجلها هي سؤال وجواب فقال له الغلام ألف سمع وألف طاعة لأمر الملك ثم سار معه حتى وصل إليه فلما صار بين يديه سجد ودعا للملك بعد أن سلّم عليه فرد الملك عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما جاء إلى الملك وسلّم عليه أمره بالجلوس فجلس فقال له هل تعرف من تكلم معك بالأمس قال الغلام نعم قال له فأين هو فأجابه بقوله هو الذي يكلمني في هذا الوقت فقال له الملك لقد صدقت بها الحبيب ثم أمر الملك بوضع كرسي بجانب كرسيه وأجلسه عليه وأمر بإحضار أكل وشرب ثم امتزجا في الحديث إلى أن قال للغلام أنك أيها الوزير حدثتني بالأمس حديثاً وذكرت فيه أن معك حيلة تدفع بها عنا كيد ملك الهند فما هي الحيلة وكيف التدبير في دفع شره فأخبرني لكي أجعلك أول من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزير إلى وأكون تابعاً لرأيك في كل ما أشرت به علي وأجيزك جائزة سنية فقال له الغلام جائزتك لك أيها الملك والملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي أشرن عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتنهد وقال أيها الولد الحبيب وهل شماس والدك كما ذكرت فأجابه الغلام قائلاً أن شماساً والدي حقاً وأنا ولده صدقاً فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر ا وقال أيها الغلام أني فعلت ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن أسألك أن تكون مسامحاً لي وأني جاعلك في موضع أبيك وأعلى مقاماً من مقامه وإذا زالت هذه النقمة النازلة بنا طوقتك بطوق الذهب وأركبتك أعز مركوب وأمرت المنادي أن ينادي قدامك قائلاً هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك وأما ما ذكرت من أمر النساء فأني أضمرت الانتقام منهن وأجلته في الوقت الذي يريده ا تعالى فأخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي فأجابه الغلام قائلاً أعطني عهد أنك لا تخالف رأيي فيما اذكر لك وأني أكون مما أخشاه في أمان فقال له الملك هذا عهد ا بيني وبينك أني لا أخرج عن كلامك وأنك عندي صاحب المشورة ومهما أمرتني به فعلته والشاهد بيني وبينك على ما أقول هو ا تعالى فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسع عنده مجال الكلام فقال أيها الملك إن التدبير والحيلة عندي أنك تنظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالب الجواب بعد المهلة التي أمهلته إياها فإذا حضر بين يديك وطلب الجواب ادفعه عنك وامهله إلى يوم آخر فعند ذلك يعتذر إليك أن ملكه حدد عليه أياماً معلومة فيراجعك في كلامك فاطرحه وامهله إلى يوم آخر ولا تعين له ذلك اليوم فيخرج من عندك غضبان ويتوجه إلى وسط المدينة ويتكلم جهراً بين الناس ويقول يا أهل المدينة أني ساعي ملك الهند الأقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين له الحديد قد أرسلني بكتاب إلى ملك هذه المدينة وحدد لي أيام وقال لي إن لم تحضر عقب الأيام التي حددتها لك حلت بك نقمتي وها أنا جئت إلى ملك هذه المدينة وأعطيته الكتاب فلما قرأه أمهلني ثلاثة أيام ثم لم يعطيني جواب ذلك الكتاب فأجبته إلى ذلك لطفاً به ورعاية لخاطره وقد مضت الثلاثة أيام وأتيت أطلب منه الجواب فأمهلني إلى يوم آخر وأنا ليس عندي صبر فها أنا منطلق إلى سيدي ملك الهند الأقصى وأخبره بما وقع لي وأنتم أيها القوم شاهدون بيني وبينه فعند ذلك يبلغك كلامه فأرسل إليه وأحضره بين يديك وكلّمه بلطف وقل له أيها الساعي لاتلاف نفسه ما الذي حملك على ملامتنا بين رعيتنا لقد استحقيت منا التلاف عاجلاً ولكن قالت القدماء العفو من شيم الكرام واعلم أن تأخير الجواب عنك ليس عجزاً منا وإنما هو لزيادة إشغالنا وقلة تفرغنا لكتابة جواب ملككم ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانياً وبعد أن تفرغ من قرأته أكثر من الضحك وقل له هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جواباً له أيضاً فيقول لك ليس معي كتاب غير هذا الكتاب فاعد عليه القول ثانياً وثالثاً

فيقول لك ليس معي غيره أصلاً فقل له أن ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر في هذا الكتاب كلاماً يريد به تقويم نفوسنا لأجل أن نتوجه بعسكرنا إليه فنغزو بلاده ونأخذ مملكته ولكن لا نؤاخذه في هذه المرة على إساءة أدبه بهذا المكتوب لأنه قاصر العقل ضعيف الحزم فالمناسب لمقدرتنا أننا ننذره ولا نحذره من أن يعود لمثل هذه الهذيانات فإن خاطر بنفسه وعاد إلى مثلها استحق البلاء عاجلاً وأظن أن الملك الذي أرسلك جاهلاً أحمق غير مفكر في العواقب وليس له وزير عاقل سديد الرأي يستشيره ولو كان عاقلاً لاستشار وزير أقبل أن يرسل إلينا مثل هذا الكلام السخرية ولكن له عندي جواب مثل كتابه وأزيد وأنا أدفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه ثم أرسل إلى واطلبني فإذا أحضرت بين يديك فأذن لي بقراءة الكتاب ورد جوابه فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأي الغلام وأعجبته حيلته فانعم عليه وخوله رتبة والده وصرفه مسروراً فلما انقضت الثلاثة أيام التي جعلها مهلة للساعي جاء الساعي ودخل على الملك وطلب الجواب فأمهله الملك إلى يوم آخر فخرج الساعي إلى آخر البساط وتكلم بكلام غير لائق مثل ما قال الغلام ثم خرج إلى السوق وقال يا أهل هذه المدينة إني رسول ملك الهند الأقصى إلى ملككم جئته برسالة وهو يماطلني في جوابها وقد انقضت المدة التي حددها إلى ملكنا ولم يبق لملككم عذر فأنتم تكونون شهداء على ذلك فلما بلغ الملك هذا الكلام أرسل إلى ذلك الساعي وأحضره بين يديه وقال له أيها الساعي في اتلاف نفسه الست ناقلاً كتاباً من ملك إلى ملك بينهما أسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر أسرار الملوك على العامة لقد استحقيت منا القصص ولكن نحن نتحل ذلك لأجل عود جوابك لهذا الملك الأحمق والأنسب أن لا يرد له جواباً عنا إلا أقل صبيان المكتب ودعا بحضور ذلك الغلام فحضر ولما دخل على الملك والساعي حاضر سجد ودعا للملك بدوام العز والبقاء فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال له أقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة فأخذ الغلام الكتاب وقرأه وتبسم بالضحك وقال للملك هل أرسلت خلفي لأجل جواب هذا الكتاب فقال له نعم فأجاب بمزيد السمع والطاعة وأخرج الدواة والقرطاس وكتب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما أخذ الكتاب وقرأه أخرج في الوقت دواة وقرطاساً وكتب بسم ا الرحمن الرحيم السلام على من فاز بالآمان ورحمة الرحمن أما بعد فإني أعلمك أيها المدعو ملكاً كبيراً أسما لا رسماً أنه قد وصل إلينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحققنا جهلك وبغيك علينا وقد مددت يديك إلى مالا تقدر عليه ولولا أن الرأفة أخذتنا على خلق ا والرعية لما تأخرنا عنك وأما رسولك فأنه خرج إلى السوق ونشر أخبار كتابك على الخاص والعام فاستحق منا القصاص ولكن أبقيناه رحمة منا له لكونه معذوراً معك ولم نترك قصاصه وقاراً لك فأما ما ذكرته في كتابك من قتلي لوزيراني أو علمائي وكبراء مملكتي ذلك حق ولكن لسبب قام عندي وما قتلت من العلماء واحداً إلا وعندي من جنسه ألف أعلم منه وافهم واعقل وليس عندي طفل إلا وهو ممتليء من العلوم وعندي عوض من كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه مالا أقدر أن أحصيه وكل واحد من عسكري يقاوم كردوساً من عسكرك أما من جهة المال فإن عندي معامل الذهب والفضة وأما المعادن فإنها عندي كقطع الحجارة وأما أهل مملكتي فأني لا أقدر أن أصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا ابن لي قصراً في وسط

البحر فإن هذا أمر عجيب ولعله ناشيء عن سخافة عقلك لأنه لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الأمواج وحركات الرياح وأنا أبني لك القصر وأما زعمك أنك تظفرني فحاش   من ذلك كيف يبغي علينا مثلك ويظفر بملكنا بل أن ا   تعالى يظفرني لكونك معتدياً باغياً على بغير حق فاعلم أنك قد استوجبت العذاب من ا   ومني ولكن أنا أخاف ا   فيك في رعيتك ولا أركب عليك إلا بعد النذارة فإن كنت تخشى ا   فعجل لي بإرسال خراج هذه السنة وإلا لا أرجع عن الركوب عليك ومعي ألف ألف ومائة ألف مقاتل كلهم جبابرة بأفيال فسردهم حول وزيرنا وآمره أن يقيم على محاصرتك ثلاث سنوات نظير الثلاثة أيام التي أمهلتها لقاصدك وأتملك مملكتك بحيث لا أقتل منها أحداً غير نفسك ولا أسبى منها غير حريمك ثم صور الغلام في المكتوب صورته وكتب بجانبها أن هذا الجواب كتبه أصغر أولاد الكتاب ثم سلّمه إلى الملك فأعطاه الملك للساعي فأخذه الساعي وقبل يدي الملك ومضى من عنده شاكراً ا   تعالى وللملك على حلمه وانطلق وهو يتعجب مما رأى من حذق الغلام فلما وصل إلى ملكه وكان دخوله عليه في اليوم الثالث بعد الثلاثة أيام المحدودة له وكان الملك في ذلك الوقت ناصب الديوان بسبب تأخير الساعي عن المدة المحدودة له فلما دخل عليه سجد بين يديه ثم أعطاه الكتاب فأخذه وسأل الساعي عن سبب إبطائه وعن أحوال الملك ورد خان فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه بأذنه فاندهش عقل الملك وقال للساعي ويحك ما هذه الأخبار التي تخبرني بها عن مثل هذا الملك فأجابه الساعي قائلا أيها الملك العزيز ها أنا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذي كتبه فأيقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من أمره ثم التفت إلى وزرائه وعظماء دولته وأخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعباً عظيماً وصاروا يسكنون رواع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الخفقان ثم أن بديعاً الوزير الكبير قال اعلم أيها الملك أن الذي يقوله أخوتي من الوزراء لا فائدة فيه والرأي عندي أنك تكتب لهذا الملك كتاباً وتعتذر إليه فيه وتقول له أنا محب لك ولوالدك من قبلك وما أرسلنا إليك الساعي بهذا الكتاب الأعلى طريق الامتحان لك لتنظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والأمور العملية والعلمية والرموز الخفية وما أنت منطو عليه من الكمالات الكلية ونسأل ا   تعالى أن يبارك لك في مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد في سلطانك حيثما كنت حافظاً لنفسك فتتم أمور رعيتك وأرسله له مع ساع آخر فقال الملك وا   العظيم أن هذا لعجباً عظيماً كيف يكون هذا ملكاً عظيماً معتداً للحرب بعد قتله لعلماء مملكته وأصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك ويخرج منها هذه القوة العظيمة وأعجب من هذا أن صغار مكاتبها يريدون عن ملكها مثل هذا الجواب لكن أنا بسوء طمعي أشعلت هذه النار علي وعلى أهل مملكتي ولا أدري ما يطفئها إلا رأى وزيري هذا ثم أنه جهز هدية ثمينة وخدماً وحشماً كثيرة وكتب كتاباً مضمونه بسم ا   الرحمن أما بعد أيها الملك العزيز ورد خان ولد الأخ العزيز جليعاد رحمه ا   وأبقاك لقد حضر لنا كتابك فقرأناه وفهمنا ما فيه فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من ا   ونسأل ا   أن يعلي شأنك ويشيد أركان مملكتك وينصرك على أعدائك الذين يريدون بك السوء واعلم أيها الملك أن أباك كان لي أخاً وبيني وبينه عهود ومواثيق مدة حياته وما كان يرى منا إلا خيراً وكنا نحن كذلك لا نرى منه إلا خيراً ولما توفي وجلست أنت على كرسي مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور ولما

بلغني ما فعلت بوزرائك وأكابر دولتك خشينا أن يصل خبر ذلك إلى ملك غيرنا فيطمع فيك وكنا نظن أنك في غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملاً لأمور مملكتك فكاتبناك بما ننبهك فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك منعك ا بمملكتك وجعلك معانا على شأنك والسلام ثم جهز له الهدية وأرسلها إليه مع مائة فارس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك الهند الأقصى لما جهز الهدية إلى الملك ورد خان أرسلها له مع مائة فارس فساروا إلى أن أقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم أعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم أنزل رئيس المائة فارس في محل يصلح له وأكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحاً شديداً ثم أرسل إلى الغلام ابن شماس وأحضره بين يديه وأكرمه وأرسل إلى رئيس المائة فارس ثم طلب الكتاب الذي أحضره من ملكه وأعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسر الملك بذلك سروراً كبيراً وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر إليه ويدعو له بدوام البقاء وخلود النعم عليه فشكره على ذلك وأكرمه إكراماً زائداً وأعطاه وأعطى جميع من معه ما يليق بهم وجهز معهم هدايا وأمر الغلام أن يكتب رد الجواب فعند ذلك كتب الغلام الجواب وأحسن الخطاب وأوجز في باب الصلح وذكر أدب الرسول ومن معه من الفرسان فلما تمم الكتاب عرضه على الملك فقال له الملك اقرأه أيها الولد العزيز لكي تعرف ما كتب فيه فعند ذلك قرأ الغلام بحضرة المائة فارس فأعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك وسلمه إلى رئيس المائة فارس وصرفه وأرسل معه من عسكره طائفة توصلهم إلى أطراف بلادهم هذا ما كان من أمر الملك والغلام (وأما) ما كان من أمر رئيس المائة فارس فإنه اندهش عقله مما رآه من أمر الغلام ومعرفته وشكر ا تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح ثم أنه سار إلى أن وصل إلى ملك أقصى الهند وقدم إليه الهدايا والتحف وأوصل إليه العطايا وناوله الكتاب وأخبره بما نظر ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وشكر ا تعالى وأكرم رئيس المائة فارس وشكر همتا على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في أمن وأمان وطمأنينة وزيادة انشراح هذا ما كان من أمر ملك أقصى الهند (وأما) مان من أمر الملك وردخان فإنه استقام مع ا ورجع عن طريقته الرديئة وتاب إلى ا توبة خالصة عما كان فيه وترك النساء جملة ومال بكليته إلى صلاح مملكته والنظر بخوف ا إلى الرعية وجعل ابن شماس وزيراً عوضاً عن والده وصاحب الرأي المقدم عنده في المملكة وكاتماً لسره وأمر بزينة مدينته سبعة أيام وكذلك بقية المدائن ففرحت الرعية بذلك وزوال الخوف والرعب عنها واستبشروا بالعدل والإنصاف وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذي أزال عنه وعنهم هذا الغم وبعد ذلك قال الملك للوزير ما الرأي عندك في اتقان المملكة وإصلاح الرعية ورجوعها إلى ما كانت عليه أولاً من وجود الرؤساء والمديرين فعند ذلك أجابه الوزير قائلاً أيها الملك العزيز الشأن الرأي عندي أنك قبل كل شيء تبتدي بقطع أمر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيه من اللهو والعسف والاشتغال بالنساء لأنك أن رجعت إلى أصل المعاصي تكون الضلالة الثانية أشد من الأولى فقال الملك وما هي أصل المعاصي التي ينبغي أن أقلع عنها فأجابه ذلك الوزير الصغير السن الكبير العقل قائلاً أيها الملك الكبير اعلم أن أصل المعصية اتباع هوى النساء والميل إليهن وقبول رأيهن وتدبيرهن

لأن محبتهن تغير العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتتبعت وقائعها بإمعان النظر لوجدت لك ناصحاً من نفسك واستغنيت عن قولي جملة فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك رسمهن لأن ا تعالى أمر بعدم الإكثار منهن على يد نبيه موسى حتى قال لبعض الملوك من الحكماء لولده يا ولدي إذا استقمت في الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك بالجملة فالاستكثار منهن يفضي إلى حبهن وحبهن يفضي إلى فساد الرأي والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الذي خصه ا بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط أحد من الملوك الذين تقدموا مثل ما أعطاه فكانت النساء سبباً لهفوة والده ومثل هذا كثير أيها الملك وإنما ذكرت لك سليمان لتعرف أنه ليس لأحد أن يملك مثل ما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الأرض واعلم أيها الملك أن محبة النساء أصل كل شر وليس لإحداهن رأي فينبغي للإنسان أن يقتصر منهن على قدر الضرورة ولا يميل إليهن كل الميل فإن ذلك يوقعه في الفساد والهلكة فإن أطلعت قولي أيها الملك استقامت لك جميع أمورك وإن تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم فأجابه الملك قائلاً لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل إليهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك وردخان لما قال لوزيره أني قد تركت ما كنت فيه من الميل إليهن وأعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعاً ولكن ماذا أصنع إليهن جزاء ما فعلن لأن قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادي ولا عرفت كيف جرى لي في عقلي حتى وافقتهن على قتله ثم تأوه وصاح قائلاً واأسفاه على فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الرشيد فأجابه الوزير قائلاً اعلم أيها الملك أن الذنب ليس للنساء وحدهن لأنهن مثل بضاعة مستحسنة تميل إليها شهوات الناظرين فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم يشتر لم يجبره أحد على الشراء ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصاً إذا كان عارفا بمضرة تلك البضاعة وقد حذرتك ووالدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة فأجابه الملك أنني أوجبت على نفسي الذنب كما قلت أيها الوزير ولا عذر لي إلى المقادير الإلهية فقال الوزير اعلم أيها الملك أن ا تعالى خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا إرادة واختيار فإن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ولم يأمرنا ا بفعل ضرر لئلا يلزمنا ذنب فيجب علينا حساب فيما يكون صواباً لأنه تعالى لا يأمرنا إلا بالخير على سائر الأحوال وإنما ينهانا عن الشر ولكن نحن بإرادتنا نفعل ما نفعله صواباً كان أو خطأ فقال له الملك صدقت وإنما كان خطئي مني الميل إلى الشهوات وقد حذرت نفسي من ذلك مراراً وحذرني والدك شماس مراراً فغلبت نفسي على عقلي فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلي غالباً على شهوات نفسي فأجاب الوزير نعم إني أرى شيئاً يمنعك عن ارتكاب هذا الخطأ وهو إنك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصي هواك وتطيع مولاك وترجع إلى سيرة الملك العادل أبيك وتعمل ما يجب عليك من حقوق ا وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك وتنظر في عواقب الأمور وتنزل عن الظلم والجور والبغي والفساد وتستعمل العدل والإنصاف والخضوع وتمتثل أوامر ا تعالى وتلازم الشفقة على خليقته

الذين استخلفك عليهم وتواظب على ما يوجب دعاءهم لك لأنك إذا أدام لك ذلك صفا وقتك وعفا الله برحمته عنك وجعلك مهاباً عند كل من يراك وتتلاشى أعداؤك ويهزم الله جيوشهم وتصير عند الله مقبولاً وعند خلقه مهاباً محبوباً فقال له الملك لقد أحييت فؤادي ونورت قلبي بكلامك الحلو وجلوت عين بصيرتي بعد العمى وأنا عازم على أن أفعل جميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى وأترك ما كنت عليه من البغي والشهوات وأخرج نفسي من الضيق إلى السعة ومن الخوف إلى الأمن وينبغي أن تكون بذلك فرحاً مسروراً لأني صرت لك ابناً مع كبر سني وصرت لي أنت والداً حبيباً على صغر سنك وصار من الواجب على بذل المجهود فيما تأمرني به وأنا أشكر فضل الله تعالى وفضلك فإن الله تعالى أولاني بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأي ما يدفع همي وغمي وقد حصلت سلامة رعيتي على يديك بشرف معرفتك وحسن تدبيرك فأنت الآن مدبر الملك لا أتشرف عليك بسوى الجلوس على الكرسي وكل ما تفعله جائز علي ولا أرد لكلمتك وليس يفصلني منك إلا الموت وجميع ما تملكه يدي لك التصرف فيه وإن لم يكن لي خلف تجلس على تختي عوضاً عني فأنت أولى من جميع أهل مملكتي فأوليك ملكي بحضرة أكابر مملكتي وأجعلك ولي عهدي من بعدي إن شاء الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ورد خان قال لابن شماس الوزير سوف استخلفك عني وأجعلك ولي عهدي من بعدي وأشهد على ذلك أكابر مملكتي بعون الله تعالى ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه فأمره أن يكتب إلى سائر كبراء دولته بالحضور إليه وجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام وأمر أن يجتمع الأمراء والقواد والحجاب وسائر أرباب الخدم إلى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء وعمل الملك ديواناً عظيماً ومما طالم بعمل مثله قط وعزم جميع الناس من الخاص والعام فاجتمع الجميع على حظ وأكل وشرب مدة شهر وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته وأعطى العلماء عطايا وافرة فاختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وأدخلهم عليه وأمره أن ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم أكبرهم سناً وأكملهم عقلاً وأكثرهم دراية وأشرعهم حفظاً ورأى من بهذه الصفات ستة أشخاص فقدمهم إلى الملك وألبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلاً أنتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس وجميع ما يقوله لكم أو يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه أبداً ولو كان هو أصغركم سناً لأنه أكبركم عقلاً ثم أن الملك أجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء وأجرى عليهم الأرزاق والنفقات ثم أمرهم أن ينتخبوا من أكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الأجناد ليجعل منهم رؤساء ألوف ورؤساء خمسين ورؤساء عشرات ورتب لهم المرتبات وأجرى عليهم الأرزاق على عادة الكبراء ففعلوا ذلك في أسرع وقت وأمرهم أيضاً أن ينعموا على بقية من حضر بالإنعامات الجزيلة وأن يصرفوا كل واحد لي أرضه بعز وإكرام وأمر عماله بالعدل في الرعية وأوصاهم بالشفقة على الفقراء والأغنياء وأمر بإسعافهم من الخزانة على قدره رجاتهم فدعا له الوزير بدوام العز والبقاء ثم أنه أمر بزينة المدينة ثلاثة أيام شكر الله تعالى على ما حصل له من التوفيق هذا ما كان من أمر الملك ووزيره ابن شماس في ترتيب المملكة

وأمرائها وعمالها (وأما) ما كان من أمر النساء المحظيات من السراي وغيرهن اللائي كن سبباً لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن فإنه لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة والقرى إلى محله واستقامت أمورهم أمر الملك الوزير الصغير السن الكبير العقل الذي هو ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أمر وزيره ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء فلما حضروا جميعاً بين يدي الملك اختلى بهم وقال لهم اعلموا أيها الوزراء أني كنت حائداً عن الطريق المستقيم مستغرقاً في الجهل معرضاً عن النصيحة ناقضاً للعهود والمواثيق مخالفاً لأهل النصح وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن إياي وزخرفة كلامهن وباطلهن لي وقبولي لذلك لأني كنت أظن أن كلامهن نصح بسبب عذوبته ولينه فإذا هو سم قاتل والآن قد تقرر عندي أنهن يردن لي الهلاك والتلف فقد استحقين العقوبة والجزاء مني لكن على جهة العدل حتى أجعلهن عبرة لمن اعتبر فما الرأي السديد في إهلاكهن فأجابه الوزير بن شماس قائلاً أيها الملك العظيم الشأن أنني قلت لك أولاً الذنب ليس مختصاً بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال لأمرين الأول تنفيذ قولك لكونك الملك الأعظم والثاني لتجاسرهن عليك وخداعهن لك ودخولهن فيما يعنيهن ومالا يصلحن للتكلم فيه فهن أحق بالهلاك ولكن كفاهن ما هو نازل بهن ومن الآن أجعلهن بمنزلة الخدم والأمر إليك في ذلك وغيره ثم أن بعض الوزراء أشار على الملك بما قاله ابن شماس وبعض الوزراء تقدم إلى الملك وسجد له وقال أدام الله أيام الملك إن كان لابد أن تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما أقوله لك فقال الملك ما الذي تقوله لي فقال له أن تأمر إحدى محاظيك بأن تأخذ النساء اللاتي خدعنك وتدخلهن البيت الذي حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك وتأمر أن يعطي لهن قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك أبدانهن ولا يؤذن إليهن في الخروج من ذلك الموضع أصلاً وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهن على حالها إلى أن يمتن عن آخرهن وهذا أقل جزائهن لأنهن كن سبباً لهذه الفتنة العظيمة بل وأصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في هذا الزمان وصدق عليهن قول القائل أن من حفر بئراً لأخيه وقع فيها وما طالبت سلامته فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له وأرسل خلف أربع محظيات جبارات وسلم إليهن النساء وأمرهن أن يدخلن في محل القتلى ويسجنهن فيه وأجرى لهن طعاماً دنيئاً قليلاً وشراباً رديئاً قليلاً فكان من أمرهن أنهن حزن حزناً عظيماً وندمن على ما فرط منهن وتأسفن تأسفاً كثيراً وأعطاهن الله جزاءهن في الدنيا من الخزي وأعد لهن العذاب في الآخرة ولم يزلن في ذلك الموضع المظلم المنتن الرائحة وفي كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن وشاع خبر هذه الواقعة في جميع البلاد والإقطار وهذا ما انتهى إليه أمر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفني الأمم ومحيي الرمم المستحق للتجليل والأعظام والتقديس على الدوام.

(حكاية أبي قير وأبي صير)

(ومما يحكى أيضاً) أن رجلين كانا في مدينة الاسكندرية وكان أحدهما صباغاً واسمه أبو قير وكان الثاني مزيناً واسمه أبو صير وكانا جارين لبعضهما في السوق وكان دكان المزين في جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصاباً كذاباً صاحب شر قوي كأنما صدغه منحوت من الجلمود أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود لا يستحي من عيبة يفعلها بين الناس وكان من عادته أنه إذا أعطاه أحد قماشاً لصبغة يطلب منه الكراء أولاً ويوهمه أنه يشتري به أجزاء ليصبغ بها فيعطيه الكراء مقدماً مذ أخذه منه يصرفه على أكل وشرب ثم يبيع القماش الذي أخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه في الأكل والشرب وغير ذلك ولا يأكل إلا طيباً من أفخر المأكول ولا يشرب إلا من أجود ما يذهب العقول فإذا أتاه صاحب القماش يقول له في غد تجيء لي من قبل طلوع الشمس فتلقى حاجتك مصبوغة فيروح صاحب الحاجة ويقول في نفسه يوم من يوم قريب ثم يأتيه في ثاني يوم على الميعاد فيقول له تعال في غد فأني أمس ما كنت فاضياً لأنه كان عندي ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا وفي غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغاً فيروح ويأتيه في ثالث يوم فيقول له إني كنت أمس معذور الآن زوجتي ولدت بالليل وطول النهار وأنا أقضي مصالح ولكن في غد من كل بد تعال خذ حاجتك مصبوغة فيأتي له على الميعاد فيطلع له بحيلة أخرى من حيث كان ويحلف له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصباغ صار كلما أتى له صاحب الشيء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له ولم يزل يعده ويخلف ذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له كم تقول لي في غد اعطني حاجتي فإنني لا أريد صبغاً فيقول وا   يا أخي أنا مستح منك ولكن أخبرك بالصحيح وا   يؤذي كل من يؤذي الناس في أمتعتهم فيقول له أخبرني ماذا حصل فيقول أما حاجتك فإني صبغتها صبغاً ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا أدري من سرقها فإن كان صاحب الحاجة من أهل الخير يقول له يعوض ا   علي وإن كان من أهل الشر يستمر معه في هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شيء ولا اشتكاه إلى الحاكم ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين الناس وصار الناس يحذر بعضهم من أبي قير ويضربون به الأمثال وامتنعوا عنه جميعاً وصار لا يقع معه إلا الجاهل بحاله ومع ذلك لابد له كل يوم من جرسه وهتيكة من خلق ا فحصل له كساد بهذا السبب فصار يأتي إلى دكان جاره المزين أبي صير ويقعد في داخلها قبال المصبغة فإن رأى أحداً جاهلاً بحاله واقفاً على باب المصبغة ومعه شيء يريد صبغة يقوم من دكان المزين ويقول له مالك يا هذا فيقول له خذ اصبغ لي هذا الشيء فيقول له أي لون تطلبه لأنه مع هذه الخصال الذميمة كان يخرج من يده أن يصبغ سائر الألوان ولكنه لم يصدق مع أحداً بداً والشقاوة غالبة عليه ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له هات الراء لقدام وفي غد تعال خذها فيعطيه الأجرة ويروح وبعد أن يتوجه صاحب الشيء إلى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشيء ويذهب إلى السوق فيبيعه ويشتري بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج إليه وإذا رأى أحداً واقفاً على الدكان من الذين أعطوه حاجة ليصبغها فلا يظهر إليه ولا يريه نفسه ودام على

هذه الحالة سنين فاتفق له في يوم من الأيام أنه أخذ حاجة من رجل جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجيء إليه في كل يوم فلم يره في الدكان لأنه متى رأى أحداً له عنده شيء يهرب منه في دكان المزين أبي صير فلما لم يجده ذلك الجبار في دكانه وأعياه ذلك ذهب إلى القاضي وأتاه برسول من طرفه وسمر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمه لأنه لم يرفيها غير بعض هو أجير مكسرة ولم يجد فيها شيئاً يقوم مقام حاجته ثم أخذ الرسول المفتاح وقال للجيران قولوا له يجيء بحاجة هذا الرجل ويأتي ليأخذ مفتاح دكانه ثم ذهب الرجل والرسول إلى حالهما فقال أبو صير لأبي قير ما دهيتك فإن كل من جاء لك بحاجة تعدمه إياها أين راحت حاجة هذا الرجل الجبار قال يا جاري سرقت مني قال أبو صير عجائب كل من أعطاك حاجة يسرقها منك لص هل أنت معاد جميع اللصوص ولكن أظن أنك تكذب فأخبرني بقصتك يا جاري ما أحد سرق مني شيء فقال أبو صير وما تفعل في متاع الناس فقال له كل من أعطاني حاجة أبيعها وأصرف ثمنها فقال له أبو صير أيحل لك هذا من ا قال له أبو صير إنما أفعل هذا من الفقر لأن صنعتي كاسدة وأنا فقير وليس عندي شيء ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب وصار أبو صير يذكر له كساد صنعته أيضاً ويقول أنا أسطى ليس لي نظير في هذه المدينة ولكن لا يحلق عندي أحد لكوني رجل فقيراً وكرهت هذه الصنعة يا أخي فقال له أبو قير الصباغ وأنا أيضاً كرهت صنعتي من الكساد ولكن يا أخي ما الداعي لإقامتنا في هذه البلد فإذا وأنت نسافر منها نتفرج في بلاد الناس وصنعتنا في أيدينا رائجة في جميع البلاد فإذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهم العظيم ومازال أبو قير يحسن السفر لأبي صبر حتى رغب في الارتحال ثم أنهما اتفقا على السفر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا قير مازال يحسن السفر لأبي صير حتى رغب في الارتحال ثم أنهما اتفقا على السفر وفرح أبو قير بان أبا صير رغب في أن يسافر وأنشد قول الشاعر:

تغرب عن الأوطان فـي طلـب العـلا	وسافر ففـي الأسـفار خمـس فوائـد
تفـــرج هـــم واكتســـاب معيشـــة	وعلـــم وآداب وصـــحبة ماجـــد
وإن قيل فـي الأسـفار غـم وكربـة	وتشـتيت شـمل وارتكـاب شـدائد
فموت الفتـى خيـراً لـه مـن حياتـه	بـدار هـوان بـين واش وحاسـد

وحين عزما على السفر قال أبو قير لأبي صير يا جاري نحن صرنا أخوين ولا فرق بيننا فينبغي أننا نقرأ الفاتحة على أن عمالنا يكتسب ويطعم بطالنا ومهما فضل نضعه في صندوق فإذا رجعنا إلى الاسكندرية نقسمه بيننا بالحق والإنصاف قال أبو صير وهو كذلك وقرأ الفاتحة على أن العمال يكتسب ويطعم البطال ثم أن أبا صير قفل الدكان وأعطى المفاتيح لصاحبها وأبو قير ترك المفاتيح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة مختومة وأخذ مصالحهما وأصبح مسافرين ونزلا في غليون في البحرالمالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما إسعاف ومن تمام سعد المزين أن جميع من كان في الغليون لم يكن معهم أحد من المزينين وكان فيه مائة وعشرون رجلاً غير الريس والبحرية ولما حلّوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصباغ يا أخي هذا بحر نحتاج فيه إلى الأكل والشرب وليس معنا إلا قليل من الزاد وربما يقول لي أحد تعال يا مزين أحلق

لي فاحلق له برغيف وبنصف فضة أو بشربة ماء فانتفع بذلك أنا وأنت فقال له الصباغ لا بأس ثم حط رأسه ونام وأم المزين وأخذ عدته والطاسة ووضع على كتفه خرقة تغني عن الفوطة لأنه فقير وشق بين الركاب فقال له واحد تعال يا أسطى احلق لي فحلق له فلما حلق لذلك الرجل أعطاه نصف فضة فقال له المزين ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت أعطيتني رغيفاً كان أبرك في هذا البحر لأن لي رفيقاً وزاد ناشيء قليل فأعطاه رغيفاً وقطعة جبن وملأ له الطاسة ماء حلواً فأخذ ذلك وأتى إلى أبي قير وقال له خذ هذا الرغيف وكله بالجبن واشرب ما في الطاسة فأخذ ذلك منه وأكل وشرب ثم أن أبا صير المزين بعد ذلك حمل عدته وأخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشق في الغليون بين الركاب فحلق لإنسان برغيفين ولآخر بقطعة جبن ووقع عليه الطلب وصار كل من يقول له احلق يا أسطى بشرط عليه رغيفين ونصف فضة وليس في الغليون مزين غيره فما جاء المغرب حتى جمع ثلاثين رغيفاً وثلاثين نصف فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ وصار كلما يطلب حاجة يعطونه أياها حتى صار عنده شيء كثير وحلق للقبطان وشكا له قلة الزاد في السفر فقال له القبطان مرحباً بك هات رفيقك في كل ليلة وتعشيا عندي ولا تحملاهما مادمتما مسافرين معنا ثم رجع إلى الصباغ فرآه لم يزل نائماً فأيقظه فلما أفاق أبو قير رأى عند رأسه شيء كثيراً من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له من أين لك ذلك فقال من فيض ا تعالى فأراد أن يأكل فقال له أبو صير لا تأكل يا أخي من هذا وأتركه ينفعنا في وقت آخر واعلم أني حلقت للقبطان وشكوت إليه قلة الزوادة فقال لي مرحباً بك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندي فأول عشائنا عند القبطان في هذه الليلة فقال له أبو قير أنا دايخ من البحر ولا أقدر أن أقوم من مكاني فدعني أتعشى من هذا الشيء ورح أنت وحدك عند القبطان فقال له لا بأس بذلك ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجارة من الجبل ويبتلعها ابتلاع الغول الذي له أيام ما أكل ويلقم اللقمة قبل ازدراد التي قبلها ويحملق عينيه فيما بين يديه حملقة الغول وينفخ مثل الثور الجائع على التبن والفول وإذا بنوتي جاء وقال يا أسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعال للعشاء فقال أبو صير لأبي قير أتقوم بنا فقال له أنا لا أقدر على المشي فراح المزين وحده فرأى القبطان جالساً وقدامه سفرة فيها عشرون لوناً أو أكثر وهو وجماعه ينتظرون المزين ورفيقه فلما رآه القبطان قال له أين رفيقك فقال له يا سيدي أنه دايخ من البحر فقال له القبطان لا بأس عليه ستزول عنه الدوخة تعال أنت تعش معنا فأني كنت في انتظارك ثم أن القبطان عزل صحنا وحط فيه من كل لون فصار يكفي عشرة وبعد أن تعشى المزين قال له القبطان خذ هذا الصحن معك إلى رفيقك فأخذه أبو صير وأتى إلى أبي قير فرآه يطحن بأنيابه فيما عنده من الأكل مثل الجمل ويلحق اللقمة باللقمة على عجل فقال له أبو صيرا ما قلت لك لا تأكل فإن القبطان خيره كثير فانظر أي شيء بعث به إليك لما أخبرته بأنك دايخ فقال هات فناوله الصحن فأخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الأكل مثل الكلب الكاشر أو السبع الكاسر أو الرخ إذا انقض على الحمام أو الذي كاد أن يموت من الجوع ورأى شيئاً من الطعام وصار يأكل فتركه أبو صيرور أح إلى القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع إلى أبي قير فرآه قد أكل جميع ما في الصحن ورماه فارغاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا صير لما رجع إلى أبي قير رآه قد أكل مافي الصحن ورماه فارغاً فأخذه وأوصله إلى اتباع القبطان ورجع إلى أبي قير ونام إلى الصباح فلما كان ثاني الأيام صار أبو صير يحلق وكلما جاء له شيء ليعطيه لأبي قير وأبو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم إلا لإزالة الضرورة وكل ليلة يأتي له بصحن ملآن من عند القبطان واستمرا على هذه الحالة عشرين يوماً حتى رسا الغليون على مينة مدينة فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة وأخذا لهما حجرة في خان وفرشها أبو صير واشترى جميع ما يحتاجان إليه وجاء بلحم وطبخه وأبو قير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى أيقظه أبو صير ووضع السفره بين يديه فلما أفاق أكل وبعد ذلك قال له لا تؤاخذني فإني دايخ ثم نام واستمر على هذه الحالة أربعين يوماً وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور في المدينة فيعمل بالذي فيه النصيب ويرجع فيجد أبا قير نائماً فينبه وحين ينتبه يقبل على الأكل بلهفه فيأكل أكل من لا يشبع ولا يقنع ثم ينام ولم يزل كذلك مدة أربعين يوماً أخرى وكلما يقول له أبو صير اجلس ارتاح واخرج تفسح في المدينة فإنها فرجة وبهجة وليس لها نظير في المدائن يقول له أبو قير الصباغ لا تؤاخذني إني دايخ فلا يرضي أبو صير المزين أن يكدر خاطره ولا يسمعه كلمة تؤذيه وفي اليوم الحادي والأربعين مرض المزين ولم يقدر أن يسرح فسخر بواب الخان فقضي لهما حاجتهما وأتى لهما بما يأكلان وما يشربان كل ذلك وأبو قير يأكل وينام ومازال المزين يسخر بواب الخان في قضاء حاجته مدة أربعة أيام وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن الوجود من شدة مرضه وأما أبو قير فإنه أحرقه الجوع فقام وفتش في ثياب أبي سير فرأى معه مقداراً من الدراهم فأخذه وقفل باب الحجرة على أبو صير ومضى ولم يعلم أحداً وكان البواب في السوق فلم يره حين خروجه ثم أن أبا قير عمد إلى السوق وبسا نفسه ثياباً نفيسة وصار يدور في المدينة ويتفرج فرآها مدينة ما وجد مثلها في المدائن وجميع ملبوسها أبيض وأزرق من غير زيادة فأتى إلى صباغ فرأى جميع ما في دكانه أزرق فأخرج له محرمة وقال له يا معلم خذ هذه المحرمة وأصبغها وخذ أجرتك فقال له أن أجرة صبغ هذه عشرون درهماً فقال له نحن نصبع هذه في بلادنا بدرهمين فقال رح أصبغها في بلادكم وأما أنا فلا أصبغها إلا بعشرين درهما لا تنقص عن هذا القدر شيئاً فقال له أبو قير أي لون تريد صبغها فقال له الصباغ زرقاء قال له أبو قير أنا مرادي أن تصبغها لي حمراء قال له لا أدري صباغ الأحمر قال خضراء قال لا أدري صباغ الأخضر قال صفراء قال له لا أدري صباغ الأصفر وصار أبو قير يعد له الألوان لوناً بعد لون فقال له الصباغ نحن في بلادنا أربعون معلماً لايزيدون واحداً ولا ينقصون واحداً وإذ مات منا واحد نعلم ولده وإن لم يخلف ولداً نبقى ناقصين واحداً والذي له ولدان نعلم واحداً منهما فإن مات علمنا أخاه وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف أن نصبغ غير الأزرق من غير زيادة فقال له أبو قير الصباغ اعلم أنني صباغ وأعرف أن أصبغ سائر الألوان ومرادي أن تخدمني عندك بالأجرة وأنا أعلمك جميع الألوان لأجل أن تفتخر بها على كل طائفة من الصباغين فقال له نحن لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا أبداً فقال له وإذا فتحت لي مصبغة وحدي فقال له لا يمكنك ذلك أبداً فتركه وتوجه إلى الثاني فقال له كما قال له الأول ولم يزل ينتقل من صباغ إلى صباغ حتى طاف على الأربعين معلماً فلم يقبلوه لا أجيراً ولا معلماً فتوجه إلى شيخ

الصباغين وأخبره فقال له أننا لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا فحصل عند أبي قير غيظ عظيم وطلع يشكو إلى ملك تلك المدينة وقال له يا ملك الزمان أنا غريب وصنعتي الصباغة وجري لي مع الصباغين ما هو كذا وكذا وأنا أصبغ الأحمر ألواناً مختلفة كوردي وعنابي والأخضر ألواناً مختلفة كزرعي وفستقي وزيتي وجناح الدرة والأسود ألواناً مختلفة كفحمي وكحلي والأصفر ألواناً مختلفة كنارنجي وليموني وصار يذكر له سائر الألوان ثم قال يا ملك الزمان كل الصباغين الذين في مدينتك لا يخرج من أيديهم أن صبغوا شيئاً من هذه الألوان ولا يعرفون الأصبغ الأزرق ولم يقبلوني أن أكون عندهم معلماً ولا أجيراً فقال له الملك صدقت في ذلك ولكن أنا افتح لك مصبغة وأعطيك رأس مال وما عليك منهم وكل من تعرض لك ضيقته على باب دكانه ثم أمر البنائين وقال لهم أمضوا مع هذا المعلم وشقوا أنتم وإياه في المدينة وأي مكان أعجبه فأخرجوا صاحبه منه سواء كان دكاناً أو خانا أو غير ذلك وأبنوا له مصبغة على مراده ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فيما يقول ثم أن الملك ألبسه بدلة مليحة وأعطاه ألف دينار وقال له اصرفها على نفسك حتى تتم البناية وأعطاه مملوكين من أجل الخدمة وحصاناً بعدة مزركشة فلبس البدلة وركب الحصان وصار كأنه أمير وأخلى له الملك بيتاً وأمر بفرشه ففرشوه له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أخلى بيتاً لأبي قير وأمر بفرشه ففرشوه له وسكن فيه وركب في ثاني يوم وشق في المدينة والمهندسون قدامه ولم يزل يتأمل حتى أعجبه مكان فقال هذا المكان طيب فاخرجوا صاحبه منه وأحضروه إلى الملك فأعطاه ثمن مكانه زيادة على ما يرضيه ودارت فيه البناية وصار أبو قير يقول للبنائين ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير ثم حضر إلى الملك وأخبره بأن المصبغة تم بناؤها وإنما يحتاج لثمن الصباغ من أجل إدارتها فقال له الملك خذ هذه الأربعة آلاف دينار واجعلها رأس مال وأرني ثمرة مصبغتك فأخذها ومضى إلى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن فاشترى جميع ما يحتاج إليه من حوائج الصباغة ثم أن الملك أرسل إليه خمسمائة شقة من القماش فدور الصبغ فيها وصبغها من سائر الألوان ثم نشرها قدام باب المصبغة فلما مر الناس عليها رأوا شيئاً عجيباً عمرهم ما رأوا مثله فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسألونه ويقولون له يا معلم ما اسم هذه الألوان فيقول لهم هذا أحمر وهذا أصفر وهذا أخضر ويذكر لهم أسامي الألوان فصاروا يأتونه بشيء من القماش ويقولون له اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ما تطلب ولما فرغ من صباغ قماش الملك أخذه وطلع به إلى الديوان فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وأنعم عليه أنعاماً زائداً وصار جميع العسكر يأتون إليه بالقماش ويقولون له اصبغ لنا هكذا فيصبغ لهم على أغراضهم ويرمون عليه بالذهب والفضة ثم أنه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليه الخير من كل باب وجميع الصباغين لم يقدر أحد منهم أن يتكلم معه وإنما كانوا يأتونه ويقبلون يديه ويعتذرون إليه مما سبق منهم في حقه ويعرضون أنفسهم عليه ويقولون له اجعلنا خدماً عندك فلم يرض أن يقبل واحداً منهم وصار عنده عبيد وجوار وجمع مالاً كثيراً هذا ما كان من أمر أبي قير (وأما) ما كان من أمر أبي صير فإنه لما قفل عليه أبو قير باب الحجرة بعد أن أخذ دراهمه وراح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود فصار مرمياً في تلك الحجرة والباب مقفول عليه

واستمر على ذلك ثلاثة أيام فانتبه بواب الخان إلى باب الحجرة فرآه مقفولاً ولم ير أحداً من هذين الاثنين إلى المغرب ولم يعلم لهما خيراً فقال في نفسه لعلهما سافروا ولم يدفعا أجرة الحجرة أو ماتا أو ما خبرهما ثم أنه أتى إلى باب الحجرة فرآه مقفولاً وسمع أنين المزين في داخلها ورأى المفتاح في الضبة ففتح الباب ودخل فرأي المزين يئن فقال له لا بأس عليك أين رفيقك فقال له وا أني ما أفقت من مرضي إلا في هذا اليوم وصرت أنادي فما أحد رد على جواباً با عليك يا أخي أن تنظر الكيس تحت رأسي وتأخذ منه خمسة أنصاف وتشتري لي بها شيئاً أقتات به فأني في غاية الجوع فمد يده وأخذ الكيس فرآه فارغاً فقال للمزين أن الكيس فارغ ما فيه شيء فعرف أبو صير المزين أن أبا قير أخذ ما فيه وهرب فقال له أما رأيت رفيقي فقال له من مدة ثلاثة أيام ما رأيته وما كنت أظن إلا أنك سافرت أنت وإياه فقال له المزين ما سافرنا وإنما طمع في فلوسي فأخذها وهرب حين رآني مريضاً ثم أنه بكى وانتحب فقال له بواب الخان لا بأس عليك وهو يلقي فعله من ا ثم أن بواب الخان راح وطبخ له شربة وغرف له صحناً وأعطاه إياه ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه ا من المرض الذي كان به ثم قام على أقدامه وقال لبواب الخان أن أقدر بي ا تعالى جازيتك على ما فعلته معي من الخير ولكن لا يجازى إلا ا من فضله فقال له بواب الخان الحمد على العافية أنا ما فعلت معك ذلك إلا ابتغاء وجه ا الكريم ثم أن المزين خرج من الخان وشق في الأسواق فأتت به المقادير إلى السوق الذي فيه مصبغة أبي قير فرأى الأقمشة ملونة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها فسأل رجلاً من أهل المدينة وقال له ما هذا المكان ومالي أرى الناس مزدحمين فقال له المسئول أن هذه مصبغة السلطان التي أنشأها رجل غريب اسمه أبو قير وكلما صبغ ثوباً نجتمع عليه ونتفرج على صبغه لأن بلادنا ما فيها صباغون يعرفون صبغ هذه الألوان وجرى له مع الصباغين الذين في البلد ما جرى وأخبره بما جرى بين أبي قير وبين الصباغين وأنه شكاهم إلى السلطان فأخذ بيده وبنى له هذه المصبغة وأعطاه كذا وكذا وأخبره بكل ما جرى ففرح أبو صير وقال في نفسه الحمد الذي فتح عليه وصار معلماً والرجل معذور لعله تلهى عنك بالصنعة ونسيك ولكن أنت عملت معه معروفاً وأكرمته وهو بطال فمتى رآك فرح بك وأكرمك في نظير ما أكرمته ثم أنه تقدم إلى جهة باب المصبغة فرأى أبا قير جالساً على مرتبة عالية فوق مصطبة في باب المصبغة وعليه بدلة من ملابس الملوك وقدامه أربعة عبيد وأربعة مماليك بيض لابسين أفخر الملابس ورأى الصنائعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون لأنه حين اشتراهم علمهم الصباغة وهو قاعد بين المخدات كأنه وزير أعظماً وملك أفخم لا يعمل شيئاً بيده وأنما يقول لهم افعلوا كذا وكذا فوقف أبو صير قدامه وهو يظن أنه إذا رآه يفرح به ويسلم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره فلما وقعت العين في العين قال له أبو قير يا خبيث كم مرة وأنا أقول لك لا تقف في باب هذا الدولاب هل مرادك أن تفضحني مع الناس يا حرامي أمسكوه فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليه وقام أبو قير حيلة وأخذ عصا وقال أرموه فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه فضربه على بطنه مائة وقال يا خبيث يا خائن أن نظرتك بعد هذا اليوم واقفاً على باب هذه المصبغة أرسلتك إلى الملك في الحال فيسلمك إلى الوالي ليرمي عنقك أمش لا بارك ا لك فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل له من

الضرب والترذيل فقال الحاضرون لأبي قير الصباغ أي شيء عمل هذا الرجل فقال لهم أنه حرامي يسرق أقمشة الناس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٣)

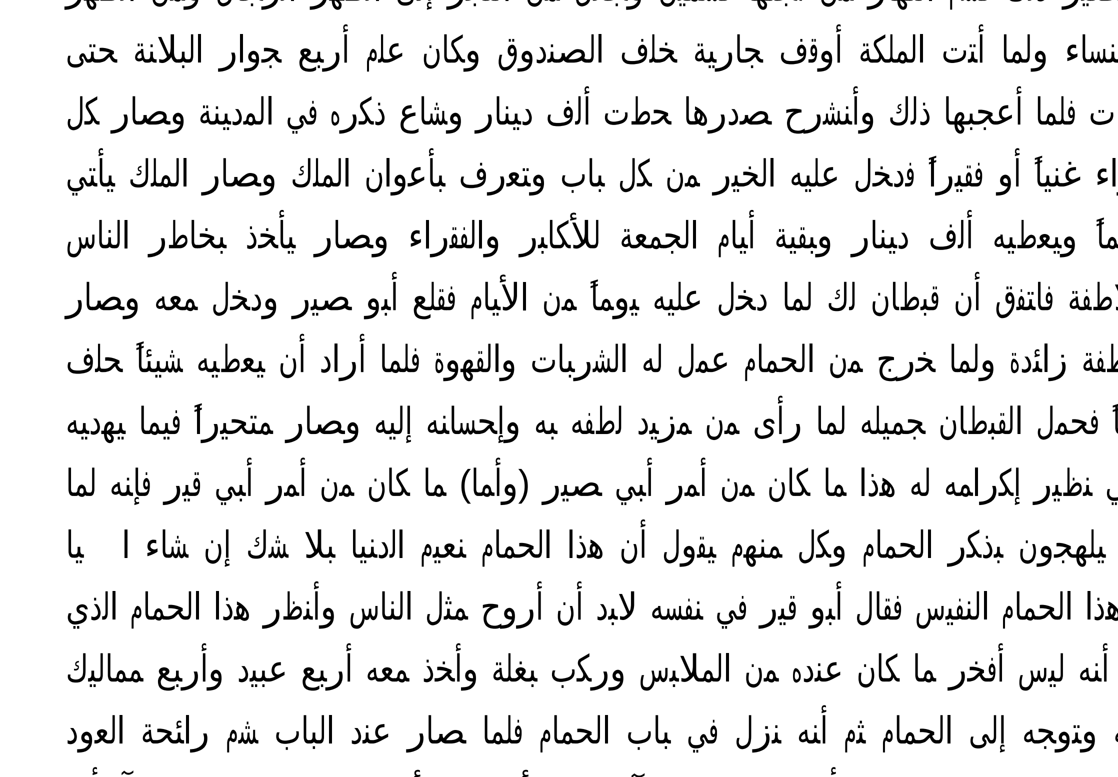
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا قير ضرب أبا صير وطرده وقال للناس أن هذا حرامي يسرق أقمشة الناس فإنه سرق مني كم مرة من القماش وأنا أقول في نفسي سامحه ا فإنه رجل فقير ولم أرض أن أشوش عليه وأعطي الناس ثمن أقمشتهم وأنهاه بلطف فلم ينته فإن رجع مرة غير هذه المرة أرسلته إلى الملك فيقتله ويريح الناس من أذاه فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه هذا ما كان من أمر أبي قير (وأما) ما كان من أمر أبي صير فإنه رجع إلى الخان وجلس يتفكر فيما فعل به أبو قير ولم يزل جالساً حتى يرد عليه الضرب ثم خرج وشق في أسواق المدينة فخطر بباله أن يدخل الحمام فسأل رجل من أهل المدينة وقال له يا أخي من أين طريق الحمام فقال له موضع تغتسل فيه الناس ويزيلون ما عليهم من الأوساخ وهو من أطيب طيبات الدنيا فقال له عليك بالبحر قال أنا مرادي الحمام قال له نحن لا نعرف الحمام كيف يكون فإننا كلنا نروح إلى البحر حتى الملك إذا أراد أن يغتسل فإنه يروح إلى البحر فلما لم أبو صير أن المدينة ليس فيها حماماً وأهلها لا يعرفون الحمام ولا كيفيته مضى إلى الملك ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له وقال له أنا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي فدخلت مدينتك وأردت الذهاب إلى الحمام فما رأيت فيها ولا حماماً واحداً والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام مع أنه من أحسن نعيم الدنيا فقال له الملك أي شيء يكون الحمام فصار يحكي له أوصافه وقال له لا تكون مدينتك مدينة كاملة إلا إذا كان بها حمام فقال له مرحباً بك وألبسه بدله ليس لها نظير وأعطاه حصاناً وعبيدين ثم أنعم عليه بأربع جوار ومملوكين وهيأ له دار مفروشة وأكرمه أكثر من الصباغ وأرسل معه البنائين وقال لهم الموضع الذي يعجبه ابنوا له فيه حماماً فأخذهم وشق بهم في وسط المدينة حتى أعجبه مكان فأشار لهم إليه فدوروا فيه البناية وصار يرشدهم إلى كيفيته حتى بنوا له حماماً ليس له نظير ثم أمرهم بنقشه فنقشوه نقشاً عجيباً حتى صار بهجة للناظرين ثم طلع إلى الملك وأخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له أنه ليس ناقصاً غير الفرش فأعطاه الملك عشرة آلاف دينار فأخذها وفرش الحمام وصف فيه الفوط على الحبال وصار كل من مر على باب الحمام يشخص له ببصره ويحتار فكره في نقشه وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما رأوا مثله في عمرهم وصاروا يتفرجون عليه ويقولون أي شيء هذا فيقول لهم أبو صير حمام فيتعجبون منه ثم أنه سخن الماء ودور الحمام وعمل سلسبيلاً في الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من أهل المدينة وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ فأعطاه عشرة مماليك مثل الأقمار فصار يكبسهم ويقول لهم افعلوا مع الزبابين هكذا ثم أطلق البخور وأرسل منادي ينادي في المدينة ويقول يا خلق ا عليكم بالحمام فإنه يسمي حمام السلطان فأقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك أن يغتسلوا أجساد الناس وصارت الناس ينزلون المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون في الليوان والمماليك تكبسهم مثل ما علمهم أبو صير واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا أجرة مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع عزم الملك على الذهاب إلى الحمام فركب هو وأكابر دولته وتوجهوا إلى الحمام فقلع ودخل فدخل أبو صير وكبس الملك وأخرج من جسده الوسخ مثل

الفتايل وصار يريه له ففرح الملك وصار لوضع يده على بدله صوت من النعومة والنظافة وبعد أن غسل جسده مزج له ماء الورد بماء المغطس فنزل الملك في المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره ما رآه ثم بعد ذلك أجلسه في الليوان وصار المماليك يكبسونه والمباخر تفوح بالعود والندور فقال الملك يا معلم أهذا هو الحمام قال نعم فقال له وحياة رأسي أن مدينتي ما صارت مدينة إلا بهذا الحمام ثم قال له أنت تأخذ على كل راس أي شيء أجرة قال أبو صير الذي تأمر لي به آخذه فأمر له بألف دينار وقال له كل من اغتسل عندك خذ منه ألف دينار فقال العفو يا ملك الزمان أن الناس ليسوا سواء فيهم الغني وفيهم الفقير وإذا أخذت من كل واحد ألف دينار يبطل الحمام فإن الفقير لا يقدر على ألف دينار قال الملك وكيف تفعل في الأجرة قال اجعل الأجرة بالمروءة فكل من يقدر على شيء سمحت به نفسه يعطيه فنأخذ من كل إنسان على قدر حاله فإن الأمر إذا كان كذلك تأتي إلينا الخلائق والذي يكون غنياً يعطي على قدر مقامه والذي يكون فقيراً يعطي على قدر ما تسمح به نفسه فإذا كان الأمر كذلك يدور الحمام ويبقى له شأن عظيم وأما الألف دينار فإنها عطية الملك ولا يقدر عليها كل أحد فصدق عليه أكابر الدولة وقالوا له هذا هو الحق يا ملك الزمان أتحسب أن الناس كلهم مثلك أيها الملك العزيز قال الملك أن كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقيراً وإكرامه واجب علينا فإنه عمل في مدينتنا هذا الحمام الذي عمر تاما رأينا مثله ولا تزينت مدينتنا وصار لها شأن إلا به فإذا أكرمناه بزيادة الأجرة ما هو كثير فقالوا إذا كنت تكرمه فاكرمه من مالك وإكرام الفقير من الملك بقلة أجرة الحمام لأجل أن ندعو لك الرعية وأما الألف دينار فنحن أكابر دولتك ولا تسمح أنفسنا بعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء فقال الملك يا أكابر دولتي كل منكم يعطيه في هذه المرة مائة دينار ومملوكاً وجارية وعبد فقالوا نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه إلا ما تسمح به نفسه فقال لا بأس بذلك فجعلت الأكابر يعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكاً وعبداً وكان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم أربعمائة نفس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم أربعمائة نفس فصار جملة ما عطوه من الدنانير أربعين ألف دينار ومن المماليك أربعمائة مملوك ومن العبيد أربعمائة عبد ومن الجواري أربعمائة جارية وناهيك بهذه العطية وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك وعشرة جواري وعشرة عبيد فتقدم أبو صير وقبل الأرض بين أيادي الملك وقال له أيها الملك السعيد صاحب الرأي الرشيد أي مكان يسعني بهذه المماليك والجواري والعبيد فقال له الملك أنا ما أمرت دولتي بذلك إلا لأجل أن نجمع لك مقداراً عظيماً من المال لأنك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت إليهم وأردت السفر إلى أوطانك فتكون أخذت من بلادنا مقدار جسيماً من المال تستعين به على وقتك في بلادك قال يا ملك الزمان أعزك ا أن هذه المماليك والجواري والعبيد الكثيرة شأن الملوك ولو كنت أمرت لي بمال فقد لكان خير لي من هذا الجيش فإنهم يأكلون ويشربون ويلبسون ومهما حصلته من المال لا يكفيهم في الإنفاق عليهم فضحك الملك وقال وا أنك صدقت فإنهم صاروا عسكر جرار وأنت ليس لك مقدرة على الإنفاق عليهم

ولكن أتبيعهم لي كل واحد بمائة دينار فقال بعتك إياهم الثمن فأرسل الملك إلى الخازندار ليحضر له المال فأحضره وأعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال ثم بعد ذلك أنعم بهم على أصحابهم وقال كل من يعرف عبده أو جاريته أو مملوكه فليأخذه فإنهم هدية مني إليكم فامتثلوا أمر الملك وأخذ كل واحد منهم ما يخصه فقال له أبو صير أراحك ا يا ملك الزمان كما أرحتني من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدر أن يشبعهم إلا ا فضحك الملك من كلامه وتصدق عليه ثم أخذا أكابر دولته وذهب من الحمام إلى سرايته وبات تلك الليلة أبو صير وهو يسر الذهب ويضعه في الأكياس ويختم عليه وكان عنده عشرون عبداً وعشرون مملوكاً وأربع جواري برسم الخدمة فلما اصبح الصباح فتح الحمام وأرسل منادي ينادي ويقول كل من دخل الحمام واغتسل فإنه يعطي ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروءته وقعد أبو صير عند الصندوق وهجمت عليه الزباين وصار كل من طلع يحط الذي يهون عليه فما أمسى المساء حتى امتلأ الصندوق من خيرات ا تعالى ثم أن الملكة طلبت دخول الحمام فلما بلغ أبا صير ذلك قسم النهار من أجلها قسمين وجعل من الفجر إلى الظهر الرجال ومن الظهر إلى المغرب قسم النساء ولما أتت الملكة أوقف جارية خلف الصندوق وكان علم أربع جوار البلانة حتى



صرن بلانات ماهرات فلما أعجبها ذلك وأنشرح صدرها حطت ألف دينار وشاع ذكره في المدينة وصار كل من دخل يكرمه سواء غنياً أو فقيراً فدخل عليه الخير من كل باب وتعرف بأعوان الملك وصار الملك يأتي إليه في الجمعة يوماً ويعطيه ألف دينار وبقية أيام الجمعة للأكابر والفقراء وصار يأخذ بخاطر الناس ويلاطفهم غاية الملاطفة فاتفق أن قبطان لك لما دخل عليه يوماً من الأيام فقلع أبو صير ودخل معه وصار يكبسه ويلاطفه ملاطفة زائدة ولما خرج من الحمام عمل له الشربات والقهوة فلما أراد أن يعطيه شيئاً حلف أنه لا يأخذ منه شيئاً فحمل القبطان جميله لما رأى من مزيد لطفه به وإحسانه إليه وصار متحيراً فيما يهديه إلى ذلك الحمامي في نظير إكرامه له هذا ما كان من أمر أبي صير (وأما) ما كان من أمر أبي قير فإنه لما سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمام وكل منهم يقول أن هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك إن شاء ا يا فلان تدخل بنا غداً هذا الحمام النفيس فقال أبو قير في نفسه لابد أن أروح مثل الناس وأنظر هذا الحمام الذي أخذ عقول الناس ثم أنه ليس أفخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلة وأخذ معه أربع عبيد وأربع مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه إلى الحمام ثم أنه نزل في باب الحمام فلما صار عند الباب شم رائحة العود والندور أي ناساً داخلين وناسا خارجين ورأى المساطب ملآنة من الأكابر والأصغار فدخل الدهليز فرآه أبو صير فقام إليه وفرح به فقال له أبو قير هل هذا شرط أولاد الحلال وأنا فتحت لي مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرفت بالملك وصرت في سعادة وسيادة وأنت وأنت لا تأتي عندي ولا تسأل عني ولا تقول أين رفيقي وأنا عجزت وأنا أفتش عليك وأبعث عبيدي ومماليكي يفتشون عليك في الخانات وفي سائر الأماكن فلا يعرفون طريقك ولا أحد يخبرهم بخبرك فقال أبو صير أما جئت إليك وعملتني لصاً وضربتني وهتكتني بين الناس فاغتم أبو قير وقال أي شيء هذا الكلام هل هو أنت الذي ضربتك فقال أبو صير نعم هو أنا فحلف له أبو قير ألف يمين أنه ما عرفه وقال أنما كان واحد شبيهك يأتي في كل يوم ويسرق قماش الناس فظننت أنك هو وصار يتندم ويضرب كفاً على كف ويقول لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم قد أسأناك ولكن ياليتك عرفتني بنفسك وقلت أنا فلان فالعيب عندك لكونك لم تعرفني خصوصاً وأنا مدهوش من كثرة الأشغال فقال

له أبو صير سامحك الله يا رفيقي وهذا الشيء كان مقدراً في الغيب والجبر على الله ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط فقال له بالله عليك أن تسامحني يا أخي فقال له أبرأ الله ذمتك وسامحك فإنه كان أمراً مقدراً علي في الأزل ثم قال له أبو قير ومن أين لك هذه السيادة فقال له الذي فتح عليك فتح علي فإني طلعت إلى الملك وأخبرته بشأن الحمام فأمر ببنائه فقال له وكما أنك معرفة الملك فأنا الآخر معرفته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا قير لما تعاتب هو وأبو صير قال له كما أنت معرفة الملك أنا الآخر معرفته وإن شاء الله تعالى أنا أخليه يحبك ويكرمك زيادة على هذا الإكرام من أجلي فإنه لم يعرف أنك رفيقي فأنا أعرفه بأنك رفيقي وأوصيه عليك فقال له ما احتاج إلى وصية فإن المحدين موجود وقد أحبني الملك هو وجميع دولته وأعطاني كذا وكذا وأخبره بالخبر ثم قال له اقلع ثيابك خلف الصندوق وأدخل الحمام وأنا أدخل معك لأجل أن أكبسك فخلع ما عليه ودخل الحمام ودخل معه أبو صير وكبسه وصبنه وألبسه واشتغل به حتى خرج فلما حرج أحضر له الغداء والشربات وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة إكرامه له ثم بعد ذلك أراد أبو قير أن يعطيه شيئاً فحلف أنه لا يأخذ منه شيئاً وقال له استحي من هذا الأمر وأنت رفيقي وليس بيننا فرق ثم أن أبا قير قال لأبي صير يا رفيقي والله أن هذا الحمام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة فقال له وما نقصها فقال له الدواء الذي هو عقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء فإذا أتى الملك فقدمه إليه وعلمه كيف يسقط به الشعر فيحبك حباً شديداً ويكرمك فقال له صدقت إن شاء الله أصنع ذلك ثم أن أبا قير خرج وركب بغلته وذهب إلى الملك ودخل عليه وقال له أنا ناصح لك يا ملك الزمان فقال له وما نصيحتك فقال بلغني خبراً وهو أنك بنيت حماماً قال نعم قد أتاني رجل غريب فأنشأته له كما أنشأت لك هذه المصبغة وهو حمام عظيم وقد تزينت مدينتي به وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام فقال له أبو قير وهل دخلته قال نعم قال الحمد لله الذي نجاك من شر هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامي فقال له الملك وما شأنه قال له أبو قير اعلم يا ملك الزمان أنك إن دخلته بعد هذا اليوم فإنك تهلك فقال له لأي شيء فقال له أن الحمامي عدوك وعدو الدين فإنه ما حملك على إنشاء هذا الحمام إلا لأن مراده أن يدخل عليك فيه السم فإنه صنع لك شيئاً وإذا دخلته يأتيك به ويقول لك هذا دواء كل من دهن به تحته يرمي الشعر منه بسهولة وليس هو بدواء بل هو داء عظيم وسم قاتل وإن هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى أنه أن قتلك يفك له زوجته وأولاده من الأسر فإن زوجته وأولاده مأسورون عند سلطان النصارى وكنت مأسوراً معه في بلادهم ولكن أنا فتحت مصبغة وصبغت لهم ألواناً فاستعطفوا على قلب الملك فقال الملك أي شيء تطلب فطلبت منه العتق فأعتقني وجئت إلى هذه المدينة ورأيته في الحمام فسألته وقلت له كيف كان خلاصك وخلاص زوجتك وأولادك فقال لم أزل أنا وزوجتي وأولادي مأسورين حتى أن ملك النصارى عمل ديواناً فحضرت في جملة من حضر وكنت واقفاً من جملة الناس فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملوك إلى أن ذكروا ملك هذه المدينة فتأوه ملك النصارى وقال ما قهرني في الدنيا إلا ملك المدينة الفلانية فكل من تحيل لي على قتله فأني أعطيه كل ما يتمنى فتقدمت أنا إليه وقلت له إذا تحيلت لك على قتله هل

تعتقني أنا وزوجتي وأولادي فقال لي نعم أعتقكم وأعطيك كل ما تتمنى ثم أني اتفقت أنا وإياه على ذلك وأرسلني في غليون إلى هذه المدينة وطلعت إلى هذا الملك فبنى لي هذا الحمام وما بقي إلا أن أقتله وأروح إلى ملك النصارى وأفدي أولادي وزوجتي وأتمنى عليه فقلت وما الحيلة التي دبرتها في قتله حتى تقتله قال لي هي حيلة سهلة أسهل ما يكون فإنه يأتي إلي في هذا الحمام وقد اصطنعت له شيئاً فيه سم فإذا جاء أقول له خذ هذا الدواء وادهن به تحتك فإنه يسقط الشعر فيأخذه ويدهن به تحته فيلعب السم فيه يوماً وليلة حتى يسري إلى قلبه فيهلكه والسلام فلما سمعت منه هذا الكلام خفت عليك لأن خيرك علي وقد أخبرتك بذلك فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضباً شديداً وقال للصباغ أكتم هذا السر ثم طلب الرواح إلى الحمام حتى يقطع الشك باليقين فلما دخل الحمام تأمري أبو صير على جري عادته وتقيد بالملك وكبسه وبعد ذلك قال له يا ملك الزمان أني عملت دواء لتنظيف الشعر التحتاني فقال له أحضره لي فأحضره بين يديه فرأى رائحته كريهة فصح عنده أنه سم فغضب وصاح على الأعوان وقال أمسكوه فقبض عليه الأعوان وخرج الملك وهو ممتزج بالغضب ولا أحد يعرف سبب غضبه ومن شدة غضب الملك لم يخبر أحداً ولم يتجاسر أحد أن يسأله ثم أنه لبس وطلع الديوان ثم أحضر أبا صير بين يديه وهو مكتف ثم طلب القبطان فحضر فلما حضر القبطان قال له الملك خذ هذا الخبيث وحطّه في زكيبة وحط في الزكيبة قنطارين جيراً من غير طفء واربط فمها عليه هو والجير ثم وضعها في الزورق وتعال تحت قصري فتراني جالساً في شباكي وقل لي هل أرميه فأقول لك أرمه فإذا قلت لك ذلك فارمه حتى ينطفيء الجير عليه لأجل أن يموت غريقاً حريقاً فقال سمعاً وطاعة ثم أخذه من قدام الملك إلى جزيرة قبال قصر الملك وقال لأبي صير يا هذا أنا جئت عندك مرة واحدة في الحمام فأكرمتني وقمت بواجبي وانبسطت منك كثيراً وحلفت أنك لم تأخذ مني أجرة وأنا قد أحببتك محبة شديدة فأخبرني ما قضيتك مع الملك وأي شيء صنعت معه من المكاره حتى غضب عليك وأمر أن تموت هذه الموتة الرديئة فقال له وا   ما عملت شيئاً وليس عندي علم لذنب فعلته معه يستوجب هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القبطان لما سأل أبا صير عن سبب غضب الملك عليه قال له وا   يا أخي ما عملت معه شيئاً قبيحاً يستوجب هذا فقال له القبطان أن لك عند الملك مقاماً عظيماً ما ناله أحد قبلك وكل ذي نعمة محسود فلعل أحد أحسدك على هذه النعمة ورمى في حقك عض كلام عند الملك حتى أن الملك غضب عليك هذا الغضب ولكن مرحباً بك وما عليك من بأس فكما أنك أكرمتني من غير معرفة بيني وبينك فأنا أخلصك ولكن إذا خلصتك تقيم عندي في هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون إلى ناحية بلادك فأرسلك معه فقبل أبو صير يد القبطان وشكره على ذلك ثم أنه أحضر الجير ووضعه في زكيبة ووضع فيها حجراً كبيراً قدر الرجل وقال توكلت على ا   ثم أن القبطان أعطى أبا صير شبكة وقال له أرم هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيئاً من السمك لأن مطبخ الملك مرتب علي في كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التي أصابتك فأخاف أن تأتي غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه فإن كنت تصطاد شيئاً فأنهم يجدونه حتى أروح أعمل الحيلة تحت القصر وأجعل أني رميتك فقال له أبو صير أنا أصطاد

وروح أنت وا   يعينك فوضع الرتيبة في الزورق وسار إلى أن وصل تحت القصر فرأى الملك جالساً في الشباك فقال له يا ملك الزمان هل أرميه فقال له أرمه وأشار بيده وإذا بشيء يرق ثم سقط في البحر وإذا بالذي سقط في البحر خاتم الملك وكان مرصوداً بحيث إذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التي فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه فتقع رأسه من بين كتفيه وما أطاعته العسكر ولا قهر الجبابرة إلا بسبب هذا الخاتم فلما وقع الخاتم من أصبعه كتم أمره ولم يقدر أن يقول خاتمي وقع في البحر خوفاً من العسكر أن يقوموا عليه فيقتلوه فسكت (هذا) ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر أبي صير فأنه بعد ما تركه القبطان أخذ الشبكة وطرحها في البحر وسحبها فطلعت ملآنة سمكاً ثم طرحها ثانياً فطلعت ملآنة سمكاً أيضاً ولم يزل يطرحها وهي تطلع ملآنة سمكاً حتى صار قدامه كوم كبير من السمك فقال في نفسه وا   أن لي مدة طويلة ما أكلت من السمك ثم أنه نقي له سمكة كبيرة سمينة وقال لما يأتي القبطان أقول له يقل لي هذه السمكة لا تغدي بهائم أنه ذبحها بسكين كانت معه فعلقت السكين في نخوشها فرأى خاتم الملك فيه لأنها كانت ابتلعته ثم ساقتها القدرة إلى تلك الجزيرة ووقعت في الشبكة فأخذ الخاتم ولبسه في خنصره وهو لا يعلم ما فيه من الخواص وإذا بغلامين من خدام الطباخ أتيا لطلب السمك فلما صار عبد أبي صير قالا يا رجل أين راح القبطان فقال لا أدري وأشار بيده اليمنى وإذا برأس الغلامين وقعتا من بين أكتافهما حين أشار إليهما وقال لا أدري فتعجب أبو صير من ذلك وجعل يقول يا هل ترى من قتلهما وصعبا عليه وصار يتفكر في ذلك وإذا بالقبطان أقبل فرأى كوماً كبيراً من السمك ورأى الاثنين مقتولين ورأى الخاتم في إصبع أبي صير فقال له يا أخي لا تحرك يدك التي فيها الخاتم فإنك إن حركتها قتلتني فتعجب من قوله لا تحرك يدك التي فيها الخاتم فإن حركتها قتلتني فلما وصل إليه القبطان قال من قتل هذين الغلامين قال له أبو صير وا   يا أخي لا أدري قال صدقت ولكن أخبرني عن هذا الخاتم من أين وصل إليك قال رأيته في نخشوش هذه السمكة قال صدقت فأني رأيته نازلاً يبرق من قصر الملك حتى سقط في البحر وقت إن أشار إليك وقال لي أرمه فإنه لما أشار رميت الزكيبة وكان سقط من أصبعه ووقع في البحر فابتلعته هذه السمكة وساقها ا   إليك حتى اصطدتها فهذا نصيبك ولكن هل تعرف خواص هذا الخاتم قال أبو صير لا أدري له خواصاً فقال القبطان اعلم أن عسكر ملكنا ما أطاعوه إلا خوفاً من هذا الخاتم لأنه مرصود فإذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير به عليه فتقع رأسه من بين كتفيه فإن بارقة تخرج من هذا الخاتم ويتصل شعاعها بالمغضوب عليه فيموت لوقته فلما سمع أبو قير هذا الكلام فرح فرحاً شديداً وقال للقبطان ردني إلى المدينة فقال له القبطان أردك فأني ما بقيت أخاف عليك من الملك فإنك متى أشرت بيدك وأضمرت على قتله فإن رأسه تقع بين يديك ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فإنك تقتلهم من غير عاقة ثم أنزله في الزورق وتوجه به إلى المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القبطان لما أنزل أبا صير في الزورق توجه به إلى المدينة فلما وصل إليها طلع إلى قصر الملك ثم دخل الديوان فرأى الملك جالساً والعسكر بين يديه وهو في غم عظيم من شأن الخاتم ولم يقدر أن يخبر أحد من العسكر بضياع الخاتم فلما رآه قال أما رميناك في البحر كيف فعلت

حتى خرجت منه فقال له يا ملك الزمان لما أمرت برميي في البحر أخذني قبطانك وسار بي إلى جزيرة وسألني عن سبب غضبك علي وقال لي أي شيء صنعت مع الملك حتى أمر بموتك فقلت له وا ما أعلم أني عملت معه شيئاً قبيحاً فقال لي أن لك مقاماً عظيماً عند الملك فلعل أحداً حسدك ورمى فيك كلاماً عند الملك حتى غضب عليك ولكن أنا جئتك في حمامك فأكرمتني ففي نظير إكرامك إياي في حمامك أنا أخلصك وأرسلك إلى بلادك ثم حط في الزورق حجراً عوضاً عني ورماه في البحر ولكن حين أشرت له على وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعته سمكة وكنت أنا في الجزيرة أصطاد سمكاً فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فأخذتها وأردت أن أشويها فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم فيه فأخذته وجعلته في إصبعي فأتاني اثنان من خدام المطبخ وطلبا السمك فأشرت إليهما وأنا لا أدري خاصية الخاتم فوقعت رؤسهما ثم أتي القبطان فعرف الخاتم وهو في أصبعي وأخبرني برصده فأتيت به إليك لأنك عملت معي معروفاً وأكرمتني غاية الإكرام وما عملته معي من الجميل لم يضع عندي وهذا خاتمك فخذه وإن كنت فعلت معك شيئاً يوجب القتل فعرفني بذنبي واقتلني وأنت في حل من دمي ثم خلع الخاتم من أصبعه وناوله للملك فلما رأى الملك ما فعل أبو صير من الإحسان أخذ الخاتم منه وتختم به فردت له روحه وقام على أقدامه واعتنق أبا صير وقال يا رجل أنت من خواص أولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحني مما صدر مني في حقك ولو كان أحد غيرك ملك هذا الخاتم ما كان أعطاني إياه فقال يا ملك الزمان إن أردت أن أسامحك فعرفني بذنبي الذي أوجب غضبك علي حتى أمرت بقتلي فقال له وا أنه ثبت عندي أنك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل وإنما الصباغ قال لي كذا وكذا وأخبره بما قاله الصباغ فقال له أبو صير وا يا ملك الزمان أنا لا أعرف ملك النصارى ولا عمري رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالي أني أقتلك ولكن هذا الصباغ كان رفيقي وجاري في مدينة أسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرأنا مع بعضنا فاتحة على أن العمال يطعم البطال وجرى لي معه كذا وكذا وأخبره بجميع ما جرى له مع أبي قير الصباغ وكيف أخذ دراهمه وفاته ضعيفاً في الحجرة التي في الخان وأن بواب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفاه ا ثم طلع وسرح في المدينة بعدته على العادة فبينما هو في الطريق إذا رأى مصبغة عليها ازدحام فنظر في باب المصبغة فرأى أبا قير جالساً على مصطبة هناك فدخل ليسلم عليه فوقع منه ما وقع من الضرب والإساءة وادعى عليه أنه حرامي وضربه ضرباً مؤلماً وأخبر الملك بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره ثم قال يا ملك الزمان هو الذي قال لي أعمل الدواء وقدمه للملك فإن الحمام كامل من جميع الأمور إلا أن هذا الدواء مفقود منه واعلم يا ملك الزمان أن هذا الدواء لا يضر ونحن نصنعه في بلادنا وهو من لوازم الحمام وأنا كنت نسيته فلما أتاني الصباغ وأكرمته ذكرني به وقال لي أعمل الدواء وأرسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلاني وصنايعية المصبغة فلما حضر الجميع سألهم فأخبروه بالواقع فأرسل إلى الصباغ وقال هاتوه حافياً مكشوف الرأس مكتفاً وكان الصباغ جالساً في بيته مسروراً بقتل أبي صير فلم يشعر إلا وأعوان الملك هجموا عليه وأوقعوا الضرب في قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك فرأى أبا صير جالساً جنب الملك وبواب الخان وصنائعية المصبغة واقفين أمامه فقال بواب الخان أما هذا رفيقك الذي سرقت دراهمه وتركته عندي في الحجرة ضعيفاً وفعلت معه ما هو كذا وكذا وقال له صنائعية المصبغة أما هذا

الذي أمرتنا بالقبض عليه وضربناه فتبين للملك قباحة أبي قير وأنه يستحق ما هو أشد من تشديد منكر ونكير فقال الملك خذوه وجرسوه في المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنائعية المصبغة تحقق أنه عنده خبث أبي قير فأقام عليه النكير وقال لأعوانه خذوه وجرسوه في المدينة وخلوه في زكيبة وارموه في البحر فقال أبو صير يا ملك الزمان شفعني فيه فأني سامحته من جميع ما فعل بي فقال الملك إن كنت سامحته في حقك فأنا لا يمكن أن أسامحه في حقي ثم صاح وقال خذوه فأخذوه وجرسوه وبعد ذلك وضعوه في زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه في البحر فمات غريقاً حريقاً وقال للملك يا أبا صير تمن على تعط فقال له تمنيت عليك أن ترسلني إلى بلادي فإني ما بقي لي رغبة في القعود ههنا فأعطاه شيئاً كثيراً زيادة على ماله ونواله ومواهبه ثم أنعم عليه بغليون مشحون بالخيرات وكان بحريته مماليك فوهبهم له أيضاً بعد أن عرض عليه أن يجعله وزيراً فما رضي ثم ودع الملك وسافر وجميع ما في الغليون ملكه حتى النوتية ملكه وما زال سائراً حتى وصل إلى أرض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا إلى البر فرأى مملوكاً من مماليكه معه زكيبة في جانب البر فقال يا سيدي أن في جنب شاطيء البحر زكيبة ثقيلة وفمها مربوط ولا أدري ما فيها فأتى أبو صير وفتحها فرأى فيها أبا قير قد دفعه البحر إلى جهة اسكندرية فأخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية وعمل له مزار ووقف عليه أوقافاً ثم أن أبا صير أقام مدة وتوفاه ا فدفنوه بجوار قبر رفيقه أبي قير ومن أجل ذلك سمى هذا المكان بأبي قير وأبي صير واشتهر الآن بأنه أبو قير وهذا ما بلغنا من مكانهما فسبحان الباقي على الدوام وبإرادته تصرف الليالي والأيام.

(حكاية عبد ا البري مع عبد ا البحري)

(ومما يحكى أيضاً) أنه كان رجل صياد أسمه عبد ا وكان كثير العيال وله تسعة أولاد وأمهم وكان فقيراً أحد إلا يملك إلا الشبكة وكان يروح كل يوم إلى البحر ليصطاد فإذا اصطاد قليلاً يبيعه وينفقه على أولاده بقدر ما رزقه ا وأن اصطاد كثيراً يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة ولا يزل يصرفه حتى لا يبق معه شيء ويقول في نفسه رزق غد يأتي في غد فلما وضعت زوجته صاروا عشرة أشخاص وكان الرجل في ذلك اليوم لا يملك شيئاً أبداً فقالت زوجته يا سيدي أنظر لي شيئاً لأتقوت به فقال لها ها أنا سارح على بركة ا تعالى إلى السحر في هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده فقالت له توكل على ا فأخذ الشبكة وتوجه إلى البحر ثم أنه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال اللهم اجعل رزقه يسيراً غير عسير وكثيراً غير قليل وصبر عليها مدة ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشاً ورملاً وحصى وحشيشاً ولم ير فيها شيئاً من السمك لا كثيراً ولا قليل فرماها ثاني مرة صبر عليها ثم سحبها فلم ير فيها سمكاً فرمي ثالثاً ورابعاً وخامساً فلم يطلع فيها سمك فانتقل إلى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من ا تعالى ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلم يصطاد ولا صيرة فتعجب في نفسه وقال هل هذا المولود خلقه ا تعالى من غير رزق فهذا لا يكون أبداً لأن الذي شق الأشداق تكفل لها بالأرزاق فا تعالى كريم رزاق ثم أنه حمل

الشبكة ورجع مكسوراً بخاطر وفيه مشغول بعياله فإنه تركهم بغير أكل ولا سيما زوجته نفساء ومازال يمشي وهو يقول في نفسه كيف العمل وماذا أقول للأولاد في هذه الليلة ثم أنه وصل قدام فرن خباز فرأى عليه زحمة وكان وقت غلاء وفي تلك الأيام لا يوجد عند الناس من المؤونة إلا قليل والناس يعرضون الفلوس على الخباز وهو لا ينتبه لأحد منه من كثرة الزحام فوقف ينظر ويشم رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهيه من الجوع فنظر إليه الخباز وصاح عليه وقال تعال يا صياد فتقدم إليه فقال له أتريد عيشاً فسكت فقال له تكلم ولا تستح فا كريم إن لم يكن معك دراهم فأنا أعطيك واصبر عليك حتى يجيئك الخير فقال له وا يا معلم أنا ما معي دراهم ولكن أعطني عيشاً كفاية عيالي وارهن عندك هذه الشبكة إلى غد فقال له يا مسكين أن هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فإذ رهنتها بأي شيء تصطاد فاخبرني بالقدر الذي يكفيك قال بعشرة أنصاف فضة فأعطاه خبزاً بعشرة أنصاف ثم أعطاه عشرة أنصاف فضة وقال له خذ هذه العشرة أنصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة وفي غد هات لي بها سمكاً وإن لم يحصل لك شيء تعال خذ عيشك وعشرة أنصاف وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخباز قال للصياد خذ ما تحتاج إليه وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات لي بما أستحقه عندك سمكاً فقال له آجرك ا تعالى وجزاك عني كل خير ثم أخذ العيش والعشرة أنصاف فضة وراح مسرور أو اشترى له ما تيسر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الأولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم في هذا الوقت يأتي أبوكم بما تأكلونه فلما دخل عليهم حط لهم العيش فأكلوا وأخبر زوجته بما حصل له فقالت له كريم وفي ثاني يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول أسألك يارب أن ترزقني في هذا اليوم بما يبيض وجهي مع الخباز فلما وصل إلى البحر صار يطرح الشبكة فلا يخرج فيها سمكاً ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فلم يحصل شيء فرجع وهو في غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز فقال في نفسه من أين أروح إلى داري ولكن أسرع خطاي حتى لا يراني الخباز فلما وصل إلى فرن الخباز رأى زحمة فأسرع في المشي من حيائه من الخباز حتى لا يراه وإذا بالخباز وقع بصره عليه فصاح وقال له يا صياد تعالى خذ عيشك ومصروفك فإنك نسيت قال لا وا ما نسيت وإنما استحيت منك فأني لم أصطد سمكاً في هذا اليوم فقال له لا تستح أما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير ثم أعطاه العيش والعشرة أنصاف وراح إلى زوجته وأخبرها بالخبر فقالت له ا كريم إن شاء ا يأتيك الخير وتوفيه حقه ولم يزل على هذه الحالة مدة أربعين يوماً وهو في كل يوم يروح إلى البحر من طلوع الشمس إلى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشاً ومصروفاً من الخباز ولم يذكر له السمك يوماً من الأيام ولم يهمله مثل الناس بل يعطيه العشرة أنصاف والعيش وكلما يقول له يا أخي حاسبني يقول له رح ما هذا وقت الحساب حتى يأتيك الخير فأحاسبك فيدعوا له ويذهب من عنده شاكراً له وفي اليوم الحادي والأربعون قال لأمرأته مرادي أن أقطع هذه الشبكة وأرتاح من هذه المعيشة فقالت له لأي شيء قال لها كان رزقي انقطع من البحر فإلى متى هذا الحال وا أني ذبت حياء من الخباز فأنا ما بقيت أروح إلى البحر حتى

لا أجوز على فرنه فإنه ليس لي طريق إلا على فرنه وكلما جزت عليه يناديني ويعطيني العيش والقشرة أنصاف وإلى متى وأنا أتداين منه قالت له الحمد تعالى الذي عطف قلبه عليك فيعطيك القوت وأي شيء تكره من هذا قال بقي له على قدر عظيم من الدراهم ولابد أنه يطلب حقه قالت له زوجته هل آذاك بكلام قال لا ولا يرض يحاسبني ويقول لي حتى يأتيك الخير قالت فإذا طالبك قل له حتى يأتي الخير الذي نرتجيه أنا وأنت فقال لها متى يجيء الخير الذي نرتجيه قالت ا كريم قال صدقت ثم حمل شبكته وتوجه إلى البحر وهو يقول يارب ارزقني ولو بسمكة واحدة حتى أهديها إلى الخباز ثم أنه رمي الشبكة في البحر وسحبها فوجدها ثقيلة فمازال يعالج فيها حتى تعب تعباً شديداً فلما أخرجها وجد فيها حماراً ميتاً منفوخاً ورائحته كريهة فسئمت نفسه ثم خلصه من الشبكة وقال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة ما بقى لي رزق في البحر دعيني أترك هذه الصنعة وهي تقول لي ا كريم سيأتيك الخير فهل هذا الحمار الميت هو الخير ثم أنه حصل له غم شديد وتوجه إلى مكان آخر ليبعد عن رائحة الحمار وأخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فرآها ثقيلة فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيه فلما أخرج الشبكة رأى فيها آدمياً فظن أنه عفريت من عفاريت السيد سليمان الذي كان يحبسهم في قماقم النحاس ويرميهم في البحر فلما انكسر القمقم من طول السنين خرج منه ذلك العفريت وطلع في الشبكة فهرب منه وصار يقول الأمان الأمان يا عفريت سليمان فصاح عليه الآدمي من داخل الشبكة وقال تعال يا صياد لا تهرب مني فأني آدمي مثلك فخلصني لتنال أجري فلما سمع كلامه الصياد اطمأن قلبه وجاءه وقال أما أنت فعريت من الجن قال لا أنما أنا أنسى مؤمن با ورسوله قال له ومن رماك في البحر قال له أنا من أولاد البحر كنت دائراً فرميت على الشبكة ونحن أقوام مطيعون لأحكام ا ونشفق على خلق ا تعالى ولولا أني أخاف وأخشى أن أكون من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قدر ا علي وأنت إذا خلصتني تصير مالكاً لي وأنا أصير أسيرك فهل لك أن تعتقني ابتغاء وجه ا تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي أجيئك كل يوم في هذا المكان وأنت تأتيني وتجيء لي معك بهدية من ثمار البرفان عندكم عنباً وتينا وبطيخاً وخوخاً ورماناً وغير ذلك وكل شيء تجيء به إلى مقبول منك ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر فأنا املأ لك المشنة التي تجيء لي فيها بالفاكهة معادن من جواهر البحر فما تقول يا أخي في هذا الكلام قال له الصياد الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصه من الشبكة ثم قال له الصياد ما اسمك قال اسمي عبد ا البحري فإذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترني فناد وقل أين أنت يا عبد ا يا بحري فأكون عندك في الحال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا البحري قال له إذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترني فنادي وقل أين أنت يا عبد ا يا بحري فأكون عندك في الحال وأنت ما أسمك فقال الصياد اسمي عبد ا قال أنت عبد ا البري وأنا عبد ا البحري فقف هنا حتى أروح وآتيك بهدية فقال له سمعاً وطاعة فراح عبد ا البحري في البحر فعند ذلك ندم عبد ا البري على كونه خلصه من الشبكة وقال في نفسه من أين أعرف أنه يرجع إلي وإنما هو ضحك علي حتى خلصته ولو أبقيته كنت أفرج عليه الناس في المدينة وآخذ عليه الدراهم

وأدخل به بيوت الأكابر فصار يتندم على إطلاقه ويقول لنفسه راح صيدك من يدك فبينما هو يتأسف على خلاصة من يده وإذا بعبد ا البحري رجع إليه ويداه مملوءتان لؤلؤاً ومرجاناً وزمرداً وياقوتاً وجواهر وقال له خذ يا أخي ولا تؤاخذني فإنه ما عندي مشنة كنت أملؤها لك فعند ذلك فرح عبد ا البري وأخذ منه الجواهر وقال له كل يوم تأتي إلى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودعه وانصرف ودخل البحر وأما الصياد فإنه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى فرن الخباز وقال له يا أخي قد أتانا الخير فحاسبني قال له ما يحتاج إلى حساب أن كان معك شيء فأعطني وإن لم يكن معك شيء فخذ عيشك ومصروفك ورح إلى أن يأتيك الخير فقال له يا صاحبي قد أتاني الخير من فيض ا وقد بقي لك عندي جملة كثيرة ولكن خذها أو كبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر وكانت تلك الكبشة نصف ما معه فأعطاها للخباز وقال له أعطني شيئاً من المعاملة أصرفه في هذا اليوم حتى أبيع هذه المعادن فأعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده من الخبز وفرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد أنا عبدك وخدامك وحمل جميع العيش الذي عنده على رأسه ومشى خلفه إلى البيت فأعطي العيش لزوجته وأولاده ثم راح إلى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر أصناف الفاكهة وترك الفرن وأقام طول ذلك اليوم وهو يعاطي خدمة عبد ا البري ويقضي له مصالحه فقال له الصياد يا أخي اتعبت نفسك قال له الخباز هذا واجب لأني صرت خدامك وأحسانك قد عمرني فقال له أنت صاحب الإحسان علي في الضيق والغلاء وبات معه تلك الليلة على أعيب كل ثم أن الخباز صار صديقاً للصياد أخبر زوجته بواقعته مع عبد ا البحري ففرحت وقالت أكتم سرك لئلا تتسلط عليك الحكام فقال لها أن كتمت سري عن جميع الناس فلا أكتمه عن الخباز ثم أنه أصبح في ثاني يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الأصناف في وقت المساء ثم حملها قبل الشمس وتوجه إلى البحر وحطها على جنب الشاطيء وقال أين أنت يا عبد ا يا بحري وإذا به يقول له لبيك وخرج إليه فقدم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس في البحر وغاب ساعة زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع أصناف المعادن والجواهر فحملها عبد ا البري على رأسه وذهب بها فلما وصل إلى فرن الخباز قال له يا سيدي قد خبزت لك أربعين كف شريك وأرسلتها إلى بيتك وها أنا أخبز العيش الخاص فمتى خاص أوصله إلى البيت وأروح ولك أجيء بالخضار واللحم فكبش له من المشنة ثلاث كبشات وأعطاه إياها وتوجه إلى البيت وحط المشنة وأخذ من كل صنف من أصناف الجواهر فأخذ جوهر نفيسة ثم ذهب إلى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ السوق وقال اشتر مني هذه الجواهر فقال له أرني إياها فأراه فقال له هل عندك غير هذا قال عندي مشنة ممتلئة قال أين بيتك قال في الحارة الفلانية فأخذ منه الجواهر وقال لاتباعه أمسكوه فإنه هو الحرامي الذي سرق مصالح الملكة زوجة السلطان ثم أمرهم أن يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع أهل سوق الجواهر وصاروا يقولون مسكناً الحرامي وبعضهم يقول ما سرق متاع فلان إلا هذا الخبيث وبعضهم يقول ما سرق جميع ما في بيت فلان إلا هو وبعضهم يقول كذا كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على أحد منهم جواباً ولم يبدأ له خطاباً حتى أوقفوه قدام الملك قال الشيخ يا ملك الزمان لما سرق عقد الملكة أرسلت أعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت أنا من دون الناس وأوقعت لك الغريم وها هو بين يديك وهذه الجواهر خلصناها من يده فقال الملك للطواشي خذ هذه

المعادن وأرها للملكة وقل لها هل هذا متاعك الذي ضاع من عندك فأخذها الطواشي ودخل بها قدام الملكة فلما رأتها تعجبت منها وأرسلت تقول للملك أني رأيت عقد في مكاني وهذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة الملك لما أرسلت تقول له هذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وأن كان يبيعها فاشترها منه لبنتك أم السعود لنضعها لها في عقد فلما رجع الطواشي وأخبر الملك بما قالته الملكة لعن شيخ الجواهرجية هو وجماعته لعنة عاد وثمود فقالوا يا ملك الزمان إنا كنا نعرف أن هذا الرجل صياد فقير فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننا أنه سرقها فقال يا قبحا أتستكثرون النعمة على مؤمن فلا شيء لم تسألوه ربما رزقه ا بها من حيث لا يحتسب فكيف تجعلونه حرامياً وتفضحونه بين العالم أخرجوا لا بارك ا فبكم فخرجوا وهم خائفون هذا مكان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه قال له فأني لملك ولا توجد عندي مثلها فقال يا ملك الزمن أنا عندي مشنة ممتلئة منها وهو أن الأمر كذا وكذا وأخبره بصحبته لعبد ا البحري وقال له أنه قد صار بيني وبينه عهد على أنني كل يوم أملأ له المشنة فاكهة وهو يملؤها لي من هذه الجواهر فقال له يا رجل هذا نصيبك ولكن المال يحتاج إلى الجاه فأنا أدفع عنك تسلط الناس عليك في هذه الأيام ولكن ربما عزلت أو مت وتولي غيري فإنه يقتلك من أجل حب الدنيا والطمع فمرادي أن أزوجك أبنتي وأجعلك وزيري وأوصي اك بالملك من بعدي حتى لا يطمع فيك أحد بعد موتي ثم أن الملك قال خذوا هذا الرجل وادخلوا الحمام فأخذوه وغسلوا جسده وألبسوه ثياباً من ثياب الملوك وأخرجوه قدام الملك فجعله وزيراً له وأرسل السعادة وأصحاب النوبة وجميع نساء الأكابر إلى بيته فألبسوا زوجته ملابس نساء الملوك هي وأولادها وأركبوها في تختروان ومشت قدامها جميع نساء الأكابر والعساكر والسعاة وأصحاب النبوية وأتو بها إلى بيت الملك والطفل الصغير في حضنها وأدخلوا أولادها الكبار على الملك فأكرمهم وأخذهم على حجرة وأجلسهم في جانبه وهم تسعة أولاد ذكور وكان الملك معدوم الذرية ما رزق غير تلك البنت التي أسمها أم السعود وأما الملكة فإنها أكرمت زوجة عبد ا البري وأنعمت عليها وجعلتها وزيرة عبدها وأمر الملك يكتب عبد ا البري على ابنته وجعل مهرها جميع ما كان عنده من الجواهر والمعادن وفتحوا باب الفرح وأمر الملك أن ينادي بزينة المدينة من أجل فرح ابنته وفي اليوم الثاني بع أن دخل على بنت الملك وأزال بكارتها طل الملك من الشباك فرأى عبد ا حاملاً على رأسه مشنة ممتلئة فاكهة فقال له ما هذا الذي معك يا نسيبي وغلى أين تذهب فقال إلى صاحبي عبد ا البحري فقال له يا نسيبي ما هذا وقت الرواح إلى صاحبك فقال أخاف أن أخلف معه المعاد فيعدني كذاباً ويقول لي أن الدنيا ألهتك عني قال صدقت رح إلى صاحبك أعانك ا فمشى في البلد وهو متوجه إلى صاحبه وكانت الناس قد عرفته فصار يسمع الناس يقولون هذا نسيب الملك رائح يبدل الأثمار بالجواهر والذي يكون جاهلاً به ولا يعرفه يقول يا رجل بكم الرطل تعال بعني فيقول له انتظرني حتى أرجع إليك ولا يغم أحداً ثم راح واجتمع بعبد ا البحري وأعطاه الفاكهة وأبدلها له بالجواهر ولم يزل على هذه الحالة وفي كل يوم يمر على فرن الخباز فيراه مقفولاً ودام على ذلك مدة عشر أيام فلما لم ير الخباز ورأى فرنه مقفولاً قال في نفسه أن

هذا شيء عجيب يا ترى راح الخباز ثم أنه سأل جاره يا أخي أين جارك الخباز فما فعل ا به قال له يا سيدي إنه مريض لا يخرج من بيته قال له أين بيته قال له في الحارة الفلانية فعمد إليه وسأل عنه فلما طرق الباب طل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه مشنة ممتلئة فنزل إليه وفتح له الباب ورمي روحه عليه وعانقه وقال له كيف حالك يا صاحبي فإن كل يوم أمر على الفرن فأراه مقفولاً ثم سألت جارك فأخبرني بأنك مريض فسألت عن البيت لأجل أن أراك فقال له الخباز جزاك ا عني كل خير فليس بي مرض وإنما بلغني أن الملك أخذك لأن بعض الناس كذاك عليك وادعي أنك حرامي فخفت أنا وقفلت الفرن واختفيت قال صدقت ثم أنه أخبره بقضيته وما وقع له مع الملك وشيخ سوق الجواهر وقال له أن الملك قد زوجني ابنته وجعلني وزيره ثم قال له خذ ما في المشنة نصيبك ولا تخف ثم خرج من عنده بعد أن أذهب عنه الخوف وراح إلى الملك بالمشنة فارغة فقال له الملك يا نسيبي كأنك ما اجتمعت برفيقك عبد ا البحري في هذا اليوم فقال رحت له والذي أعطاه لي أعطيته إلى صاحبي الخباز فإن له علي جميلاً قال من يكون هذا الخباز قال أنه رجل صاحب معروف وجرى له معه في أيام الفقر ما هو كذا وكذا ولم يهملني يوماً ولا كسر خاطري قال الملك ما اسمه قال اسمه عبد ا الخباز وأنا أسمي عبد ا البري وصاحبي اسمه عبد ا البحري قال الملك وأنا أسمي عبد ا وعبيد ا كلهم أخوان فأرسل إلى صاحبك الخباز هاته لتجعله وزير ميسرة فأرسل إليه فما حضر بين يدي الملك ألبسه بدلة وزير وجعله وزير الميسرة وجعل عبد ا البري وزير الميمنة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جعل عبد ا البري نسيبه وزير الميمنة وعبد ا الخباز وزير الميسرة واستمر عبد ا على تلك الحالة سنة كاملة وهو في كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن ولما فرغت الفواكه من البساتين صار يأخذ زبيباً ولوزاً وبندقاً وجوزاً وتيناً وغير ذلك وجميع ما يأخذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته فاتفق يوماً من الأيام أنه أخذ المشنة ممتلئة نقلاً على عادته فأخذها منه وجمس عبد ا البري على الشاطيء وجلس عبد ا البحري في الماء قرب الشاطيء وصارا يتحدثان مع بعضهما ويتداولان الكلام بينهما حتى أنجرا إلى ذكر المقابر فقال البحري يا أخي أنهم يقولون في أن النبي ﷺ مدفون عندكم في البر فهل تعرف قبره قال نعم قال له في أي مكان هو قال له في مدينة يقال لها مدينة طيبة قال وهل تزوره الناس أهل البر قال نعم قال هنيئاً لكم يا أهل البربارة هذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم الذي من زاره استوجب شفاعته وهل أنت زرته يا أخي قال لا لأنني كنت فقير ولا أجد ما أنفقه في الطريق وما استغنيت إلا من حين عرفتك وتصدقت علي بهذه الخير ولكن قد وجبت على زيارته بعد أن أحج بيت ا الحرام وما منعني من ذلك إلا محبك فإنني لا أقدر أن أفارقك يوماً واحداً فقال له وهل تقدم محبتي على زيارة قبر سيدنا محمد ﷺ الذي يشفع فيك يوم العرض على ا وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته وهل من أجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد ﷺ فقال لا وا إن زيارته مقدمة عندي على كل شيء ولكن أريد منك أجازة أن أزوره في هذا العام قال أعطيك الأجازة بزيارته وإذا وقفت على قبره فأقرئه مني السلام وعندي أمانة فأدخل معي في البحر حتى آخذك إلى مدينتي وأدخلك بيتي

وأضيفك وأعطيك الأمانة لتضعها على قبر النبي ﷺ وقال له يا رسول ا أن عبد ا البحري يقرئك السلام وقد أهدى إليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار فقال له عبد ا البري يا أخي أنت خلقت من الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرك فهل إذا خرجت منه إلى البر يحصل لك ضرر قال نعم ينشف بدني وتهب على نسمات البر فأموت قال له وأنا كذلك خلقت في البر ومسكني البر فإذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فأموت قال له لا تخف من ذلك فأني آتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرك الماء ولو كنت تقضي بقية عمرك وأنت دائر في البحر وتنام وتقوم في البحر ولا يضرك شيء قال إذا كان الأمر كذلك فلا بأس هات لي الدهان حتى أجربه قال وهو كذلك ثم أخذ المشنة ونزل في البحر وغاب قليلاً ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه أصفر كلون الذهب ورائحته زكية فقال له عبد ا البري ما هذا يا أخي فقال له شحم كبد صنف من أصناف السمك يقال له الدندان وهو أعظم أصناف السمك خلقة وهو أشد أعدائنا علينا وصورته أكبر صورة توجد عندكم من دواب البر ولو رأى الجمل أو الفيل لابتلعه فقال له يا أخي وما يأكل هذا المشؤوم فقال يأكل من دواب البحر أما سمعت أنه يقال في المثل مثل سمك البحر القوي يأكل الضعيف قال صدقت ولكن هل عندكم من هذا الدندان في البحر كثير قال عندنا شيء لا يحصيه إلا ا تعالى قال عبد ا البري أني أخاف إذا نزلت معك أن يصادفني هذا النوع فيأكلني قال عبد ا البحري لا تخف فأنه متى رآك عرف أنك ابن آدم فيخاف منك ويهرب ولا يخاف من أحد في البحر مثل ما يخاف من ابن آدم لأنه متى أكل ابن آدم مات من وقته وساعته فإن شحم ابن آدم سم قاتل لهذا النوع ونحن ما نجمع شحم كبده إلا بواسطة ابن آدم إذا وقع في البحر غريقاً فإنه تتغير صورته وربما تمزق لحمه فيأكله الدندان لظنه أنه من حيوان البحر فيموت فنعثر به ميتاً فنأخذ شحم كبده وندهن به أجسامنا ويدور في البحر فأي مكان كان فيه ابن آدم إذا كان فيه مائة أو مائتان أو ألف أو أكثر من النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فإن الجميع يموتون لوقتهم من صحة مرة واحدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا البحري قال لعبد ا البري وإذا سمع ألف من هذا النوع أو أكثر من بني آدم صيحة واحدة يموتون لوقتهم ولا يقدر أحد منهم أن ينتقل من مكانه فقال عبد ا البري توكلت على ا ثم قلع ما كان عليه من الملبوس وحفر في شاطيء البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك دهن جسمه من فوقه إلى قدمه بهذا الدهن ثم نزل في الماء وغطس وفتح عينه فلم يضره الماء فمشي يميناً وشمالاً ثم جعل إن شاء يعلو وإن شاء ينزل إلى القرار ورأى ماء البحر محمياً عليه مثل الخيمة ولا يضره فقال عبد ا البحري ماذا ترى يا أخي قال له أرى خيراً وقد صدقت فيما قلت فإن الماء ما ضرني قال له أتبعني فتبعه ولا زال يمشيان من مكان إلى مكان وهو يرى أمامه وعن يمينه وعن شماله جبالاً من الماء فصار يتفرج عليها وعلى أصناف السمك وهي تلعب في البحر البعض كبير والبعض صغير وفيه شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر وشيء يشبه الكلاب وشيء يشبه الآدميين وكل نوع قربنا منه يهرب منا فقال له مخافة منك لأن جميع ما خلقه ا تعالى يخاف من ابن آدم ومازال يتفرج على عجائب البحر حتى وصل إلى جبل عال فمشي عبد ا البري بجانب ذلك الجبل فلم يشعر إلا وصيحة عظيمة فالتفت فرأى شيئاً أسود منحدراً

عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل أو أكبر وصار يصبح فقال ما هذا يا أخي قال له البحري هذا الدندان فإنه نازل في طلبي مراده أن يأكلني فصيح عليه يا أخي قبل أن يصل إلينا فيخطفني ويأكلني فصاح عليه عبد ا البري فوقع ميتاً قال سبحان ا وبحمده أنا لا ضربته بسيف لا بسكين كيف هذا العظمة التي فيها هذا المخلوق ولم يحمل صيحتي بل مات فقال عبد ا البحري لا تعجب فو ا يا أخي لو كان من هذا النوع ألف أو ألفان لم يحملوا صيحة ابن آدم ثم مشيا إلى مدينة فرأيا أهلها جميعاً بنات وليس فيهن ذكور فقال يا أخي ما هذه المينة وما هذه البنات فقال له هذه مدينة البنات لأن أهلها من بنات البحر قال هل فيهن ذكور قال لا وكيف يحبلن ويلدن من غير ذكور قال أن ملك البحر ينفيهن إلى هذه المدينة وهن لا يحبلن ولا يلدن وإنما كل واحدة غضب عليها من بنات البحر يرسلها إلى هذه المدينة ولا تقدر أن تخرج منها فإن خرجت منها فكل من يراها من دواب البحر يأكلها وأما غير هذه المدينة ففيها رجال وبنات قال له هل في البحر مدن غير هذه المدينة قال له كثير قال وهل عليكم سلطان في البحر قال له نعم قال له يا أخي أني رأيت في البحر عجائب كثيرة قال له وأي شيء رأيت من العجائب أما سمعت صاحب المثل يقول عجائب البحر أكثر من عجائب البر قال صدقت ثم أنه صار يتفرج على هذه البنات فرأى لهن وجوهاً مثل الأقمار وشعوراً مثل شعور النساء ولكن لهن أياد وأرجل في بطونهن ولهن أذناب مثل أذناب السمك ثم أنه فرجه على أهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه إلى مدينة أخرى فرآها ممتلئة خلائق أناثاً وذكوراً صورتهم مثل صورة البنات ولهم أذناب ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل أهل البر وليسوا لابسين بل الكل عرايا مكشوفون العروة فقال له يا أخي أني أرى الأناث والذكور مكشفون العورة فقال له أن أهل البحر لا قماش عندهم فقال له يا أخي كيف يصنعون إذا تزوجوا فقال له هم لا يتزوجون بل كل من أعجبته أنثى يقضي مراده منها قال له أن هذا شيء حرام ولأي شيء لم يخطبها ويمهرها ويقيم لها فرحاً ويتزوجها بما يرضى ا ورسوله قال ليس كلنا ملة واحدة فإن فينا مسلمين موحدين وفينا نصارى ويهود وغير ذلك والذي يتزوج خصوص المسلمين فقال أنتم عريانون وما عندكم بيع ولا شراء فأي شيء يكون مهر نسائكم هل تعطونهن جواهر ومعادن قال له إن الجواهر أحجار ليس لها عندنا قيمة وإنما الذي يريد أن يتزوج يجعلون شيئاً معلوماً من أصناف السمك يصطاده قدر ألف أو ألفين أو أكثر أو أقل بحسب ما يحصل عليه الاتفاق بينه وبين أبي الزوجة فحين يحضر المطلوب يجتمع أهل العريس وأهل العروسة ويأكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها وإذا عجز تصطاد هي وتطعمه قال وإن زنى بعضهم ببعض كيف يكون الحال قال إن الذي يثبت عليه الأمر أن كان أنثى ينفوه إلى مدينة البنات فإذا كانت حاملاً من الزنا فإنهم يتركونها إلى أن تلد فإن ولدت بنتاً ينفونها معها وتسمى زانية بنت زانية ولا تزال بنتاً حتى تموت وإن كان المولود ذكراً فإنهم يأخذونه إلى الملك سلطان البحر فيقتله فتعجب عبد ا البري من ذلك ثم أن عبد ا البحري أخذه إلى مدينة أخرى وهكذا وما زال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة يرى أهلها لا يشبهون أهل غيرها من المدن فقال له يا أخي هل بقي في البحر مدائن قال وأي شيء رأيت من مدائن البحر وعجائبه وحق النبي الكريم الرؤوف الرحيم لو كنت فرجتك ألف عام كل يوم على مدينة وأريتك في كل مدينة ألف أعجوبة ما أريتك قيراطاً من أربعة وعشرون قيراطاً من مدائن البحر وعجائبه وإنما فرجتك على

ديارنا وأرضنا لا غير فقال له يا أخي حيث كان الأمر كذلك يكفيني ما تفرجت عليه فأني سئمت من أكل السمك ومضى لي في صحبتك ثمانون يوماً وأنت لا تطعمني صباحاً ومساء إلا سمكاً طرياً لا مستوياً ولا مطبوخاً فقال له أي شيء يكون المطبوخ والمشوي قال له عبد ا البري نحن نشوي السمك في النار وتطبخه وتجعله أصنافاً وتصنع منه أنواعاً كثيرة فقال له البحري من أين تأتي لنا النار فنحن لا نعرف المشوي من المطبوخ وغير ذلك فقال له البري نحن نقليه بالزيت والسيرج فقال له البحري ومن أين لنا الزيت والسيرج ونحن في هذا البحر لا نعرف شيئاً مما ذكرته قال صدقت ولكن يا أخي قد فرجتني على مدائن كثيرة ولم تفرجني على مدينتك قال له أما مدينتي فإننا فتناها بمسافة وهي قريبة من البر الذي أتينا منه وإنما تركت مدينتي وجئت بك إلى هنا لأني قصدت أن أفرجك على مدائن البحر قال له يكفيني ما تفرجت عليه ومرادي أن تفرجني على مدينتك قال له وهو كذلك ثم رجع به إلى مدينته فلما وصل إليها قال له هذه مدينتي فرآها مدينة صغيرة عن المدائن التي تفرج عليها ثم دخل المدينة ومعه عبد ا البحري إلى أن وصل إلى مغارة قال له هذا متى وكل بيوت هذه المدينة كذلك مغارات كبار وصغار في الجبال وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة فإن كل من أراد أن يصنع له بيتا يروح إلى الملك ويقول له مرادي أن اتخذ بيتاً في المكان الفلاني فيرسل معه الملك طائفة من السمك يسمون المنقارين ويجعل كراهم شيئاً معلوماً من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود فيأتون إلى الجبل الذي أراده صاحب البيت وينقرون في البيت وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقمهم حتى تتم المغارة فيذهبون وصاحب البيت يسكنه وجميع أهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم ولا يخدمون بعضهم إلا بالسمك وكلهم سمك ثم قال أدخل فدخل فقال عبد ا البحري يا بنتي وإذا بينته أقبلت عليه ولها وجه مدور مثل القمر ولها شعر طويل وردف ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل لكنها عريانة ولها ذنب فلما رأت عبد ا البري مع أبيها قالت له يا أبي ما هذا الأزعر الذي جئت به معك فقال لها يا بنتي هذا صاحبي البري الذي كنت أجيء لك من عنده بالفاكهة البرية تعالى سلمى عليه فتقدمت وسلمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ فقال أبوها هات زاد لضيفنا الذي حلت علينا بقدومه البركة فجاءت له بسمكتين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخروف فقال له كل فأكل غصباً عنه من الجوع لأنه سئم من أكل السمك وما عندهم شيء غير السمك فما مضى حصة إلا وامرأة عبد ا البحري أقبلت وهي جميلة الصورة ومعها ولد أن كل واحد في يده فرخ سمك يقرش فيه كحمار يقرش الإنسان في الخيارة فلما رأت عبد ا البري قالت أي شيء هذا الأزعر وتقدم الولدان وأختهما وأمهم وصار ما ينظرون إلى دبر عبد ا البري ويقولون أي وأزعر ا أنه ويضحكون عليه فقال عبد ا البري يا أخي هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لأولادك وزوجتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا البري قال لعبد ا البحري يا أخي هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لأولادك وزوجتك فقال له عبد ا البحري العفو يا أخي قال الذي لا ذنب له غير موجود عندنا وإذا وجد من غير ذنب يأخذه السلطان ليضحك عليه ولكن يا أخي لا تؤاخذ هؤلاء الأولاد الصغار والمرأة فإن عقولهم ناقصة ثم صرخ عبد ا البحري على عياله وقال لهم اسكتوا فخافوا منه وسكتوا وجعل

يأخذ بخاطره فبينما هو يتحدث معه وإذا بعشرة أشخاص كبار شداد غلاظ أقبلوا عليه وقالوا يا عبد ا أنه بلغ الملك أن عندك أزعر من زعر البرتقال نعم وهو هذا الرجل فإنه صاحبي أتاني ضيفاً ومرادي أن أرجعه إلى البر قالوا له إننا لاً نقدر أن نروح إلا به فإن كان مرادك كلاماً فقم وخذه وأحضر به قدام الملك والذي تقوله لنا قله للملك فقال عبد ا البحري يا أخي العذر واضح ولا يمكننا مخالفة الملك ولكن أمضي معي للملك وأنا أسعى في خلاصك منه إن شاء ا تعالى ولا تخف فإنه متى رآك عرف أنك من أولاد البر ومتى علم أنك بري فلابد أنه يكرمك ويردك إلى البر فقال عبد ا البري الرأي رأيك فأنا أتوكل على ا وأمشي معك ثم أخذوه ومضى إلى أن وصل إلى الملك فلما رآه ضحك وقال مرحباً بالأزعر وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول أي وا أنه أن عز فتقدم عبد ا البحري إلى الملك وأخبره بأجواله وقال له هذا من أولاد البر وصاحبي وهو لا يعيش بيننا لأنه لا يحب أكل السمك إلا مقلياً أو مطبوخاً والمراد أنك تأذن لي في أن أرده إلى البر فقال له الملك حيث كان الأمر كذلك وأله لا يعيش عندنا فقد أذنت لك أن ترده إلى مكانه بعد الضيافة ثم أن الملك قال هاتوا له الضيافة فأتوا له بالسمك أشكالاً وألواناً فأكل امتثالاً لأمر الملك ثم قال له الملك تمن على فقال عبد ا البري أتمنى عليك أن تعطيني جواهر فقال خذوه إلى دار الجواهر ودعوه ينقي ما يحتاج إليه فأخذه صاحبه إلى دار الجواهر ونقى على قدر ما أراد ثم رجع إلى مدينته وأخرج له صرة وقال له خذ هذه أمانة وأوصلها إلى قبر النبي ﷺ فأخذها وهو لا يعلم ما فيها ثم خرج معه ليوصله إلى البر فرأى في طريقه غناء وفرحاً وسماطاً ممدوداً من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم في فرح عظيم فقال عبد ا البري لعبد ا البحري ما لهؤلاء الناس في فرح عظيم هل عندهم عرس فقال البحري ليس عندهم عرس وإنما مات عندهم ميت فقال له هل أنتم إذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتأكلون قال نعم وأنتم يا أهل البر ماذا تفعلون قال البري إذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكي والنساء يلطمن وجوههن ويشققن جيوبهن حزناً على من مات فحملق عبد ا البحري عينيه في عبد ا البري وقال له هات الأمانة فأعطاها له ثم أخرجه إلى البر وقال له قد قطعت صحتك وودك فبعد هذا اليوم لا تراني ولا أراك فقال له لماذا هذا الكلام فقال له ما أنتم يا أهل البر أمانة ا فقال البري نعم قال فكيف لا يهون عليكم أن ا يأخذ أمانته بل تبكون عليها فكيف أعطيك أمانة النبي ﷺ وأنتم إذا أتاكم المولود تفرحون به مع أن ا يضع فيه الروح أمانة فإذا أخذها كيف تصعب عليكم وتبكون وتحزنون فمالنا في رفقتكم حاجة ثم تركه وراح إلى البحر ثم أن عبد ا البري لبس حوائجه وأخذ جواهره وتوجه إلى الملك فتلقاه باشتياق وفرح به وقال له كيف أنت يا نسيبي وما سبب غيابك عني هذه المدة فأخبره بقصته وما رآه من العجائب في البحر فتعجب الملك من ذلك ثم أخبره بما قاله عبد ا البحري فقال له أنت ألذي أخطأت في أخبارك له بهذا الخبر ثم أنه استمر مدة من الزمان وهو يروح إلى جانب البحر ويصبح على عبد ا البحري فلم يرد عليه ولم يأت إليه فقطع عبد ا البري الرجاء منه وأقام هو والملك نسيبه وأهلهما في أسر حال وحسن أعمال حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وماتوا جميعاً فسبحان الحي الذي لا يموت ذي الملك والملكوت وهو على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير.

(من نوادر هارون الرشيد مع الشاب العماني)

(ومما يحكي أيضاً) أن الخليفة هارون الرشيد أرق ذات ليلة أرقاً شديداً فاستدعى مسروراً فحضر فقال له أئتني بجعفر بسرعة فمضى وأحضره فلما وقف بين يديه قال يا جعفر قد اعتراني في هذه الليلة أرق فمنع عني النوم ولا أعلم ما يزيله عني قال يا أمير المؤمنين قد قالت الحكماء النظر إل المرآة ودخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهم والفكر فقال يا جعفر أني قد فعلت هذا كله فلم يزل عني شيئاً وأنا أقسم بآبائي الطاهرين أن لم تتسبب فيما يزل عني ذلك لاضربن عنقك قال يا أمير المؤمنين هل تفعل ما أشير به عليك قال وما الذي تشير به على قال أن تنزل بنا في زورق وتنحدر به في بحر الدجلة مع الماء إلى محل يسمى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع أو ننظر ما لم ننظر فإنه قد قيل تفريج الهم بواحد من ثلاثة أمور أن يرى الإنسان ما لم يكن رآه أو يسمع ما لم يكن سمعه أو يطأ أرضاً ما لم يكن وطئها فلعل ذلك يكون سبباً في زوال القلق عنك يا أمير المؤمنين فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر وأخوه الفضل وأبو أسحق النديم وأبو نواس وأبو دلف ومسرور السياف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(في ليلة ٩٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقي جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا إلى الدجلة ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا إلى الموضع الذي يريدونه فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد هذه الأبيات:

أقــول وقـــد حضـــر العقـــار ... وقــد غنــى علــى الأيــك الهــزار
إلــى كــم ذا التــأني عــن ســرور ... أفــق مــــا العمــــر الاســـتعمار
فخــذها مــن يــدي ظبــي غريــر ... بجفنيـــــه فتـــــور وانكســـــار
زرعـــت بخـــده ورداً طريـــا ... فــأثمر فــي الســوالف جلنــار
وتحســـب موضـــع التخمـــيس ... فيــه رمــاداً خامــداً والخــد نــار
يقــول لــي العــزول تســل عنــه ... فمـــا عـــذري وقـــد تـــم العـــذار

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال يا جعفر ما أحسن هذا الصوت قال جعفر يا مولانا ما طرق سمعي أطيب ولا أحسن من هذا الغناء ولكن يا سيدي أن السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خاف ستر فقال انهض بنا ياجعفر حتى نتطفل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عيانا قال جعفر سمعاً وطاعة فصعدوا من المركب واستأذنوا في الدخول وإذا بشاب مليح المنظر عذب الكلام فصيح اللسان خرج إليهم وقال أهلاً وسهلاً يا سادتي المنعمين علي ادخلوا بالرحب والسعة فدخلوا وهو بين أيديهم فرأوا الدار بأربعة أوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة بالأزورد وفيها أيوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنهن أقمار فصاح عليهن فنزلن عن أسرتهن ثم التفت رب المنزل إلى جعفر وقال يا سيدي أنا ما أعرف منكم الجليل من الأجل بسم ا ليتفضل منكم من هو أعلى في الصدر ويجلس أخوانه كل واحد في مرتبته فجلس كل واحد في منزلته وقام مسرور في الخدمة بين أيديهم ثم قال لهم صاحب المنزل يا أضيافي عن اذنكم هل

أحضر لكم شيئاً من المأكول قالوا له نعم فأمر الجواري بإحضار الطعام فأقبل أربع جوار مشدودات الأوساط بين أيديهن مائدة وعليها من غرائب الألوان مما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسماني وأفراخ وحمام ومكتوب على حواشي السفرة من الأشعار ما يناسب المجالس فأكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا أيديهم فقال الشاب يا سادتي أن كان لكم حاجة فأخبرونا بها حتى نتشرف بقضائها قالوا نعم فإننا ما جئنا منزلك إلا لأجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهينا أن نسمعه ونعرف صاحبته فإن رأيت أن تنعم علينا بذلك كان من مكارم أخلاقك ثم نعود من حيث جئنا فقال مرحباً بكرسي فوضعته ثم ذهبت ثانياً وأتت ومعها جارية كأنها البدر في تمامه فجلست على الكرسي ثم أن الجارية السوداء ناولتها خرقة من أطلس فأخرجت منها عوداً مرصعاً بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أقبلت جلست على كرسي وأخرجت العود من الخريطة وإذا هو مرصع بالجوهر واليواقيت وملاويه من الذهب فشدت أوتاره لرنات المزاهر وهي كما قال فيها وفي عوده الشاعر.

حضـــنته كـــالأم الشـــفيقة بابنهـــا … في حجرهـــا وجلـــت عليـــه ملاويـــه

مـــا حركـــت يـــدها اليمـــين لجـــه … إلا وأصـــلحت اليســـار ملاويـــه

ثم ضمت العود إلى صدرها وانحت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجست أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بأمه ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الأبيات:

جـــاد الزمـــان بمـــن أحـــب فاعتبـــا … يا صـــاحبي فـــادر كؤســـك وأشـــربا

من خمرة ما مازجـــت قلـــب امـــريء … إلا وأصـــبح بالمســـرة مطربـــا

قـــام النســـيم بحملهـــا فـــي كأســـها … أرأيـــت بـــدراً لـــثم يحمـــل كوكبـــا

كـــم ليلـــة ســـامرت فيهـــا بـــدرها … من فـــوق دجلـــة قـــد أضـــاء الغيهبـــا

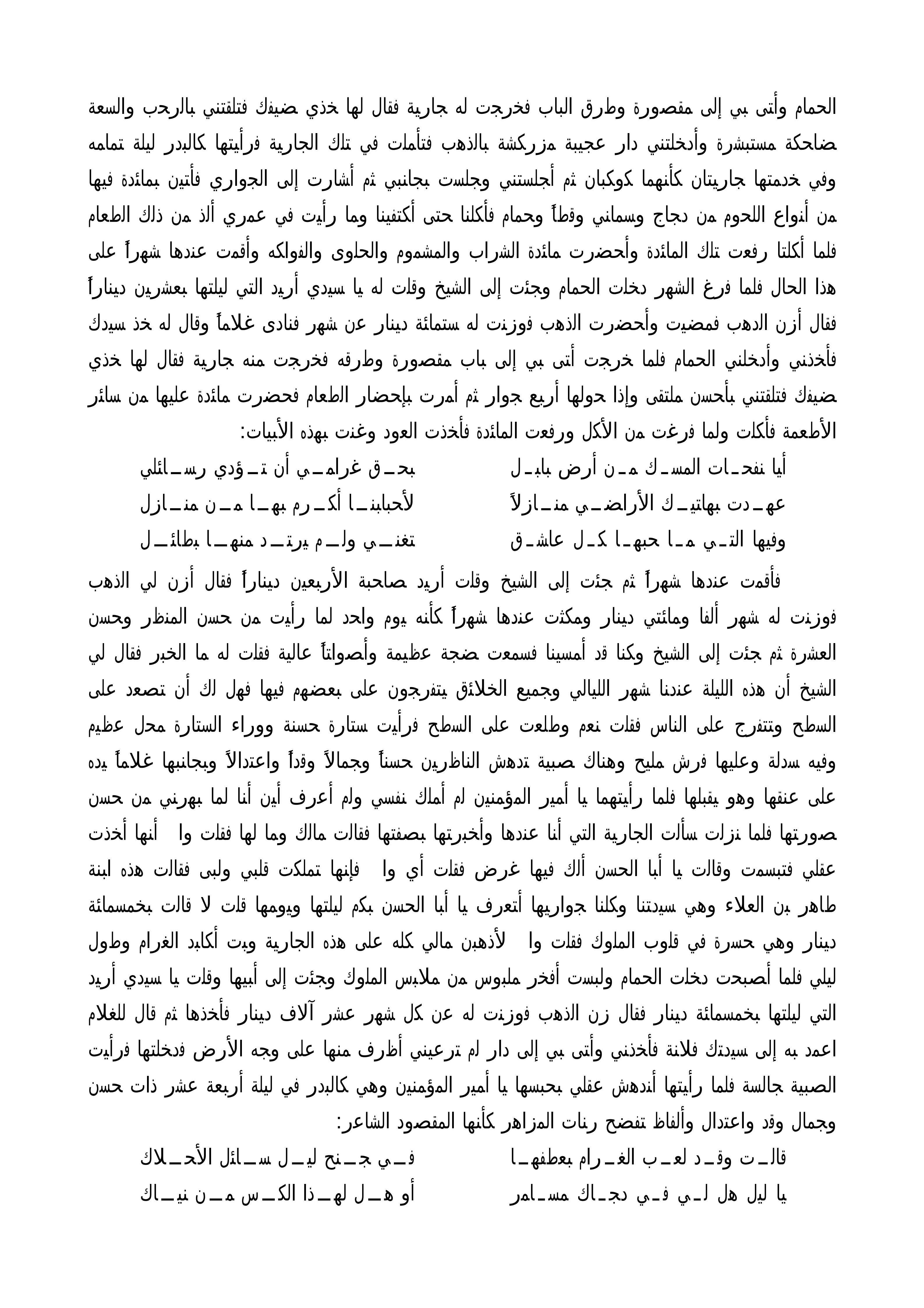
والبـــدر يجـــنح للغـــروب كأنمـــا … قـــد مـــد فـــوق المـــاء ســـيفاً مـــذهبا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديداً وصاح كل من في الدار من البكاء حتى كادوا أن يهلكوا وما منهم أحد إلا وغاب عن وجوده ومزق أثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها فقال الرشيدي أن غناء هذه الجارية يدل على أنها عاشقة مفارقة فقال سيدها أنها ثاكلة لأمها وأبيها فقال الرشيد ما هذا بكاء من فقد أباه وأمه وإنما هو شجو من فقد محبوبه وطرب الرشيد من غنائها وقال لأبي اسحق وا ما رأيت مثلها فقال أبو اسحق يا سيدي إني لأعجب منها غاية العجب ولا أملك نفسي من الطرب وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر إلى صاحب الدار ويتأمل في محاسنه وظرف شمائله فرأى في وجهه اصفراراً فالتفت إليه وقال يا فتى فقال لبيك يا سيدي فقال له هل تعلم من نحن قال لا فقال له جعفرا تحب أن نخبرك عن كل واحد بإسمه فقال نعم فقال جعفر هذا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين وذكر له بقية أسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد اشتهي أن تخبرني عن هذا الإصفرار الذي في وجهك هل هو مكتسب أو أصلي من حين ولادتك قال يا أمير

المؤمنين إن حديثي غريب وأمري عجيب لو كتب بالأبر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر قال أعلمني به لعل شفاءك يكون على يدي قال يا أمير المؤمنين أرعني سمعك وأخلي لي ذرعك قال هات فحدثني فقد شوقتني إلى سماعه فقال اعلم يا أمير المؤمنين أني رجل تاجر من تجار البحر وأصلي من مدينة عمان وكان أبي تاجراً كثير المال وكان له ثلاثون مركباً تعمل في البحر أجرتها في كل عام ثلاثون ألف دينار وكان رجلاً كريماً وعلمني الخط وجميع ما يحتاج إليه الشخص فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بما جرت به العادة ثم توفاه ا تعالى إلى رحمته وأبقى ا أمير المؤمنين وكان لأبي شركاء يتجرون في ماله ويسافرون في البحر فاتفق في بعض الأيام أني كنت قاعداً في منزلي مع جماعة من التجار إذ دخل على غلام من غلماني وقال يا سيدي إن بالباب رجلاً يطلب الإذن في الدخول عليك فأذنت له فدخل وهو حامل على رأسه شيئاً مغطى فوضعه بين يدي وكشفه فإذا فيه فواكه بغير أوان وملح وطائف ليست في بلادنا فشكرته على ذلك وأعطيته مائة دينار وانصرف شاكراً ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضراً من الأصحاب ثم سألت التجار من أين هذا فقالوا أنه من البصرة وأثنوا عليه وصاروا يصفون حسن البصرة وأجمعوا على أنه ليس في البلاد أحسن من بغداد ومن أهلها وصاروا يصفون بغداد وحسن أخلاق أهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها فاشتاقت نفسي إليها وتعلقت آمالي برؤيتها فقمت وبعت العقار والأملاك وبعت المراكب بمائة ألف دينار وبعت العبيد والجواري وجمعت مالي فصار ألف ألف دينار غير الجواهر والمعادن واكتريت مركباً وشحنتها بأموالي وسائر متاعي وسافرت بها أيامي ولياليي حتى جئت إلى البصرة فأقمت بها مدة ثم استأجرت سفينة وأنزلت مالي فيها وسرنا منحدرين أياماً قلائل حتى وصلنا إلى بغداد فسألت أين تسكن التجار وأي موضع أطيب للسكان فقالوا في حارة الكرخ فجئت إليها واستأجرت داراً في درب يسمى درب الزعفران ونقلت جميع مالي إلى تلك الدار وأقمت فيها مدة ثم توجهت في بعض الأيام إلى الفرجة ومعي شيء من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فأتيت إلى جامع يسمى جامع المنصور تقام فيه الجمعة وبعد أن خلصنا من الصلاة خرجت مع الناس إلى موضع يسمى قرن الصراط فرأيت في ذلك المكان موضعاً عالياً جميلاً وله روشن مطل على الشاطيء وهناك شباك فذهبت من جملة الناس إلى ذلك المكان فرأيت شيخاً جالساً وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رائحة طيبة وقد شرح لحيته فافرقت على صدره فرقتين كأنها قضيب من لجين وحوله أربع جوار وخمسة غلمان فقلت لشخص ما اسم هذا الشيخ وما صنعته فقال هذا طاهر ابن العلاء وهو صاحب الفتيان وكل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر إلى الملاح فقلت له وا إن لي زماناً وأنا أدور على مثل هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال وا أن لي زماناً وأنا أدور على مثل هذا ثم قال فتقدمت إليه يا أمير المؤمنين وسلمت عليه وقلت له يا سيدي أن لي عندك حاجة فقال ما حاجتك قلت أشتهي أن أكون ضيفك في هذه الليلة فقال حباً وكرامة ثم قال يا ولدي عندي جوار كثيرة منهن من ليلتها بعشرة دنانير ومنهن من ليلتها بأكثر فاختر من تريد فقلت أختار التي ليلتها بعشرة دنانير ثم وزنت له ثلثمائة دينار عن شهر فسلمني لغلام فأخذني ذلك الغلام وذهب بي إلى حمام القصر وخدمني خدمة حسنة فخرجت من


الحمام وأتى بي إلى مقصورة وطرق الباب فخرجت له جارية فقال لها خذي ضيفك فتلقتني بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وأدخلتني دار عجيبة مزركشة بالذهب فتأملت في تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه وفي خدمتها جاريتان كأنهما كوكبان ثم أجلستني وجلست بجانبي ثم أشارت إلى الجواري فأتين بمائدة فيها من أنواع اللحوم من دجاج وسماني وقطاً وحمام فأكلنا حتى أكتفينا وما رأيت في عمري ألذ من ذلك الطعام فلما أكلتا رفعت تلك المائدة وأحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه وأقمت عندها شهراً على هذا الحال فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وجئت إلى الشيخ وقلت له يا سيدي أريد التي ليلتها بعشرين ديناراً فقال أزن الدهب فمضيت وأحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر فنادى غلاماً وقال له خذ سيدك فأخذني وأدخلني الحمام فلما خرجت أتى بي إلى باب مقصورة وطرقه فخرجت منه جارية فقال لها خذي ضيفك فتلقتني بأحسن ملتقى وإذا حولها أربع جوار ثم أمرت بإحضار الطعام فحضرت مائدة عليها من سائر الأطعمة فأكلت ولما فرغت من الأكل ورفعت المائدة فأخذت العود وغنت بهذه الأبيات:

أيا نفحـات المسـك مـن أرض بابـل	بحـق غرامـي أن تـؤدي رسـائلي
عهـدت بهاتيـك الأراضـي منـازلاً	لأحبابنـا أكـرم بهـا مـن منـازل
وفيها التـي مـا حبهـا كـل عاشـق	تغنـي ولـم يرتـد منهـا بطائـل

فأقمت عندها شهراً ثم جئت إلى الشيخ وقلت أريد صاحبة الأربعين ديناراً فقال أزن لي الذهب فوزنت له شهر ألفا ومائتي دينار ومكثت عندها شهراً كأنه يوم واحد لما رأيت من حسن المنظر وحسن العشرة ثم جئت إلى الشيخ وكنا قد أمسينا فسمعت ضجة عظيمة وأصواتاً عالية فقلت له ما الخبر فقال لي الشيخ أن هذه الليلة عندنا شهر الليالي وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها فهل لك أن تصعد على السطح وتتفرج على الناس فقلت نعم وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح وهناك صبية تدهش الناظرين حسناً وجمالاً وقداً واعتدالاً وبجانبها غلاماً يده على عنقها وهو يقبلها فلما رأيتهما يا أمير المؤمنين لم أملك نفسي ولم أعرف أين أنا لما بهرني من حسن صورتها فلما نزلت سألت الجارية التي أنا عندها وأخبرتها بصفتها فقالت مالك وما لها فقلت وا أنها أخذت عقلي فتبسمت وقالت يا أبا الحسن ألك فيها غرض فقلت أي وا فإنها تملكت قلبي ولبى فقالت هذه ابنة طاهر بن العلاء وهي سيدتنا وكلنا جواريها أتعرف يا أبا الحسن بكم ليلتها ويومها قلت لا قالت بخمسمائة دينار وهي حسرة في قلوب الملوك فقلت وا لأذهبن مالي كله على هذه الجارية وبت أكابد الغرام وطول ليلي فلما أصبحت دخلت الحمام ولبست أفخر ملبوس من ملابس الملوك وجئت إلى أبيها وقلت يا سيدي أريد التي ليلتها بخمسمائة دينار فقال زن الذهب فوزنت له عن كل شهر عشر آلاف دينار فأخذها ثم قال للغلام اعمد به إلى سيدتك فلانة فأخذني وأتى بي إلى دار لم ترعيني أظرف منها على وجه الأرض فدخلتها فرأيت الصبية جالسة فلما رأيتها أندهش عقلي بحبسها يا أمير المؤمنين وهي كالبدر في ليلة أربعة عشر ذات حسن وجمال وقد واعتدال وألفاظ تفضح رنات المزاهر كأنها المقصود الشاعر:

قالـت وقـد لعـب الغـرام بعطفهـا	فـي جـنح ليـل سـائل الأحـلاك
يا ليل هل لـي فـي دجـاك مسـامر	أو هـل لهـذا الكـس مـن نيـاك

ضـربت عليـه بكفهـا وتنهـدت كتنهـد الآسـف الحـزين البـاكي
والثغـر بالمسـواك يظهـر حسـنه والأيـر للأكسـاس كالمسـواك
يـا مسـلمون أمـا تقـوم أيـوركم مـا فـيكم أحـد يغيـث الشـاكي
فـانقض مـن تحـت الغلائـل قائمـا أيـري وقـال لهـا أتـاك أتـاك
وحللـت عقـد إزارهـا فتفرزعـت من أنـت قلـت فتـى أجـاب نـداك
وغـدوت أرهزهـا بمثـل دراعهـا رهـز اللطيـف يصـر بـالأوراك
حتـى إذا مـا قمـت بعـد ثلاثـة قالـت هنـاك النيـك قلـت هنـاك

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما حدث أمير المؤمنين بصفات الجارية وأنشد في حسنها الأبيات المتقدمة ثم أنشد هذه الأبيات:

ولـو أنهـا للمشـركين تعرضـت لباءوا بهـا مـن دون أصـنامهم ربـا
ولو تفلت فـي البحـر والبحـر مـالح لأصبح ماء البحر مـن ريقهـا عـذباً
ولو أنها في الشـرق لاحـت لراهـب لخلي سـبيل الشـرق وأتبـع الغربـا

ومن أحسن قول الآخر:

نظـرت إليهـا نظـرة فتحيـرت دقـائق فكـري فـي بـديع صـفاتها
فـأوحى إلـيهم الـوهم أنـي أحبهـا فـأثر ذاك الـوهم فـي وجناتهـا

فسلمت عليها فقالت أهلاً وسهلاً ومرحباً وأخذت بيدي يا أمير المؤمنين وأجلستني إلى جانبها فمن فرط الآشتياق بكيت حماقة الفراق وأسلبت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

أحـب ليـالي الهجـر لا فرحـاً بهـا عسى الـدهر يـأتي بعـدها بوصـال
وأكـره أيـام الوصـال لأننـي أرى كـل شـيء معقبـاً بـزوال

ثم أنها صارت تؤانسني بلطف الكلام وأنا غريق في بحر الغرام خائف في القرب ألم الفراق من فرط الوجد والاشتياق وتذكرت لوعة النوى والبين فأنشدت هذين البيتين:

فكرت سـاعة وصـلها فـي هجرهـا فجـرت مـدامع مقلتـي كالعنـدم
فطفقـت أمسـح مقلتـي فـي جيـدها مـن عـادة الكـافور إمسـاك الـدم

ثم أمرت بإحضار الأطعمة فأقبلت أربع جوار نهد أبكار فوضعن بين أيدينا من الأطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمدام ما يصلح للملوك فأكلنا يا أمير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين في مجلس لا يصلح إلا للملك ثم جاءتها يا أمير المؤمنين جارية بخريطة من الأبريسم فأخذتها وأخرجت منها عوداً فوضعته في حجرها وجست أوتاره فاستغاثت كما يستغيث الصبي بأمه وأنشدت هذين البيتين:

لا تشرب الراح إلا مـن يـدي رشـأ تحكيه فـي رقـة المعنـى ويحكيهـا

أن المدامـ ــة لا يتلـ ــذ شـ ــاربها   حتـ ـى يكـ ـون نقـ ـي الخـ ـد سـ ـاقيها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لما أنشدت هذين البيتين فأقمت يا أمير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفذ جميع مالي فتذكرت وأنا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدي كالأنهار وصرت لا أعرف الليل من النهار فقالت لأي شيء تبكي فقلت لها يا سيدتي من حين جئت إليك وأبوك يأخذ مني في كل ليلة خمسمائة دينار وما بقي عندي شيء من المال وقد صدق الشاعر حيث قال:

الفقـ ـر فـ ـي أوطاننـ ـا غربـ ـة   والمـ ـال فـ ـي الغربـ ـة أوطـ ـان

فقالت اعلم أن أبي من عادته أنه إذا كان عنده تاجر وافتقر فإنه يضيفه ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود إلينا أبداً ولكن أكتم سرك وأخف أمرك وأنا أعمل حيلة في اجتماعي بك إلى ما شاء الله فإن لك في قلبي محبة عظيمة واعلم أن جميع مال أبي تحت يدي وهو لا يعرف قدره فأنا أعطيك في كل يوم كيساً فيه خمسمائة دينار وأنت تعطيه لأبي وتقول له ما بقيت أعطي الدراهم إلا يوماً بيوم وكل ما دفعته إليه فإنه يدفعه إلى وأنا أعطيه لك وتستمر هكذا إلى إن شاء الله فشكرتها على ذلك وقبلت يدها ثم أقمت عندها يا أمير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة فاتفق في بعض الأيام أنها ضربت جاريتها ضرباً وجيعاً فقالت لها والله لأوجعن قلبك كما أوجعتيني ثم مضت تلك الجارية إلى أبيها واعلمته بأمرنا من أوله إلى آخره فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من وقته وساعته ودخل على وأنا جالس مع ابنته وقال لي يا فلان قلت له لبيك قال عادتنا أنه إذا كان عندنا تاجر وأفتقر النا نضيفه عندنا ثلاثة أيام وأنت لك عندنا سنة تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء ثم التفت إلى غلمانه وقال أخلعوا ثيابه ففعلوا وأعطوني ثياباً رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا إلى عشرة دراهم ثم قال لي أخرج فأنا لا أضربك ولا أشتمك واذهب إلى حال سبيلك وإن أقمت في هذه البلادة كان دمك هدار فخرجت يا أمير المؤمنين برغم أنفي ولا أعلم أين أذهب وحل في قلبي كل هم في الدنيا وشغلني الوسواس وقلت في نفسي كيف أجيء في البحر بألف ألف من جملتها ثمن ثلاثين مركباً ويذهب هذا كله في دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك أخرج من عنده عرياناً مكسور القلب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أقمت في بغداد ثلاثة أيام لم أذق طعاماً ولا شراباً وفي اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة إلى البصرة فنزلت فيها واستقريت مع صاحبها إلى أن وصلت إلى البصرة فدخلت السوق وأنا في شدة الجوع فرآني رجل بقال فقام إلى وعانقني لأنه كان صاحباً لي ولأبي من قبل وسألني عن حالي فأخبرته بجميع ما جرى لي فقال لي والله ما هذه فعال عاقل ومع هذا الذي جرى لك فأي شيء في ضميرك تريد أن تفعله فقلت له لا أدري ماذا أفعل فقال أتجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهم زيادة على أكلك وشربك فأجبته وأقمت عنده يا أمير المؤمنين سنة كاملة أبيع وأشتري إلى أن صار معي مائة دينار فاستأجرت غرفة على شاطيء البحر لعل مركباً تأتي ببضاعة فأشتري بالدنانير بضاعة وأتوجه

بها إلى بغداد فاتفق في بعض الأيام أن المراكب جاءت وتوجهوا إليها جميع التجار يشترون فرحت معهم وإذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسين وجلسا عليهما ثم أقبل التجار عليهما لأجل الشراء فقال لبعض الغلمان أحضروا البساط فأحضروه وجاءوا أحد يخرج فأخرج منه جراباً وفتحه وكبه على البساط وإذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الألوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما أخبر الخليفة بقضية التجار وبالجراب وما فيه من سائر أنواع الجواهر قال يا أمير المؤمنين ثم أن واحداً من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت إلى التجار وقال لهم يا معاشر التجار أنا ما أبيع في يومي هذا لأني تعبان فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره أربعمائة دينار فقال لي صاحب الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة لماذا لم تتكلم ولم تزود مثل التجار فقلت له وا يا سيدي ما بقي عندي شيء من الدنيا سوى مائة دينار واستحيت منه ودمعت عيني فنظر إلي وقد عسر عليه حالي ثم قال للتجار أشهدوا علي إلى بعت جميع ما في الجراب من أنواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وأنا أعرف أنه يساوي كذا وكذا ألف دينار وهو هدية مني إليه فأعطاني الخرج والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر فشكرته على ذلك وجميع من حضر من التجار أثنوا عليه ثم أخذت ذلك ومضيت به إلى سوق الجواهر وقعدت أبيع وأشتري وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين وزنته نصف رطل وكان أحمر شديد الحمرة وعليه أسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم أعرف منفعته فبعت واشتريت مدة سنة كاملة ثم أخذت قرص التعويذ وقتل هذا له عندي مدة لا أعرفه ولا أعرف منفعته فدفعته إلى الدلال فأخذه ودار به ثم عاد وقال ما دفع أحد من التجار سوى عشرة دراهم فقلت له ما أبيعه بهذا القدر فرماً في وجهي وانصرف ثم عرضته للبيع يوماً آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهماً فأخذته من الدلال مغضباً ورميته عندي فبينما أنا جالس يوماً إذ أقبل على رجل فسلم علي وقال لي عن إذنك هل أقلب ما عندك من البضائع قلت نعم وأنا يا أمير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ فلما رآه يا أمير المؤمنين قبل يده وقال الحمد ثم قال يا سيدي أتبيع هذا فازداد غيظي وقلت له نعم فقال لي كم ثمنه فقلت له كم تدفع أنت فيه قال عشرين ديناراً فتوهمت أنه يستهزيء بي فقلت أذهب إلى حال سبيلك فقال لي هو بخمسين ديناراً فلم أخاطبه فقال ألف دينار هذا كله يا أمير المؤمنين وأنا ساكت ولم أجبه وهو يضحك من سكوتي ويقول لأي شيء لم ترد علي فقلت له اذهب إلى حال سبيلك وأردت أن أخاصمه وهو يزيد ألفاً بعد ألف ولم أرد عليه حتى قال أتبيعه بعشرين ألف دينار وأنا أظن أنه يستهزيء بي فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول بعه وإن لم يشتر فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد فقلت له هل أنت تشتري أو تستهزيء قلت له أبيع قال هو بثلاثين ألف دينار وخذها وامض البيع فقلت للحاضرين اشهدوا عليه ولكن بشرط أن تخبرني ما فائدته وما نفعه قال امض البيع وأنا أخبرك بفائدته ونفعه فقلت بعتك فقال ا على ما نقول وكيل ثم أخرج الذهب وأقبضني إياه وأخذ قرص التعويذ ووضعه في جيبه ثم قال لي هل رضيت قلت نعم فقال أشهدوا عليه أنه أمضي البيع وقبض الثمن ثلاثين ألف

دينار ثم أنه التفت إلي وقال يا مسكين وا لو أخرت البيع لزدناك إلى مائة ألف دينار بل إلى ألف ألف دينار فلما سمعت يا أمير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهي وعلا عليه هذا الأصفرار الذي أنت تنظره من ذلك اليوم ثم قلت له أخبرني ما سبب ذلك وما نفع هذا القرص فقال أعلم أن ملك الهند له بنت لم ير أحسن منها وبها داء الصداع فأحضر الملك أرباب الأقلام وأهل العوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك فقلت له وكنت حاضر بالمجلس أيها الملك أنا أعرف رجلاً يسمى سعد ا البابلي ما على وجه الأرض أعرف منه بهذه الأمور فإن رأيت أن ترسلني إليه فافعل فقال أذهب إليه فقلت له أحضر إلي قطعة من العقيق فأحضر لي قطعة كبيرة من العقيق ومائة ألف دينار وهدية فأخذت ذلك وتوجهت إلى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلوني عليه ودفعت له المائة ألف دينار والهدية فأخذ ذلك مني ثم أخذ القطعة العقيق وأحضر حكاكاً فعملها هذا التعويذ ومكث الشيخ سبعة أشهر يرصد النجم حتى اختار وقتاً للكتابة وكتب عليه هذه الطلاسم التي تنظرها ثم جئت به إلى الملك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لأمير المؤمنين أن الرجل قال لي أخذت هذا التعويذ وجئت به إلى الملك فلما وضعه علي وابنته برئت من ساعتها وكانت مربوطة في أربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مذبوحة فمن حين وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وخلع علي وتصدق بمال كثير ثم وضعه في عقدها فاتفق أنها نزلت يوماً في مركب هي وجواريها تتنزه في البحر فمدت جارية يدها إليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط في البحر فعاد من ذلك الوقت العارض لأنه الملك فحصل ما حصل للملك من الحزن فأعطاني مالاً كثيراً وقال لي اذهب إلى الشيخ ليعمل لها تعويذاً عوضاً عنه فسافرت إليه فوجدته قد مات فرجعت إلى الملك وأخبرته فبعثني أنا وعشرة أنفس نطوف في البلاد لعلنا نجد لها دواء فأوقعني ا عندك فأخذه مني يا أمير المؤمنين وانصرف فكان ذلك الأمر سبباً للإصفرار الذي في وجهي ثم أني توجهت إلى بغداد ومعي جميع مالي وسكنت في الدار التي كنت فيها فلما أصبح الصباح لبست ثيابي وجئت إلى بيت طاهر بن العلاء لعلي أرى من أحبها فإن حبها لم يزل يتزايد في قلبي فلما وصلت إلى داره رأيت الشباك قد انهدم فسألت غلاماً وقلت له ما فعل ا بالشيخ فقال يا أخي أنه قدم عليه في سنة من السنين رجل تاجر يقال له أبو الحسن العماني فأقام مع ابنته مدة من الزمان ثم بعد أن ذهب ماله أخرجه الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية تحبه حباً شديداً فلما فارقها مرضت مرضاً شديداً حتى بلغت الموت وعرفت أباها بذلك فأرسل خلفه في البلاد وقد ضمن لمن يأتي به مائة ألف دينار فلم يره أحد ولم يقع له على أثر وهي الآن مشرفة على الموت قلت وكيف حال أبيها قال باع الجواري من عظم ما أصابه فقلت له هل أدلك على أبي الحسن العماني فقال با عليك يا أخي أن تدلني عليه فقلت له أذهب إلى أبيها وقل له لي البشارة عندك فإن أبا الحسن العماني واقف على الباب فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون ثم غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ فلما رآني رجع إلى داره وأعطى الرجل مائة ألف دينار فأخذها وانصرف وهو يدعو لي ثم أقبل الشيخ وعانقني وبكى وقال يا سيدي أين كنت في هذه الغيبة قد هلكت أبنتي من أجل فراقك فأدخل معي إلى المنزل فلما دخلت سجد شكراً تعالى وقال الحمد الذي جمعنا بك

ثم دخل لابنته وقال لها شفاك ا من هذا المرض فقالت يا أبت ما أبرأ من مرضي إلا إذا نظرت وجه أبي الحسن فقال إذا أكلت أكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما فلما سمعت كلامه قالت أصحيح ما تقول قال لها وا العظيم أن الذي قلته صحيح فقالت وا أن نظرت وجهه ما أحتاج إلى أكل فقال لغلامه احضر سيدك فدخلت فلما نظرت إلي يا أمير المؤمنين وقعت مغشياً عليها فلما أفاقت أنشدت هذا البيت:

وقــد يجمــع ا الشــتيتين بعــدما يظنــان كــل الظــن أن لا تلاقيــا

ثم استوت جالسة وقالت يا سيدي ما كنت أظن أني أرى وجهك إلا أن كان منا ما ثم أنها عانقتني وبكت وقالت يا أبا الحسن الآن آكل وأشرب فأحضروا الطعام والشراب ثم صرت عندهم يا أمير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه من الجمال ثم أن أباها استدعى بالقاضي والشهود وكتب كتابها على وعمل وليمة عظيمة وهي زوجتي إلى الآن ثم أن ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع إليه بغلام بديع الجمال بقد ذي رشاقة واعتدال وقال له قبل الأرض بين أيادي أمير المؤمنين فقبل الأرض بين يدي الخليفة فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه ثم أن الرشيد انصرف هو وجماعته وقال يا جعفر ما هذا إلا شيء عجيب ما رأيت ولا سمعت بأغرب منه فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال يا مسرور قال لبيك يا سيدي قال أجمع في هذا الأيوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان فجمعه فصار مالا عظيماً لا يحصى عدده إلا ا تعالى ثم قال الخليفة يا جعفر قال لبيك قال أحضر لي أبا الحسن قال سمعاً وطاعة ثم أحضره فلما حضر قبل الأرض بين يدي الخليفة وهو خائف أن يكون طلبه بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله فقال الرشيد يا عماني قال له لبيك يا أمير المؤمنين خلد ا نعمه عليك فقال اكشف هذه الستارة وكان الخليفة أمرهم أن يضعوا مال الثلاثة أقاليم ويسبلوا عليه الستارة فلما كشف العماني الستارة عن الأيوان اندهش عقله من كثرة المال فقال الخليفة يا أبا الحسن أهذا المال أكثر أم الذي فاتك من قرص التعويذ فقال بل هذا يا أمير المؤمنين أكثر بإضعاف كثيرة قال الرشيد أشهدوا يا من حضر أني وهبت هذا المال لهذا الشاب فقبل الأرض واستحى وبكى من شدة الفرح بين يدي الرشيد فلما بكى جرى الدمع من عينه على خده فرجع الدم إلى محله فصار وجهه كالبدر ليلة تمامه فقال الخليفة لا إله إلا ا سبحان من يغير حالاً بعد حال وهو باق لا يتغير ثم أتى بمرآة وأراه وجهه فيها فلما رآه سجد شكر ا تعالى ثم أمر الخليفة أن يحمل إليه المال وسأله أنه لا ينقطع عنه لأجل المنادمة فصار يتردد إليه إلى أن توفى الخليفة إلى رحمة ا تعالى فسبحان الحي الذي لا يموت ذي الملك والملكوت.

(حكاية إبراهيم بن الخصيب مع جميلة بنت أبي الليث عامل البصرة)

(ومما يحكي أيضاً) أيها الملك السعيد أن الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن في زمانه أحسن منه وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج إلا الصلاة الجمعة فمر وهو خارج من صلاة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلب الكتب وتأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد أن تنطق ولم ير أحسن منها على وجه الأرض فسلمت عقله وأدهشت لبه فقال له يا شيخ بع لي هذه الصورة فقبل الأرض بين يديه ثم قال له يا سيدي بغير ثمن فدفع له مائة دينار وأخذ الكتاب الذي في هذه

الصورة وصار ينظر إليها ويبكي ليله ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام فقال في نفسه لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة من هو ربما أخبرني فإن كانت صاحبتها في الحياة توصلت إليها وإن كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسي بشيء لا حقيقة له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال في نفسه لو سألت الكتبي عن هذه الصورة ربما أخبرني فإن كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسي بشيء لا حقيقة له فلما كان يوم الجمعة مر على الكتبي فنهض إليه قائماً فقال له يا عم أخبرني من صنع هذه الصورة قال يا سيدي صنعها رجل من أهل بغداد يقال له أبو القاسم الصيدلاني في حارة تسمى حارة الكرخ وما أعلم صورة من هي فقام الغلام من عنده ولم يعلم بحاله أحداً من أهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد إلى البيت فأخذ جراباً وملأه من الجواهر والذهب وقيمة الجواهر ثمانون ألف دينار ثم صبر إلى الصباح وخرج ولم يعلم أحداً ولحق قافلة فرأى بدوياً فقال له يا عم كم بيني وبين بغداد فقال له يا ولدي أين أنت وأين بغداد أن بينك وبينها مسيرة شهرين فقال له يا عم أن أوصلتني إلى بغداد أعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التي تحتي وقيمتها ألف دينار فقال له البدوي ا على ما نقول وكيل ولكن لا تنزل في هذه الليلة إلا عندي فأجابه إلى قوله وبات عنده فلما لاح الفجر أخذه البدوي وسار به سريعاً في طريق قريب طمعاً في تلك الفرس التي وعده بها ومازالا سائرين حتى وصلا إلى حيطان بغداد فقال له البدوي الحمد على السلامة يا سيدي هذه بغداد ففرح الغلام فرحاً شديداً ونزل عن الفرس وأعطا للبدوي هي والمائة دينار ثم أخذ الجراب وصار يسائل عن حارة الكرخ وعن محل التجار فساقه القدر إلى درب فيه خمسة عشر حجر تقابل خمسة وفي صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة وفي الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان باحسن الفرش وفي إحداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وبين يديه خمس مماليك كأنهم أقمار فلما رأى الغلام ذلك عرف العلامة التي ذكرها له الكتبي فسلم على الرجل فرد عليه السلام ورحب به وأجلسه وسأله عن حاله فقال له الغلام أنا رجل غريب وأريد من إحسانك أن تنظر لي في هذا الدرب دار الأ سكن فيها فصاح الرجل وقال يا غزالة فخرجت إليه جارية وقالت لبيك يا سيدي فقال خذي معك بعض خدم وأذهبوا إلى حجرة ونظفوها وافرشوها وحطوا فيها جميع ما يحتاج من آنية وغيرها لأجل هذا الشاب الحسن الصورة فخرجت الجارية وفعلت ما أمرها به ثم أخذه الشيخ وأراه الدار فقال له الغلام يا سيدي كم أجرة هذا الدار فقال له ياصبيح الوجه أنا ما آخذ منك أجرة ما دمت هنا فشكره على ذلك ثم أن الشيخ نادى جارية أخرى فخرجت إليه جارية كأنها الشمس فقال لها هات الشطرنج فاتت به ففرش المملوك الرقعة وقال الشيخ للغلام اتلعب معي قال نعم فلعب معه مرات والغلام يغلبه فقال أحسنت يا غلام لقد كملت صفاتك وا ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني أنت ثم بعد ان هيئوا الدار بالفرش وسائر ما يحتاج إليه سلم المفاتيح وقال يا سيدي ألا تدخل منزلي وتأكل عيشي فنتشرف بك فأجابه الغلام إلى ذلك ومشى معه فلما وصلا إلى الدار رأى داراً حسنة جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير ومن أنواع الفرش والأمتعة ما يعجز عن وصفه اللسان ثم صار يحييه وأمر بإحضار الطعام

فأتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت وأتوا بالطعام ألوانا غريبة لا يوجد أفخر منها ولا ألذ فأكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه وصار الغلام ينظر إلى الدار والفرش ثم التفت إلى الجراب الذي كان معه فلم يره فقال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم أكلت لقمة تساوي درهماً أو درهمين فذهب مني جراب فيه ثلاثون ألف دينار ولكن لتستعن با ثم سكت ولم يقدر أن يتكلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما رأى الجراب مفقوداً حصل له غم كبير فسكت ولم يقدر أن يتكلم فقدم له الشيخ الشطرنج وقال للغلام هل تلعب معي قال نعم فلعب فغلبه الشيخ فقال الغلام أحسنت ثم ترك اللعب وقام فقال له مالك يا غلام فقال أريد الجراب فقام وأخرجه له وقال ها هو يا سيدي هل ترجع إلى اللعب معي قال نعم فلعب معه فغلبه الغلام فقال الرجل لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به إليك غلبتني ثم قال له يا ولدي أخبرني من أي البلاد أنت فقال من مصر فقال له وما سبب مجيئك إلى بغداد فأخرج له الصورة وقال يا عم أني ابن الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبي فسلبت عقلي فسألت عن صانعها فقيل لي أن صانعها رجل من بغداد بحارة الكرخ يقال له أبو القاسم الصندلاني بدرب يعرف بدرب الزعفران فأخذت معي شيئاً من المال وجئت وحدي ولم يعلم بحالي أحد وأريد من تمام إحسانك أن تدلني عليه حتى أسأله عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة من هي ومهما أراده مني فإني أعطيه إياه فقال وا يا بني أني أنا أبو القاسم الصندلاني وهذا أمر عجيب كيف ساقتك المقادير إلى فلما سمع الغلام كلامه قام إليه وعانقه وقبل رأسه ويديه وقال له با عليك أن تخبرني صورة من هي فقال سمعاً وطاعة ثم قام وفتح خزانة وأخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال له اعلم يا ولدي أن صاحبة هذه الصورة ابنة عمي وهي في البصرة وأبوها حاكم البصرة يقال له أبو الليث وهي يقال لها جميلة وما على وجه الأرض أجمل منها ولكنها زاهدة في الرجال ولا تقدر أن تسمع ذكر رجل في مجلسها وقد ذهبت إلى عمي يقصد أنه يزوجني بها وبذلت له الأموال فلم يجيبني إلى ذلك فأما علمت ابنته بذلك اغتاظت وأرسلت إلى كلاماً من جملته أنها قالت أن كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة وألا تهلك ويكون ذنبك في عنقك وهي جبارة من الجبابرة فخرجت من البصرة وأنا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة في الكتب وفرقتها في البلاد لعلها تقع في يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل في الوصول إليها لعلها تعشقه وأكون قد أخذت عليه العهد أنه إذا تمكن منها يريني إياها ولو نظرة من بعيد فلما سمع إبراهيم ابن الخصيب كلامه أطرق برأسه ساعة وهو يتفكر فقال له الصندلاني يا ولدي أني ما رأيت ببغداد أحسن منك وأظن أنها إذا نظرتك تحبك فهل يمكنك إذا اجتمعت بها أن تريني إياها ولو نظرة من بعيد فقال نعم فقال إذا كان الأمر كذلك فأقم عندي إلى أن تسافر فقال لا أقدر على المقام فإن في قلبي من عشقها ناراً زائدة فقال له اصبر حتى أجهز لك مركباً في ثلاثة أيام لتذهب فيها إلى البصرة فصبر حتى جهز له مركباً ووضع فيها كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وغير ذلك وبعد الثلاثة أيام قال الغلام تجهز للسفر فقد جهزت لك مركباً فيها سائر ما تحتاج إليه والمركب ملكي والملاحون من أتباعي وفي المركب ما يكفيك إلى أن تعود وقد أوصيت الملاحين أن يخدموك إلى أن ترجع بالسلامة فنهض الغلام ونزل في المركب وودعه وسار حتى

وصل إلى البصرة فأخرج الغلام مائة دينار للملاحين فقالوا له نحن أخذنا الأجرة من سيدنا فقال لهم خذوها أنعاماً وأنا لا أخبره بذلك فأخذوها آمنه ودعوا له ثم دخل الغلام البصرة وسأل أين مسكن التجار فقالوا له في خان يسمى خان حمدان فمشى حتى وصل إلى السوق الذي فيه الخان فامتدت إليه الأعين بالنظر من فرط حسنه وجماله ثم دخل الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدلوه عليه فرآه شيخاً كبيراً مهاباً فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا عم هل عندك حجرة ظريفة قال نعم ثم أخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال يا غلام أن هذه الحجرة تصلح لك فأخرج الغلام دينارين وقال له خذ هذين حلوان المفتاح فأخذهما ودعا له وأمر الغلام الملاح بالذهاب إلى المركب ثم دخل الحجرة فاستمر عنده بواب الخان وخدمه وقال له يا سيدي حصل لنا بك السرور فأعطاه الغلام ديناراً وقال له هات لنا به خبزاً ولحماً وحلوى وشراباً فأخذه وذهب إلى السوق ورجع إليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم وأعطاه الباقي فقال الغلام أصرفه على نفسك ففرح بواب الخان بذلك فرحاً عظيماً ثم أن الغلام أكل مما طلبه قرصاً واحداً بقليل من الآدم وقال لبواب الخان خذ هذا إلى أهل منزلك فأخذه وذهب به إلى أهل منزله وقال لهم ما أظن أن أحداً على وجه الأرض أكرم من الغلام الذي سكن عندنا في هذا اليوم ولا أحلى منه فإن دام عندنا حصل لنا الغنى ثم أن بواب الخان دخل على إبراهيم فرآه يبكي فقعد وصار يكبس رجليه ثم قبلهما وقال يا سيدي لأي شيء تبكي لا أبكاك ا فقال يا عم أريد أن أشرب أنا وأنت في هذه الليلة فقال له سمعاً وطاعة فأخرج له خمسة دنانير وقال له اشتر لنا بها فاكهة وشراباً ثم دفع له خمسة دنانير أخرى وقال له اشتر لنا بهذه نقلاً ومشموماً وخمس فراخ سمان وأحضر لي عوداً فخرج وأشترى له ما أمره به وقال لزوجته أصنعي هذا الطعام وصفى لنا هذا الشراب وليكن ما تصنعيه جيداً فإن هذا الغلام قد عمنا بإحسانه فصنعت زوجته ما أمرها به على غاية المراد ثم أخذه ودخل على إبراهيم ابن السلطان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب أخذه ودخل علي بن السلطان فأكلا وشربا وطربا فبكى الغلام وأنشد هذين البيتين:

يا صاحبي لو بـذلت الـروح مجتهـداً	وجملـة المـال والـدنيا ومـا فيهـا
وجنـة الخلـد والفـردوس أجمعهـا	بساعة الوصل كـان القلـب شـاريها

ثم شهق شهقة عظيمة وخر مغشياً عليه فتنهد بواب الخان فلما أفاق قال له بواب الخان يا سيدي ما يبكيك ومن هي التي تريدها بهذا الشعر فإنها لا تكون ألا تراباً لأقدامك فقام الغلام وأخرج بقجة من أحسن ملابس النساء وقال له خذ هذه إلى حريمك فأخذها منه ودفعها إلى زوجته فأتت معه ودخلت على الغلام فإذا هو يبكي فقالت له فتت أكبادنا فعرفنا بأي مليحة تريدها وهي لا تكون إلا جارية عندك فقال يا عم اعلم أني أنا ابن الخصيب صاحب مصر وأني متعلق بجميلة بنت أبي الليث العميد فقالت زوجة بواب الخان ا ا يا أخي أترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك فإنه ما على وجه الأرض أجبر منها ولا يقدر أحد أن يذكر لها اسم رجل لأنها زاهدة في الرجال فيا ولدي أعدل عنها لغيرها فلما سمع كلامها بكى بكاء شديداً فقال له بواب الخان ما لي سوى روحي فأنا أخاطر بها في هواك وأدبر لك أمراً فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده فلما

أصبح الصباح دخل الحمام وليس حلة من ملبوس الملوك وإذا ببواب الخان هو وزوجته قدما عليه وقالا له يا سيدي أعلم أن هنا رجلاً خياطاً أحدب وهو خياط السيدة جميلة فاذهب إليه وأخبره بحالك فعساه يدلك على ما فيه وصولك إلى أغراضك فقام الغلام وقصد دكان الخياط الأحدب فدخل عليه فوجد عنده عشرة مماليك كأنهم الأقمار فسلم عليهم فردوا عليه السلام وفرحوا به وأجلسوه وتحيروا في محاسنه وجماله فلما رآه الأحدب اندهش عقله من حسن صورته فقال له الغلام أريد أن تخيط لي جيبي فتقدم الخياط وأخذ فتلة من الحرير وخاطه وكان الغلام قد فتقه عمداً فلما خاطه أخرج له خمسة دنانير وأعطاها له وانصرف إلى حجرته فقال الخياط أي شيء عملته لهذا الغلام حتى أعطاني الخمسة دنانير وأعطاها له وانصرف إلى حجرته فقال الخياط أي شيء عملته لهذا الغلام حتى أعطاني الخمسة دنانير ثم بات ليلته يفكر في حسنه وكرمه فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكان الخياط الأحدب ثم دخل وسلم عليه فرد عليه السلام وأكرمه ورحب به فلما جلس قال للأحدب يا عم خيط لي جيبي فإنه فتق ثانياً فقال له يا ولدي على الرأس والعين ثم تقدم وخاطه فدفع له عشرة دنانير فأخذها وصار مبهوتاً من حسنه وكرمه ثم قال وا يا غلام أن فعلك لابد له من سبب وما هذا خبر خياطة جيب ولكن أخبرني عن حقيقة أمرك فإن كنت عشقت واحداً من هؤلاء الأولاد فو ا ما فيهم أحسن منك وكلهم تراب أقدامك وها هم عبيدك وبين يديك وإن كان غير هذا فأخبرني فقال يا عم ما هذا محل الكلام فإن حديثي عجيب وأمري غريب قال فإذا كان الأمر كذلك فقم بنا في خلوة ثم نهض الخياط وأخذه بيده ودخل معه حجرة في داخل الدكان وقال له يا غلام حدثني فحدثه بأمره من أوله إلى آخره فبهت من كلامه وقال يا غلام اتق ا في نفسك فإن التي ذكرتها جبارة زاهدة في الرجال فاحفظ يا أخي لسانك وإلا فإنك تهلك نفسك فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديداً ولزم ذيل الخياط وقال أجرني يا عم فإنني هالك وقد تركت ملكي وملك أبي وجدي وصرت في البلاد غريباً وحيدا ولا صبر لي عنها فلما رأى الخياط ما حل به رحمه وقال يا ولدي ما عندي إلا نفسي فأنا أخاطر بها في هو إلا فإنك قد جرحت قلبي ولكن في غد أدبر لك أمراً يطيب به قلبك فدعا له وانصرف إلى الخان فحدث بواب الخان بما قاله الأحدب فقال له قد فعل معك جميلاً فلما أصبح الصباح لبس الغلام أفخر ثيابه وأخذ كيساً فيه دنانير وأتى إلى الأحدب فسلم عليه وجلس ثم قال له يا عم أنجز وعدي فقال له قم في هذه الساعة وخذ ثلاث فراخ سمان وثلاث أوراق من السكر النبات وكوزين لطيفين وأملأ هما شراباً وخذ قدحاً وضع ذلك في كارة وأنزل بعد صلاة الصبح في زورق مع ملاح وقل له أريد أن تذهب بي تحت البصرة فإن قال لك ما اقدر أن أعدي أكثر من فرسخ فقل له الرأي لك فإذا عدى فرغبه بالمال حتى يوصلك فإذا وصلت فأول بستان تراه فإنه بستان السيدة جميلة فإذا رأيته فاذهب إلى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل أحدب مثلي فأشك إليه حالك وتوسل به فعساه أن يرثي لحالك ويوصلك إلى أن تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدي حيلة غير هذا وأما إذا لم يرث لحالك فقد هلكت أنا وأنت وهذا ما عندي من الرأي والأمر إلى ا تعالى فقال الغلام استعنت با تعالى ما شاء ا كان ولا حول ولا قوة إلا با ثم قام من عند ا لخياط الأحدب وذهب إلى حجرته وأخذ ما أمره به في كارة لطيفة ثم أنه لما أصبح جاء إلى شاطيء الدجلة وإذا هو برجل ملاح نائم فأيقظه وأعطاه عشرة دنانير وقال له عدني إلى تحت البصرة فقال له يا سيدي بشرط أني لا أعدي أكثر

من فرسخ وإن تجاوزته شبراً هلكت أنا وأنت فقال له الرأي لك فأخذه وانحدر به فلما قرب من البستان قال يا ولدي من هنا ما أقدر أن أعدي فإن تعديت هذا الحد هلكت أنا وأنت فأخرج له عشرة دنانير وقال خذ هذه نفقة لتستعين بها على حالك فاستحي منه وقال سلمت أمري تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما أعطى للملاح العشرة دنانير الأخرى أخذها وقال سلمت أمري تعالى وأنحدر به فلما وصل إلى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزروق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه فرجع الملاح هارباً ثم تقدم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الأحدب من البستان ورأى بابه مفتوحاً وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل أحدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب فنهض الغلام مسرعاً وانكب على يده وقبلها فقال له من أنت ومن أين أتيت ومن أوصلك إلى ههنا يا ولدي وكان ذلك الرجل لما رأى إبراهيم بن الخصيب انبهر من جماله فقال له إبراهيم يا عم أنا صبي جاهل غريب ثم بكى فرق له وأصبعه على السرير ومسح له دموعه وقال له لا بأس عليك إن كنت مديوناً قضى ا دينك وإن كنت خائفاً آمن ا خوفك فقال يا عم لأبي خوف ولا على دين ومعي مال جزيل بحمد ا وعونه فقال له يا ولدي ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك إلى محل فيه الهلاك فحكى له حكايته وشرح له أمره فلما سمع كلامه أطرق برأسه ساعة إلى الأرض وقال هل الذي ذلك على الخياط الأحدب قال له نعم قالا هذا أخي وهو رجل مبارك ثم قال يا ولدي لولا أن محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت أنت وأخي وبواب الخان وزوجته ثم قال اعلم أن هذا البستان ما على وجه الأرض مثله وأنه يقال له بستان اللؤلؤة وما دخله أحد مدة عمري إلا السلطان وأنا وصاحبته جميلة وأنت فيه عشرين سنة فما رأيت أحد جاء إلى هذا المكان وكل أربعين يوماً تأتي في المركب إلى ههنا وتصعد بين جواريها في حلة أطلس تحمل أطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهب إلى أن تدخل فلم أر منها شيئاً ولكن أنا مالي ألا تقسي فأخطر بها من أجلك فعند ذلك قبل الغلام يده فقال له أجلس عندي حتى أدبر لك أمر ثم أخذ بيد الغلام وأدخله البستان فلما رأى ابراهيم ذلك البستان ظن أنه الجنة ورأى الأشجار ملتفة والنخيل باسقة والمياه متدفقة والأطيار تناغي بأصوات مختلفة ثم ذهب به إلى قبة وقال له هذه التي تقعد فيها السيدة جميلة فتأمل تلك القبة فوجدها من أعجب المنتزهات وفيها سائر التصاوير بالذهب واللازورد وفيها أربعة أبواب يصعد إليها بخمس درج وفي وسطها بركة ينزل إليها بدرج من الذهب وتلك الدرج مرصعة بالمعدن وفي وسط البركة سلسبيل من الذهب فيه صور كبار وصغار والماء يخرج من أفواهها فإذا صفقت الصور عند خروج الماء بأصوات مختلفة تخيل لسامعها أنه في الجنة وحول القبة ساقية قواد يسها من الفضة وهي مكسوة بالديباج وعلى يسار الساقية شباك من الفضة مطل على برج أخضر فيه من سائر الوحوش والغزلان والأرانب وعلى يمينها شباك مطل على ميدان فيه من سائر الطيور وكلها تغرد بأصوات مختلفة تدهش السامع فلما رأى الغلام ذلك أخذه الطرب وقعد في باب البستان وقعد البستاني بجانبه فقال له كيف ترى بستاني فقال له الغلام هو جنة الدنيا فضحك البستاني ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان ومأكول مليح وحلوى من السكر

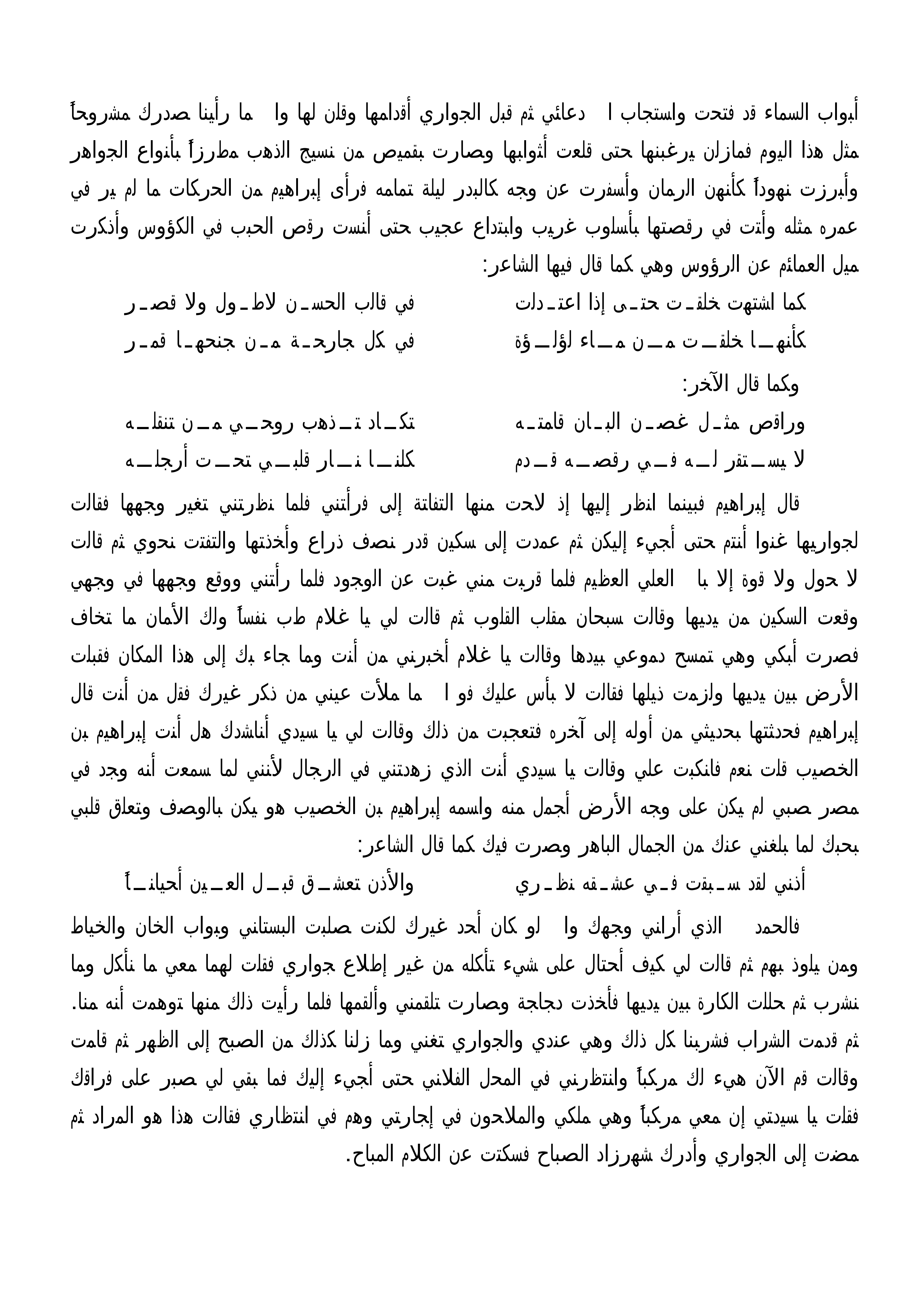
فوضعه بين يدي الغلام وقال له كل حتى تشبع قال إبراهيم فأكلت حتى أكتفيت فلما رآني أكلت فرح وقال هكذا شأن الملوك أولاد الملوك ثم قال يا إبراهيم أي شيء معك في هذه الكارة فحللتها بين يديه فقال أحملها معك فإنها تنفعك إذا حضرت السيدة جميلة فإنها إذا جاءت لا أقدر أن أدخل لك بما تأكل ثم قام وأخذ بيدي وأتى بي إلى مكان قبال قبة جميلة فعمل عريشة بين الأشجار وقال لي أصعد هنا فإذا جاءت فإنك تنظرها وهي لا تنظرك وهذا أكثر ما عندي من الحيلة وعلى ا الاعتماد فإذا غنت فاشرب على غنائها فإذا ذهبت فارجع من حيث جئت إن شاء ا مع السلام فشكره الغلام وأراد أن يقبل يده فمنعه ثم أن الغلام وضع الكاره في العريشة التي عملها له ثم قال له البستاني يا إبراهيم تفرج في البستان وكل من أثماره فإن ميعاد حضور صاحبتك في غد فصار إبراهيم يتنزه في البستان ويأكل من أثماره وبات ليلته عنده فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صلّى إبراهيم الصبح وإذا بالبستاني جاء وهو مصفر اللون وقال له يا ولدي قم واصعد إلى العريشة فإن الجواري قد أتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخولي لما دخل على إبراهيم بن الخصيب في البستان قال له قم يا ولدي اصعد على العريشة فإن الجواري قد أتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن واحذر من أن تبصق أو تمخط أو تعطس فنهلك أنا وأنت فقام الغلام وصعد إلى العريشة وذهب الخولي وهو يقول رزقك ا السلام يا ولدي فبينما الغلام قاعد وإذا بخمس جوار أقبلن لم ير مثلهن أحد فدخلن القبة وقلعت ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد وأطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج وأقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجواري رافعات أذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة فلم ير منها ولا أثوابها شيئاً فقال في نفسه وا أنه ضاع جميع تعبي ولكن لابد من أن أصبر حتى أنظر كيف يكون الأمر فقدمت الجواري الأكل والشرب ثم أكلن وغسلن أيديهن ونصبن لها كرسياً فجلست عليه ثم ضربن بآلات الملاهي جميعهن وغنين بأصوات مطربة لا مثيل لها ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجواري وإذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهي تضحك فرآها إبراهيم وعليها الحلي والحلل وعلى رأسها تاج مرصع بالدر والجوهر وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قبضان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ فقام الجواري وقبلن الأرض بين يديها وهي تضحك قال إبراهيم بن الخصيب فلما رأيتها غبت عن وجودي وأندهش عقلي وتحير فكري بما به من جمال لم يكن على وجه الأرض مثله ووقعت مغشياً علي ثم أفقت باكي العينين وأنشدت هذين البيتين:

أراك فـ ـلا أرد الطـ ـرف كـ ـيلا	يكـ ـون حجـ ـاب رؤيتـ ـك الجفـ ـون
ولـ ـو أنـ ـي نظـ ـرت بكـ ـل لحـ ـظ	لمـ ـا اسـ ـتوفت محاسـ ـنك العيـ ـون

فقالت العجوز للجواري ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين فلما رآهن إبراهيم قال في نفسه اشتهي أن ترقص السيدة جميلة فلما انتهى رقص العشر جواري أقبلن حولها وقلن يا سيدتنا نشتهي أن ترقصي في هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك لأننا ما رأينا أطيب من هذا اليوم فقال إبراهيم بن الخصيب في نفسه لاشك أن



أبواب السماء قد فتحت واستجاب ا دعائي ثم قبل الجواري أقدامها وقلن لها وا ما رأينا صدرك مشروحاً مثل هذا اليوم فمازلن يرغبنها حتى قلعت أثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرزاً بأنواع الجواهر وأبرزت نهوداً كأنهن الرمان وأسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه فرأى إبراهيم من الحركات ما لم ير في عمره مثله وأتت في رقصتها بأسلوب غريب وابتداع عجيب حتى أنست رقص الحبب في الكؤوس وأذكرت ميل العمائم عن الرؤوس وهي كما قال فيها الشاعر:

كما اشتهت خلقـت حتـى إذا اعتـدلت   في قالب الحسـن لاطـول ولا قصـر
كأنهـا خلقـت مـن مـاء لؤلـؤة   في كل جارحـة مـن جنحهـا قمـر

وكما قال الآخر:

وراقص مثـل غصـن البـان قامتـه   تكـاد تـذهب روحـي مـن تنقلـه
لا يسـتقر لـه فـي رقصـه قـدم   كأنـا نـار قلبـي تحـت أرجلـه

قال إبراهيم فبينما انظر إليها إذ لاحت منها التفاتة إلى فرأتني فلما نظرتني تغير وجهها فقالت لجواريها غنوا أنتم حتى أجيء إليكن ثم عمدت إلى سكين قدر نصف ذراع وأخذتها والتفتت نحوي ثم قالت لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فلما قربت مني غبت عن الوجود فلما رأتني ووقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يديها وقالت سبحان مقلب القلوب ثم قالت لي يا غلام طب نفساً ولك الأمان ما تخاف فصرت أبكي وهي تمسح دموعي بيدها وقالت يا غلام أخبرني من أنت وما جاء بك إلى هذا المكان فقبلت الأرض بين يديها ولزمت ذيلها فقالت لا بأس عليك فو ا ما ملأت عيني من ذكر غيرك فقل من أنت قال إبراهيم فحدثتها بحديثي من أوله إلى آخره فتعجبت من ذلك وقالت لي يا سيدي أناشدك هل أنت إبراهيم بن الخصيب قلت نعم فانكبت علي وقالت يا سيدي أنت الذي زهدتني في الرجال لأنني لما سمعت أنه وجد في مصر صبي لم يكن على وجه الأرض أجمل منه واسمه إبراهيم بن الخصيب هو يكن بالوصف وتعلق قلبي بحبك لما بلغني عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر:

أذني لقد سـبقت فـي عشـقه نظـري   والأذن تعشـق قبـل العـين أحيانـاً

فالحمد الذي أراني وجهك وا لو كان أحد غيرك لكنت صلبت البستاني وبواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم ثم قالت لي كيف أحتال على شيء تأكله من غير إطلاع جواري فقلت لهما معي ما نأكل وما نشرب ثم حللت الكارة بين يديها فأخذت دجاجة وصارت تلقمني وألقمها فلما رأيت ذلك منها توهمت أنه منا. ثم قدمت الشراب فشربنا كل ذلك وهي عندي والجواري تغني وما زلنا كذلك من الصبح إلى الظهر ثم قامت وقالت قم الآن هيء لك مركباً وانتظرني في المحل الفلاني حتى أجيء إليك فما بقي لي صبر على فراقك فقلت يا سيدتي إن معي مركباً وهي ملكي والملاحون في إجارتي وهم في انتظاري فقالت هذا هو المراد ثم مضت إلى الجواري وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة جميلة لما مضت إلى الجواري قالت لهن قمن بنا لنروح إلى قصرنا فقلن لها كيف نقوم في هذه الساعة وعادتنا أننا بقعد ثلاثة أيام فقالت أني أجد في نفسي ثقلاً عظيماً كأني مريضة وأخاف أن يثقل على ذلك فقلن لها سمعاً وطاعة فلبسن ثيابهن ثم توجهن إلى الشاطيء ونزلن في الزروق وإذا بالبستاني قد أقبل على إبراهيم وما عنده علم بالذي جرى له فقال له يا إبراهيم مالك حظ في التلاذذ برؤيتها فإن من عادتها إن تقيم هنا ثلاثة أيام وأنا أخاف أن تكون رأتك فقال إبراهيم ما رأتني ولا رأيتها ولا خرجت من القبه قال صدقت يا ولدي فإنها لو رأتك لكنا هلكنا ولكن أقعد عندي حتى تأتي في الأسبوع الثاني وتراها وتشبع من النظر إليها فقال إبراهيم أن معي مالاً وأخاف عليه وورائي رجال فأخاف أن يستغيبوني فقال يا ولدي أنه يعز علي فراقك ثم عانقه وودعه ثم أن إبراهيم توجه إلى الخان الذي كان نازلاً فيه وقابل نواب الخان وأخذ ماله فقال بواب الخان خير خير إن شاء ا فقال له إبراهيم أني ما وجدت إلى حاجتي سبيلاً وأريد أن أرجع إلى أهلي فبكى بواب الخان وودعه وحل أمتعته وأوصله إلى المركب وبعد ذلك توجه إلى المحل الذي قالت له عليه وانتظرها فيه فلما جن الليل إذا بها قد قبلت عليه وهي في زي رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وفي إحدى يديها قوس ونشاب وفي الأخرى سيف مجرد وقالت له هل أنت ابن الخصيب صاحب مصر فقال لها إبراهيم هو أنا فقالت له وأي علق أنت حتى جئت تفسد بنات الملوك قم كلم السلطان قال إبراهيم فوقعت مغشياً علي وأما الملاحون فإنهم ما توافى جلادهم من الخوف فلما رأت ما حل بي خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلت المنطقة فرأيتها هي السيدة جميلة فقلت لها وا أنك قطعت قلبي ثم قلت للملاحين أسرعوا في سير المركب فحلوا الشراع وأسرعوا في السير فما كان إلا أيام قلائل حتى وصلنا إلى بغداد وإذا بمركب واقفة على جانب الشط فلما رآنا الملاحون الذين معنا وصاروا يقولون يا فلان ويا فلان نهيكم بالسلامة دفعوا مراكبهم على مراكبنا فنظرنا فإذا فيها أبو القاسم الصيدلاني فلما رآنا قال إن هذا هو مطلوبي أمضوا في وداعة ا وأنا أريد التوجه إلى غرض وكان بين يديه شمعة ثم قال لي الحمد على السلامة هل قضيت حاجتك قلت نعم فقرب الشمعة منا فلما رأته جميلة تغير حالها وأصفر لونها ولما رآها الصندلاني قال اذهبوا في أمان ا أنا رائح إلى البصرة في مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر ثم أحضر عليه من الحلويات ورماها في مركبنا وكان فيها البنج فقال إبراهيم يا قرة عيني كلي من هذا فبكت وقالت يا إبراهيم أتدري من هذا قلت نعم هذا فلان قالت إنه ابن عمي وكان سابقاً خطبني من والدي فما رضيت به وهو متوجه إلى البصرة فربما يعرف أبي بنا فقلت يا سيدتي هو لا يصل إلى البصرة حتى نصل نحن إلى مصر ولم يعلما بما هو مخبوء لهما في الغيب فأكلت شيئاً من الحلاوة فما نزلت جوفي حتى ضربت الأرض برأسي فلما كان وقت السحر عطشت فخرج البنج من منخري وفتحت عيني فرأيت نفسي عرياناً مرمياً في الخراب فلطمت على وجهي وقلت في نفسي أن هذه حيلة عملها في الصيدلاني فسرت لا أدري أين أذهب وما علي سوى سروال فقمت وتمشيت قليلاً وإذا بالوالي أقبل علي ومعه جماعة بسيوف ومطارق فخفت فرأيت حماماً خرباً فتواريت فيه فعثرت رجلي في شيء فوضعت يدي عليه فتلوثت بالدم فمسحتها في سروالي ولم أعلم ما هو ثم مددت يدي إليه ثانياً فجاءت على قتيل وطلعت

رأسه في يدي فرميتها وقلت لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام وإذا بالوالي واقف على باب الحمام وقال أدخلوا هذا المكان وفتشوا فدخل منهم عشرة بالمشاعل فمن خوفي دخلت وراء حائط فتأملت تلك المقتول فرأيتها صبية ووجهها كالبدر ورأسها في ناحية وجثتها في ناحية وعليها ثياب ثمينة فلما رأتها وقعت الرجفة في قلبي ودخل الوالي وقال فتشوا جهات الحمام فدخلوا الموضع الذي أنا فيه فنظرني رجل منهم فجاءني وبيده سكين طولها نصف ذراع فلما قرب مني قال سبحان ا خالق هذا الوجه الحسن يا غلام من أين أنت ثم أخذ بيدي وقال يا غلام لأي شيء قتلت هذه المقتولة فقلت وا ما قتلتها وما أعرف من قتلها وما دخلت هذا المكان إلا فزعاً منكم وأخبرته بقصتي وقلت له با عليك لا تظلمني فإني مشغول بنفسي فأخذني وقدمني إلى الوالي فلما رأى على يدي أثر الدم قال هذا لا يحتاج إلى بينة فاضربوا عنقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الخصيب قال فلما قدموني إلى الوالي ورأى على يدي أثر الدم قال هذا لا يحتاج إلى بينة فاضربوا عنقه فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديداً وجرت مني دموع العين وأنشدت هذين البيتين:

مشــيناها خطــا كتبــت علينــا	ومــن كتبــت عليــه خطــا مشــاها
ومــن كانــت ميتــة بــأرض	فلــيس يمــوت فــي أرض ســواها

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشياً علي فرق لي قلب الجلاد وقال وا هذا وجه من لا يقتل فقال الوالي اضربوا عنقه فأجلسوني في نطع الدم وشدوا على عيني غطاء وأخذ السياف سيفه واستأذن الوالي وأراد أن يضرب عنقي فصحت وارقبتاه وإذا بخيل قد أقبلت وقائل يقول دعوه امنع يدك يا سياف وكان لذلك سبب عجيب وأمر غريب وهو أن الخصيب صاحب مصر كان قد أرسل حاجبه إلى الخليفة هارون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه أن ولذي قد فقد من منذ سنة وقد سمعت أنه ببغداد والمقصود من أنعام خليفة ا أن يفحص عن خبره ويجتهد في طلبه ويرسل إلى مع الحاجب فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر الوالي أن يبحث عن حقيقة خبره فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنه حتى قيل له أنه بالبصرة فأخبر الخليفة بذلك فكتب الخليفة كتاباً وأعطاه للحاجب المصري وأمره أن يسافر إلى البصرة ويأخذ معه جماعة من اتباع الوزير فمن حرص الحاجب علي بن سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي فلما رأى الوالي الحاجب وعرفه ترجل إليه فقال له الحاجب ما هذا الغلام وما شأنه فأخبره بالخبر فقال الحاجب والحال أنه لم يعرف أنه ابن السلطان أن وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل وأمره بحل وثاقه فحله فقال قدمه إلي فقدمه إليه وكان ذهب جماله من شدة الأهوال فقال له الحاجب أخبرني بقضيتك يا غلام وما شأن هذه المقتولة معك فلما نظر إبراهيم إلى الحاجب عرفه فقال له ويلك أما تعرفني أما أنا إبراهيم ابن سيدك فلعلك جئت في طلبي فأمعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة فلما عرفه انكب على أقدامه فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب أصفر لونه فقال له الحاجب ويلك يا جبار هل كان مرادك أن تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر فقبل الوالي ذيب الحاجب وقال له يا مولاي من أين أعرفه وإنما رأيناه على هذه الصفة ورأينا الصبية

مقتلوة بجانبه فقال ويلك أنك لا تصلح للولاية هذا غلام له من العمر خمسة عشر عاماً وما قتل عصفوراً فكيف يقتل قتيلاً هلا أمهلته وسألته عن حاله ثم قال الحاجب والوالي فتشوا على قاتل الصبية فدخلوا الحمام ثانياً فرأوا قاتلها فأخذوه وأتوا به إلى الوالي فأرسلوا إلى دار الخلافة وأعلم الخليفة بما جرى فأمر الرشيد بقتل قاتل الصبية ثم أمر بإحضار ابن الخصيب فلما تمثل بين يديه تبسم الرشيد في وجهه وقال له أخبرني بقضيتك وما جرى لك فحدثه بحديثه من أوله إلى آخره فعظم ذلك عنده فنادى مسرور السياف وقال إذهب في هذه الساعة واهجم على دار أبي القاسم الصندلاني وأئتني به وبالصبية فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية في وثاق من شعرها وهي في حالة التلف فحلّها مسرور وأتى بها وبالصندلاني فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت إلى الصندلاني وقال خذوه واقطعوا يديه اللتين ضرب بهما هذه الصبية واصلبوه وسلموا أمواله وأملاكه إلى إبراهيم ففعلوا ذلاك فبينما هم كذلك وإذا بأبي الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد أقبل عليهم يستغيث بالخليفة من إبراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكوا إليه أنه أخذ ابنته فقال له الرشيد أنه كان سبباً في خلاصها من العذاب والقتل وأمر بإحضار ابن الخصيب فلما حضر قال لأبي الليث ألا ترضى أن يكون هذا الغلام ابن سلطان مصر بعلاً لابنتك فقال سمعاً وطاعة ولك يا أمير المؤمنين فدعا الخليفة بالقاضي والشهود وزوج الصبية بإبراهيم ابن الخصيب ووهب له جميع أموال الصندلاني وجهزه إلى بلاده وعاش معها في أتم سرور وفي حبور إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت.

(حكاية أبي الحسن الخرساني الصيرفي مع شجرة الدر)

(ومما يحكى أيضاً) أيها الملك السعيد أن المعتضد با كان عالي الهمة شريف النفس وكان له ببغداد ستمائة وزير ما كان يخفى عليه من أمور الناس شيء فخرج يوماً هو وابن حمدون يتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتحدد من أخبار الناس فحمى عليهما الحر والهجير وقد انتهيا إلى زقاق لطيف في شارع فدخلا ذلك الزقاق فرأيا في صدر الزقاق دار حسنة شامخة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء فقد أعلى الباب يستريحان فخرج من تلك الدار خادمان وجه كل منهما كالقمر ليلة أربعة عشر فقال إحداهما لصاحبه لو استأذن اليوم ضيف لأن سيدي لا يأكل إلا مع الضيفان وقد صرنا إلى هذا الوقت ولم أر أحداً فتعجب الخليفة من كلامهما وقال إن هذا دليل على كرم صاحب الدار ولا بد أن ندخل داره وننظر مروءته ويكون ذلك سبباً في نعمة تصل إليه منا ثم قال للخادم استأذن سيدك في قدوم جماعة أغراب وكان الخليفة في ذلك الزمان إذا أراد الفرجة على الرعية تنكر في زي التجار فدخل الخادم على سيده وأخبره ففرح وقام وخرج إليهما بنفسه وإذا به جميل الوجه حسن الصورة وعليه قميص نيسابوري ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفي يده خاتم من الياقوت فلما رآها قال أهلاً وسهلاً بالسادة المنعمين علينا غاية الإنعام بقدومهم فلما دخلا تلك الدار رأياها تنسيء الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجنان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما دخل الدار هو ومن معه وأباها تنسى الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجان ومن داخلها بستان فيه من سائر الأشجار وهي تدهش الأبصار وأما كنها مفروشة بنفائس الفرش فجلسوا وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش فقال ابن حمدون فنظرت إلى الخليفة فرأيت وجهه قد تغير وكنت أعرف من وجهه حال الرضا والغضب فلما رأيت قلت في نفسي يا ترى ما باله حتى غضب ثم جاءوا بطشت من الذهب فغسلنا أيدينا ثم جاءوا بسفرة من الحرير وعليها مائدة من الخيزران فلما انكشفت الأغطية عن الأواني رأينا طعاماً كزعر الربيع في عز الأوان صنوان وغير صنوان ثم قال صاحب الدار بسم ا يا سادتنا و أن الجوع قد أضناني فانعموا علي بالأكل من هذا الطعام كما هو أخلاق الكرام وصاحب الدار يفسح الدجاج ويضعه بين أيدينا ويضحك وينشد الأشعار ويورد الأخبار ويتكلم بلطيف ما يليق بالمجالس قال ابن حمدون فأكلنا وشربنا ثم نقلنا إلى مجلس آخر يدهش الناظرين تفوح منه الروائح الزكية ثم قدم لنا سفرة فاكهة جنية وحلويات شهية فزادت أفراحنا وزالت أتراحنا قال ابن حمدون ومع ذلك لم يزل الخليفة في عبوس ولم يتبسم لما فيه فرح النفوس مع أن عادته أنه يحب اللهو والطرب ودفع الهموم وأنا أعرف أنه غير حسود ولا ظلوم فقلت في نفسي يا ترى ما سبب عبوسه وعدم زوال بؤسه ثم جاءوا بطبق الشراب ومجمع شمل الأحباب وأحضروا الشراب المروق وبواطي الذهب والبلور والفضة وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران وإذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلاث جوار نهدا بكار وجوهن كالشمس في رابعة النهار وتلك الجواري ما بين عوادة وجنكية ورقاصة ثم قدم لنا النقل والفواكه قال ابن حمدون فضرب بيننا وبين الثلاث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الأبريسم وحلقانها من الذهب فلما يلتفت الخليفة إلى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده فقال الخليفة لصاحب الدار أشريف أنت قال لا يا سيدي أنما أنا رجل من أولاد التجار أعرف بين الناس بأبي الحسن علي ابن أحمد الخراساني فقال له الخليفة أتعرفني يا رجل قال له وا يا سيدي ليس لي معرفة بأحد من جنابكم الكريم فقال له ابن حمدون يارجل هذا أمير المؤمنين المعتضد با حفيد المتوكل على ا فقام الرجل وقبل الأرض بين يدي الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال يا أمير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين إن كنت رأيت مني تقصيراً أو قلة أدب بحضرتك أن تعفوا عني فقال الخليفة أما ما صنعته معنا من الإكرام فلا مزيد عليه وأما ما أنكرته عليك هنا فإن صدقتني حديثه واستقر ذلك بعقلي بحوث مني وإن لم تعرفني حقيقته أخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذاباً لم أعذب أحداً مثله قال معاذ اللبه أن أحدث بالمحال وما الذي أنكرته علي يا أمير المؤمنين فقال الخليفة أنا من حين دخلت الدار وأنا أنظر إلى حسبها وأوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك ولماذا عليها اسم جدي المتوكل على ا قال نعم أعلم يا أمير المؤمنين أيدك ا الحق شعارك والصدق وداؤك ولا قدرة لأحد على أن يتكلم بغير الصدق في حضرتك فأمره بالجلوس فجلس فقال له حدثني فقال اعلم يا أمير المؤمنين أيدك ا بنصره وحفك بلطائف أمره أنه لم يكن ببغداد أحداً يسر مني ولا من أبي ولكن أخل لي ذهنك وسمعك وبصرك حتى أحدثك بسبب ما أنكرته علي فقال له الخليفة قل حديثك فقال أعلم يا أمير المؤمنين أنه كان أبي بسوق الصيارف والعطارين والبزازين وكان له في كل سوق حانوت ووكيل وبضائع

من سائر الأصناف وكان له حجرة من داخل الدكان التي بسوق الصيارف لأجل الخلوة فيها وجعل الدكان لأجل البيع والشراء وكان ماله يكثر عن العدو يزيد عن الحد ولم يكن له ولد غيري وكان محباً لي وشفيقاً علي فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بوالدتي وبتقوى ا تعالى ثم مات رحمه ا تعالى وأبقى أمير المؤمنين فاشتغلت باللذات وأكلمت وشربت ثم أتخذت الأصحاب والأصدقاء وكانت أمي تنهاني عن ذلك وتلومني عليه فلم أسمع منها كلاماً حتى ذهب المال جميعه وبعت العقار ولم يبق لي شيء غير الدار التي أنا فيها وكانت دار حسنة يا أمير المؤمنين فقلت لا أمي أريد أن أبيع الدار فقالت يا ولدي أن بعتها تفتضح ولا تعرف لك مكاناً تأوى إليه فقلت هي تساوي خمسة آلاف دينار فاشتري من جملة ثمنها داراً بألف دينار ثم أتجر بالباقي فقالت أتبعيني هذه الدار بهذا المقدار قلت نعم فجاءت إلى طابق وفتحته وأخرجت منه أناء من الصيني فيه خمسة آلاف دينار فتخيل إلي أن الدار كلها ذهب فقالت لي يا ولدي لا تظن أن هذا المال مال أبيك وا يا ولدي أنه من مال أبي وكنت أدخرته لوقت الحاجة إليه نأتي كنت في زمن أبيك غنية عن الاحتياج إلى هذا المال فاتخذت المال منها يا أمير المؤمنين وعدت لما كنت عليه من المأكل والمشرب والصحبة حتى نفذت الخمسة آلاف دينار ولم أقبل من أمي كلاماً ولا نصيحة ثم قلت لها مرادي أن أبيع الدار فقالت يا ولدي قد نهيتك عن بيعها لعلمي أنك تحتاج إليها فكيف تريد بيعها ثانياً فقلت لها لا تطيلي على الكلام فلابد من بيعها فقالت بعني إياها بخمسة عشر ألف دينار بشرط أن أتولى أمورك بنفسي فبعتها لها بذلك المبلغ على أن تتولى أموري بنفسها فطلبت وكلاء أبي وأعطت كل واحد منهم ألف دينار وجعلت المال تحت يدها والأخذ والعطاء معها وأعطتني بعضا من المال لا تجر فيه وقالت لي أقعد أنت في دكان أبيك فعلت ما قالت أمي يا أمير المؤمنين وجئت إلى الحجرة التي في سوق الصيارف وجاء أصحابي وصاروا يشترون مني وأبيع لهم وطاب لي الريح وكثر مالي فلما رأتني أمي على تلك الحالة الحسنة أظهرت لي ما كان مدخراً عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب ثم عادت لي أملاكي التي كان وقع فيها التفريط وكثر مالي كما كان ومكثت على هذه الحال مدة وجاء وكلاء أبي فأعطيتهم البضائع ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان فبينما أنا قاعد فيها على عادتي يا أمير المؤمنين وإذا بجارية قد أقبلت علي لم تر العيون أجمل منها منظراً فقالت هذه حجرة أبي الحسن علي بن أحمد الخراساني قلت لها نعم قالت أين هو فقلت هو أنا ولكن أندهش عقلي من فرط جمالها يا أمير المؤمنين ثم أنها جلست وقالت لي قل لغلامك يزن لي ثلثمائة دينار فأمرته أن يزن لها ذلك المقدار فوزنه لها فأخذته وأنصرفت وأنا ذاهل العقل فقال لي غلامي أتعرفها قلت لا وا قال فلم قلت لي وزن لها فقالت وا أنيي لم أدر ما أقول مما بهرني من حسنها وجمالها فقام الغلام وتبعها من غير علمي ثم رجع وهو يبكي وبوجهه أثر ضربة فقالت له ما بالك فقال إني اتبعت الجارية لأنظر أين تذهب فلما أحست بي رجعت وضربتني هذه الضربة فكادت أن تتلف عيني ثم مكثت شهراً لم أرها ولم تأت وأنا ذاهل العقل في هواها يا أمير المؤمنين فلما كان آخر الشهر وإذا بها جاءت وسلمت على فكدت أن أطير فرحاً فسألتني عن خبري وقالت لعلك قلت في نفسك ما شأن هذه المحتالة كيف أخذت مالي وأنصرفت فقالت وا يا سيدتي أن مالي وروحي ملك لك فأسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلى والحال تلعب على وجهها وصدرها ثم قالت زن لي ثلثمائة دينار فقلت سمعاً وطاعة ثم وزنت لها الدنانير فأخذتها وانصرفت فقلت

للغلام اتبعها فتبعها ثم عاد لي وهو مبهوت ومضت مدة لم تأت فبينما أنا جالس في بعض الأيام وإذا بها قد أقبلت علي وتحدثت ساعة ثم قالت لي زن لي خمسمائة دينار فإني قد احتجت إليها فأردت أن أقول لها على أي شيء أعطيك مالي فمنعني فرط الغرام من الكلام وأنا يا أمير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفر لوني وأنسى ما أريد أن أقول وأصير كما قال الشاعر:

فمـــا هـــو إلا أن أراهـــا فجـــأة فأبهـــت حتـــى لا أكـــاد أجيـــب

ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت فقمت وتبعتها بنفسي على أن وصلت إلى سوق الجواهر فوقفت على إنسان فأخذت منه عقداً والتفتت فرأتني فقالت زن لي خمسمائة دينار فلما نظرني صاحب العقد قام إلى وعظمني فقلت له أعطها العقد وثمنه علي فقال سمعاً وطاعة فأخذت العقد وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن الخراساني قال فقلت له اعطها العقد وثمنه علي فأخذت العقد وانصرفت فتبعتها حتى جاءت إلى الدجلة ونزلت في مركب فأومأت إلى الأرض لأقبلها بين يديها فذهبت وضحكت ومكثت واقفاً أنظرها إلى أن دخلت قصر فتأملته فإذا هو قصر الخليفة المتوكل فرجعت يا أمير المؤمنين وقد حل بقلبي كل هم في الدنيا وكانت قد أخذت مني ثلاثة آلاف دينار فقلت في نفسي قد أخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها ثم رجعت إلى داري وقد حدثت أمي بجميع ما جرى لي فقالت لي يا ولدي إياك أن تتعرض لها بعد ذلك فتهلك فلما رحت إلى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخاً كبيراً فقال لي يا سيدي مالي أراك متغير الحال يظهر عليك أثر الكآبة فحدثني بخبرك فحدثته بجميع ما جرى لي معها فقال لي يا ولدي أن هذه من جواري قصر أمير المؤمنين وهي محظية الخليفة فاحتسب المال تعالى ولا تشغل نفسك بها وإذا جاءتك فاحذر أن تتعرض لها واعلمني بسرك حتى أدبر لك أمر لئلا يحصل لك تلف ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار فلما كان آخر الشهر إذا بها قد أقبلت علي ففرحت بها غاية الفرح فقالت لي ما حملك على أنك تبعتني فقلت لها حملني على ذلك فرط الواحد الذي بقلبي وبكيت بين يديها فبكت رحمة لي وقالت وا ما في قلبك شيء من الغرام إلا وفي قلبي أكثر منه ولكن كيف أعمل وا مالي من سبيل غير أني أراك في كل شهر مرة ثم دفعت إلى ورقة وقالت خذ هذه إلى فلان الفلاني فإنه وكيلي واقبض منه ما فيها فقلت ليس لي حاجة بمال ومالي وروحي فداك فقالت سوف أدبر لك أمراً يكون فيه وصولك إلي وأن كان فيه تعب لي ثم ودعتني وانصرفت فجئت إلى الشيخ العطار وأخبرته بما جرى فجاء معي إلى دار المتوكل فرأيتها هي والمكان الذي دخلت فيه الجارية فصار الشيخ العطار متحيراً في حيلة يفعلها ثم التفت فرأى خياطاً قبل الشباك المطل على الشاطيء وعنده صناع فقال بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم إليه وقل له أن يخيطه لك فإذا خاطه فادفع له عشرة دنانير فقلت له سمعاً وطاعة ثم توجهت إلى الخياط وأخذت معي شقتين من الديباج الرومي وقلت له فصل هاتين أربعة ملابس اثنين فرجية واثنين غير فرجية فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها عطيته أجرتها زيادة عن العادة بكثير ثم مد يده إلي بتلك الملابس فقلت خذها لك ولمن حضر عندك وصرت أقعد عنده وأطيل القعود معه ثم

فصلت عنده غيرها وقلت له علقة على وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه ففعل وصار كل من خرج من قصر الخليفة وأعجبه شيء من الملابس وهتبة له حتى البواب فقال الخياط به ما من الأيام أريد يا ولدي أن تصدقني حديثك لأنك فصلت عندي مائة حلة ثمينة وكل حلة تساوي جملة من المال ووهبت غالبها للناس وهذا ما هو فعل تاجر لأن التاجر يحاسب على الدرهم وما مقدر رأس مالك حتى تعطي هذه العطايا وما يكون مكسبك في كل يوم فأخبرني خبراً صحيحاً حتى أعاونك على مرادك ثم قال أناشدك ا ما أنت عاشق قلت نعم فقال لمن قلت لجارية من جواري قصر الخليفة فقال قبحهن ا كم يفتن الناس ثم قال هل تعرف اسمها قلت لا فقال صفها لي فوصفتها له فقال ويلاه هذه عوادة الخليفة المتوكل والمحظية عنده لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سبباً في اتصالك بها فبينما نحن في الحديث وإذا بالمملوك مقبل من الخليفة وهو كأنه القمر في ليلة أربعة عشر وبين يدي الثياب التي خاطه إلى الخياط وكانت من الديباج من سائر الألوان فصار ينظر إليها ويتأمل ثم أقبل علي فقمت إليه فسلمت عليه فقال من أنت فقلت رجل من التجار قال أتبيع هذه الثياب قلت نعم فأخذ منها خمسة وقال بكم الخمسة فقلت هي هدية مني إليك عقد صحبة بيني وبينك ففرح بها ثم جئت إلى بيتي وأخذت له ملبوساً مرصعاً بالجواهر واليواقيت قيمته ثلاثة آلاف دينار وتوجهت به إليه فقبل مني ثم أخذني ودخل بي حجرة في داخل القصر وقال ما اسمك بين التجار فقلت له رجل منهم فقال قد رابني أمرك فقلت لماذا قال أنك أهديت لي شيئاً كثير ملكت به قلبي وقد صح عندي أنك أبو الحسن الخراساني أكثر الصيرفي فبكيت يا أمير المؤمنين فقال لي لم تبكي فو ا أن التي تبكي من أجلها عندها من الغرام بك مما عندك من الغرام بها وأعظم وقد شاع عند جميع جواري القصر خبرها معك ثم قال لي وأي شيء تريد فقلت أريد أنك تساعدني إلى بليني فوعدني إلى غد فمضيت إلى داري فلما أصبحت وتوجهت إليه ودخلت حجرته فلما جاء قال أعلم أنها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالأمس ودخلت حجرتها حدثتها بحديثك جمعية وقد عزمت على الإجتماع بك فأقعد عندي إلى آخر النهار فقعدت عنده فلما جن الليل إذا بالمملوك أتي ومعه قميص منسوج من الذهب وحلة من حال الخليفة فألبسني إياها وبخرني فصرت أشبه الخليفة ثم أخذني إلى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لي هذه حجرة الجوار الخواص فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا في كل ليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المملوك لما قال لأبي الحسن فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا إلى أن تأتي إلى الدرب الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر فإذا وصلت إليها فمسها بيدك وأن شئت فعد الأبواب فهي كذا وكذا باباً فأدخل الباب الذي علامته كذا وكذا فتراك صاحبتك وتأخذك عندها وأما خروجك فإن ا يهون على فيك ولو أخرجك في صندوق ثم تركني ورجع وصرت أمشي وأعد الأبواب وأضع على كل باب حبة فول فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع وأقبل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني فتأملته فإذا هو الخليفة وحوله الجواري ومعهن الشمع فسمعت واحدة منهن تقول لصاحبتها يا أختي هل نحن

لنا خليفتان على أن الخليفة قد جاز حجرتي وشممت رائحة العطر والطيب ووضع حبة الفول على حجرتي كعادته وفي هذه الساعة أرى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل فقالت إن هذا أمر عجيب لأن التزيي بزي الخليفة لا يجسر عليه أحد ثم قرب الضوء مني فارتعدت أعضائي وإذا بخادم يصيح على الجواري ويقول ههنا فانعطفوا إلى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا إلى بيت صاحبتي فسمعت خليفة يقول حجرة من هذه فقالوا هذه حجرة شجرة الدر فقال نادوها فنادوها فخرجت وقبلت أقدام الخليفة فقال لها تشربين الليلة فقالت إن لم يكن لحضرتك والنظر إلى طلعتك فلا أشرب فإنني لا أميل إلى الشراب في هذه الليلة فقال للخازن ادفع لها العقد الفلاني ثم أمر بالدخول إلى حجرتها فدخلت بين الشموع وإذا بجاريتها أمامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التي بيدها فقربت مني وقالت من هذا ثم قبضت علي وأخذتني إلى حجرة من الحجر وقالت لي من أنت فقبلت الأرض بين يديها وقلت لها أناشدك ا يا مولاتي أن تحقني دمي وترحميني وتتقربي إلى ا بإنقاذ مهجتي وبكيت فزعاً من الموت فقالت لا شك أنك لص فقلت لا وا ما أنا لص فهل ترين على أثر اللصوص فقالت أصدقني خبرك وأنا أجعلك في أمان فقلت أنا عاشق جاهل أحمق قد حملتني الصبابة وجهلي على ما ترين مني حتى وقعت في هذه الورطة فقالت قف هنا حتى أجيء إليك ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها وألبستني تلك الثياب في تلك الزواية وقالت اخرج خلفي فخرج خلفها حتى وصلت إلى حجرتها وقالت أدخل هنا فدخلت حجرتها فجاءت بي إلى سرير وعليه فرش عظيم وقالت اجلس لا بأس عليك أما أنت أبو الحسن الخرساني الصيرفي قلت بلى قالت قد حقن ا دمك إن كنت صادقاً ولم تكن لصاً وإلا فإنك تهلك لاسيما وأنت في ذي الخليفة ولباسه وبخوره وأما أن كنت أبا الحسن الخرساني الصيرفي فإنك قد آمنت ولا بأس عليك فإنك صاحب شجرة الدر التي هي أختي فإنها لا تقطع ذكرك أبداً وتخبرنا كيف أخذت منك المال ولم تتغير وكيف جئت خلفها إلى الشاطيء وأومأت لها إلى الأرض تعظيماً وفي قلبها منك النار أكثر مما في قلبك منها ولكن كيف وصلت إلى ههنا بأمرها أم بغير أمرها بل خاطرت بنفسك وما مرادك من الاجتماع بها فقلت وا يا سيدتي أني أنا الذي خاطرت بنفسي وما غرضي من الاجتماع بها إلا النظر والاستماع لحديثها فقالت أحسنت فقلت يا سيدتي ا شهيد على ما أقول أن نفسي لم تحدثني في شأنها بمعصية فقالت بهذه النية نجاك ا وقعت رحمتك في قلبي ثم قالت لجاريتها يا فلانة أمضي إلى شجرة الدر وقولي لها أن أختك تسلم عليك وتدعوك فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتك فإن صدرها ضيق فتوجهت البهائم عادت وأخبرتها أنها تقول متعني ا بطول حياتك وجعلني فداك وا لو دعوتيني إلى غير هذا ما توقفت لكن يضرني صداع الخليفة وأنت تعلمين منزلتي عنده فقالت للجارية ارجعي إليها وقولي لها أنه لابد من حضورك لسر بينك وبينها فتوجهت إليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضيء كأنه البدر فقابلتها وأعتنقتها وقالت يا أبا الحسن اخرج إليها وقبل يديها وكنت في مخدع في داخل الحجرة فخرجت إليها يا أمير المؤمنين فلما رأتني ألقت نفسها علي وضمتني إلى صدرها وقالت لي كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره ثم قالت حدثني بما جرى اك فحدثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره فقالت يعز علي ما قاسيته من أجلي والحمد الذي جعل العاقبة إلى السلامة وتمام السلامة دخولك في منزلك ومنزل أختي ثم أخذتني إلى حجرتها وقالت لأختها أني قد عاهدتها أن لا أجتمع

معه في الحرام ولكن كما خطر بنفسه وارتكب هذا الهول لأكونن أرضاً لوطء قدميه وتراباً لنعليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأختها أن قد عاهدته أني لا أجتمع معه في الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وأرتكب هذه الأهوال لا كونن أرضاً لوطء قدميه وتراباً لنعليه فقالت لها أختها بهذه النية تجاه ا تعالى فقالت سوف ترين ما أصنع حتى أجتمع معه في الحلال فلابد أن أبذل مهجتي في التحيل على ذلك فبينما نحن في الحديث وإذا بضجة عظيمة فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كاف بها فأخذتني يا أمير المؤمنين وحطني في سرداب وطبقته علي وخرجت تقابل الخليفة فلاقته ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته ثم أمرت بإحضار الشراب وكان الخليفة يحب جارية اسمها النحة وهي أم المعتز با وكانت الجارية قد هجرته وهجرها فلعن الحسن والجمال تصالحه والمتوكل لعزة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع أن في قلبه منها لهيب النار ولكنه تشاغل عنها بنظائرها من الجواري والدخول إليهن في حجراتهن وكان يحب غناء شجرة الدر فأمرها بالغناء وأخذت العود وشدت الأوتار وغنت بهذه الأشعار:

عجبت لسـعي الـدهر بينـي وبينهـا ... فلما انقضى مـا بيننـا سـكن الـدهر
هجرتك حتى قيـل لا يعـرف الهـوى ... وزرتك حتى قيـل لـيس لـه صـبر
فيا حبهـا زدنـي جـوي كـل ليلـة ... ويـا سـلوة الأيـام موعـدك الحشـر
لهـا بشـر مثـل الحريـر ومنطـق ... رخيم الحواشـي لا هـراء ولا نـزور
وعينـــان قـــال ا كونـــا فكانتـــا ... فعولان بالألبـاب مـا تفعـل الخمـر

فلما سمعها الخليفة طرب طرباً شديداً وطربت أنا يا أمير المؤمنين في السرداب ولولا لطف ا تعالى لصحت وافتحنا ثم أنشدت هذه الأبيات:

أعانقـــه والـــنفس بعـــد مشـــوقة ... إليـــه وهـــل بعـــد العنـــاق تـــداني
وألـثم فـاه كـي تـزول حرارتـي ... فيشـتد مـا ألقـى مـن الهيمـان
كـان فـؤادي لـيس يبـريء غليلـه ... سوى أن تـرى الروحـان يمتزجـان

فطرب الخليفة وقال تمنى على يا شجرة الدر فقالت أتمنى عليك عتقى يا أمير المؤمنين لما فيه من الثواب فقال أنت حرة لوجه ا تعالى فقبلت الأرض بين يديه فقال خذي العود وقولي لنا شيئاً في شأن جاريتي التي أنا متعلق بهواها والناس تطلب رضاي وأنا أطلب رضاها فأخذت العود وأنشدت هذين البيتين:

أيا ربة الحسن التـي أذهبـت نسـكي ... على كل أحوالي فـلا بـد لـي منـك
فأمـا بـذل وهـو أليـق بـالهوى ... وأمـا بعـز وهـو أليـق بالملـك

فطرب الخليفة وقال خذي العود وغني شعراً يتضمن شرح حالي مع ثلاث جوار ملكن قيادي ومنعن رقادي وهن أنت وتلك الجارية الهاجرة وأخرى لا أسميها لها مناظرة فأخذت العود وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

ملـــك الـــثلاث الغانيـــات عنـــاني	وحللـــن مـــن قلبـــي أعـــز مكـــان
مـــالي مطـــاوع فـــي البريـــة كلهـــا	وأطـــيعن وهـــو فـــي عصـــياني
مـــا ذاك إلا أن ســـلطان الهـــوى	وبـــه غلـــبن أعـــز مـــن ســـلطاني

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به إلى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية وأخبرتها بقدوم الخليفة فاستقبلته وقبلت الأرض بين يديه ثم قبلت قدميه فصالحها وصالحته هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر شجرة الدر فإنها جاءت إلي وهي فرحانة وقالت إني صرت حرة بقدومك المبارك ولعل ا يعينني على ما أدبره حتى اجتمع بك في الحلال فقلت الحمد فبينما نحن في الحديث وإذا بخادمها قد دخل علينا فحدثناه بما جرى لنا فقال الحمد الذي جعل آخره خيراً ونسأل ا أن يتم ذلك بخروجك سالماً فبينما نحن في الحديث وإذا بالجارية أختها وقد جاءت وكان أسمها فاتر فقال يا أختي كيف نعمل حتى نخرجه من القصر سالماً فإن ا تعالى من على بالعتق وصرت حرة ببركة قدومه فقالت لها ليس لي حيلة في خروجه إلا بأن ألبسه ثياب النساء ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فألبستنيها ثم خرجت يا أمير المؤمنين في ذلك الوقت فلما جئت إلى وسط القصر إذا بأمير المؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر إلي وأنكرني غاية الإنكار وقال لحاشيته أسرعوا وأئتوني بهذه الجارية فلما أتوا بي رفعوا نقابي فلما رآني عرفني وسألني فأخبرته بالخبر ولم أخف عليه شيئاً فلما سمع حديثي تفكر في أمري ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال كيف تختارين على بعض أولاد التجار فقبلت الأرض بين يديه وحدثته بحديثها من أوله إلى آخره على وجه الصدق فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها في العشق وأحواله ثم انصرف ودخل عليها خادمها وقال طيبي نفساً أن صاحبك لما حضر بين يدي الخليفة سأله فأخبره كما أخبرتيه حرفاً بحرف ثم رجع الخليفة وأحضرني بين يديه وقال ما حملك على التجاريء على دار الخلافة فقلت يا أمير المؤمنين حملني على ذلك جهلي والصبابة والإقبال على عفوك وكرمك ثم بكيت وقبلت الأرض بين يديه فقال عفوت عنكما ثم أمرني بالجلوس فجلست فدعا بالقاضي أحمد بن أبي دؤاد وزوجني بها وأمر بحمل جميع ما عندها إلى وزفوها في حجرتها وبعد ثلاثة أيام خرجت ونقلت جميع ذلك إلى بيتي فجميع ما تنظره يا أمير المؤمنين في بيتي وتنكره كله من جهازها ثم أنها قالت لي يوماً من الأيام أعلم أن المتوكل رجل كريم وأخاف أن يتذكرنا أو يذكرنا عنده أحد من الحساد فأريد أن أعمل شيئاً يكون فيه الخلاص من ذلك قلت وما هو قالت أريد أن أستأذنه في الحج والتوبة من الغناء فقلت لها نعم الرأي الذي أشرت إليه فبينما نحن في الحديث وإذا برسول الخليفة قد جاء في طلبها لأنه كان يحب غناءها فمضت وخدمته فقال لها لا تنقطعي عنا فقالت سمعاً وطاعة فاتفق أنها ذهبت إليه في بعض الأيام وكان قد أرسل إليها على جري العادة فلم أشعر إلا وقد جاءت من عنده ممزقة الثياب باكية العين ففزعت من ذلك وقلت أنا وإنا إليه راجعون وتوهمت أنه أمر بالقبض علينا فقلت لها هل المتوكل غضب علينا فقالت وأين المتوكل

إن المتوكل قد انقضى حكمه وأنمحى رسمه فقلت أخبريني بحقيقة الأمر فقالت له أنه كان جالساً وراء الستارة يشرب وعنده الفتح بن خاقان وصدقة بن صدقة فهجم عليه ولده المنتصر هو وجماعته من الأتراك فقتله وانقلب السرور بالشرور والحظ الجميل بالبكاء والعويل فهربت أنا والجارية وسلمنا ا ثم قمت في الحال يا أمير المؤمنين وانحدرت إلى البصرة وجاءني الخبر بعد ذلك بوقوع بين المنتصر والمستعين فخفت ونقلت زوجتي وجميع مالي إلى البصرة وهذه حكايتي يا أمير المؤمنين لا زدتها حرفاً ولا نقصتها حرفاً فجميع ما نظرته في بيتي يا أمير المؤمنين مما عليه اسم جدك المتوكل هو من نعمته علينا الآن أصل نعمتنا من أصولك الأكرمين وأنتم أهل النعم ومعدن الكرم ففرح الخليفة بذلك فرحاً شديداً وتعجب من حديثه ثم أخرجت للخليفة الجارية وأولادي منها فقبلوا الأرض بين يديه فتعجب من جمالها واستدعي بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن أملاكنا عشرين سنة ثم خرج الخليفة واتخذه نديماً إلى أن فرق الدهر بينهم وسكنوا القبور بعد القصور فسبحان الملك الغفور.

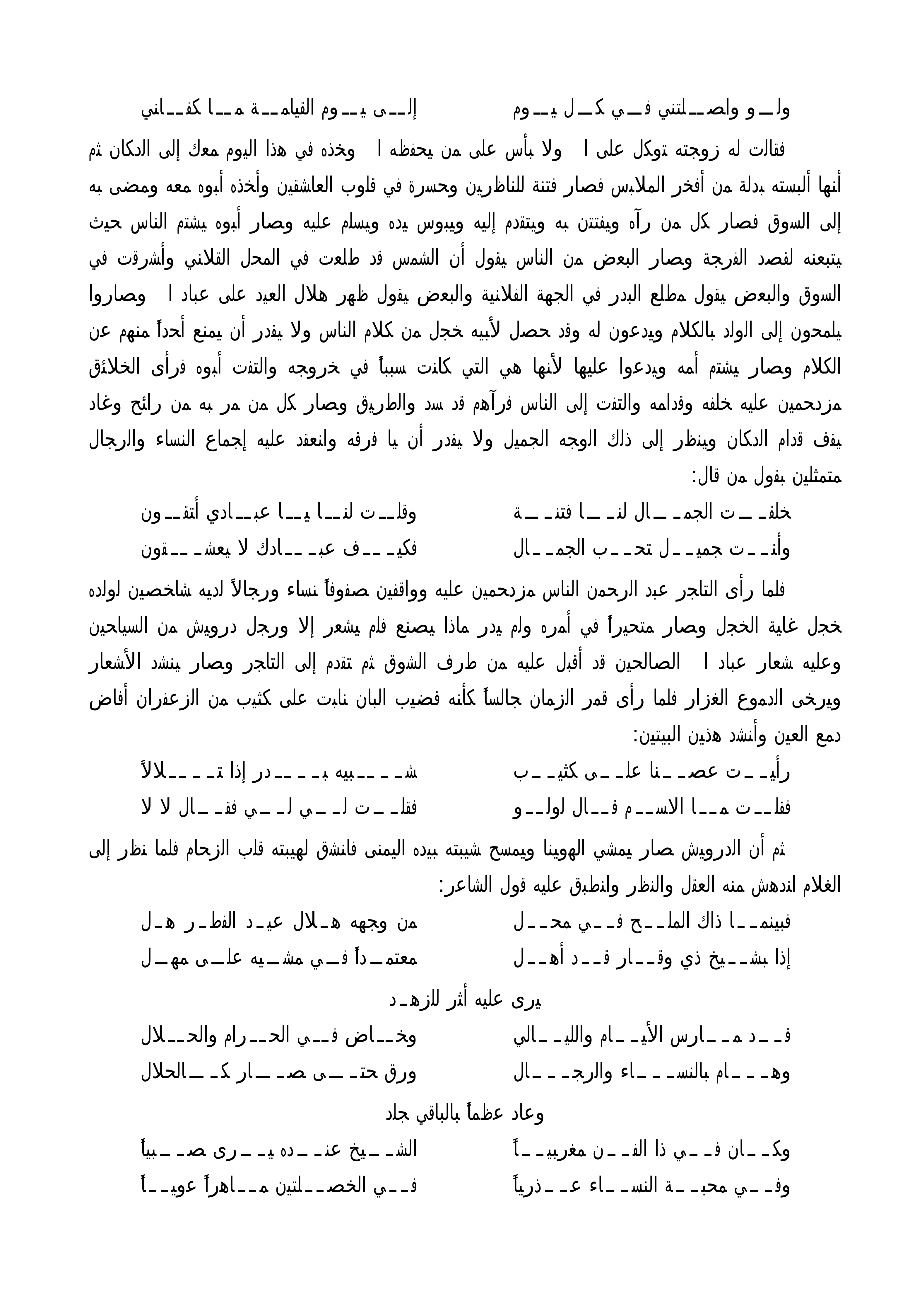
(حكاية قمر الزمان مع معشوقته)

(ومما يحكى أيضاً) أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن قد رزقه ا بنتاً وولداً فسمى البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها وسمى الولد قمر الزمان لشدة حسنه ولما نظر ما أعطاهما ا من الحسن والجمال والبهاء والاعتدال خاف عليهما من أعين الناظرين والسنة الحاسدين ومكر الماكرين وتحيل الفاسقين لحجبهما عن الناس في قصر مدة أربعة عشر سنة ولم يرهما أحد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما وكان والدهما يقرأ القرآن كما أنزله ا وكذلك أمهما تقرأ القرآن فصارت الأم تقريء بنتها والرجل يقرأ ولده حتى حفظا القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من أبيهما وأمهما ولم يحتاجا إلى معلم فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته إلى متى وأنت حاجب ولدك قمر الزمان عن أعين الناس أهو بنت أو غلام فقال لها غلام قالت حيث كان غلاماً لما لم تأخذه معك إلى السوق وتقعده في الدكان حتى يعرف الناس ويعرفوه لأجل أن يشتهر عندهم أنه ابنك وتعلمه البيع والشراء وربما يحصل اك أمر فيكون الناس قد عرفوا أنه ولدك فيضع يده على مخلفاتك وأما إذا مت على هذه الحالة وقال للناس أنا ابن التاجر عبد الرحمن فإنهم لا يصدقونه بل يقولون ما رأيناك ولا نعرف أن له ولداً وتأخذ أموالك الحكام ويصير ولدك محروماً وكذلك البنت مرادي أن أشتهرها عند الناس لعل أحداً يكون كفؤاً لها يخطبها فنزوجها له ونفرح بها فقال لها أنما فعلت ذلك مخافة عليهما من أعين الناس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها إنما فعلت ذلك مخافة عليهما من أعين الناس لأني محب لهما والمحب شديد الغيرات وقد أحسن قول من قال هذه الأبيات:

أغـار عليـك مـن نظـري ومنـي	ومنـك ومـن مكانـك والزمـان
ولـو أنـي وضـعتك فـي عيـوني	دوامـاً مـا سـئمت مـن التـداني



ولـــو واصـــلتني فـــي كـــل يـــوم إلـــى يـــوم القيامـــة مـــا كفـــاني

فقالت له زوجته توكل على الله ولا بأس على من يحفظه الله وخذه في هذا اليوم معك إلى الدكان ثم أنها ألبسته بدلة من أفخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة في قلوب العاشقين وأخذه أبوه معه ومضى به إلى السوق فصار كل من رآه يفتتن به ويتقدم إليه ويبوس يده ويسلم عليه وصار أبوه يشتم الناس حيث يتبعنه لقصد الفرجة وصار البعض من الناس يقول أن الشمس قد طلعت في المحل الفلاني وأشرقت في السوق والبعض يقول مطلع البدر في الجهة الفلانية والبعض يقول ظهر هلال العيد على عباد الله وصاروا يلمحون إلى الولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لأبيه خجل من كلام الناس ولا يقدر أن يمنع أحداً منهم عن الكلام وصار يشتم أمه ويدعوا عليها لأنها هي التي كانت سبباً في خروجه والتفت أبوه فرأى الخلائق مزدحمين عليه خلفه وقدامه والتفت إلى الناس فرآهم قد سد والطريق وصار كل من مر به من رائح وغاد يقف قدام الدكان وينظر إلى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر أن يا فرقه وانعقد عليه إجماع النساء والرجال متمثلين بقول من قال:

خلقـــت الجمـــال لنـــا فتنـــة وقلـــت لنـــا يـــا عبـــادي أتقـــون

وأنـــت جميـــل تحـــب الجمـــال فكيـــف عبـــادك لا يعشـــقون

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفاً نساء ورجالاً لديه شاخصين لولده خجل غاية الخجل وصار متحيراً في أمره ولم يدر ماذا يصنع فلم يشعر إلا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد أقبل عليه من طرف الشوق ثم تقدم إلى التاجر وصار ينشد الأشعار ويرخى الدموع الغزار فلما رأى قمر الزمان جالساً كأنه قضيب البان نابت على كثيب من الزعفران أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

رأيـــت عصـــنا علـــى كثيـــب شـــبيه بـــدر إذا تـــلالأ

فقلـــت مـــا الاســـم قـــال لولـــو فقلـــت لـــي لـــي فقـــال لا لا

ثم أن الدرويش صار يمشي الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى فانشق لهيبته قلب الزحام فلما نظر إلى الغلام اندهش منه العقل والنظر وانطبق عليه قول الشاعر:

فبينمـــا ذاك المليـــح فـــي محـــل من وجهه هـــلال عيـــد الفطـــر هـــل

إذا بشـــيخ ذي وقـــار قـــد أهـــل معتمـــداً فـــي مشـــيه علـــى مهـــل

يرى عليه أثر للزهـد

قـــد مـــارس الأيـــام والليـــالي وخـــاض فـــي الحـــرام والحـــلال

وهـــام بالنســـاء والرجـــال ورق حتـــى صـــار كـــالحلال

وعاد عظماً بالباقي جلد

وكـــان فـــي ذا الفـــن مغربيـــاً الشـــيخ عنـــده يـــرى صـــبياً

وفـــي محبـــة النســـاء عـــذرياً فـــي الخصـــلتين مـــاهراً عويـــاً

فزينب لديه مثل زيد

يهـــيم بالحســـنا ويهـــوى الحســـنا	وينـــدب الربيـــع ويبكـــي الـــدمنا
تخالـــه مـــن فـــرط شـــوق غصـــنا	مـــع الصـــبا إلـــى هنـــاك أو هنـــا

أن الجمود من طباع الصلد

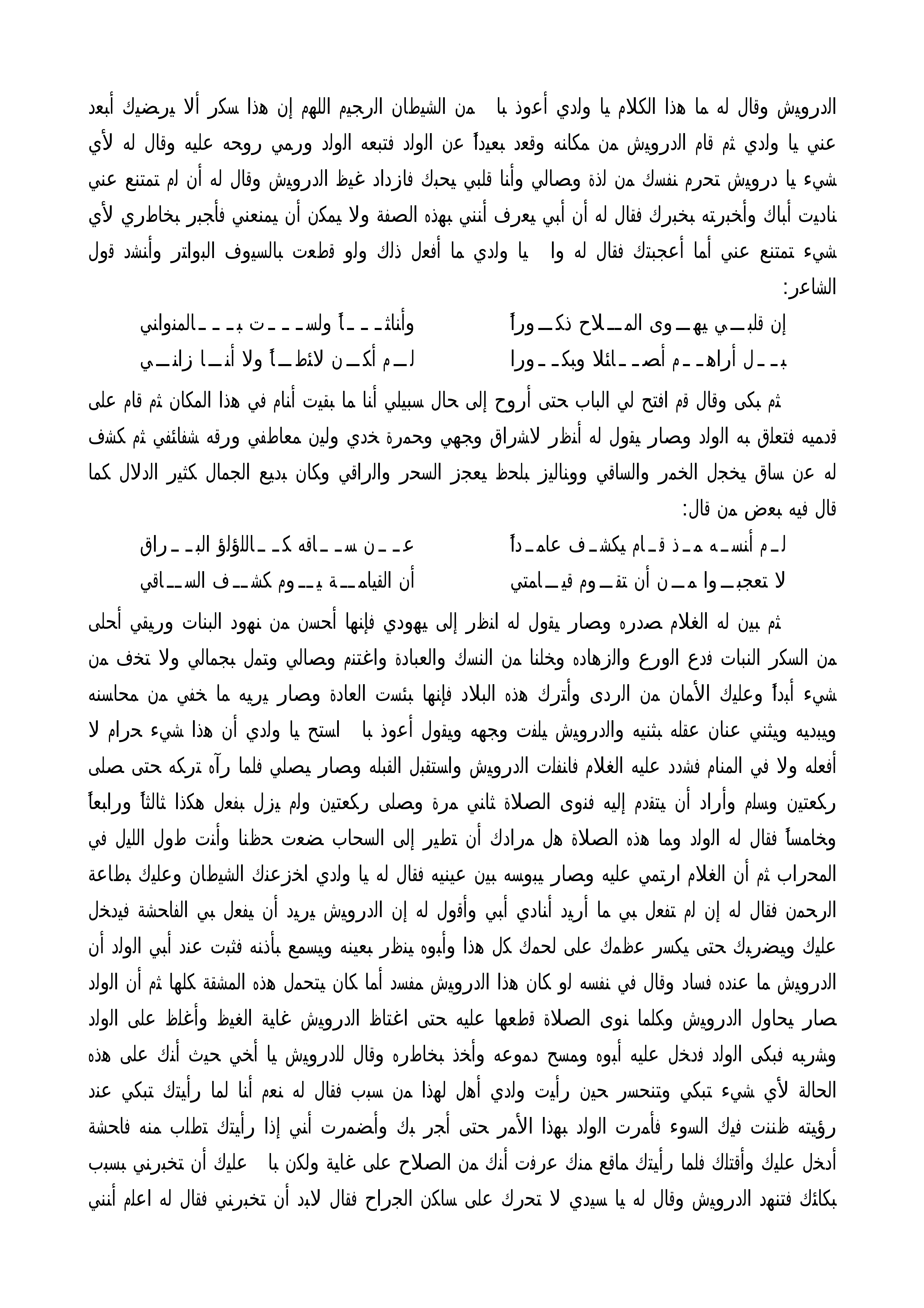
وكـــان فـــي فـــن الهـــوى خبيـــراً	مســـتيقظاً فـــي أمـــره بصـــيرا
وجـــاب منـــه الســـهل والعســـير	وعـــانق الظبيـــة والعريـــزا

وهام بالشيب معاً والمراد

ثم تقدم إلى الولد وأعطاه عرق ريحان فمد أبوه يده إلى جيبه وأخرج له ما تيسر من الدراهم وقال خذ نصيبك يا درويش واذهب إلى حال سبيلك فأخذ منه الدراهم وجلس على مصطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر إلى الولد ويبكي ويتحسر حسرات متتابعة ودموعه كالعيون النابعة فصارت الناس تنظر إليه وتعترض عليه وبعضهم يقول كل الدراويش فساق وبعضهم يقول أن الدرويش في قلبه من عشق للولد احتراق وأما أبوه فإنه لما عاين هذا الحال قام وقال قم يا ولدي حتى نقفل الدكان ونروح إلى بيتنا ولا ينبغي لنا في هذا اليوم بيع ولا شراء الله تعالى يجازي أمك بما فعلت معنا فإنها هي التي تسببت في هذا كله ثم قال يا درويش قم حتى أقفل الدكان فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه وأخذ ولده ومشي فتبعهما الدرويش والناس إلى أن وصلا إلى منزلهما فدخل الولد المنزل والتفت التاجر إلى الدرويش وقال له ما تريد يا درويش ومالي أراك تبكي فقال يا سيدي أريد أن أكون ضيفك في هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى فقال مرحباً بضيف الله أدخل يا درويش وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان أنا ضيف الله قال التاجر مرحباً بضيف الله أدخل يا درويش وقال التاجر في نفسه أن كان هذا الدرويش عاشقاً للولد وطلب منه فاحشة فلابد أن أقابله في هذه الليلة وأخفي فترة وإن كان ما عنده فساد فإن الضيف يأكل نصيبه ثم أنه أدخل الدرويش هو وقمر الزمان قاعة وقال سر القمر الزمان يا ولدي اجلس بجانب الدرويش وناغشه ولاعبه بعد أن أخرج من عندكما فإن طلب منك فساداً فإنا أكون ناظراً لكما من الطاقة المطلة على القاعة فأنزل إليه وأقتله ثم أن الولد لما اختلى به الدرويش في تلك القاعة وقعد بجانب الدرويش فصار الدرويش ينظر إليه ويتحسر ويبكي وإذا كلمه الولد يرد عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت إلى الولد ويتنهد ويبكي إلى أن أتى العشاء فصار يأكل وعينه من الولد ولا يفتر عن البكاء فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال أبو الولد يا ولدي تقيد بخدمة عمك الدرويش ولا تخالفه وأراد أن يخرج فقال له الدرويش يا سيدي خذ ولدك معك أو نم عندنا قال لا ها هو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيئاً فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك ثم خرج وخلاهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تطل على القاعة التي هما فيها هذا ما كان من أمر التاجر (وأما) ما كان من أمر الولد فإنه تقدم إلى الدرويش وصار يناغشه ويعرض نفسه عليه فاغتاظ



الدرويش وقال له ما هذا الكلام يا ولدي أعوذ با من الشيطان الرجيم اللهم إن هذا سكر ألا يرضيك أبعد عني يا ولدي ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيداً عن الولد فتبعه الولد ورمي روحه عليه وقال له لأي شيء يا درويش تحرم نفسك من لذة وصالي وأنا قلبي يحبك فازداد غيظ الدرويش وقال له أن لم تمتنع عني ناديت أباك وأخبرته بخبرك فقال له أن أبي يعرف أنني بهذه الصفة ولا يمكن أن يمنعني فأجبر بخاطري لأي شيء تمتنع عني أما أعجبتك فقال له وا يا ولدي ما أفعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر وأنشد قول الشاعر:

إن قلبـــي يهـــوى المـــلاح ذكـــوراً   وأناثـــ ـــاً ولســـ ـــت بـــ ـــالمتواني

بـــ ـــل أراهـــ ـــم أصـــ ـــائلا وبكـــ ـــورا   لـــم أكـــن لائطـــاً ولا أنـــا زانـــي

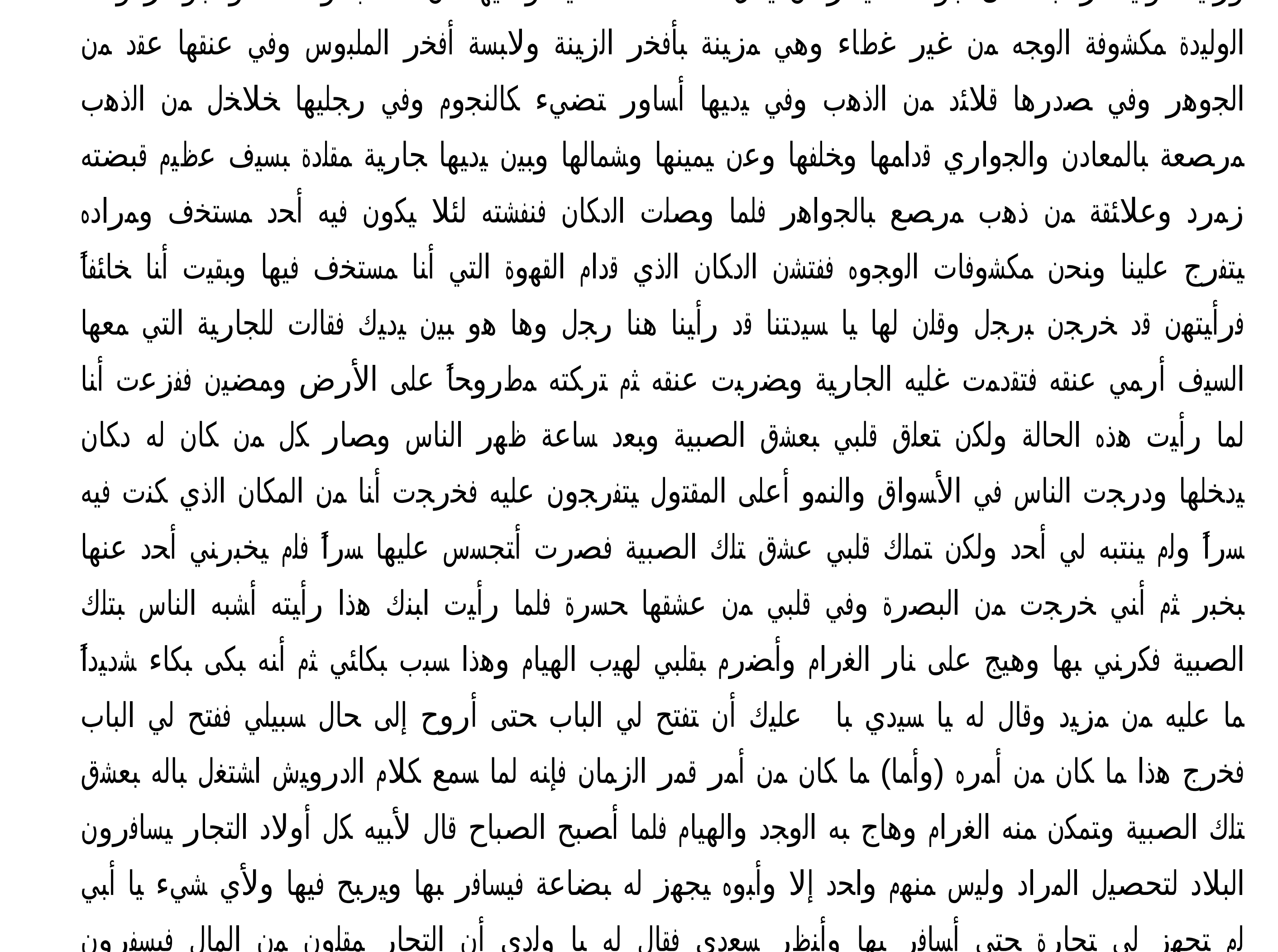
ثم بكى وقال قم افتح لي الباب حتى أروح إلى حال سبيلي أنا ما بقيت أنام في هذا المكان ثم قام على قدميه فتعلق به الولد وصار يقول له أنظر لاشراق وجهي وحمرة خدي ولين معاطفي ورقه شفائفي ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقي وونأليز بلحظ يعجز السحر والراقي وكان بديع الجمال كثير الدلال كما قال فيه بعض من قال:

لـم أنسـه مـذ قـام يكشـف عامـداً   عـن سـاقه كـاللؤلؤ البـراق

لا تعجبـــوا مـــن أن تقـــوم قيـــامتي   أن القيامـــة يـــوم كشـــف الســـاقي

ثم بين له الغلام صدره وصار يقول له انظر إلى يهودي فإنها أحسن من نهود البنات وريقي أحلى من السكر النبات فدع الورع والزهاده وخلنا من النسك والعبادة واغتنم وصالي وتمل بجمالي ولا تخف من شيء أبداً وعليك الأمان من الردى وأترك هذه البلاد فإنها بئست العادة وصار يريه ما خفي من محاسنه ويبديه ويثني عنان عقله بثنيه والدرويش يلفت وجهه ويقول أعوذ با استح يا ولدي أن هذا شيء حرام لا أفعله ولا في المنام فشدد عليه الغلام فانفلت الدرويش واستقبل القبله وصار يصلي فلما رآه تركه حتى صلى ركعتين وسلم وأراد أن يتقدم إليه فنوى الصلاة ثاني مرة وصلى ركعتين ولم يزل يفعل هكذا ثالثاً ورابعاً وخامساً فقال له الولد وما هذه الصلاة هل مرادك أن تطير إلى السحاب ضعت حظنا وأنت طول الليل في المحراب ثم أن الغلام ارتمي عليه وصار يبوسه بين عينيه فقال له يا ولدي اخزعنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن فقال له إن لم تفعل بي ما أريد أنادي أبي وأقول له إن الدرويش يريد أن يفعل بي الفاحشة فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك كل هذا وأبوه ينظر بعينه ويسمع بأذنه فثبت عند أبي الولد أن الدرويش ما عنده فساد وقال في نفسه لو كان هذا الدرويش مفسد أما كان يتحمل هذه المشقة كلها ثم أن الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوى الصلاة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ وأغلظ على الولد وشربه فبكى الولد فدخل عليه أبوه ومسح دموعه وأخذ بخاطره وقال للدرويش يا أخي حيث أنك على هذه الحالة لأي شيء تبكي وتتحسر حين رأيت ولدي أهل لهذا من سبب فقال له نعم أنا لما رأيتك تبكي عند رؤيته ظننت فيك السوء فأمرت الولد بهذا الأمر حتى أجر بك وأضمرت أني إذا رأيتك تطلب منه فاحشة أدخل عليك وأقتلك فلما رأيتك ماقع منك عرفت أنك من الصلاح على غاية ولكن با عليك أن تخبرني بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقال له يا سيدي لا تحرك على ساكن الجراح فقال لابد أن تخبرني فقال له اعلم أنني

درويش سياح في البلاد والأقطار لاعتبرنا خالق الليل والنهار فاتفق أنني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الأصناف والبضائع والمأكول والمشروب وهي خالية ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد وليس في الشوارع كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا أنس أنيس فتعجبت من ذلك وقلت يا ترى أين راح أهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم وما فعل ا بهم وكنت جائعاً فأخذت عيشاً سخناً من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبسست العيش بالسمن والعسل وأكلت وطلعت دكان شربات فشربت ما أردت ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها أحد فشربت كفايتي وقلت أن هذا لشيء عجيب أن أهل هذه المدينة أتاهم الموت فماتوا كلهم في هذه الساعة أو خافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا أن يقفلوا دكاكينهم فبينما أنا أفكر في هذا الأمر وإذا بصوت نوبة تدق فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت أنظر من خلال الخروق فرأيت جواري كأنهن الأقمار قد مشين في السوق زوجاً من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه ومن أربعين زوجاً بثمانين جارية ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدر أن ينقل أقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر وتلك



الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزينة بأفخر الزينة ولابسة أفخر الملبوس وفي عنقها عقد من الجوهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها أساور تضيء كالنجوم وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصعة بالمعادن والجواري قدامها وخلفها وعن يمينها وشمالها وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته زمرد وعلائقة من ذهب مرصع بالجواهر فلما وصلت الدكان فنفشته لئلا يكون فيه أحد مستخف ومراده يتفرج علينا ونحن مكشوفات الوجوه ففتشن الدكان الذي قدام القهوة التي أنا مستخف فيها وبقيت أنا خائفاً فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها يا سيدتنا قد رأينا هنا رجل وها هو بين يديك فقالت للجارية التي معها السيف أرمي عنقه فتقدمت غليه الجارية وضربت عنقه ثم تركته مطروحاً على الأرض ومضين ففزعت أنا لما رأيت هذه الحالة ولكن تعلق قلبي بعشق الصبية وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان له دكان يدخلها ودرجت الناس في الأسواق والنمو أعلى المقتول يتفرجون عليه فخرجت أنا من المكان الذي كنت فيه سراً ولم ينتبه لي أحد ولكن تملك قلبي عشق تلك الصبية فصرت أتجسس عليها سراً فلم يخبرني أحد عنها بخبر ثم أنني خرجت من البصرة وفي قلبي من عشقها حسرة فلما رأيت ابنك هذا رأيته أشبه الناس بتلك الصبية فكرني بها وهيج على نار الغرام وأضرم بقلبي لهيب الهيام وهذا سبب بكائي ثم أنه بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وقال له يا سيدي با عليك أن تفتح لي الباب حتى أروح إلى حال سبيلي ففتح لي الباب فخرج هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام فلما أصبح الصباح قال لأبيه كل أولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد وليس منهم واحد إلا وأبوه يجهز له بضاعة فيسافر بها ويربح فيها ولأي شيء يا أبي لم تجهز لي تجارة حتى أسافر بها وأنظر سعدي فقال له يا ولدي أن التجار مقلون من المال فيسفرون أولادهم لأجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا وأما أنا فعندي أموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف أغربك وأنا لا أقدر على فراقك ساعة خصوصاً وأنت فريد في الجمال والحسن والكمال وأخاف عليك فقال له يا أبي لا يمكن إلا أن تجهز لي متجراً لأسافر به وإلا أغافلك وأهرب ولو كان من غير مال ولا تجارة وإن أردت

تطيب خاطري فجهز لي بضاعة حتى أسافر وأتفرج على بلاد الناس فلما رآه أبوه متعلقاً بالسفر أخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها إن ولدك يريد أن أجهز له متجراً ليسافر به إلى بلاد الغربة مع أن الغربة كربة فقالت له زوجته ماذا يضرك من ذلك أن هذه عادة أولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالأسفار والمكاسب فقال لها أن غالب التجار فقراء يطلبون كثرة الأموال واما أنا فمالي كثير فقالت له زيادة لخير لا تضر وإن كنت أنت لا تسمح له بذلك فأنا أجهز له متجراً من مالي فقال التاجر أني أخاف من الغربة لأنها بئست الكربة فقالت لا بأس بالاغتراب الذي فيه الاكتساب ولا يذهب ولدنا ونطلبه فلا نراه وتفتضح بين الناس فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجر لولده بتسعين ألف دينار وأعطته أمه كيساً فيه أربعون فصاً من ثمين الجواهر أقل قيمة الواحد خمسمائة دينار وقالت يا ولدي احتفظ على الجواهر فأنها تنفعك فأخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر إلى البصرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أخذ جميع ذلك وسافر إلى البصرة وكان قد وضع الجواهر في كمر وشده على وسطه ولم يزل مسافراً حتى لم يبق بينه وبين البصرة إلا مرحلة واحدة فخرج عليه العرب وعروه وقتلوا رجاله وخدمه فرقد بين قتيلين ولطخ روحه بالدم فظن العرب أنه مقتول فتركوه ولم يتقرب منه أحد ثم أخذوا أمواله وراحوا فلما راح العرب إلى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين القتلى ومشى وهو لا يملك شيئاً غير الفصوص التي على حزامه ولم يزل سائراً حتى دخل البصرة فاتفق أن دخوله كان في يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما أخبر الدرويش فرأى الأسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهي ممتلئة بالبضائع فأكل وشرب وصار يتفرج فبينما هو كذلك إذ سمع النوبة تدق فاختفى في دكان إلى أن جاءت البنات فتفرج عليهن ولما رأى الصبية راكبة أخذه العشق والغرام وملكه الوجد والهيام حتى لا يستطيع القيام وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس وملأت الأسواق فذهب إلى السوق وتوجه إلى رجل جوهري وأخرج له حجر من الأربعين يساوي ألف دينار فباعه له ورجع إلى محله ثم بات تلك الليلة ولما أصبح الصباح غير حوائجه ودخل الحمام وطلع كأنه البدر التمام ثم باع أربع فصوص بأربعة آلاف دينار وصار يتفرج في شوارع البصرة وهو لابس أفخر الملابس حتى وصل إلى سوق فرأى فيه رجلاً مزيناً فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صاحبه ثم قال له يا ولدي أنا غريب البلاد وبالأمس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان وما فيها أحد من أنس ولا جان ثم أني رأيت بنات وبينهن صبية راكبة في موكب وأخبره بما رآه فقال له يا ولدى هل أخبرت غيري بهذا الخبر قال لا فقال له يا ولدي إياك أن تذكر هذا الكلام قدام أحد غيري فإن كل الناس لا يكتمون الكلام والأسرار وأنت ولد صغير فأخاف عليك أن ينتقل الكلام من ناس إلى ناس حتى يصل إلى أصحابه فيقتلوك واعلم يا ولدي أن هذا الذي رأيته ما أحد رآه ولا يعرفه في غير هذه المدينة وأما أهل البصرة فإنهم يموتون بهذه الحسرة وفي كل يوم جمعة عند ضحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشي في الأسواق وجميع أهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الأبواب ولا يقدر أحد منهم أن يمر في السوق ولا أن يطل من طاقة ولا يعرف أحد ما سبب هذه البلية ولكن يا ولدي في هذه الليلة أسأل زوجتي عن سببها فإنها داية تدخل بوت الأكابر وتعرف أخبار هذه المدينة فإن شاء ا تعالى



تأتي عندي في غد وأنا أخبرك بما تخبرني به فكبش كبشة وقال له يا والدي خذ هذا الذهب وأعطه لزوجتك فإنها صارت أمي وكبش كبشة ثانية وقال خذ هذا لك فقال المزين يا ولدي أجلس مكانك حتى أروح إلى زوجتي واسألها وأجيء إليك بالخبر الصحيح ثم تركه في الدكان وراح إلى زوجته وأخبرها بشأن الغلام وقال لها مرادي أن تخبرني بحقيقة أمر هذه المدينة حتى أخبر بها هذا الشاب التاجر فإنه متولع بالإطلاع على حقيقة أمرها امتناع الناس والحيوانات عن الأسواق في صحوة يوم الجمعة وأظن أنه عاشق وهو كريم سخي فإذا أخبرناه يحصل لنا منه خير كثير فقالت له رح هاته وقل له تعال كلم أمك زوجتي فإنها تقرئك السلام وتقول لك أن الحاجة مقضية فذهب إلى الدكان فرأى قمر الزمان قاعداً ينتظره فأخبره بالخبر وقال له يا ولدي اذهب بنا أمك زوجتي فإنها تقول لك أن الحاجة مقضية ثم أخذه وسار به حتى دخل على زوجته فرحبت به وأجلسته ثم أنه أخرج مائة دينار وأعطاها لها وقال لها يا أمي أخبريني عن هذه الصبية من تكون فقالت يا ولدي اعلم أن سلطان البصرة قد جاءته الجوهرة من عند ملك الهند فأراد أن يثقبها فأحضر جميع الجوهرية وقال لهم أريد منكم أن تثقبوا لي هذه الجوهرة والذي يثقبها له على ثمنية فمهما تمناه أعطيته له وأن سرها فأني أرمي رأسه فخافوا وقالوا يا ملك الزمان أن الجوهر سريع العطب وقل أ، يثقبه أحد ويسلم لأن الغالب عليه الكسر فلا تحملنا مالا نطيق فنحن لا يخرج من أيدينا أن نثقب هذه الجوهرة وأنما شيخنا أخبرنا منا فقال الملك ومن شيخكم قالوا له المعلم عبيد وهو أخبرنا منا بهذه الصناعة وعنده أموال كثيرة وله معرفة جيدة فأرسل إليه وأحضره بين يديك وأمره أن يثقب لك هذه الجوهرة فأرسل إليه وأ/ره بثقبها وشرط عليه شرط المذكور فأخذها وثقبها على مراج الملك فقال ثمن علي يا معلم فقال يا ملك الزمان أمهلني إلى غد والسبب في ذلك أنشه أراد أن يشاور زوجته وكانت زوجته تلك الصبية التي رأيتها في الموكب وكان يحبها محبة شديدة ومن عظم محبه لها أنه كان لا يفعل شيئاً إلا إذا شاورها فيه ولأجل ذلك أمهل الثمنية حتى يشاورها فلما أتى إليها قال لها أنا ثقبت للملك جوهر وأعطاني ثمنية وقد أمهلته حتى أشاورك فأي شيء تريدين حتى أتمنا قالت نحن عندنا أموال لا تأكلها النيران ولكن إن كنت تحبني فتمن على الملك أنه ينادي في شوارع البصرة أن أهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبق في البلد كبير ولا شغير إلا ويكون في المسجد أو في البيت وتقفل عليهم أبواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة وأركب بجواري وأشق في المدينة ولا ينظرني أحد من طاقة ولا من شاك وكل من عثرت به قتلته فراح إلى الملك وتمنى عليه هذه الأمنية فأعطاه ما تمناه ونادى بين أهل البصرة بما تمناه قالوا أننا نخاف على البضائع من القطط والكلاب فأمر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتى تخرج البلس من صلاة الجمعة وصاوت تلك الجارية تخرج كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتركب بجواريها في شوارع البصرة ولا يقدر أحد أن يمر في السوق ولا أن يطل من طاقة ولا من شباك فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية ولكن يا ولدي هل مرادك معرفة خبرها أو مرادك الاجتماع بها فقال يا أمي مرادي الاجتماع بها فقالت اخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة فقال يا أمي عندي من ثمين المعادن أربعة أصناف صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار وصنف عن كل واحد منه ثمانمائة دينار وصنف كل واحد منه ألف دينار قالت له تسمح نفسك بأربعة منهم قال نفمي تسمح بالجميع قالت قم يا ولدي من غير مطرود واخرج

منها فصاً يكون ثمنه خمسمائة دينار وأسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب إليه تراه جالساً في دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصناع فسلم عليه وأجلس على الدكان واخرج الفص وقل له يا معلم خذ هذا الحجر واصنع لي خاتماً بالذهب ولا تجعله كبيراً بل اجعله على قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعاً جيداً ثم اعطه عشرين ديناراً واعط الصنّاع كل واحد ديناراً وأقعد عنده حصة وتحدث معه وإذا أتاك سائل فاعطه ديناراً واظهر الكرم حتى يتولع بمحبتك ثم قم من عنده ورح إلى منزلك وبت هناك فإذا أصبحت فهات معك مائة دينار واعطها لأبيك فإنه فقير قال وهو كذلك ثم خرج من عندها وذهب إلى الوكالة وأخذ فصاً ثمنه خمسمائة دينار وعمد به إلى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلوه على دكانه فلما وصل إلى الدكان رأى شيخ الجوهرية رجلاً مهاباً وعليه ثياب فاخرة وتحت يده أربع صناع فقال لهم السلام عليكم فرد عليه السلام ورحب به وأجلسه فلما جلس أخرج له الفص وقال له يا معلم أريد منك أن تصوغ لي هذا الحجر خاتماً بالذهب ولكن أجعله على قدر مثقال من غير زيادة وصغه صياغة طيبة ثم أخرج له عشرين ديناراً وقال له خذ هذه في نظير نقشة الأجرة باقية ثم أعطى كل صانع ديناراً فأحبه الصناع وأحبه المعلم عبيد وقعد يتحدث معه وصار كل من أتاه من السائلين يعطيه دينار فتعجبوا من كريمه ثم أن المعلم عبيد كان عنده عدة في بيته مثل العدة التي في الدكان وكان من عادته أنه إذا أراد أن يصنع شيئاً غريباً يشتغله في بيته حتى أن الصناع لا يتعلمون منه الصنعة الغريبة وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فإذا كانت قدامه ونظر إليها يصنع كل شيء غريب صناعته بحيث لا يليق إلا بالملوك فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت فلما رأته زوجته قالت ما مرادك أن تصنع بهذا الفص قال أريد أن أصوغه خاتماً بالذهب فإن ثمنه خمسمائة دينار فقالت له لمن قال لغلام تاجر جميل الصورة له عيون تجرح وخدود تقدح وله فم كخاتم سيدنا سليمان ووجنتان كشقائق النعمان وشفائف حمر كالمرجان وله عنق مثل أعناق الغزلان وهو أبيض مشرب بحمرة ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا وصار تارة يصف لها حسنه وجماله وتارة يصف لها كرمه وكماله ومازال يذكر لها محاسنه وكرم أخلاقه حتى عشقها فيه ولم يكن أحد أعرض من الذي يصف لزوجته إنساناً بالحسن والجمال وفرط سخائه بالمال فلما أفاض بها الغرا وقالت له هل يوجد فيه شيء من محاسني فقال لها جميع محاسنك كلها فيه وهو شبيهك في الصفة وربما كان عمره قدر عمرك ولولا أنني أخاف في خاطرك لقلت أنه أحسن منك ألف مرة فسكتت ولكن التهبت نار محبته في قلبها ثم أن الصائغ لم يزل يتحدث معها في بغداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم ثم ناوله لها فلبسته فجاء على قدر أصبعها فقالت له يا سيدي أن قلبي حب هذا الخاتم واشتهى أنه يكون لي ولا أنزعه من أصبعي فقال لها اصبري فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه فإن باعني أياه جئت به إليك وإن كان عنده حجراً آخر اشتريه لك وأصوغه مثله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري قال لزوجته اصبري فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه فإن باعني إياه جئت به إليك وأن كان عنده حجر آخر اشتريه وأصوغه لك مثله هذا ما كان من أمر الجوهري وزوجته (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه بات في منزله فلما أصبح أخذ مائة دينار

وأتى إلى العجوز زوجة المزين وقال لها خذي هذه المائة دينار فقالت له أعطها لأبيك فأعطاها له ثم أنها قالت له هل فعلت كما قلت قال نعم قالت له قم وتوجه الآن إلى شيخ الجوهرية فإذا أعطاك الخاتم فضعه في رأس إصبعك وانزعه بسرعة وقل له يا معلم أخطأت إن الخاتم جاء ضيقاً فيقول لك يا تاجر هل أكسره وأصوغه واسعاً فقل له ما أحتاج إلى كسره وصياغته ثانياً ولكن خذه واعطه لجارية من جواريك وأخرج له حجراً آخر يكون ثمنه سبعمائة دينار وقل له خذ هذا الحجر صغه لي فإنه أحسن من ذلك وأعطه ثلاثين دينار وأعط لكل صانع دينارين وقل له هذه الدنانير في نظير نقشه والأجرة باقية ثم ارجع إلى منزلك وبت هناك وتعالى في الصباح ومعك مائتا دينار وأنا أكمل لك بقية الحيلة ثم أنه ذهب إلى الجوهري فرحب به وأجلسه على الدكان فلما جلس قال له هل قضيت الحاجة قال نعم وأخرج له الخاتم فأخذه وحطّه في رأس إصبعه ثم نزعه سريعاً وقال له أخطأت يا معلم ورماه له وقال له إنه ضيق على إصبعي فقال له الجوهري يا تاجر هل أوسعه قال لا ولكن خذه إحساناً وألبسه لبعض جواريك فإن ثمنه تافه لأنه خمسمائة دينار فلا يحتاج إلى صياغته ثانياً ثم أخرج له فصاً آخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له اصنع هذا ثم أعطاه ثلاثين دينار وأعطى كل صانع دينارين فقال له يا سيدي لما نصوغ الخاتم نأخذ أجرته قال هذه في نظير نقشه والأجرة باقية ثم تركه ومضى فاندهش الجوهري من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع ثم أن الجوهري ذهب إلى زوجته وقال لها يا فلانة ما رأت عيني أكرم من هذا الشاب وأنت بختك طيب لأنه أعطاني الخاتم بلا ثمن وقال لي أعطه لبعض جواريك وحكى لها القصة ثم قال لها أظن أن هذا الولد ما هو من أولاد التجار وإنما هو من أولاد الملوك والسلاطين وصار كلما مدحه تزداد فيه غراماً ووجدا وهياماً ثم لبست الخاتم والجوهري صاغ له الثاني أوسع من الأول بقليل فلما فرغ من صناعته لستة في أصبعها من داخل الخاتم الأول ثم قالت يا سيدي أنظر ما أحسن الخاتمين في أصبعي فاشتهى أن يكون الخاتمان لي فقال لها اصبري لعلي أشتري الثاني لك ثم بات فلما أصبح أخذ الخاتم وتوجه إلى الدكان هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أصبح متوجه إلى العجوز زوجة المزين وأعطاها مائتي دينار فقالت له توجه إلى الجوهري فإذا أعطاك الخاتم فضعه في إصبعك وانزعه سريعاً وقل أخطأت يا معلم أن الخاتم جاء واسعاً والمعلم الذي يكون مثلك إذا أتاه مثلي بشغل ينبغي له أن يأخذ القياس فلو كنت أخذت قياس أصبعي ما أخطأت وأخرج له حجراً آخر يكون ثمنه ثمانمائة دينار وقال له خذ هذا أصنعه واعط هذا الخاتم إلى جارية من جواريك ثم اعطه أربعين ديناراً واعط كل صانع ثلاثة دنانير وقل له هذا في نظير نقشه وأما الأجرة فإنها باقية وانظر ماذا يقول لك ثم تعالى ومعك ثلثمائة دينار وأعطها لأبيك يستعين بها على وقته فإنه رجل فقير الحال فقال سمعاً وطاعة ثم أنه توجه إلى الجوهري فرحب به وأجلسه ثم أعطاه الخاتم فوضعه في إصبعه ونزعه بسرعة وقال له ينبغي للمعلم الذي مثلك إذا أتاه مثلي بشغل أن يأخذ قياسه فلو كنت أخذت قياس إصبعي ما أخطأت ولكن خذه واعطه لبعض جواريك ثم أخرج له حجراً ثمنه ثمانمائة دينار وقال له خذ هذا واصنعه لي خاتما على قدر أصبعي فقال صدقت والحق معك فأخذ القياس وأخرج له أربعين ديناراً وقال له خذ هذه في نظير نقشه والأجرة باقية فقال له يا سيدي كم أجرة أخذناها منك فأحسانك علينا كثير فقال له لا بأس ثم أنه تحدث معه حصة وصار كلما يمر به سائل يعطيه ديناراً وبعد ذلك تركه وانصرف هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان

من أمر الجوهري فإنه توجه إلى بيته وقال لزوجته ما أكرم هذا الشاب التاجر فما رأيت أكرم منه ولا أجمل منه ولا أحلى من لسانه وصار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ في مدحه فقالت له يا عديم الذوق حيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد أعطاك خاتمين بثمنين ينبغي لك أن تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودد إليه فإذا رأي منك المودة وجاء منزلنا ربما تنال منه خيراً كثيراً وإن كنت لا تسمح له بضيافة فاعزمه وأنا أعمل له الضيافة من عندي فقال لها هل أنت تعرفين أنني بخيل حتى تقول هذا الكلام قالت له ما أنت بخيل ولكنك عديم الذوق فأعزمه في هذه الليلة ولا تجيء بدونه وإن امتنع فاحلف بالطلاق وأكد عليه فقال لها على الرأس والعين ثم أنه صاغ الخاتم ونام وأصبح في ثالث يوم متوجهاً إلى الدكان وجلس فيها هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أخذ ثلثمائة دينار وتوجه إلى العجوز وأعطاها لزوجها فقالت له ربما يعزم عليك في هذا اليوم فإذا عزم عليك وبت عنده فمهما جرى لك فأخبرني به في الصباح وهات معك أربعمائة دينار واعطها لأبيك فقال سمعاً وطاعة وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من الأحجار ثم أنه توجه إلى الجوهري فقام له وأخذه بالأحضان وسلم عليه وعقد معه صحبة ثم أنه أخرج الخاتم فرآه على قدر إصبعه فقال له بارك ا فيك يا سيد المعلمين أن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٦)

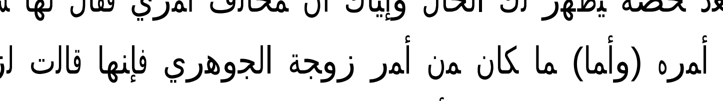
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للجوهري أن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي لأن عندي أحسن منه فخذه وأعطه لبعض جواريك وأخرج له غيره وأخرج له مائة دينار وقال له خذ أجرتك ولا تؤاخذنا فإننا أتعبناك فقال له أن الذي تعبنا فيه قد أعطيتنا إياه وتفضلت علينا بشيء كثير وأنا قلبي تعلق بحبك ولا أقدر على فراقك فبا عليك أن تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر خاطري فقال لا بأس ولكن لابد أن أتوجه إلى الخان لأجل أن أوصي أتباعي وأخبرهم بأنني غير بائت في الخان حتى لا ينتظروني فقال له أنت نازل في أي خان قال في الخان الفلاني فقال أجيء إليك هناك فقال لا بأس ثم أن الجوهري توجه إلى ذلك الخان قبل المغرب خوفاً من غضب زوجته عليه أن دخل البيت بدونه ثم أنه أخذه ودخل به في بيته وجلسا في قاعة ليس لها نظير وكانت الصبية رأته حين دخوله فأفتتنت به ثم صارا يتحدثان إلى أن جاء العشاء فأكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات ولم يزل يسامره إلى وقت العشاء فصلياً الفريضة ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب فلما شربا غلب عليهما النوم فناما ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت في وجه قمر الزمان فأندهش عقلها من جماله وقالت كيف ينام من عشق الملاح ثم قلبته على قفاه وركبت على صدره ومن شدة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بعلقة بوس حتى أثر ذلك في خده فاشتدت حمرته وزهت وجنته ونزلت على شفته بالمص ولم تزل تمص شفته حتى خرج الدم من فمها ومع ذلك لم تنطفيء نارها ولم يرواوارها ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى أشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح ثم وضعت في جيبه أربعة عواشق وتركته وراحت وبعد ذلك أرسلت جارية بشيء مثل النشوق فوضعته في مناخيرهما فعطسا وأفاقا فقالت لهما الجارية اعلموا يا أسيادي أن الصلاة وجبت فقوموا الصلاة الصبح وأتت لهما بالطشت والأبريق ثم قال قمر الزمان يا معلم

أن الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد في النوم فقال الجوهري للتاجر يا صاحبي أن نوم هذه القاعة ثقيل كلما أنام فيها يجري لي هذا الأمر فقال صدقت ثم أن قمر الزمان أخذ يتوضأ فلما وضع الماء على وجهه أحرقته خدوده وشفته فقال عجائب إذا كان هوى القاعة ثقيلاً واستغرقنا في النوم فما بال خدودي وشفتي تحرقني ثم قال يا معلم أن خدودي وشفتي تحرقني ثم فقال أظن أن هذا من أكل الناموس فقال عجائب وهل يجري لك فيها مثلي قال لا ولكن إذا كان عندي ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص الناموس ولا يكون ذلك إلا إذا كان الضيف مثلك أمرد وأما إذا كان متلحياً فلا يعف عليه الناموس وما منع الناموس عني إلا لحيتي كان الناموس لا يهوى أصحاب اللحى فقال له صدقت ثم أن الجارية جاءت لهما بالفطور فأفطرا وخرجا وراح قمر الزمان إلى العجوز فلما رأته قالت له أني أرى آثار الحظ على وجهك بما رأيت قال ما رأيت شيئاً وإنما تعشيت أنا وصاحب المحل في قاعة وصلينا العشاء ثم نمنا فما أفقنا إلا الصبح فضحكت وقالت ما هذا الأثر الذي على خدك وعلى شفتك قال لها أن ناموس القاعة فعل معي هذه الفعال فقالت صدقت وهل جرى لصاحب البيت مثل ما جرى لك قال لا ولكنه أخبرني أن ناموس تلك القاعة لا يضر أصحاب اللحى ولا يعف إلا على المرد وكلما يكون عنده ضيف فإن كان أمرد يصبح يشكوا من قرص الناموس وإن كان ملتحياً فلا يجري له شيء من ذلك فقالت صدقت فهل رأيت شيئاً غير هذا قال رأيت في جيبي أربعة عواشق قالت أرني إياها فأعطاها لها فأخذتها وضحكت وقالت أن معشوقتك قد وضعت هذه العواشق في جيبك قال وكيف ذلك قالت أنها تقول لك بالإشارة لو كنت عاشقاً ما نمت فإن الذي يعشق لا ينام ولكن أنت لم تزل صغيراً ولا يليق بك إلا اللعب بهذه العواشق فما حملك على عشق الملاح وقد جاءتك في الليل فرأتك نائماً فقطعت خدودك بالبوس وحطت لك هذه الأمارة ولكنها لا يكفيها منك ذلك بل لابد أن ترسل إليك زوجها فيعزم عليك في هذه الليلة فإذا رحت معه فلا تنم عاجلاً وهات معك خمسمائة دينار وتعالى أخبرني بما حصل وأنا أكمل لك الحيلة قال لها سمعاً وطاعة ثم توجه إلى الخان هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر زوجة الجوهري فإنها قالت لزوجها هل راح الضيف قال نعم ولكن يا فلانة أن الناموس شوش عليه في الليلة وقطع خدوده وشفته وأنا استحيت منه فقالت هذه عادة ناموس قاعتنا فإنه لا يهوى إلا المرد ولكن أعزمه في الليلة الآتية فتوجه إلى في الخان الذي هو فيه وعزمه وأتى به إلى القاعة فأكلا وشربا وصليا العشاء فدخلت عليهما الجارية وأعطت كل واحد فنجاناً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية دخلت عليهما وأعطت كل واحد فنجاناً فشربا وناما فأتت الصبية وقالت له يا علق كيف تنام وتدعي أنك عاشق والعاشق لا ينام ثم ركبت على صدره ومازالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش إلى الصباح ثم حطت له في جيبه سكيناً وأرسلت جاريتها عند الصباح فنبهتهما وخدوده كأنها ملتهبة بالنار من شدة الأحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المصر والتقبيل فقال له الجوهري لعل الناموس شوش عليك قال لا لأنه لما عرف النكتة ترك الشكاية ثم أنه رأى السكين في جيبه فسكت ولما أفطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهري وتوجه إلى الخان وأخذ خمسمائة دينار وذهب إلى العجوز وأخبرها بما رأى وقال لها أني نمت غصباً عني ولما أصبحت ما رأيت شيئاً غير سكين في جيبي

فقالت له ا يحميك منها في الليلة القابلة فإن نمت ذبحتك فقال وكيف يكون العمل فقالت أخبرني بما تأكله وما تشربه قبل النوم قال نتعشى على عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطي كل واحد منا فنجاناً فمتى شربت فنجاني نمت ولا أفيق إلا في الصباح فقالت له إن الداهية في الفنجان فخذه منها ولا تشربه حتى يشرب سيدها ويرقد وحين تعطيه ذلك الجارية قل لها اسقيني ماء فتذهب لتجيء إليك بالقلة فسكب الفنجان خلف المخدة وأجعل روحك نائماً ولما ترجع إليك بالقلة تظن أنك نمت بعد أن شربت الفنجان فتروح عنك وبعد حصة يظهر لك الحال وإياك أن مخالف أمري فقال لها سمعاً وطاعة ثم توجه إلى الخان



هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر زوجة الجوهري فإنها قالت لزوجها إكرام الضيف ثلاث ليال فاعزمه مرة ثالثة فتوجه إليه وعزمه وأخذه ودخل به إلى القاعة فلما تعشيا وصليا العشاء إذا بالجارية دخلت وأعطت كل واحد فنجانا فشرب سيدها ورقد وأما قمر الزمان فإنه لم يشرب فقالت له الجارية أما تشرب ياسيدي فقال لها أنا عطشان هات القلة فذهبت لتجيء إليه بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة ورقد فلما رجعت الجارية رأته راقداً فأخبرت سيدتها بذلك وقالت أنه لما شرب الفنجان رقد فقالت الصبية في نفسها أن موته أحسن من حياته ثم أخذت سكيناً ماضية ودخلت عليه وهي تقول ثلاث مرات وأنت لم تلحظ الإشارة يا أحمق الآن أشق بطنك فلمارآها مقبلة عليه وفي يدها السكين فتح عينيه وقام ضاحكاً فقالت له ما فهمت هذه الإشارة بفطنتك بل بدلالة ماكرة فأخبرني من أين لك هذه المعرفة قال من عجوز وجرى لي معها كذا وكذا وأخبرها بالخبر فقالت له في غد أخرج من عندنا ورح إلى العجوز وقل لها هل بقي معك من الحيل زيادة عن هذا المقدار فإن قالت لك معي فقل لها اجتهدي في الوصول إليها جهاراً وأن قالت مالي مقدرة وهذا آخر ما معي فاتركها عن بالك وفي ليلة غد يأتي زوجي ويعزمك فتعال معه وأخبرني وأنا أعرف بقية التدبير فقال لا بأس ثم بات معها بقية الليلة على ضم وعناق وأعمال حرف الجر بإنفاق واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين الإضافة معزول ولم يزالا على هذه الحالة إلى الصباح ثم قالت له أناما يكفيني منك ليلة ولا يوم ولا شهر ولا سنة وإنما قصدي أن أقيم معك بقية العمر ولكن أصبر حتى أعمل لك مع زوجي حيلة تحير ذوي الألباب ونبلغ بها الآواب وأدخل عليه الشك حتى يطلقني وأتزوج بك وأروح معك إلا بلادك وأنقل جميع ما له وذخائره وعندك وأتحيل لك على خراب دياره ومحو آثاره ولكن اسمع كلامي وطاوعني فيما أقوله لك ولا تخالفني فقال سمعاً وطاعة وما عندي خلاف فقالت له رح إلى الخان وإن جاء زوجي وعزمك فقل له يا أخي إن ابن آدم ثقيل ومتى أكثر التردد أشمأز منه الكريم والبخيل وكيف أروح عندك كل ليلة وأرقد أنا وأنت في القاعة فإن كنت أنت لا تغتاظ مني فربما يغتاظ حريمك مني بسبب منعك عنه فإن كان مرادك عشرتي فخذ لي بيتاً بجانب بيتك وتبقى أنت تارة تسهر عندي إلى وقت النوم وأنا تارة أسهر عندك إلى وقت النوم ثم أروح إلى منزلي وأنت تدخل حريمك وهذا الرأي أحسن من حجبك عن حريمك كل ليلة فإنه بعد ذلك يأتي إلي ويشاورني فأشير عليه أن يخرج جارنا فإن البيت الذي هو ساكن فيه بيتنا والجار ساكن بالكراء ومتى أتيت البيت يهون ا علينا بقية تدبير نائم أنها قالت له رح الآن وأفعل كما أمرتك فقال لها سمعاً وطاعة ثم تركته وراحت وهو جعل نفسه نائماً وبعد مدة أتت الجارية فنبهتهما فلما أفاق الجوهري قال يا تاجر لعل

الناموس شوش عليه قال لا فقال الجوهري لعلك اعتدت عليه أنهما فطرا وشربا القهوة وخرجا إلى أشغالهما وتوجه قمر الزمان إلى العجوز وأخبرها بما جرى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما توجه إلى العجوز وأخبرها بما جرى وقال لها أنها قالت لي كذا وكذا وقلت لها كذا وكذا فهل عندك أكثر من هذا التدبير حتى يوصلني إلى الاجتماع بها جهاراً فقالت يا ولدي إلى هنا انتهى تدبيري وفرغت حيلي فعند ذلك تركها وتوجه إلى الخان ولما أصبح الصباح توجه إليه الجوهري عند المساء وعزمه فقال له لا يمكن أني أروح معك فقال له لماذا وأنا أحببتك وما بقيت أقدر على فراقك فبا عليك أن تمض معي فقال له أن كان مرادك طول العشرة معي ودوام الصحة بيني وبينك فخذ لي بيتاً بجانب بيتك وإن شئت تسهر عندي وأنا أسهر عندك وعند النوم يروح كل منا إلى بيته وينام فيه فقال له أن عندي بيتاً بجانب بيتي وهو ملكي فامض معي في هذه الليلة وفي غد أخليه لك فمضى معه وتعشيا وصليا العشاء وشرب زوجها الفنجان الذي فيه العمل فرقد وفنجان قمر الزمان لاغش فيه فشربه ولم يرقد فجاءته وقعدت تسامره إلى الصبح وزوجها مرمي مثل الميت ثم أنه صحا من النوم على العادة وأرسل أحضر الساكن وقال له يا رجل أخل لي بيتي فأني قد احتجت إليه فقال له على الرأس والعين فأخلاه له وسكن فيه قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيه وفي تلك الليلة سهر الجوهري عند قمر الزمان ثم راح إلى بيته وفي ثاني يوم أرسلت الصبية إلى معماري ماهر فأحضرته وأرغبته بالمال حتى عمل لها سرداباً في قصرها يوصل إلى بيت قمر الزمان وجعل له طابقاً تحت الأرض فما يشعر قمر الزمان إلا وهي داخلة عليه ومعها كيسان من المال فقال لها من أين جئت فارته السرداب وقالت له خذ هذين الكيسين من ماله وقعدت تهارشه وتلاعبه إلى الصباح ثم قالت له أنتظرني حتى أروح له وأنبهه ليذهب إلى دكانه وأني لك فقعد ينتظرها وأنصرفت لزوجها وأيقظته فقام وتوضأ وصلى وذهب إلى الدكان وبعد ذهابه أخذت أربعة أكياس وراحت إلى قمر الزمان من السرداب وقالت له خذ هذا المال وجلت عنده ثم انصرف كل منهما إلى حال سبيله فتوجهت إلى بيتها وتوجه قمر الزمان إلى السوق ولما رجع في وقت المغرب رأى عنده عدة أكياس وجواهر وغير ذلك ثم أن الجوهري جاء به في بيته وأخذه إلى القاعة وسهر فيها هو وإياه فدخلت الجارية على العادة وأسقتهما فرقد سيدها وقمر الزمان ما أصابه شيء لأن فنجانه سالم لا غش فيه ثم أقبلت إليه الصبية وجلست تلاعبه وصارت الجارية تنقل المصالح إلى بيته من السرداب ولم يزالوا على هذه الحالة إلى الصباح ثم أن الجارية نبهت سيدها وأسقهما القهوة وكل منهما راح إلى حال سبيله وفي ثالث يوم أخرجت له سكيناً كانت لزوجها وهي صياغته بيده كلفها خمسمائة دينار ولم يوجد لها مثيل في حسن الصياغة ومن كثرة ما طلبها منه الناس وضعها في صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لأحد من المخلوقين ثم قالت له خذ هذه السكين في حزامك ورح إلى زوجي وأجلس عنده وأخرجها من حزامك وقل له يا معلم انظر هذه السكين فأني أشتريتها في هذا اليوم وأخبرني هل أنا مغلوب فيها أو غالب فإنه يعرفها ويستحي أن يقول لك هذه سكيني فإن قال لك من أين أشتريتها وبكم أخذتها فقل له رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما للآخرين كنت قال كنت عند صاحبتي وكلما أجتمع معها تعطيني دراهم وفي هذا اليوم قالت لي

أن يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فإنها سكين زوجي فأخذتها منها ومرادي بيعها فأعجبتني السكين ولما سمعته يقول ذلك قلت له أتبيعها لي فقال اشتر فأخذتها منه بثلثمائة دينار فيا ترى هل هي رخيصة أو غالية وانظر ما يقول لك ثم تحدث معه مدة وقم من عنده وتعال إلي بسرعة فتراني قاعدة في فم السرداب انتظرك فاعطني السكين فقال لها سمعاً وطاعة ثم أخذ تلك السكين وحطها في حزامه وراح إلى دكان الجوهري فسلم عليه ورحب به وأجلسه فرأى السكين في حزامه فتعجب وقال في نفسه أن هذه سكيني ومن أوصلها إلي هذا التاجر وصار يفكر في نفسه ويقول يا ترى هي سكيني أو سكين تشابهها وإذا بقمر الزمان أخرجها وقال يا معلم خذ هذه السكين تفرج عليها فلما أخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى أن يقول هذه سكيني ثم قال له من أين أشتريتها فأخبره بما أوصته به الصبية فقال له هذه بهذا الثمن رخيصة لأنها تساوي خمسمائة دينار وانقادت النار في قلبه وارتبطت أياديه عن الشغل في صنعته وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الأفكار وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليه بكلمة واحدة وصار قلبه في عذاب وجسمه في اضطراب وتكدر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر:

لــم أدر فــولا إذا حبــوا مكــالمتي	أو كلمــوني يرونــي غائــب الفكــر
غرقان في بحــر فكــر لا قــرار لــه	لا فــرق للنــاس أنثهــا مــن الــذكر

فلما رآه تغيرت حالته قال له لعلك مشغول في هذه الساعة ثم قام من عنده وتوجه إلى البيت بسرعة فرآها واقفة في باب السرداب تنتظره فلما رأته قالت له هل فعلت كما أمرتك قال نعم قالت له ما قال لك قال لها قال لي أنها رخيصة بهذا الثمن لأنها تساوي خمسمائة دينار ولكن تغيرت أحواله فقمت من عنده ولم أدر ما جرى بعد ذلك فقالت هات السكين وما عليك منه ثم أخذت السكين وحطتها في موضعها وقعدت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الجوهري فإنه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسوس وقال في نفسه لابد أن أقوم وأتفقد السكين وأقطع الشك باليقين فقام وأتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفح مثل الثعبان فقالت له مالك يا سيدي فقال لها أين سكيني قالت في الصندوق ثم دقت صدرها بيدها وقالت يا همي لعلك تخاصمت مع أحد فأتيت تطلب السكين لتضربه قال لها هات السكين أريني إياها قالت حتى تحلف أنك لا تضرب بها أحد فحلف لها ففتحت الصندوق وأخرجتها له فصار يقلبها ويقول أن هذا شيء عجيب ثم أنه قال لها خذيها وحطيها في مكانها قالت له أخبرني ما سبب ذلك قال لها أني رأيت مع صاحبنا سكيناً مثلها وأخبرها بالخبر كله ثم قال لها لما رأيت في الصندوق قطعت الشك باليقين فقالت له لعلك ظننت بي وجعلتني صاحبة اللاوندي وأعطيته السكين فقال لها نعم أني شككت في هذا الأمر ولكن لما رأيت السكين ارتفع الشك من قلبي فقالت له يا رجل أنت ما بقي فيك خير فصار يعتذر إليها حتى أرضاها ثم خرج وتوجه إلى دكانه وفي تأتي يوم أعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان صنعها بيده ولم يكن عند أحد مثلها ثم قالت له رح إلى دكانه وأجلس عنده وقل له أن الذي رأيته بالأمس رأيته في هذا اليوم وفي يده ساعة وقال لي أتشتري هذه الساعة فقلت له من أين لك هذه الساعة قال كنت عند صاحبتي فأعطتني أياها فاشتريتها منه بثمانية وخمسين دينار فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية وانظر ما يقول لك وإذا قمت من عنده فأتني بسرعة واعطني إياها فراح إليه قمر الزمان وفعل معه ما أمرته به فلما رآها الجوهري قال هذه

تساوي سبعمائة دينار وداخله الوهم ثم أن الغلام تركه وراح إلى الصبية وأعطاها تلك الساعة وإذا بزوجها دخل ينفخ وقال لها أين ساعتي أنت له ها هي حاضرة قال لها هاتيها فأتته بها فقال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فقالت له يا راجل ما أنت بلا خبر فأخبرني بخبرك فقال لها ماذا أقول إنني تحيرت في هذه الحالات ثم أنشد هذه الأبيات:

تحيرت والرحمن لاشـك فـي أمـري	وضاقت بي الأحزان من حيث لا أدري
سأصـبر حتـى يعلـم الصـبر أننـي	صبرت على شيء أمر مـن الصـبر
وما مثل مر الصـبر صـبري وأنمـا	صبرت على شيء أحـر مـن الجمـر
وما الأمر أمري فـي المـراد وأنمـا	أمرت بحسن الصبر من صاحب الأمر

ثم قال يا امرأة أني وجدت مع التاجر صاحبنا أولاً سكيني وقد عرفتها لأن صياغتها اختراع من عقلي ولا يوجد مثلها وأخبرني بأخبار تغم القلب وأتيت فرأيتها ورأيت معه الساعة ثانياً وصياغتها أيضاً اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها في البصرة وأخبرني أيضاً بأخبار تغم القلب فتحيرت في عقلي وما بقيت أعرف ما جرى لي فقالت له مقتضى كلامك أني أنا خليلة ذلك التاجر وصاحبته وأعطيته مصالحك وجوزت خيانتي فجئت تسألني ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي كنت أثبت خيانتي لكن يا رجل حيث أنك ظننت بي هذا الظن ما بقيت أوكلك في زاد ولا أشار بك في ماء بعد هذا فأني كرهتك كراهة التحريم فصار يأخذ بخاطرها حتى أرضاها ثم خرج وتندم على مقابلتها بمثل هذا الكلام وتوجه إلى دكانه وجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري لما خرج من عند زوجته صار يتندم على هذا الكلام ثم ذهب إلى الدكان وجلس وصار في قلق شديد وفكر ما عليه من مزيد وهو ما بين مصدق ومكذب وعند المساء أتى إلى البيت وحده ولم يأت بقمر الزمان معه فقالت له الصبية أين التاجر قال في منزله قالت هل بردت الصحبة التي بينك وبينه قال وا أني كرهته مما جرى منه فقالت له قم هاته من شأن خاطري فقام ودخل عليه بيته فرأى حوائجه منشورة فيه فعرفها فقادت النار في قلبه وصار يتنهد فقال قمر الزمان مالي أراك في فكر فاستحى أن يقول له حوائجي عندك من أوصلها إليك وأنما قال له حصل عندي تشويش ولكن قم بنا إلى البيت لنتسلى هناك فقال دعني في محلي فلا أروح معك فحلف عليه وأخذه ثم تعشى معه وسهر تلك الليلة وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الأفكار وإذا تكلم الغلام التاجر مائة كلمة يرد عليه الجوهري بكلمة واحدة ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين حسب العادة فلما شربا رقد التاجر ولم يرقد الغلام لأن فنجانه غير مغشوش ثم دخلت الصبية على قمر الزمان وقالت له كيف رأيت هذا القركان الذي هو في غفلته سكران ولا يعرف مكايد النشوان فلابد أن أخدعه حتى يطلقني ولكن في غد أتهيأ بهيئة جارية وأروح خلفك إلى الدكان وقل له أنت يا معلم أني دخلت اليوم خان اليسيرجية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بألف دينار فانظرها هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية ثم أكشف له عن وجهي ونهودي وفرجه على ثم خذني وأرجع بي إلى منزلك وأنا أدخل بيتي من السرداب حتى أنظر آخر أمرنا معه ثم أنهما أمضا ليتها على

الرأس وصفاء ومنادمه وهراش وبسط وانشراح إلى الصباح وبعد ذلك ذهبت إلى مكانها وأرسلت الجارية فأيقظت سيدها وقمر الزمان فقاما وصليا الصبح وأفطرا وشربا القهوة وخرج الجوهري إلى دكانه وقمر الزمان دخل بيته وإذا بالصبية خرجت من السرداب وهي بصفة جارية وكأن أصلها جارية ثم توجه إلى دكان الجوهري ومشت خلفه ولم يزل ماشياً وهي خلفه حتى وصل بها إلى دكان الجوهري فسلم عليه وجلس وقال يا معلم أبي دخلت اليوم خان اليسيرجيه بقصد الفرجة فرأيت هذه الجارية في يد الدلال فأعجبتني فأشريتها بألف دينار وقصدي أن نتفرج عليها وتنظر هل هي رخيصة الثمن أم لا وكشف له عن وجهها فرآها زوجته وهي لابسة أفخر ملبوسها ومتزينة بأحسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته فعرفها حق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لأنه صاغها جيدة ورأى الخواتم التي صاغها جديد القمر الزمان في أصبعها وتحق عنده أنها زوجته من سائر الجهات فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمي حليمة وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الاسم بعينه فتعجب من ذلك وقال له بكم اشتريتها قال بألف دينار قال أنك أخذتها بلا ثمن لأن الألف دينار أقل من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلا شيء فقال له بشرك ا بالخير وحيث أعجبتك فأنا أذهب بها إلى بيتي فقال أفعل مرادك فأخذها وراح إلى بيته ونزلت من السرداب وقعدت في قصرها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الجوهري فإن النار اشتعلت في قلبه وقال في نفسه أنا أروح أنظر زوجتي فإن كانت في البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجل من ليس له شبيه وإن لم تكن زوجتي في البيت تكون هي من غير شك ثم أنه قام يجري إلى أن دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التي رآها بها في الدكان فضرب يد على يد وقال لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فقالت له يا راجل هل حصل لك جنون أو ما خبرك فماذا هذه عادتك لابد أن يكون لك أمر من الأمور فقال لها إذا كان مرادك أن أخبرك فلا تغتمي فقالت قل فقال لها إن التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قدك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك وملبسها مثل ملبسك وهي تشبهك في جميع صفاتك وفي أصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك فلما فرجني عليها ظننت أنها أنت وقد تحيرت في ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فإنه كدر عيشتي بعد الصفاء وكان سبباً في الجفاء بعد الوفاء وأدخل الشك في قلبي فقالت له تأمل في وجهي لعل أكون أنا التي كنت معه والتاجر صاحبي وقد لبست بصفة جارية واتفقت معه على أن يفرجك علي حتى يكيدك فقال أي شيء هذا الكلام أنا ما أظن بك أن تفعلي مثل هذه الفعال وكان ذلك الجوهري مغفلاً عن مكايدة النساء وما يفعلن مع الرجال ولم يسمع بقول من قال:

طحا بك قلب فـي الحسـان طـروب   بعيد الشـباب عصـر حـان مشـيب
تكلفنـي ليلـي وق شـط وليهـا   وعـادت عـواد بيننـا وخطـوب
وأن تسـألوني بالنسـاء فـأنني   خبيـر بـأدواء النسـاء طبيـب
إذا شـاب رأس المـرء أوقـل مالـه   فلـيس لـه مـن ودهـن نصـيب

وقول الآخر:

اعص النساء فتلـك الطاعـة الحسـنة   فلن يفوز فتـى يعطـي النسـاء سـنه
يعقنـه عـن كمالـه فـي فضـائله   ولو سـعى طالبـاً للعلـم ألـف سـنه

وقول الآخر:

إن النســـاء شـــياطين خلقـــن لنـــا — نعــوذ بـــا مــن كيــد الشــياطين

ومــن يهــن رمــاه العشــق مبتليــا — قد وضع الحزم من دنيــا ومــن ديــن

ثم قالت له ها أنا قاعدة في قصري ورح أنت إليه في هذه الساعة واطرق الباب واحتل على الدخول عليه بسرعة فإذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جاريته تشبهني وجل من ليس له شبيه وإن لم تر الجارية عنده أكون أنا الجارية التي رأيتها معه ويكون ظنك السوء بي محققاً فقال صدقت ثم تركها وخرج فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند القمر الزمان وأخبرته بذلك وقالت له افتح الباب بسرعة وفرجه علي فبينما هما في الكلام وإذا بالباب يطرق فقال من بالباب قال أنا صاحبك فإنك فرجتني على الجارية في السوق وفرحت لك بها ولكن ما تمت فرحتي بها فافتح الباب وفرجني عليها قال لا بأس بذلك ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة عنده فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرج عليها وتحدث معه مدة فرآها تتميز عن زوجته بشيء فقال يخلق ا ما يشاء ثم أنه خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع إلى بيته فرأى زوجته جالسة لأنها سبقته من السرداب حين خرج من الباب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت في قصرها فلما دخل زوجها قالت له أي شيء رأيت قال رأيتها عند سيدها وهي تشبهك فقالت توجه إلى دكانك وحسبك سوء الظن فما بقيت تظن بي سوء فقال الأمر كذلك فلا تؤاخذيني بما صدر مني قالت سامحك ا ثم قبلها ذات اليمين وذات الشمال وراح إلى دكانه فنزلت من السرداب إلى قمر الزمان ومعها أربعة أكياس وقالت جهز حالك لسرعة السفر واستعد لتحميل المال بلا إمهال حتى أفعل لك ما عندي من الحيل فطلع واشترى بغالاً وحمل أحمالاً وجهز تختروانا وأشترى مماليك وخدماً وأخرج الجميع من البلد وما بقي له عاقة وأتى لها وقال إني تممت أموري فقالت وأما الأخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك وما خليت له قليلاً ولا كثيراً ينتفع به وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبي فأنا أفديك ألف مرة بزوجي ولكن ينبغي أن تذهب إليه وتودعه وتقول له أنا أريد السفر بعد ثلاثة أيام وجئت لأودعك فأحسب ما أتجمل لك عندي من أجرة البيت حتى أورده لك وتبرأ ذمتي وأنظر ما يكون من جوابه وأرجع إلي وأخبرني وأنا أحتال عليه وأغيظه لأجل أن يطلقني فما أراه إلا متعلقاً بي وما بقي لنا أحسن من السفر إلى بلادك فقال ها يا حبذا إن صحت الأحلام ثم راح إلى دكانه وجلس عنده وقال يا معلم أنا مسافر بعد ثلاثة أيام وما جئت إلا لأودعك والمراد أنك تحسب ما تجمل لك عندي من أجرة البيت حتى أعطيه لك وتبرأ ذمتي فقال له ما هذا الكلام أن فضلك علي وا ما آخذ منك شيئاً من أجرة البيت وحلت علينا البركات ولكنك توحشنا بسفرك ولولا أنه يحرم على لتعرضت لك ومنعتك عن عيالك وبلادك ثم ودعه وتباكيا بكاء شديداً ما عليه من مزيد وقفل الدكان من ساعته وقال في نفسه ينبغي أن أشيع من صاحبي وصار كلما راح يقضي حاجة يروح بيته معه فإذا دخل بيت قمر الزمان يجدها فيه وتقف بين أيديهما وتخدمهما وإذا رجع إلى بيته يراها قاعدة هناك ولم يزل يراها في بيته إذا دخله ويراها في بيت قمر الزمان إذا دخله مدة الثلاثة أيام ثم أنها قالت له أني نقلت

جميع ما عنده من الذخائر والأموال والفرش ولم يبق عنده إلا الجارية التي تدخل عليكما بالشراب ولكني لا أقدر على فراقها لأنها قريبتي وعزيزة عندي وكاتمة لسري ومرداي أن أضربها وأغضب عليها وإذا أتى زوجي أقول له أنا ما بقيت أقبل هذه الجارية ولا أقعد أنا وإياها في بيت فخذها وبعها فيأخذها ليبيعها فأشتريها أنت حتى نأخذها معنا فقال لا بأس بذلك ثم أنها ضربتها فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكي فسألها عن سبب بكائها فقالت أن سيدتي ضربتني فدخل وقال ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتيها فقالت له يا رجل أني أقول لك كلمة واحدة أنا ما بقيت أقدر أنظر هذه الجارية فخذها وبعها وإلا طلقني فقال أبيعها ولا أخالف لك أمراً ثم أنه أخذها معه وهو خارج إلى الدكان ومر بها على قمر الزمان وكانت زوجته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعة إلى قمر الزمان فأدخلها في التختروان قبل أن يصل إلى الشيخ الجوهري فلما وصل إليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له ما هذه قال جاريتي التي كانت تسقينا الشراب ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها وأمرتني أن أبيعها فقال حيث أبغضتها سيدتها ما بقي لها قعود عندها ولكن بعها لي حتى أشم رائحتك فيها وأجعلها خادمة لجاريتي حليمة فقال لا بأس خذها فقال له بكم فقال أنا لا أعوذ منك شيئاً لأنك تفضلت علينا فقبلها منه وقال للصبية قبلي يد سيدك فبرزت له من التختروان وقبلت يده ثم ركبت في التختروان وهو ينظر إليها ثم قال له قمر الزمان استودعتك ا يا معلم عبيد أبريء ذمتي فقال له أبرأ ا ذمتك وحماك بالسلامة إلى عيالك وودعه وتوجه إلى دكانه وهو يبكي وقد عز عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقاً له والرفق له حق ولكنه فرح بزوال الوهم الذي حصل له من أمر زوجته حيث سافر ولم يتحقق ما ظنه في زوجته هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإن الصبية قالت له إن أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية إن أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة فقال سمعاً وطاعة ثم سلك طريقاً ً غير الطريق التي تعهد الناس المشي فيها ولم يزل مسافراً من بلاد إلى بلاد حتى وصل إلى حدود قطر مصر ثم كتب كتاباً وأرسله إلى والده مع ساع وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعداً في السوق بين التجار وفي قلبه من فراق ولده لهيب النار لأنه من يوم ما توجه ما أتاه من عنده خبر فبينما هو كذلك وإذا بالساعي مقبل وقال لهم يا سادتي من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن فقالوا له ما تريد منه قال لهم أن معي كتاباً من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنوه بالسلامة ثم أخذ الكتاب وقرأه فرآه من عند قمر الزمان إلى التاجر عبد الرحمن وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فإن سألتم عنا فلله الحمد والمنة فقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم وأكثر الضيافات والعزائم وأحضر آلات الطرب وإلى في الفرح بأنواع العجب فلما وصل ولده الصالحة خرج إلى مقابلته أبوه وجميع التجار فقابلوه واعتنقه والده وضمه إلى صدره وبكى حتى أغمي عليه ولما أفاق قال له يوم مبارك يا ولدي حيث جمعنا بك المهيمن القادر ثم أنشد قول الشاعر:

وقـــرب الحبيـــب تمـــام الســـرور وكـــأس الهنـــا علينـــا يـــدور

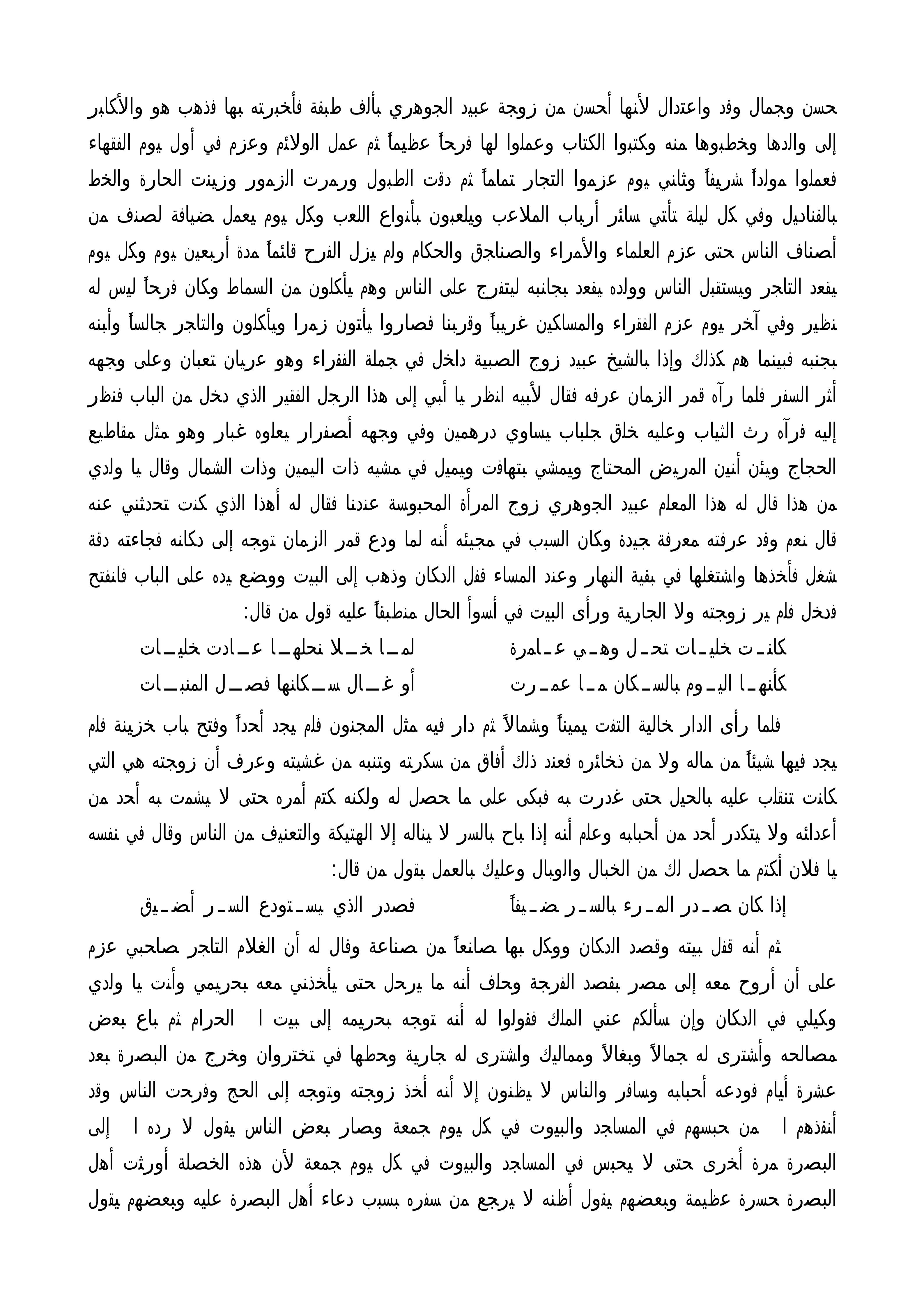
فـــأهلاً وســـهلاً يـــي مرحبـــاً بنـــور الزمـــان وبـــدر البـــدور

ثم أفاض من شدة الفرح دمع العين وأنش هذين البيتين:

قمـــر الزمـــان يلـــوح فـــي أســـفاره إشـــرافه إذ جـــاء مـــن أســـفاره

فشـــعوره فـــي اللـــون ليـــل غيابـــه لكـــن شـــروق الشـــمس مـــن أزراره

ثم أن التجار تقدموا إليه وسلموا عليه فرأوا معه أحمالاً كثيرة وخدما وتختروانا وهو في دائرة واسعة فأخذوه ودخلوا به البيت فلما خرجت الصبية من الختروان رآها أبوه فتنة لمن يراها ففتحوا لها قصراً عالياً كأنه كنزاً نحات عنه الطلاسم ولما رأتها أمه أفتتنت بها وظنت أنها ملكة من زوجات الملوك وفرحت بها وسألتها فقالت لها أنا زوجة ولدك قالت حيث تزوج بك ينبغي لنا أن نقيم لك فرحاً عظيماً حتى نفرح بك وبولدي هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه بعد انفضاض الناس ورواح كل واحد إلى حال سبيله اجتمع بولده وقال له يا ولدي ما تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها فقال له يا والدي ليست جارية وإنما هي التي كانت سبب غربتي فقال له والده وكيف ذلك قال أنها التي كان يصفها لنا الدرويش ليلة ما بات عندنا فإن آمالي تعلقت تعلقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر إلا من أجلها حتى تعريت في الطريق وأخذت العرب أموالي وما دخلت البصرة إلا وحدي وحصل لي كذا وكذا وصار يحكي لوالده من المبتدأ إلى المنتهى فلما فرغ من حديث قال له يا ولدي وبعد ذلك كله تزوجتها قال لا ولكن وعدتها أن أتزوج بها قال له هل مرادك الزواج بها قال أن كنت تأمرني أفعل ذلك وإلا فلا أتزوجها قال له إن تزوجت بها أكون بريئاً منك في الدنيا والآخرة وأغضب عليك غضباً شديداً كيف تتزوج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل معك مثلها على شأن غيرك فإنها خائنة والخائن ليس له أمان فإن كنت تخالفني أكون غضباناً عليك وإن سمعت كلامي أفتش لك على بنت أحسن منها تكون طاهرة زكية أزوجك بها ولو أنفق عليها جميع مالي وأعمل لك فرحاً ليس له نظير وأفتخر بك وبها وإذا قال الناس فلا تزوج بنت فلان أحسن من أن يقولوا تزوج جارية معدومة النسب والحسب وصار يرغب ولده في عدم زواجها ويذكر له في شأن ذلك عبارات ونكتاً وأشعاراً وأمثالاً ومواعظ فقال قمر الزمان يا والدي حيث كان الأمر كذلك فلا علاقة لي بزواجها فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبله أبوه بين عينيه وقال له ولدي حقاً وحياتك يا ولدي لابد لي من أن أزوجك بنتاً ليس لها نظير ثم أن التاجر عبد الرحمن حط زوجة عبيد الجوهري وجاريتها في قصر عال وقفل عليها وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما أكلهما وشربهما وقال لها أنت وجاريتك تستمران محبوستين في هذا القصر حتى انظر لكما من يشتريكما وأبيعكما له وإن خالفت قتلتك أنت وجاريتك فإنك خائنة ولا خير فيك فقالت له أفعل أنت مرادك فإني أستحق جميع ما تفعله معي ثم قفل عليهما الباب ووصى عليهما حريمه وقال لا يطلع عندهما أحد ولا يكلمهما غير الجارية السوداء التي تعطيهما أكلهما وشربهما من طاقة القصر فقعدت هي وجاريتها تبكي وتتندم على ما فعلت بزوجها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه أرسل الخطاب يخطبون بنتاً ذات حسب ونسب لولده فما زلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن بأحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الإسلام فرأين بنته ليس لها نظير في مصر وهي ذات



حسن وجمال وقد واعتدال لأنها أحسن من زوجة عبيد الجوهري بألف طبقة فأخبرته بها فذهب هو والأكابر إلى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحاً عظيماً ثم عمل الولائم وعزم في أول يوم الفقهاء فعملوا مولداً شريفاً وثاني يوم عزموا التجار تماماً ثم دقت الطبول وزمرت الزمور وزينت الحارة والخط بالقناديل وفي كل ليلة تأتي سائر أرباب الملاعب ويلعبون بأنواع اللعب وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من أصناف الناس حتى عزم العلماء والأمراء والصناجق والحكام ولم يزل الفرح قائماً مدة أربعين يوم وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرج على الناس وهم يأكلون من السماط وكان فرحاً ليس له نظير وفي آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريباً وقريبا فصاروا يأتون زمرا ويأكلون والتاجر جالساً وأبنه بجنبه فبينما هم كذلك وإذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل في جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه أثر السفر فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لأبيه انظر يا أبي إلى هذا الرجل الفقير الذي دخل من الباب فنظر إليه فرآه رث الثياب وعليه خلق جلباب يساوي درهمين وفي وجهه أصفرار يعلوه غبار وهو مثل مقاطيع الحجاج ويئن أنين المريض المحتاج ويمشي بتهافت ويميل في مشيه ذات اليمين وذات الشمال وقال يا ولدي من هذا قال له هذا المعلم عبيد الجوهري زوج المرأة المحبوسة عندنا فقال له أهذا الذي كنت تحدثني عنه قال نعم وقد عرفته معرفة جيدة وكان السبب في مجيئه أنه لما ودع قمر الزمان توجه إلى دكانه فجاءته دقة شغل فأخذها واشتغلها في بقية النهار وعند المساء قفل الدكان وذهب إلى البيت ووضع يده على الباب فانفتح فدخل فلم ير زوجته ولا الجارية ورأى البيت في أسوأ الحال منطبقاً عليه قول من قال:

كانــت خليــات تحــل وهــي عــامرة	لمــا خــلا نحلهــا عــادت خليــات
كأنهــا اليــوم بالســكان مــا عمــرت	أو غــال ســكانها فصــل المنبــات

فلما رأى الدار خالية التفت يميناً وشمالاً ثم دار فيه مثل المجنون فلم يجد أحداً وفتح باب خزينة فلم يجد فيها شيئاً من ماله ولا من ذخائره فعند ذلك أفاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف أن زوجته هي التي كانت تنقلب عليه بالحيل حتى غدرت به فبكى على ما حصل له ولكنه كتم أمره حتى لا يشمت به أحد من أعدائه ولا يتكدر أحد من أحبابه وعلم أنه إذا باح بالسر لا يناله إلا الهتيكة والتعنيف من الناس وقال في نفسه يا فلان أكتم ما حصل لك من الخبال والوبال وعليك بالعمل بقول من قال:

إذا كان صــدر المــرء بالســر ضــيقاً	فصدر الذي يســتودع الســر أضــيق

ثم أنه قفل بيته وقصد الدكان ووكل بها صانعاً من صناعة وقال له أن الغلام التاجر صاحبي عزم على أن أروح معه إلى مصر بقصد الفرجة وحلف أنه ما يرحل حتى يأخذني معه بحريمي وأنت يا ولدي وكيلي في الدكان وإن سألكم عني الملك فقولوا له أنه توجه بحريمه إلى بيت ا الحرام ثم باع بعض مصالحه وأشترى له جمالاً وبغالاً ومماليك واشترى له جارية وحطها في تختروان وخرج من البصرة بعد عشرة أيام فودعه أحبابه وسافر والناس لا يظنون إلا أنه أخذ زوجته وتوجه إلى الحج وفرحت الناس وقد أنقذهم ا من حبسهم في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة وصار بعض الناس يقول لا رده ا إلى البصرة مرة أخرى حتى لا يحبس في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة لأن هذه الخصلة أورثت أهل البصرة حسرة عظيمة وبعضهم يقول أظنه لا يرجع من سفره بسبب دعاء أهل البصرة عليه وبعضهم يقول

أن رجع لا يرجع إلا منكس الحال وفرح أهل البصرة بسفره فرحاً عظيماً بعد أن كانوا في حسرة عظيمة حتى ارتاحت قططهم وكلابهم فلما أتى يوم الجمعة نادى المنادى في البلد على العادة بأنهم يدخلون المساجد قبل صلاة الجمعة بساعتين أو يستخفون في البيوت وكذلك القطط والكلاب فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعاً وتوجهوا إلى الديوان ووقفوا بين يدي الملك وقالوا له يا ملك الزمان أن الجوهري أخذ حريمه وسافر إلى حج بيت ا الحرام وزال السبب الذي كنا نحبس لأجله فبأي سبب الآن فقال الملك كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمني لكن إذا جاء من سفره لا يكون الأخير وارجعوا إلى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة هذا ما كان من أمر الملك وأهل البصرة (وأما) ما كان من أمر المعلم عبيد الجوهري فإنه سافر عشرة مراحل فحل به ما حل بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروه وأخذوا ما كان معه وجعل نفسه ميتاً حتى خاص وبعد ذهاب العرب قام وهو عريان إلى أن دخل بلد فحنن ا عليه أهل الخير فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة وصار يسأل ويتقوت من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مصر المحروسة فأحرقه الجوع فدار يسأل في الأسواق فقال له رجل من أهل مصر يا فقير عليك ببيت الفرح كل واشرب فإن هناك في هذا اليوم سماط للفقراء والغرباء فقال له لا أعرف طريق بيت الفرح فقال له أتبعني وأنا أريه اك فتبعه إلى أن وصل إلى بيت الفرح فأدخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه وأخبر به أباه ثم أن التاجر عبد الرحمن قال لولده يا ولدي اتركه في هذه الساعة ربما يكون جائعاً فدعه يأكل حتى يشبع ويسكن روعه وبعد ذلك نطلبه فصبرا عليه حتى أكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر وأراد أن يخرج فأرسل خلفه والد قمر الزمان فقال له الرسول تعالى يا غريب كلم التاجر عبد الرحمن فقال ما يكون هذا التاجر فقال له صاحب الفرح فرجع وظن أنه يعطيه إحساناً فلما أقبل التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه وقام له قمر الزمان على الأقدام وأخذه بالأحضان وسلم عليه وتباكيا بكاء شديداً ثم أنه أجلسه بجانبه فقال له أبوه يا عديم الذوق ما هذا شأن ملاقاة الأصحاب أرسله أولاً إلى الحمام وأرسله إليه بدلة تليق به وبعد ذلك اقعد معه وتحدث أنت وإياه فصاح على بعض الغلمان وأمرهم أن يدخلوه الحمام وأرسل إليه بدلة من خاص الملبوس تساوي ألف دينار وأكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده وألبسوه البدلة فصار كأنه شاه بندر التجار وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان حين غيابه في الحمام وقالوا من هذا ومن أين تعرفه فقال هذا صاحبي وقد أنزلني في بيته وله على إحسان لا يحصى فإنه أكرمني أكراماً زائداً وهو من أهل السعادة والسيادة وصنعته جوهري ليس له نظير وملك البصرة يحبه حباً كثيراً وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ وصار يبالغ لهم في مدحه ويقول أنه فعل معي كذا وكذا وأنا صرت في حياء منه ولا أدري ما أجازيه به في مقابلة ما صنعه من الأكرام ولم يزل يثنى عليه حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهاباً في أعينهم فقالوا نحن كلنا نقوم بواجبه وإكرامه من شأنك ولكن مرادنا أن نعرفه ما سبب مجيئه إلى مصر وما سبب خروجه من بلاده وما فعل ا به حتى صار في هذه الحالة فقال لهم يا ناس لا تتعجبوا أن ابن آدم تحت القضاء والقدر ومادام في هذه الدنيا لا يسلم من الآفات وقد صدق من قال هذه الأبيات:

الـ دهر يفتـ رس الرجـ ال فـ لا تكـ ن   مـ ن تطيشـ ـه المناصـ ب والرتـ ب

واحذر من الـزلات واجتنـب الأسـى　　　واعلم بـأن الـدهر شـيمته العطـب
كـم نعمــة زالــت بأصــغر نقمــة　　　ولكــل شــيء فــي تقلبــه ســبب

اعلموا أني أنا دخلت البصرة في أسوأ من هذا الحال وأشد من هذا النكال لأن هذا الرجل دخل في مصر مستور العورة بالخلقان وأما أنا فأني دخلت بلاده مكشوف العورة يد من خلف ويد من قدام ولا نفعني إلا ا   وهذا الرجل العزيز والسبب في ذلك أن العرب عروني وأخذوا أحمالي وبغالي وإجمالي وقتلوا غلماني ورجالي ورقدت بين القتلى فظنوا أني ميت فذهبوا وفاتوني وبعد ذلك قمت ومشيت عرياناً إلى أن دخلت البصرة فقابلني هذا الرجل وكساني وأنزلني في بيته وقواني بالمال وجميع ما أتيت به معي ليس إلا من ا ومن خيره فعند ما سافرت أعطاني شيئاً كثيراً ورجعت إلى بلادي مجبور الخاطر وفارقته وهو في سيادة وسعادة فلعله حدث له بعد ذلك نكبه من نكبات الزمان أوجبت له فراق الأهل والأوطان وجرى له في الطريق مثل ما جرى لي ولا عجب في ذلك ولكن ينبغي لي الآن أن أجازيه على ما صنع معي من كريم الفعال وأعمل بقول من قال:

يــا محســنا بالزمــان ظنــا　　　هــل تــدر مــا يفعــل الزمــان
مــا شــئت فأصــنع جميــل فعــل　　　كمــا يــدين الفتــى يــدان

فبينما هم في هذا الكلام وأمثاله وإذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كأنه شاه بندر التجار فقام إليه الجميع وسلموا عليه وأجلسوه في الصدر وقال له قمر الزمان يا صاحبي نهارك سعيد مبارك لا تحك على شيء جرى على قبلك فإن كان العرب عروك وأخذوا منك مالك فإن المال فداء الأبدان فلا تغم نفسك فأني دخلت بلادك عرياناً وقد كسوتني وأكرمتني ولك على الإحسان الكثير فأنا أجازيك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهري أني دخلت بلادك عرياناً وقد كسوتني ولك علي الإحسان الكثير فإنا أجازيك وأفعل معك كما فعلت معي بل أكثر من ذلك فطب نفساً وقر عيناً وصار يأخذ بخاطره ومنعه من الكلام لئلا يذكر زوجته وما فعلت معه ولم يزل يعظه بمواعظ وأمثال وأشعار ونكت وحكايات وأخبار ويسليه فلحظ الجوهري ما أشار عليه قمر الزمان من الكتمان فكتم ما عنده وتسلى بما سمعه من الأخبار والنوادر وأنشد قول الشاعر:

في جبهة الدهر سطر لو نظـرت لـه　　　أبكاك مضـمونه مـن مقلتيـك دمـا
ما سلم الـدهر بـاليمنى علـى أحـد　　　إلا ويسـراه تسـقيه الـردى كظمـا

ثم أن قمر الزمان ووالده التاجر عبد الرحمن أخذ الجوهري ودخلا به في قاعة الحريم وأختليا به فقال له التاجر عبد الرحمن نحن ما منعناك من الكلام إلاخوفا من الفضيحة في حقك وحقنا ولكن نحن الآن في خلوة فأخبرني بما جرى بينك وبين زوجتك وولدي فأخبره بالقضية من المبتدأ إلى المنتهى فلما فرغ من قصته قال له هل الذنب من زوجتك أو من ولدي قال له وا   إن ولدك ما عنده ذنب لأن الرجال لها الطمع

في النساء والنساء عليهن أن يمتنعن من الرجال فالعيب عند زوجتي التي خانتني وفعلت معي هذه الفعال فقام التاجر واختلى بولده وقال له يا ولدي أننا اختبرنا زوجته وعرفنا أنها خائنة ومرادي الآن أن أختبره وأعرف هل هو صاحب عرض ومروءة أو هو ديوث فقال له وكيف ذلك فقال له مرادي أن أحمله على الصلح مع زوجته فإن رضي بالصلح وسامحها فإني أضربه بالسيف فاقتله وبعد ذلك أقتلها هي وجاريتها لأنه لا خير في حيات الديوث والزانية وإن نفر منها فأني أزوجه أختك وأعطيه أكثر من ماله الذي أخذته منه ثم أنه رجع إليه وقال له يا معلم أن معاشرة النساء تحتاج إلى طول البال ومن كان يهواهن فإنه يحتاج إلى سعة الصدر لأنهن يعربدن الرجال ويؤذينهن لعزتهن عليهن بالحسن والجمال فيستعظمن أنفسهن ويستحقرن الرجال ولا سيما إذا بانت لهن المحبة من بعولتهن فيقابلنهم بالتيه والدلال وكريه الفعال من جميع الجهات فإن كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره فلا يحصل بينه وبينها عشرة ولا يوافقهن إلا من كان واسع البال كثير الاحتمال وإن لم يحتمل الرجل زوجته ويقابل إساءتها بالسماح فإنه لا يحصل له في عشرتها نجاح وقد قيل في حقهن لو كن في السماء لمالت إليهن أعناق الرجال ومن قدر وعفا كان أجره على ا وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي أن يكون عندك لها السماح وهذا في العشرة من علامات النجاح والنساء ناقصات عقل ودين وهي إن أساءت فإنها قد تابت وإن شاء ا لا ترجع إلى فعل ما كانت تفعله أولاً فالرأي عندي إنك تصطلح أنت وإياها وأنا أرد اك أكثر من مالك وأنت أقمت عندي فمرحباً بك وبها وليس لكما إلا ما يسر كما وأن كنت تطلب التوجه إلى بلادك فأنا أعطيك ما يرضيك وهاهو التخترون حاضر فركب زوجتك وجاريتها فيه وسافر إلى بلادك والذي يجري بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير ولا تسلك سبيل التعسير فقال الجوهري يا سيدي وأين زوجتي فقال له ها هي في هذا القصر فاطلع إليها واستوص بها من شأني ولا تشوش عليها فإن ولدي لما جاء بها وطلب زواجها منعته عنها ووضعتها في هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت في نفسي ربما يجيء زوجها فأسلمها إليه لأنها جميلة الصورة والتي مثل هذه لا يمكن زوجها أن يفوتها والذي حسبته حصل والحمد تعالى على اجتماعك بزوجتك وأما من جهة أبني فأني خطبت له وزوجته غيرها وهذا الولائم والضيافات من أجل فرحه وفي هذه الليلة أدخله على زوجته وها هو مفتاح القصر الذي فيه زوجتك فخذه وافتح الباب وأدخل على زوجتك وجاريتك وانبسط معهما واتيكم الأكل والشرب ولا تنزل من عندها حتى تشبع منها فقال جزاك ا عني كل خير يا سيدي ثم أخذ المفتاح وطلع فرحاً فظن التاجر أن هذا الكلام أعجبه وأنه رضي به فأخذ السيف وتبعه من خلفه بحيث لم يره ثم وقف ينظر ما يحصل بينه وبين زوجته هذا ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن (وأما) ما كان من أمر الجوهري فإنه دخل على زوجته فرآها تبكي بكاء شديداً بسبب أن قمر الزمان تزوج بغيرها ورأى الجارية تقول لها كم نصحتك يا سيدتي وقلت اك أن هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركي عشرته فما سمعت كلامي حتى نهبت جميع مال زوجك وأعطيته له وبعد ذلك فارقت مكانك وتعلقت في هواه وجئت معه في هذه البلاد وبعد ذلك رماك من باله وتزوج بغيرك ثم جعل آخر تلفك به الحبس فقالت لها اسكتي يا ملعونة فإنه وإن تزوج بغيري لابد أن أخطر يوماً على باله فأنا لا أسلو مسامرته وأنا على كل حال أتسلى بقول من قال :

يـا سـادتي هـل يخطرنـا ببـالكم | من ليس يخطـر غيـركم فـي بالـه
حاشا لكم أن تغفلـوا عـن حـال مـن | هـو غافـل فـي حـبكم عـن حالـه

فلابد أن تتذكر عشرتي وصحبتي ويسأل عني وأنا لا أرجع عن محبته ولا أحول عن هواه ولو مت في السجن فإنه حبيبي وطبيبي وعشمي منه أن يرجع إلي ويعمل معي انبساطاً فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها يا خائنة أن عشمك فيه مثل عشم إبليس في الجنة كل هذه العيوب فيك وأنا ما عندي خبر ولو علمت أن فيك عيباً من هذه العيوب ما كنت قنيتك عندي ساعة واحدة ولكن حيث تيقنت فيك ذلك ينبغي أن أقتلك ولو قتلوني فيك يا خائنة ثم قبض عليها بيديه الاثنتين وأنشد هذين البيتين:

يـا ملاحـاً أذهبـتم صـدق ودي | بـالتجني ولـم تراعـوا حقوقـاً
كـم بكـم صـبوة علقـت ولكـن | بعد هذا الأسى كرهت العلوقـا جـازم

ثم أتكأ على زمارة حلقها وكسرها فصاحت الجارية واسيدتاه فقال يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين أن فيها هذه الخصلة ولم تخبريني ثم قبض على الجارية وخنقها كل ذلك حصل والتاجر ممسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع بإذنه ويرى بعينه ثم أن عبيد الجوهري لما خنقهما في قصر التاجر كثرت عليه الأوهام وخاف عاقبة الأمر وقال في نفسه أن التاجر إذا علم أني قتلتهما في قصره لابد أنه يقتلني ولكن أسأل ا أن يجعل قبض روحي على الإيمان وصار متحيراً في أمره ولم يدر ماذا يفعل فبينما هو كذلك وإذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه وقال له لا بأس عليك فإنك تستاهل السلامة وانظر هذا السيف الذي في يدي فإني كنت مضمراً على أن أقتلك أن صالحتها ورضيت عليها واقتل الجارية وحيث فعلت هذه الفعال فمرحباً بك ثم مرحباً وما جزاؤك إلا أن أزوجك أبنتي أخت قمر الزمان ثم أنه أخذه ونزل به وأمر بإحضار الغاسلة وشاع الخبر أن قمر الزمان أين التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتتا فصار الناس يعزونه ويقولون له تعيش رأسك وعوض ا عليك ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف أحد حقيقة الأمر هذا ما كان من أمر عبيد الجوهري وزوجته وجاريته (وأما) ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فأنه أحضر شيخ الإسلام وجميع الأكابر وقال يا شيخ الإسلام أكتب كتاب بنتي كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهري ومهرها قد وصلني بالتمام واللكمال فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحداً وزفوا بنت شيخ الإسلام زوجة قمر الزمان وأخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهري في تختروان واحد في ليلة واحدة في المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وأدخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الإسلام وأدخلوا المعلم عبيداً على بنت التاجر عبد الرحمن فلما دخل عليها رآها أحسن من زوجته وأجمل منها بألف طبقة ثم أنه أزال بكارتها ولما أصبح دخل الحمام مع قمر الزمان ثم أقام عندهم مدة في فرح وسرور وبعد ذلك اشتاق إلى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال يا عم أني اشتقت إلى بلادي ولي فيها أملاك وأرزاق وكنت أقمت فيها صانعاً من صناعي وكيلاً عني وفي خاطري أن أسافر إلى بلادي لأبيع أملاكي وأرجع إليك فهل تأذن لي في التوجه إلى بلادي من أجل ذلك فقال له يا ولدي قد أذنت لك ولا لوم عليك في هذا الكلام فإن حب الوطن من الإيمان والذي ماله خير في بلاده ماله خير في بلاد الناس وربما أنك إذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيرا بين رجوعك إلى زوجتك

وقعودك في بلادك فالرأي الصواب أن تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك إن شئت الرجوع إلينا فارجع أنت وزوجتك ومرحباً بك وبها لأننا ناس لا نعرف طلاقاً ولا نتزوج منا امرأة مرتين ولا نهجر إنساناً بطرا فقال يا عم أخاف أن ابنتك لا ترضي بالسفر معي إلى بلادي فقال له يا ولدي نحن ما عندنا نساء تخالف بعولتهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها فقال له بارك ا فيكم وفي نسائكم ثم أنه دخل على زوجته وقال لها أنا مرادي السفر إلى بلادي فما تقولين قالت أن أبي يحكم على ما دمت بكراً وحيث تزوجت فقد صار الحكم كله في يد بعلي وأنا لا أخالفه فقال لها بارك ا فيك وفي أبيك ورحم ا بطناً حملتك وظهرا ألقاك ثم بعد ذلك قطع علائقه وأخذ في السفر فأعطاه عمه شيئاً كثيراً وودعا بعضهما ثم أخذ زوجته وسافر ولم يزل مسافراً حتى دخل البصرة فخرجت لملاقاته الأقارب والأصحاب وهم يظنون أنه كان في الحجاز وصار بعض الناس فرحاناً بقدومه وبعضهم مغموماً لرجوعه إلى البصرة وقال الناس لبعضهم أنه يضيق علينا في كل جمعة بحسب العادة ويحبسنا في الجوامع والبيوت حتى يحبس قططنا وكلابنا هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه لما علم بقدومه غضب عليه وأرسل إليه وأحضره بين يديه وعنفه وقال له كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك فهل كنت عاجزاً عن شيء أعطيه لك لتستعين به على الحج إلى بيت ا الحرام فقال له العفو يا سيدي وا ما حججت ولكن جرى لي كذا وكذا وأخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصري وكيف زوجه ابنته إلى أن قال له وقد جئت بها إلى البصرة فقال له وا لولا أني أخاف من ا تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الأصيلة من بعدك ولو كنت أنفق عليها خزائن الأموال لأنها لا تصلح إلا للملوك ولكن جعلها ا من نصيبك وبارك ا لك فيها فاستوص بها خيراً ثم أنه أنعم على الجوهري ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفي إلى رحمة ا تعالى فخطبها الملك فما رضيت وقالت أيها الملك أنا ما وجدت في طائفتي امرأة تزوجت بعد بعلها فأنا لا أتزوج أحداً بعد بعلي فلا أتزوجك ولو كنت تقتلني فأرسل يقول لها هل تطلبين التوجه إلى بلادك فقالت إذا فعلت خيراً تجازى به فجمع لها جميع أموال الجوهري وزادها من عنده على قدر مقامه ثم أرسل معها وزيراً من وزرائه مشهوراً بالخير والصلاح وأرسل معه خمسمائة فارس فسار بها ذلك الوزير حتى أوصلها إلى أبيها وأقامت من غير زواج حتى ماتت ومات الجميع وإذا كانت هذه المرأة ما رضيت أن تبدل زوجها بعد موته بسلطان كيف تسوى بمن تبدله في حال حياته بغلام مجهول الأصل والنسب وخصوصاً إذا كان ذلك في السفاح وعلى غير طريق سنة النكاح ومن ظن أن النساء كلهن سواء فإن داء جنونه ليس له دواء فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحي الذي لا يموت.

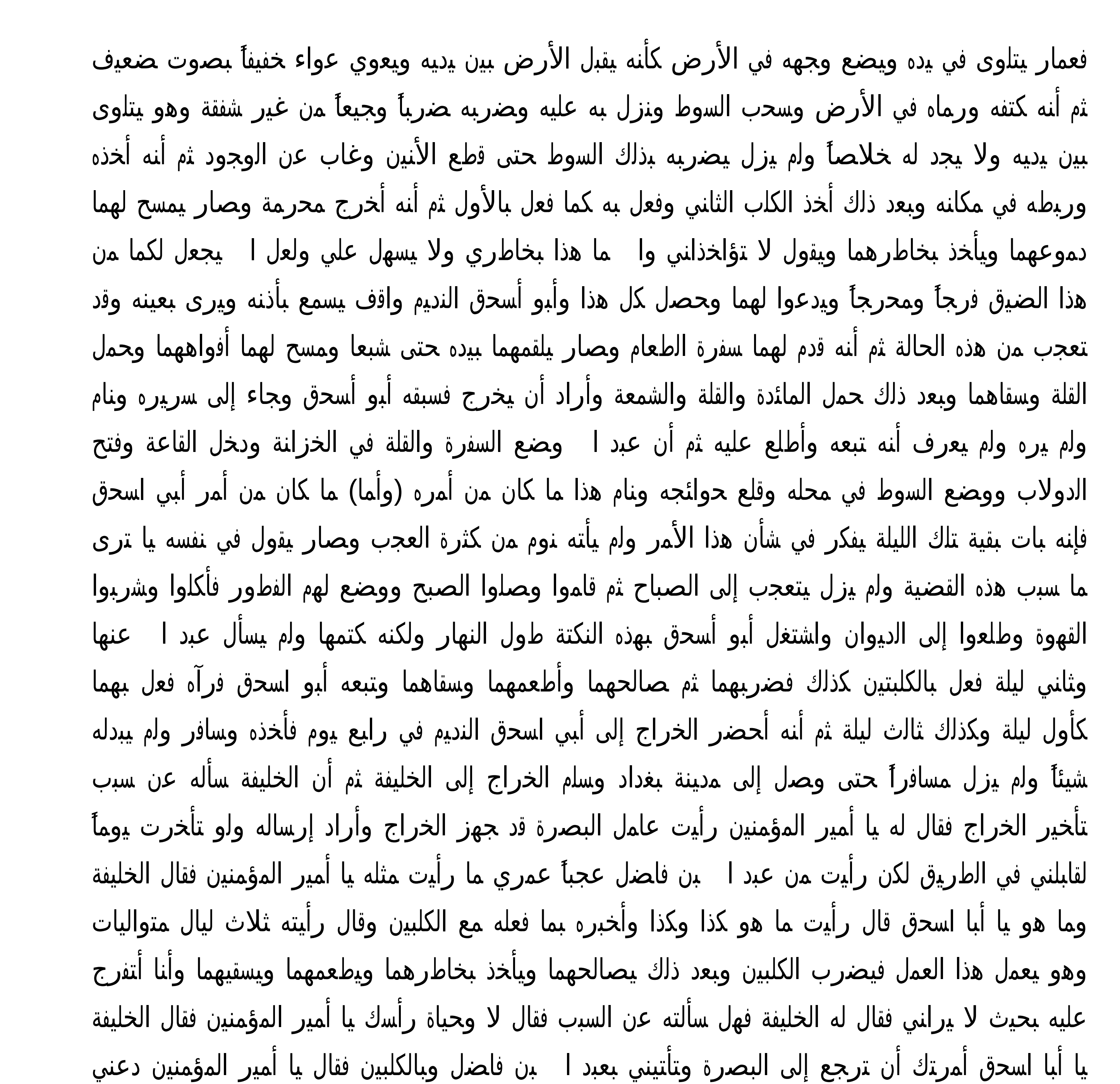
(حكاية عبد ا بن فاضل عامل البصرة مع أخويه)

(وما يحكى أيضاً) أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد تفقد خراج البلاد يوماً من الأيام فرأى خرج جميع الأقطار والبلاد جاء إلى بيت المال إلا خراج البصرة فإنه لم يأت في ذلك العام فنصب ديواناً لهذا السبب وقال على بالوزير جعفر فحضر بين يديه فقال له إن خراج جميع الأقطار جاء إلى بيت المال إلا خراج البصرة فإنه لم يأت منه شيء فقال يا أمير المؤمنين لعل نائب البصرة حصل له أمر لهاه عن إرسال

الخراج فقال له إن مدة حضور الخراج عشرون يوماً فما عذره في هذه المدة حتى لم يرسل الخراج أو يرسل بإقامة العذر فقال له يا أمير المؤمنين إن شئت أرسلنا إليه رسولاً فقال أرسل له أبا أسحق الموصلي النديم فقال سمعاً وطاعة ولك يا أمير المؤمنين ثم أن الوزير جعفر نزل إلى داره وأحضر أبا إسحق الموصلي النديم وكتب له خطاً شريعاً وقال له أمض إلى عبد ا بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذي ألهاه عن إرسال الخراج ثم تسلم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وأئتني به سريعاً فإن الخليفة تفقد خراج الأقطار فوجده قد وصل إلا خراج البصرة وإن رأيت الخراج غير حاضر واعتذر إليك بعذر فهاته معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ خمسة آلاف فارس من عسكر الخليفة وسافر حتى وصل إلى مدينة البصرة فعلم بقدومه عبد ا بن فاضل فخرج بعسكره إليه ولاقاه ودخل به البصرة وطلع به قصره وبقية العسكر نزلوا في الخيام خارج البصرة وقد عين لهم ابن فاضل جميع ما يحتاجون إليه ولما دخل أبو أسحق الديوان وجلس على الكرسي أجلس عبد ا بن فاضل بجانبه وجلس الأكابر حوله على قدر مراتبهم ثم بعد السلام قال له ابن فاضل يا سيدي هل قدومك علينا من سبب قال نعم أنما جئت لطلب الخراج فإن الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت فقال يا سيدي يا ليتك ما تعبت ولا تحملت مشقة السفر فإن الخراج حاضر بالتمام والكمال وقد كنت عازماً أن أرسله في غد ولكن حيث أتيت فأنا أسلمه إليك بعد ضيافتك ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أحضر الخراج بين يديك ولكن وجب علينا الآن أننا نقدم إليك هدية من بعض خيرك وخير أمير المؤمنين فقال له لا بأس بذلك ثم أنه فض الديوان ودخل به قصراً في داره ليس له نظير ثم قدم له ولأصحابه سفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلاذذوا وطربوا ثم رفعت المائدة وغسلت الأيادي وجاءت القهوة والشربات وقعدوا في المنادمة إلى ثلث الليل ثم فرشوا له سريراً من العاج مرصعاً بالذهب الوهاج فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه فغلب السهر على أبي أسحق رسول أمير المؤمنين وصار يفكر في بحور الشعر والنظام لأنه من خواص ندماء الخليفة وكان له باع عظيم في الأشعار ولطائف الأخبار ولم يزل سهراناً في إنشاد الشعر إلى نصف الليل فبينما هو كذلك وإذا بعبد ا بن فاضل قام وشد حزامه وفتح دولاباً وأخذ منه سوطاً وأخذ شمعه مضيئة وخرج من باب القصر وهو يظن أن أبا أسحق نائم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن أن أبا أسحق النديم نائماً فلما خرج تعجب أبو أسحق وقال في نفسه إلى أين يذهب عبد ا ابن فاضل بهذا السوط فلعل مراده أن يعذب أحداً ولكن لابد لي من أن أتبعه وانظر ما يصنع في هذه الليلة ثم أن أبا أسحق قام وخرج وراءه قليلاً قليلاً بحيث أنه لم يره فرأى عبد ا فتح خزانة وأخرج منها مائدة فيها أربعة أصحن من الطعام وخبزاً وقلة فيها ماء ثم أنه حمل المائدة والقلة ومشي فتبعه أبو أسحق مستخفياً إلى أن دخل قاعة فوقف أبو أسحق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشاً فاخراً وفي وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وذلك السرير مربوط فيه كلبان في سلسلتين من الذهب ثم أنه رأى عبد ا حط المائدة على جانب في مكان وشمر عن أياديه وفك الكلب الأول



فعمار يتلوى في يده ويضع وجهه في الأرض كأنه يقبل الأرض بين يديه ويعوي عواء خفيفاً بصوت ضعيف ثم أنه كتفه ورماه في الأرض وسحب السوط ونزل به عليه وضربه ضرباً وجيعاً من غير شفقة وهو يتلوى بين يديه ولا يجد له خلاصاً ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الأنين وغاب عن الوجود ثم أنه أخذه وربطه في مكانه وبعد ذلك أخذ الكلب الثاني وفعل به كما فعل بالأول ثم أنه أخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول لا تؤاخذاني وا ما هذا بخاطري ولا يسهل علي ولعل ا يجعل لكما من هذا الضيق فرجاً ومخرجاً ويدعوا لهما وحصل كل هذا وأبو أسحق النديم واقف يسمع بأذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة ثم أنه قدم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسح لهما أفواههما وحمل القلة وسقاهما وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة وأراد أن يخرج فسبقه أبو أسحق وجاء إلى سريره ونام ولم يره ولم يعرف أنه تبعه وأطلع عليه ثم أن عبد ا وضع السفرة والقلة في الخزانة ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محله وقلع حوائجه ونام هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر أبي اسحق فإنه بات بقية تلك الليلة يفكر في شأن هذا الأمر ولم يأته نوم من كثرة العجب وصار يقول في نفسه يا ترى ما سبب هذه القضية ولم يزل يتعجب إلى الصباح ثم قاموا وصلوا الصبح ووضع لهم الفطور فأكلوا وشربوا القهوة وطلعوا إلى الديوان واشتغل أبو أسحق بهذه النكتة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبد ا عنها وثاني ليلة فعل بالكلبتين كذلك فضربهما ثم صالحهما وأطعمهما وسقاهما وتبعه أبو اسحق فرآه فعل بهما كأول ليلة وكذلك ثالث ليلة ثم أنه أحضر الخراج إلى أبي اسحق النديم في رابع يوم فأخذه وسافر ولم يبدله شيئاً ولم يزل مسافراً حتى وصل إلى مدينة بغداد وسلم الخراج إلى الخليفة ثم أن الخليفة سأله عن سبب تأخير الخراج فقال له يا أمير المؤمنين رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج وأراد إرساله ولو تأخرت يوماً لقابلني في الطريق لكن رأيت من عبد ا بن فاضل عجباً عمري ما رأيت مثله يا أمير المؤمنين فقال الخليفة وما هو يا أبا اسحق قال رأيت ما هو كذا وكذا وأخبره بما فعله مع الكلبين وقال رأيته ثلاث ليال متواليات وهو يعمل هذا العمل فيضرب الكلبين وبعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما ويطعمهما ويسقيهما وأنا أتفرج عليه بحيث لا يراني فقال له الخليفة فهل سألته عن السبب فقال لا وحياة رأسك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة يا أبا اسحق أمرتك أن ترجع إلى البصرة وتأتيني بعبد ا بن فاضل وبالكلبين فقال يا أمير المؤمنين دعني من هذا فإن عبد ا بن فاضل أكرمني أكراماً زائداً وقد اطلعت على هذه الحالة اتفاقاً من غير قصدنا خبرتك بها فكيف أرجع إليه وأجيء به فإن رجعت إليه لا ألقي لي وجهاً حياء منه فاللائق إرسال غيري إليه بخط يدك فيأتيك به وبالكلبين فقال له أن أرسلت له غيرك ربما ينكر هذا الأمر ويقول ما عندي كلاب وأما إذا أرسلتك أنت وقلت له أني رأيتك بعيني فإنه لا يقدر على إنكار ذلك فلابد من ذهابك إليه وإتيانك به وبالكلبين وإلا فلابد من قتلك فقال له أبو اسحق سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين وحسبنا ا ونعم الوكيل وصدق من قال آفة الإنسان من اللسان فأنا الجاني على نفسي حيث أخبرتك ولكن أكتب خطاً شريفاً وأنا أذهب إليه وآتيك به فكتب له خطاً شريفاً وتوجه به إلى البصرة فلما دخل على عامل البصرة قال له كفانا ا شر رجوعك يا أبا اسحق فمالي أراك رجعت سريعاً لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة فقال يا أمير عبد ا ليس رجوعي من أجل نقص الخراج فإنه كامل وقبله الخليفة ولكن أرجو منك عدم المؤاخذة فإني أخطأت في حقك وهذا الذي

وقع مني مقدر من الله تعالى فقال له وما وقع منك يا أبا اسحق أخبرني فإنك حبيبي وأنا لا أؤاخذك فقال له اعلم أني لما كنت عندك اتبعتك ثلاث ليال متواليات وأنت تقوم كل ليلة في نصف الليل وتعذب الكلاب وترجع فتعجبت من ذلك واستحييت أن أسألك عنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبو اسحق قال لعبد الله لما رأيت عذابك للكلبين استحيت أن أسألك عنه وقد أخبرت الخليفة بخبرك اتفاقاً من غير قصد فالزمني بالرجوع إليك وهذا خط يده ولو كنت أعلم أن الأمر يحوج إلى ذلك ما كنت أخبرته ولكن جرى القدر بذلك وصار يعتذر إليه فقال له حيث أخبرته فأنا أصدق خبرك عنده لئلا يظن بك الكذب فإنك حبيبي ولو أخبره غيرك كنت أنكرت ذلك وكذبته فها أنا أروح معك وأخذ الكلبين معي ولو كان في ذلك تلاف نفسي وانقضاء أجلي فقال له الله يسترك كما سترت وجهي عند الخليفة ثم أنه أخذ هدية تليق بالخليفة وأخذ الكلبين في جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا إلى أن وصلوا إلى بغداد ودخلوا على الخليفة فقبل الأرض بين يديه فأذن له بالجلوس فجلس وأحضر الكلبين بين يديه فقال الخليفة ما هذان الكلبان يا أمير عبد الله فصار الكلبان يقبلان الأرض بين يديه ويحركان أذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان إليه فتعجب الخليفة من ذلك وقال له أخبرني بخبر هذين الكلبين وما سبب ضربك لهما وإكرامهما بعد الضرب فقال له يا خليفة ما هذان كلبان وإنما هما رجلان شابان ذوا حسن وجمال وقد واعتدال وهما أخواي وولد أمي وأبي فقال الخليفة وكيف كانا آدميين وصارا كلبين قال إن أذنت لي يا أمير المؤمنين أخبرك بحقيقة الخبر فقال أخبرني وأياك والكذب فإنه صفة أهل النفاق وعليك بالصدق فإنه سفينة النجاة وسيمة الصالحين فقال له اعلم يا خليفة الله أني إذا أخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدان علي فإن كذبت يكذباني وإن صدقت يصدقاني فقال له هذان من الكلاب لايقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك أو عليك فقال لهما يا أخواي إذا أنا تكلمت كلاماً كذباً فارفعا رؤسكما وحملقا أعينكما وإذا تكلمت صدقاً فنكسا رؤسكما وغمضا أعينكما ثم أنه قال اعلم يا خليفة الله إنا نحن ثلاثة أخوة أمنا واحدة وأبونا واحد وكان اسم أبينا فاضل وما سمي بهذا الاسم إلا لكون أمه وضعت ولدين توأمين في بطن واحد فمات أحدهما لوقته وساعته وفضل الثاني فسماه أبوه فاضلاً ثم رباه وأحسن تربيته إلى أن كبر فزوجه أمنا ومات فوضعت أخي هذا أولاً فسماه منصوراً وحملت ثاني مرة ووضعت أخي هذا فسماه ناصراً وحملت ثالث مرة ووضعتني فسماني عبد الله وربانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال فمات وخلّف لنا بيتاً ودكاناً ملآنا قماشاً ملوناً من سائر أنواع القماش الهندي والرومي والخراساني وغير ذلك وخلف لنا ستين ألف دينار فلما مات أبونا غسلناه وعملنا له مشهداً عظيماً ودفناه وذهب لرحمة مولاه وعملنا له عتاقة وختمات وتصدقنا عليه إلى تمام الأربعين يوماً ثم أنني بعد ذلك جمعت التجار وأشراف الناس وعملت لهم يوماً عظيماً وبعد ما أكلوا قلت لهم يا تجار أن الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه هل تعلمون لأي شيء جمعتكم في هذا اليوم المبارك عندي قالوا سبحان علام الغيوب فقلت لهم أن أبي مات عن جملة من المال وأنا خائف أن يكون عليه تبعة لأحد من دين أو رهن أو غير ذلك ومرادي خلاص ذمة أبي من حقوق الناس فمن كان له عليه شيء فليقل أن لي عليه كذا وكذا وأنا أورده له لأجل براءة ذمة أبي فقال لي التجار يا عبد الله أن الدنيا لا

تغني عن الآخرة ولسنا أصحاب باطل وكل منا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من ا تعالى ونجتنب أكل مال اليتيم ونعلم أن أباك رحمة ا عليه كان دائماً يبقى ماله عند الناس ولا يخلي في ذمته شيئاً إلى أحد ونحن كنا دائماً نسمعه وهو يقول أنا خائف من متاع الناس ودائماً كان يقول في دعائه إلهي أنت ثقتي ورجائي فلا تمتني وعلى دين وكان من جملة طباعه أنه إذا كان لأحد عليه شيء فإنه يدفعه له من غير مطالبة وإذا كان له على أحد شيء فإنه لا يطالبه ويقول له على مهلك وإن كان فقيراً يسامحه ويبريء ذمته وإن لم يكن فقيراً ومات يقول سامحه ا ممالي عنده ونحن كلنا نشهد أنه ليس لأحد عنده شيء فقلت بارك ا فيكم ثم أني التفت إلى أخوي هذين وقلت لهما يا أخوي أنا أبانا ليس عليه لأحد شيء وقد حاف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ونحن ثلاثة أخوة كل واحد منا يستحق ثلث هذا الشيء فهل تتفق على عدم القسمة ويستمر مالنا مشتركاً بيننا ونأكل سواء ونشرب سواء ونقسم القماش والأموال ويأخذ كل واحد منا حصته فأبيا إلا القسمة ثم التفت إلى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا أخوي فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما كأنها قال نعم ثم أنه قال فأحضرت قساماً من طرف القاضي يا أمير المؤمنين فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلفه لنا أبونا وجعلوا البيت والدكان من قسمي في نظير بعض ما استحقه من الأموال ورضينا بذاك وصار البيت والدكان في قسمي وهما أخذا قسمهما مالا وقماشاً ثم أني فتحت دكاناً ووضعت فيها القماش واشتريت بجانب من المال الذي خصني زيادة على البيت والدكان قماشاً حتى ملأت الدكان وقعدت أبيع وأشتري وأما أخواي فأنهما اشتريا قماشاً واكتريا مركباً وسافر في البحر إلى بلاد الناس فقلت ا يساعدهما وأنا رزقي يأتيني وليس للراحة قيمة ودمت على ذلك مدة سنة كاملة ففتح ا علي وصرت أكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندي مثل الذي خلفه لنا أبونا فاتفق لي يوماً من الأيام أنني كنت جالساً في الدكان وعلى فروتان أحدهما سمور والأخرى سنجاب لأن ذلك الوقت كان في فصل الشتاء في أوان اشتداد البرد فبينما أنا كذلك وإذا بأخواي قد أقبلا وعلي بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة شفاههما من البرد وهما ينتفصان فلما رأيتهما عسر على ذلك وحزنت عليهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٥)

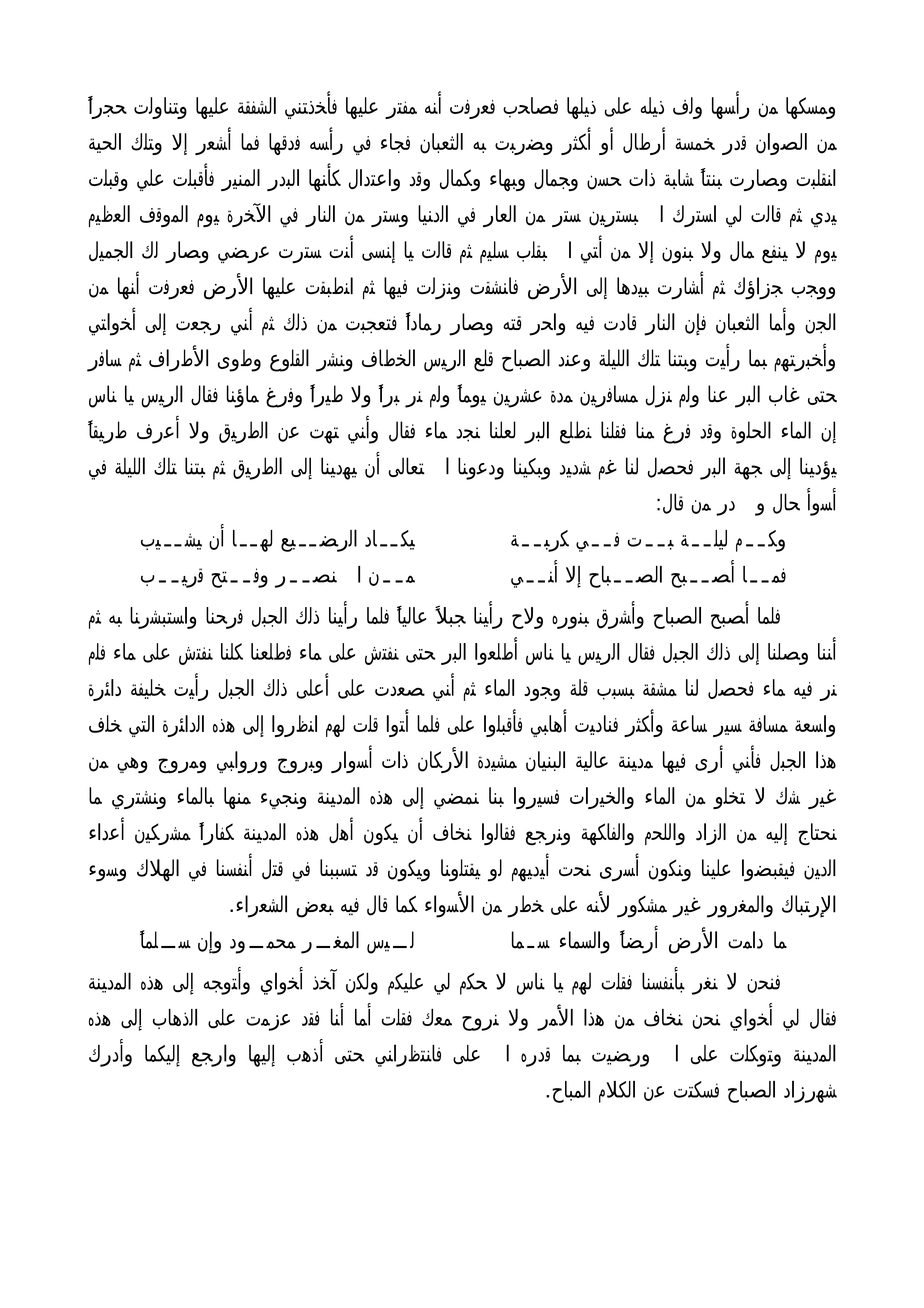
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا بن فاضل لما قال للخليفة فلما رأيتهما ينتفضان عسر على ذلك وحزنت عليهما وطار عقلي من رأسي فقمت إليهما واعتنقتهما وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب وأدخلتهما الحمام وأرسلت إلى كل واحد منهما في الحمام بدلة تاجر ألفي وبعد ما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته ثم أخذتهما إلى البيت فرأيتهما في غاية الجوع فوضعت لهما سفرة الأطعمة فأكلا وأكلت معهما ولاطفتهما وأخذت بخاطرهما ثم التفتت إلى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا أخواي فنكسا رؤسهما وعضا عيونهما ثم أنه قال يا خليفة ا ثم أني أسألتهما وقلت لهما ما الذي جرى لكما فقال سافرنا في البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التي ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير والتي بدينار بعشرين دينار واكتسبنا مكاسب عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقة الحرير بعشرة دنانير وهي تساوي في البصرة أربعين ديناراً ودخلنا مدينة تسمى الكرخ



فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا أموال كثيرة وجعلا يذكر أن لي البلاد والمكاسب فقلت لهما حيث رأيتما هذا الفرج والخير فمالي أراكما رجعتما عريانين فتنهدا وقال يا أخانا ما حل بنا إلا عين صائبة والسفر مائة أمان فلما جمعنا تلك الأموال والخيرات وسقنا متاعنا في مركب وسافرنا في البحر بقصد التوجه إلى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد وأرغى وأزبد وتحرك وهاج وتلاطم بالأمواج وصار الموج يقدح الشرار كلهيب النار واختلفت علينا الأرياح والتطمت بنا المركب في سن جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ما كان معنات في البحر وصرنا نحط على وجه الماء يوماً وليلة فأرسل ا لنا مركباً أخرى فأخذتنا ركابها وصرنا من بلاد إلى بلاد ونحن نسأل ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم وصرنا نقلع من حوائجنا ونبيع ونتقوت حتى قربنا من البصرة حتى شربنا ألف حسرة ولو كنا سلمنا بما كان معنا كنا أتينا بأموال تضاهي أموال الملك ولكن هذا مقدر من ا علينا فقلت لهما يا أخواي لا تحملاهما فإن المال فداء الأبدان والسلامة غنيمة وحيث كتبكم ا من السالمين فهذا غاية المني وما الفقر والغنى إلا كطيف خيال و در من قال:

إذا سلمت هام الرجـال مـن الـردى فمـا المـال الأمثـل قـص الأظـافر

ثم قلت يا أخواي نحن نقدر أن أبانا قد مات في هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذي عندي وقد طابت نفسي على أننا نقسمه بيننا بالسوية ثم أحضرت قساماً من طرف القاضي وأحضرت له جميع مالي فقسمه بيننا وأخذ كل منا ثلث المال فقلت لهما يا أخواي بارك ا للإنسان في رزقه إذا كان في بلاده فكل واحد منكما يفتح له دكاناً ويقعد فيه لتعاطي الأسباب والذي له شيء في الغيب لابد أن يحصله ثم سعيت لكل واحد منهما في فتح دكان وملأته له بالبضائع وقلت لهما بيعا واشتريا واحفظا أموالكما ولا قصر فأمنها شيئاً وجميع ما يلزم لكما من أكل وشرب وغيرهما يكون من عندي ثم قمت بإكرامهما وصار يبيعان ويشتريان في النهار وعند المساء يبيتان في بيت ولم أدعهما يصرفان شيئاً من أموالهما وكلما جلست معهما للحديث يمدحان الغربة ويذكر أن محاسنها ويصفان ما حصل لهما فيها من المكاسب ويغرياني على أن أوافقهما على التغريب في بلاد الناس ثم قال للكلبين هل جرى ذلك يا أخوي فنكسا رؤسهما وغمضا أعينهما تصديقاً له ثم قال يا خليفة ا فما زالا يرغباني ويذكر أن لي كثرة الربح والمكاسب في الغربة ويأمراني بالسفر معهما حتى قلت لهما لابد أن أسافر معكما من أجل خاطركما ثم أني عقدت الشركة بيني وبينهما وحملنا قماشاً من سائر الأصناف النفيسة وأكترينا مركب وشحناها بالبضائع من أنواع المتاجر وأنزلنا في تلك المركب جميع ما نحتاج إليه ثم سافرنا من مدينة البصرة في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج الذي الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود ومازلنا مسافرين حتى طلعنا إلى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب ثم رحنا منها إلى غيرها ولم نزل نرحل من بلاد إلى بلاد ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري ونربح حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم ثم أننا وصلنا إلى جبل فألقى الريس المرساة وقال لنا يا ركاب اطلعوا إلى البر تنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم تجدون ماء فخرج جميع من في المركب وخرجت أنا بجملتهم وصرنا نفتش على الماءوتوجه كل منا في جهة وصعدت أنا على أعلى الجبل فبينما أنا سائر إذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة وورائها ثعبان أسود يسعى خلفها وهو مشوه الخلقة هائل المنظر ثم أن الثعبان لحقها وضايقها



ومسكها من رأسها ولف ذيله على ذيلها فصاحب فعرفت أنه مفتر عليها فأخذتني الشفقة عليها وتناولت حجراً من الصوان قدر خمسة أرطال أو أكثر وضربت به الثعبان فجاء في رأسه فدقها فما أشعر إلا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتاً شابة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كأنها البدر المنير فأقبلت علي وقبلت يدي ثم قالت لي استرك ا بسترين ستر من العار في الدنيا وستر من النار في الآخرة يوم الموقف العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي ا بقلب سليم ثم قالت يا إنسى أنت سترت عرضي وصار لك الجميل ووجب جزاؤك ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الأرض فعرفت أنها من الجن وأما الثعبان فإن النار قادت فيه واحر قته وصار رماداً فتعجبت من ذلك ثم أني رجعت إلى أخواتي وأخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الأطراف ثم سافر حتى غاب البر عنا ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوماً ولم نر براً ولا طيراً وفرغ ماؤنا فقال الريس يا ناس إن الماء الحلوة وقد فرغ منا فقلنا نطلع البر لعلنا نجد ماء فقال وأني تهت عن الطريق ولا أعرف طريقاً يؤدينا إلى جهة البر فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا ا تعالى أن يهدينا إلى الطريق ثم بتنا تلك الليلة في أسوأ حال و در من قال:

وكـــم ليلـــة بـــت فـــي كربـــة	يكـــاد الرضـــيع لهـــا أن يشـــيب
فمـــا أصـــبح الصـــباح إلا أتـــي	مـــن ا نصـــر وفـــتح قريـــب

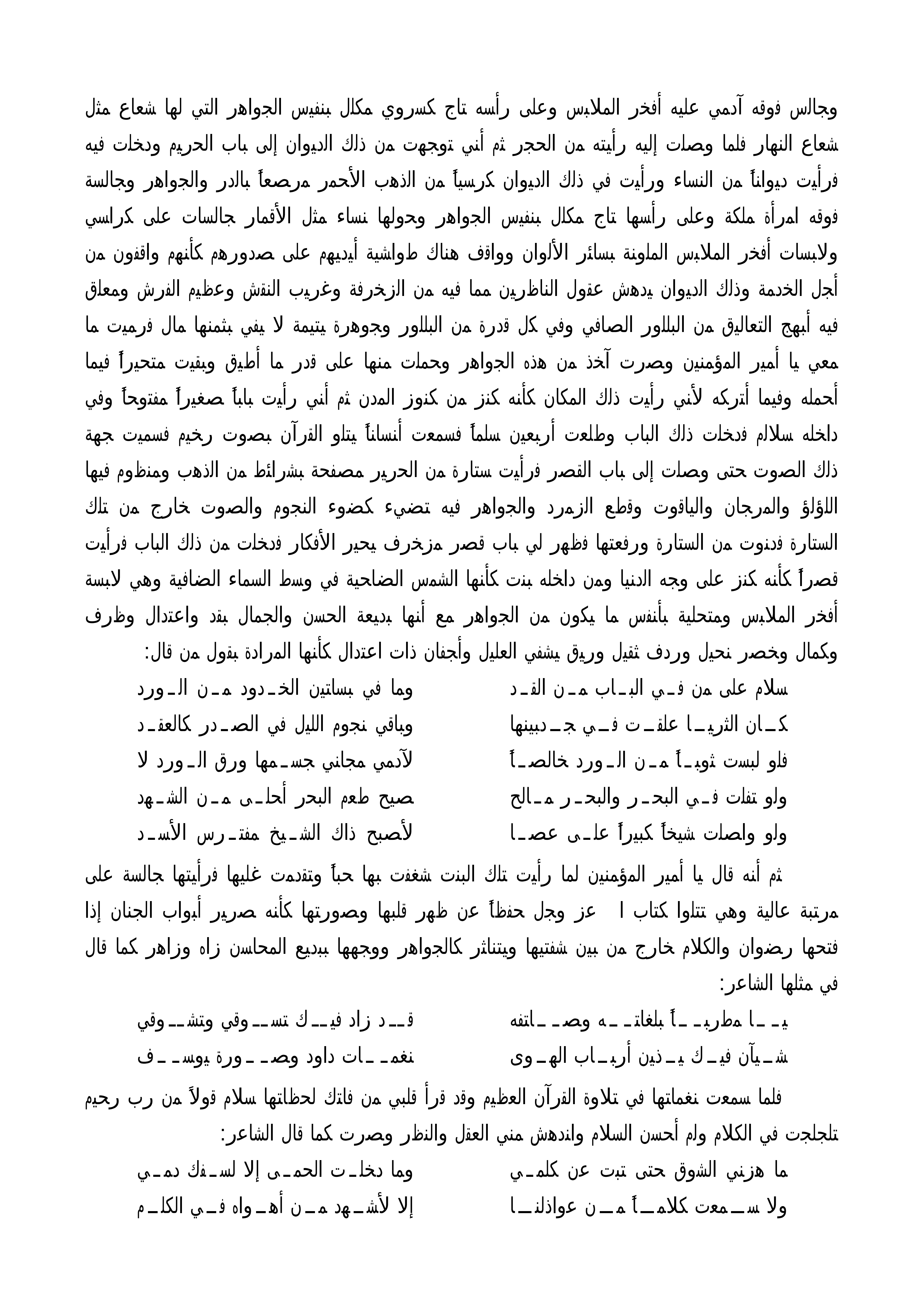
فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأينا جبلاً عالياً فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به ثم أننا وصلنا إلى ذلك الجبل فقال الريس يا ناس أطلعوا البر حتى نفتش على ماء فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء ثم أني صعدت على أعلى ذلك الجبل رأيت خليفة دائرة واسعة مسافة سير ساعة وأكثر فناديت أهابي فأقبلوا على فلما أتوا قلت لهم انظروا إلى هذه الدائرة التي خلف هذا الجبل فأني أرى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان ذات أسوار وبروج وروابي ومروج وهي من غير شك لا تخلو من الماء والخيرات فسيروا بنا نمضي إلى هذه المدينة ونجيء منها بالماء ونشتري ما نحتاج إليه من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع فقالوا نخاف أن يكون أهل هذه المدينة كفاراً مشركين أعداء الدين فيقبضوا علينا ونكون أسرى تحت أيديهم لو يقتلونا ويكون قد تسببنا في قتل أنفسنا في الهلاك وسوء الإرتباك والمغرور غير مشكور لأنه على خطر من الأسواء كما قال فيه بعض الشعراء.

ما دامت الأرض أرضاً والسماء سـما	لـيس المغـر ر محمـود وإن سـلما

فنحن لا نغر بأنفسنا فقلت لهم يا ناس لا حكم لي عليكم ولكن آخذ أخواي وأتوجه إلى هذه المدينة فقال لي أخواي نحن نخاف من هذا الأمر ولا نروح معك فقلت أما أنا فقد عزمت على الذهاب إلى هذه المدينة وتوكلت على ا ورضيت بما قدره ا على فانتظراني حتى أذهب إليها وارجع إليكما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا   قال فانتظراني حتى أذهب إليها وأرجع إليكما ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت إلى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة أسوارها عالية وأبراجها محصنة وقصورها شاهقة وأبوابها من الحديد الصيني وهي مزخرفة منقوشة تدهش العقول فلما دخلت الباب رأيت دكه من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفي ذراعه سلسلة من النحاس الأصفر وفي تلك السلسلة أربعة عشر مفتاحاً فعرفت أن ذلك الرجل بواب المدينة والمدينة لها أربعة عشر باباً ثم أني دنوت منه وقلت له السلام عليكم فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانياً وثالثاً فلم يرد علي الجواب فوضعت يدي على كتفه وقلت له يا هذا لأي شيء لا ترد علي السلام هل أنت نائم أو أصم أو غير مسلم حتى تمنع رد السلام فلم يجبني ولم يتحرك فتأملت فيه فرأيته حجراً فقلت أن هذا شيء عجيب هذا الحجر مصور بصورة ابن آدم ولم ينقص عنه غير النطق ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلاً واقفاً في الطريق فدنوت منه وتأملته فرأيته حجر وقابلت امرأة عجوزاً على رأسها عقدة ثياب مهيأة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر والعقدة الثياب التي على رأسها من الحجر ثم أني دخلت السوق فرأيت زياتا ميزانه منصوبة وقدامه أصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر ثم أني رأيت سائر المتسببين جالسين في الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت نساء وصبياناً وكل ذلك من الحجر ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالساً في دكانه والدكان ممتلئة بأنواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الأقمشة كنسيج العنكبوت فصرت أتفرج عليها وكلما صرت مسكت ثوباً من القماش يصير بين يدي هباء منثور ورأيت صناديق ففتحت واحداً فوجدت فيه ذهباً في أكياس فأمسكت الأكياس فذابت في يدي والذهب لم يزل على حاله فحملت منه مالا أطيقه وصرت أقول في نفسي ولو حضر أخواي معي لأخذا من الذهب كفايتهما وتمتعا من هذه الذخائر التي لا أصحاب لها وبعد ذكل دخلت دكاناً آخر فرأيت فيه أكثر من ذلك ولكن ما بقيت أقدر أن أحمل غير ما حملت ثم أني خرجت من سوق آخر ثم منه إلى سوق آخر وهكذا ولا زلت أتفرج على مخلوقات مختلفة وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة ثم دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالاً جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في أيديهم وبعضها في أقفاص فلما رأيت ذلك يا أمير المؤمنين رميت ما كان معي من الذهب وحملت من المصاغ ما أطيق حمله وخرجت من سوق الصاغة إلى سوق الجواهر فرأيت الجوهرية جالسين في دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قبض ملآن بأنواع المعادن كالياقوت والألماس والبلخش وغير ذلك من سائر الأصناف وأصحاب الدكاكين أحجار فرميت ما كان معي من المصاغ وحملت من الجواهر ما أطيق حمله وبقيت أتندم حيث لم يكن أخواي معي حتى يأخذا من تلك الجواهر ما أراده ثم أني خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزين بأحسن زينة ومن داخل الباب دكك وجالس على تلك الدكك خدم وجند وأعوان وعساكر وحكام وهم لا بسون أفخر الملابس وكلهم أحجار فسلمت واحد منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسيج العنكبوت ثم أني مشيت في ذلك الباب فرأيت سرايه ليس لها نظير في بنائها وأحكام صنعتها ورأيت في تلك السراية ديواناً مشحوناً من الذهب بالأكابر والوزراء والأعيان والأمراء وهم جالسون على كراسي وكلهم أحجار ثم أني رأيت كرسياً الأحمر مرصعاً بالدر والجواهر



وجالس فوقه آدمي عليه أفخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروي مكلل بنفيس الجواهر التي لها شعاع مثل شعاع النهار فلما وصلت إليه رأيته من الحجر ثم أني توجهت من ذلك الديوان إلى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديواناً من النساء ورأيت في ذلك الديوان كرسياً من الذهب الأحمر مرصعاً بالدر والجواهر وجالسة فوقه امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الأقمار جالسات على كراسي ولابسات أفخر الملابس الملونة بسائر الألوان وواقف هناك طواشية أيديهم على صدورهم كأنهم واقفون من أجل الخدمة وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين مما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيه أبهج التعاليق من البللور الصافي وفي كل قدرة من البللور وجوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال فرميت ما معي يا أمير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما أطيق وبقيت متحيراً فيما أحمله وفيما أتركه لأني رأيت ذلك المكان كأنه كنز من كنوز المدن ثم أني رأيت باباً صغيراً مفتوحاً وفي داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت أربعين سلماً فسمعت أنساناً يتلو القرآن بصوت رخيم فسميت جهة ذلك الصوت حتى وصلت إلى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد والجواهر فيه تضيء كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لي باب قصر مزخرف يحير الأفكار فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصراً كأنه كنز على وجه الدنيا ومن داخله بنت كأنها الشمس الضاحية في وسط السماء الضافية وهي لابسة أفخر الملابس ومتحلية بأنفس ما يكون من الجواهر مع أنها بديعة الحسن والجمال بقد واعتدال وظرف وكمال وخصر نحيل وردف ثقيل وريق يشفي العليل وأجفان ذات اعتدال كأنها المرادة بقول من قال:

سلام على من فـي البـاب مـن القـد ... وما في بساتين الخـدود مـن الـورد
كـان الثريـا علقـت فـي جـدبينها ... وباقي نجوم الليل في الصـدر كالعقـد
فلو لبست ثوبـاً مـن الـورد خالصـاً ... لآدمي مجاني جسـمها ورق الـورد لا
ولو تفلت فـي البحـر والبحـر مـالح ... صبح طعم البحر أحلـى مـن الشـهد
ولو واصلت شيخاً كبيراً علـى عصـا ... لأصبح ذاك الشـيخ مفتـرس الأسـد

ثم أنه قال يا أمير المؤمنين لما رأيت تلك البنت شغفت بها حباً وتقدمت غليها فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهي تتلوا كتاب ا عز وجل حفظاً عن ظهر قلبها وصورتها كأنه صرير أبواب الجنان إذا فتحها رضوان والكلام خارج من بين شفتيها ويتناثر كالجواهر ووجهها ببديع المحاسن زاه وزاهر كما قال في مثلها الشاعر:

يـا مطربـاً بلغاتـه وصـاتفه ... قـد زاد فيـك تسـوقي وتشـوقي
شـيآن فيـك يـذين أربـاب الهـوى ... نغمـات داود وصـورة يوسـف

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم وقد قرأ قلبي من فاتك لحظاتها سلام قولاً من رب رحيم تلجلجت في الكلام ولم أحسن السلام واندهش مني العقل والنظر وصرت كما قال الشاعر:

ما هزني الشوق حتى تبت عن كلمـي ... وما دخلـت الحمـى إلا لسـفك دمـي
ولا سـمعت كلامـاً مـن عواذلنـا ... إلا لأشـهد مـن أهـواه فـي الكلـم

ثم تجلدت على هول الغرام وقلت لها السلام عليك أيتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة أدام ا قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك فقالت وعليك مني السلام والتحية والإكرام يا عبد ا يا بن فاضل أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا حبيبي وقرة عيني فقلت لها يا سيدتي من أين علمت أسمي ومن تكوني أنت وما شأن أهل هذه المدينة حتى صاروا أحجاراً فمرادي أن تخبرني بحقيقة الأمر فأني تعجبت من هذه المدينة ومن أهلها ومن كونها لم يوجد فيها أحد إلا أنت فبا عليك أن تخبريني بحقيقة ذلك على وجه الصدق فقالت لي أجلس يا عبد ا وأنا إن شاء ا تعالى أحدثك وأخبرك بحقيقة أمري وبحقيقة أمر هذه المدينة وأهلها على التفصيل ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فجلست إلى جانبها فقالت لي اعلم يا عبد ا يرحمك ا أنني بنت ملك هذه المدينة ووالدي هو الذي رأيته جالساً في الديوان على الكرسي العالي والذي حوله أكابر دولته وأعيان مملكته وكان أبي ذات بطش شديد ويحكم على ألف ألف ومائة ألف وعشرين ألف جندي وعده أمراء دولته أربعة وعشرون ألفاً كلهم حكام وأصحاب مناصب وتحت طاعته من المدن ألف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى وأمراء العربان الذين تحت يده ألف أمير كل أمير يحكم على عشرين ألف فارس وعنده من الأموال والذخائر والمعادن والجواهر لاعين رأت ولا أذن سمعت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت ملك مدينة الأحجار قالت يا عبد ا أن أبي كان عنده من الأموال والذخائر مالا عين رأت ولا أذن سمعت وكان يقهر الملوك ويبيد الأبطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان ونخشاه جبابرة وتخضع له الأكاسرة ومع ذلك كان كافراً مشركاً با يعبد الصنم دون مولاه وجميع عساكره كفار يعبدون الأصنام دون الملك العلام فأتفق أنه كان يوماً من الأيام جالساً على كرسي مملكته وحوله أكابر دولته فلم يشعر إلا وقد دخل عليه شخص فأضاء الديوان من نور وجهه فنظر إليه أبي فرآه لابساً حلة خضراء وهو طويل القامة وأياديه نازلة إلى تحت ركبتيه وعليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه فقال لأبي يا باغي يا مفتري إلى متى وأنت مغرور بعبادة الأصنام وتترك عبادة الملك العلام قل أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأسلم أنت وقومك ودع عنك عبادة الأصنام فإنها لا تنفع ولا تشفع ولا يعبد بحق إلا ا رافع السموات بغير عماد وباسط الأرضين رحمة للعباد فقال من أنت أيها الرجل الجاحد لعبادة الأصنام حتى تتكلم بهذا الكلام أما تخشى أن تغضب عليك الأصنام فقال له إن الأصنام أحجار لا يضرني غضبها ولا ينفعني رضاها فأحضر لي صنمك الذي أنت تعبده وأمر كل واحد من قومك يحضر صنمه فإذا حضر جميع أصنامكم فأدعوهم ليغضبوا علي وأنا أدعوا ربي أن يغضب عليكم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق فإن أصنامكم قد صنعتموها أنتم وتلبست بها الشياطين وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون الأصنام فأصنامكم مصنوعة وألهي صانع ولا يعجزه شيء فإن ظهر لكم الحق فأتبعوه وإن ظهر لكم الباطل فاتركوه فقالوا له أئتنا ببرهان ربك حتى نراه فقال أئتوني ببراهين أربابكم فأمر الملك كل من كان يعبد رباً من الأصنام أن يأتي به فأحضر جميع العساكر أصنامهم في الديوان هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمري فإني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف على ديوان أبي وكان لي صنم من زمردة خضراء

جسمة قدر جسم ابن آدم فطلبه أبي فأرسلته إليه في الديوان فوضعوه في جانب صنم أبي وكان صنم أبي من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الألماس وأما أكابر العساكر والرعية فبعض أصنامهم من البلخش وبعضها من العنبر وبعضها من المرجان وبعضها من العود القماري وبعضها من الأبنوس وبعضها من الفضة وبعضها من الذهب وكل واحد منهم له صنم على قدر ما تسمح به نفسه وأما رعاع العساكر والرعية فبعض أصنامهم من الصوان وبعضها من الخشب وبعضها من الفخار وبعضها من الطين وكل الأصنام مختلفة الألوان ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأسود وأبيض ثم قال ذلك الشخص لأبي أدع صنمك وهؤلاء الأصنام تغضب على فصفوا تلك الأصنام ديواناً وجعلوا صنم أبي على كرسي من الذهب وصنمي إلى جانبه في الصدر ثم رتبوا الأصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبده وقام أبي وسجد لصنمه وقال له يا إلهي أنت الرب الكريم وليس في الأصنام أكبر منك وأنت تعلم أن هذا الشخص أتاني طاعنا في ربوبيتك مستهزئاً بك ويزعم أن له إلهاً أقوى منك ويأمرنا نترك عبادتك ونعبد آلهه فأغضب عليه يا إلهي وصار يطلب من الصنم لا يرد عليه جواباً ولا يخاطبه بخطاب فقال له يا إلهي ما هذه عادتك لأنك كنت تكلمني إذا كلمتك فمالي أراك ساكتاً لا تتكلم هل أنت غافل أو نائم فانتبه وأنصرني وكلمني ثم هزه فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه فقال ذلك الشخص لأبني مالي أرى صنمك لا يتكلم قال له أظن أنه غافل أو نائم فقال له يا عدو ا كيف تعبد إلهاً لا ينطق وليس له قدرة على شيء ولا تعبد إلهي الذي هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يغفل ولا ينام ولا تدركه الأوهام يرى ولا يرى وهو على كل شيء قدير والهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه وقد كان ملتبساً به شيطان رجيم يضلك ويغويك وقد ذهب الآن شيطانه فاعبد ا واشهد أنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه وأنه لا يستحق العبادة غيره ولا خير إلا خبره وأما الهك هذا فإنه لا يقدر على دفع الشر عن نفسه فكف يقدر على دفعه عنك فانظر بعينك عجزه ثميقدم وصار يصكه على رقبته حتى وقع على الأرض فغضب الملك وقال للحاضرين أن هذا الجاحد قد صك الهي فاقتلوه فأرادوا القيام ليضربوه فلم يقدر أحد منهم أن يقوم من مكانه فعرض عليهم الإسلام فلم يسلموا فقال أريكم غضب ربي فقالوا أرنا فبسط يديه وقال إلهي وسيدي أنت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي على هؤلاء القوم الفجار الذين يأكلون خيرك ويعبدون غيرك يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار أسألك أن تقلب هؤلاء القوم أحجاراً فإنك قادر ولا يعجزك شيء وأنت على كل شيء قدير فمسخ ا أهل هذه المدينة أحجاراً وأما أنا فأني حين رأيت برهانه أسلمت وجهي فسلمت مما أصابهم ثم أن ذلك الشخص دنا مني وقال لي سبقت لك من ا السعادة و في ذلك إرادة وصار يعلمني وأخذت عليه العهد والميثاق وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت وفي هذا الوقت صار عمري ثلاثين عاماً ثم أني قلت له يا سيدي جميع ما في هذه المدينة وجميع أهلها صاروا أحجاراً بدعوتك الصالحة وقد نجوت أنا حين أسلمت على يديك فأنت شيخي فأخبرني بأسمك ومدني بمددك وتصرف لي في شيء أقتأت منه فقال لي اسمي أبو العباس الخضر ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت وأورقت وأزهرت وأثمرت رمانة واحدة في الحال فقال كلي مما رزقك ا تعالى وأعبديه حق عبادته ثم علمني شروط الإسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن وصار لي ثلاثة وعشرون عاماً وأنا أعبد ا في هذا المكان وفي كل يوم تطرح لي هذه الشجرة رمانة فأكلها وأقتات بها م الوقت إلى الوقت والخضر عليه السلام



يأتيني كل جمعة وهو الذي عرفني بأسمك وبشرني بأنك سوف تأتيني في هذا المكان وقد قال لي إذا أتاك فأكرميه وأطيعي أمره ولا تخالفيه وكوني له أهلاً ويكون لك بعلاً واذهبي معه حيث شاء فلما رأيتك عرفتك وهذا هو خبر هذه المدينة وأهلها والسلام ثم أنها أرتني شجرة الرمان وفيها رمانة فأكلت نصفها وأطعمتني نصفها فما رأيت أحلى ولا أذكى ولا أطعم من تلك الرمانة ثم قلت لها لعلك رضيت بما أمرك به شيخك الخضر عليه السلام أن تكوني لي أهلاً وأكون لك بعلاً وتذهبي معي إلا بلادي وأمكث بك في مدينة البصرة فقالت نعم إن شاء ا تعالى فأني سميعة لقولك مطيعة لأمرك من غير خلاف ثم أني أخذت عليها العهد الوثيق وأدخلتني إلى خزانة أبيهاوأخذنا منها على قدر ما استطعنا جملة وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا إلى أخواي فرأيتهما يفتشان على فقالا لي أين كنت فأنك أبطأت علينا وقلبنا مشغول عليك وأما رئيس المركب فأنه قال لي يا تاجر عبد ا أن الريح طاب لنا من مدة وأنت عوقتنا عن السفر فقلت له لا ضرر في ذلك ولعل التأخير خير لأن غيابي لم يكن فيه غير الإصلاح وقد حصل لي فيه بلوغ الآمال و در من قال:

ومـا أدري إذا يممـت أرضـاً   أريـد الخيـر أيهمـا يلينـي
أللخيـر الـذي أنـا أبتغيـه   أم الشـر الـي هـو يبتغينـي

ثم قلت لهم انظروا ما حصل لي في هذه الغيبة وفرجتهم على ما معي من الذخائر وأخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لهم لو كنتم أطعتموني ورحتم معي كان نحصل لكم من هذا شيء كثيرة فقالوا له وا لو رحنا ما كنا نستجري أن ندخل على ملك المدينة فقلت لأخواي لا بأس عليكما فالذي معي يكفينا جميعاً وهذا نصيبنا ثم أني قسمت ما معي أقساماً على قدر الجميع وأعطيت لأخواي والريس وأخذت مثل واحد منهم وأعطيت ما تيسر للخدامين والنوتية ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما أعطيته لهم إلا أخواي فأنهما تغيرت أحوالهما ولاجت عيونهما فلحظت أن الطمع تمكن منهما فقلت لهما يا أخواي أظن أن الذي أعطيته لكما لم يقنعكما ولكن أنا أخوكما وأنتما أخواي ولا فرق بيني وبينكما ومالي ومالكما شيء واحد وإذا مت لا يرثني غيركما وصرت آخذ بخاطرهما ثم أني أنزلت البنت في الغليون وأدخلتها في الخزنة وأرسلت لها شيئاً تأكله وقعدت أتحدث أنا وأخواي فقالا لي يا أخانا ما مرادك أن تفعل بهذا البنت البديعة الجمال فقلت لهما مرادي أن أكتب كتابي عليها إذا دخلت البصرة وأعمل فرحاً عظيماً وأدخل بها هناك فقال أحدهما يا أخي أعلم أن هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها في قلبي فمر أذى أن تعطيها لي فأتزوج بها أنا وقال الثاني وأنا الآخر كذلك فأعطها لي لا تزوج بها فقلت لهما يا أخواي أنها قد أخذت على عهداً وميثاقاً أني أتزوج بها فإذا أعطيتها لواحد منكما أكون نافضاً للعهد الذي بيني وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر لأنها ما أتت معي إلا على شرطاني أتزوج بها فكيف أزوجها لغيري وأما من جهة أنكما تحبانها فأنا أحبها أكثر منكما علي أنها لقيتي وكوني أعطيها لواحد منكما هذا شيء لا يكون أبداً ولكن إذا دخلنا مدينة البصرة بالسلامة أنظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة وأخطبهما لكما وأدفع المهر من مالي وأجعل الفرح واحداً وندخل نحن الثلاثة في ليلة واحدة وأعرضا عن هذه البنت فإنها من نصيبي فسكتا وقد ضننت أنهما رضيا بما قلت لهما ثم أننا سافرنا متوجهين إلى أرض البصرة وصرت أرسل إليها ما تأكل وما تشرب وهي لا تخرج من خزنة المركب وأنا أنام بين أخواي على ظهر الغليون ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة

أربعين يوماً حتى بانت لنا مدينة البصرة ففرحنا بإقبالنا عليها وأنا راكن إلى أخواي ومطمئن بهما ولا يعلم الغيب إلا ا تعالى فنمت تلك الليلة فبينما أنا مستغرق في النوم لم أشعر بأني محمول بين أيادي أخواي هذين واحد قابض على سيقاني والآخر من يدي لكونهما اتفقا على في البحر من شأن تلك البنت فلما رأيت روحي محمولاً بين أيديهما قلت يا أخواي لأي شيء تفعلان معي هذه الفعال فقالا يا قليل الأدب كيف تبيع خاطرنا ببنت فنحن نرميك في البحر من أجل ذلك ثم رموني فيه ثم أنه التفت إلى الكلبين وقال أحق ما قلته يا أخواي أم لا فنكسا رؤوسهما وصار يعويان كأنهما يصدقان قوله فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال يا أمير المؤمنين فلما رموني في البحر وصلت إلى القرار ثم نقضني الماء على وجه البحر فما أشعر إلا وطائر كبير قدر الآدمي نزل علي وخطفني وطار بي في الجو إلا علي ففتحت عيني فرأيت روحي في قصر مشيد الأركان عالي البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر من سائر الأشكال والألوان وفيه جوار واقفات واضعات الأيادي على الصدور وإذا بامرأة جالسة بينهن على كرسي من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وعليها ملابس لا يقدر الإنسان أن يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر وعليها حزام من الجواهر لابقى بثمنه مال وعلى رأسها تاج ثلاث دورات يحير العقول والأفكار ويخطف القلوب والأبصار ثم أن الطير الذي خطفني انتفض فصار صبية كأنها الشمس المضيئة فامعنت النظر فيها فإذا هي التي كانت في الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها واف ذيله على ذيلها وأنا حين رأيت الثعبان قهرها وغاب عليها قتلته بالحجر فقالت لها المرأة التي هي جالسة على الكرسي لأي شيء جئت هنا بهذا الأنسي فقالت لها يا أمي أن هذا هو الذي كان سبباً في ستر عرضي بين بنات الجان ثم قالت لي هل تعرف من أنا قلت لا قالت أنا التي كنت في الجبل الفلاني وكان الثعبان الأسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وأنت قتلته فقلت أنما رأيت مع الثعبان حية بيضاء فقالت أنا التي كنت حية بيضاء ولكني بنت الملك الأحمر ملك الجان واسمي سعيدة وهذه الجالسة هي أمي واسمها مباركة زوجة الملك الأحمر والثعبان الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الأسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة واتفق أنه لما رآني عشقني ثم أنه خطبني من أبي فأرسل إليه أبي يقول له وما مقدارك يا قطاعة الوزراء حتى يتزوج بنات الملوك فاغتاظ من ذلك وحلف يميناً أنه لابد أن يفضح عرضي كيداً في أبي وصار يقفوا ثرى ويبعني أينما رحت ومراده أن يفضح عرضي وقد وقع بينه وبين أبي حروب عظيمة ومشتقات جسيمة ولم يقدر عليه أبي لكونه جباراً مكاراً ثم أن أبي كلما ضايقه وأراد أن يظفر به يهرب منه وقد عجز أبي وصرت أنا في كل يوم أنقلب أشكالاً وألواناً وكلما انقلبت في صفة ينقلب هو في صفة ضدها وكلما هربت إلى أرض يشم رائحتي يلحقني في تلك الأرض حتى قاسيت منه مشقة عظيمة ثم أنقلبت في صفة حية وذهبت إلى ذلك الجبل فانقلب هو في صفة ثعبان وتبعني فيه فوقعت في يده وعالجني وعالجته حتى اتبعني وركب علي وكان مراده يفعل بي ما يشتهيه فأتيت أنت وضربته بالحجر فقتلته وأنا انقلبت بنتاً وأريتك روحي وقلت لك على جميل لا يضيع إلا مع أولاد الزنا فلما رأيت أخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر بادرت إليك وخلصتك من الهلاك ووجب لك الإكرام من أمي وأبي ثم أنها قالت يا أمي أكرميه في نظير ما ستر عرضي فقالت مرحباً بك يا أنسي فإنك فعلت معنا جميلاً تستحق عليه الإكرام وأمرت لي ببدلة كنوزية تساوي جملة من المال وأعطتني جملة من الجوهر والمعادن ثم

أنها قالت خذوه وأدخلوه على الملك فأخذوني وأدخلوني على الملك في الديوان فرأيته جالساً على كرسي وبين يديه المردة والأعوان فلما رأيته زاغ بصري مما رأيته عليه من الجواهر فلما رآني قام على الأقدام وقامت العساكر إجلالاً له ثم حياني ورحب بي وأكرمني غاية الإكرام وأعطاني مما عنده من الخيرات وبعد ذلك قال لبعض أتباعه خذوه إلى بنتي توصله إلى المكان الذي جاءت به منه فأخذوني وذهبوا بي إلى سيدة بنته فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات هذا ما كان من أمري وأمر سعيدة وأما ما كان من أمر ريس الغليون فإنه أفاق على الخبطة حين رموني في البحر فقال ما الذي وقع في البحر فبكي أخواي وصار يخبطان على صدورهما ويقولان يا ضيعة أخينا فإنه أراد أن يزيل ضرورة في الغليون فوقع في البحر ثم أنهما وضعا أيديهما على مالي ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول ما يأخذها غيري واستمر علي الخصام مع بعضهما ولم يتذكر أخاهما ولا غرقه وزال حزنهما عليه فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيده نزلت في وسط الغليون. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا بن فاضل قال فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون فرآني أخواي فعانقاني وفرحا بي وصار يقولان يا أخانا كيف حالك فيما جرى لك أن قلبنا مشغول عليك فقالت سعيدة إن كان قلبكما عليه أو كنتما تحبانه ما كنتما رميتماه في البحر وهو نائم ولكن اختارا لكما موته تموتانها وقبضت عليهما وأرادت قتلهما فصاحا وقالا في عرضك يا أخانا فصرت أتداخل عليها وأقول لها أنا واقع في عرضك لا تقتلي أخواي وهي تقول لابد من قتلهما لأنهما خائنان فمازلت ألاطفها واستعطفها حتى قالت من شأن خاطرك لا أقتلهما ولكن أسحرهما ثم أخرجت طاسة وحطت فيها ماء من ماء البحر وتكلمت عليها بكلام لا يفهم وقالت أخرجا من الصورة البشرية إلى الصورة الكلبية ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما يا خليفة ا ثم التفت إليها وقال أحق ما قلته يا أخواي فنكسا رؤسهما كأنهما يقولان له صدقت ثم قال يا أمير المؤمنين وبعد أن سحرتهما كلبين قالت لمن كان في الغليون اعلموا أن عبد ا ابن فاضل هذا صار أخي وأنا أشق عليه كل يوم مرة أو مرتين وكل من خالفه منكم أو خالف أمره وآذاه باليد أو باللسان فأني أفعل به ما فعلت بهذين الخائنين وأسحره كلباً حتى ينقضي عمره وهو في صورة الكلب ولا يجد له خلاصاً فقال لها الجميع يا سيدتي نحن كلنا عبيده وخدمه ولا نخالفه ثم أنها قالت لي إذا دخلت البصرة فتفقد جميع مالك فإن كان نقص منه شيء فاعلمني وأنا أجيء لك به من أي شخص كان ومن أي مكان كان ومن كان آخذه أسحره كلباً ثم بعد أن تخزن أموالك ضع في رقبة كل من هذين الخائنين غلا وأربطهما في ساق السرير وأجعلهما في سجن وحدهما وكل ليلة في نصف الليل أنزل إليهما وأضرب كل واحد منهما علقة حتى يغيب عن الوجود وأن مضت ليلة ولم تضربهما فأني أجيء لك وأضربك علقة وبعد ذلك أضربهما فقلت لها سمعاً وطاعة ثم أنها قالت لي أربطهما في الحبال حتى تدخل البصرة فوضعت في رقبة كل واحد منهما حبلاً ثم ربطتهما في الصاري وتوجهت هي إلى حال سبيلها وفي ثاني يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتي وسلموا علي ولم يسأل أحد عن أخواي وإنما صاروا ينظرون إلى الكلاب ويقولون لي يا فلان ماذا تصنع بهذين الكلبين اللذين جئت بهما معك فأقول لهم أني ربيتهما في هذه السفرة

وجئت بما معي فيضحكون عليهما ولم يعرفوا أنهما أخواي ثم أني وضعتها في خزانة والتهيت تلك الليلة في توزيع الأحمال التي فيها القماش والمعادن وكان عندي التجار لأجل السلام فاشتغلت ولم أضربهما ولم أربطهما بالسلاسل ولم أعمل معهما ضرراً ثم نمت فما أشعر إلا وسعيدة بنت الملك الأحمر قالت لي أما قلت لك ضع في رقابهما السلاسل وأضرب كل واحد منهما علقة ثم أنها قبضت علي وأخرجت السوط وضربتني علقة حتى غبت عن الوجود وبعد ذلك ذهبت إلى المكان الذي فيه أخواي وضربت كل واحد منهما بالسوط حتى أشرفا على الموت وقالت كل ليلة أضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة وإن مضت ليلة ولم تضربهما فأني أضربك فقلت يا سيدتي في غداً حط السلاسل في رقابهما والليلة الآتية أضربهما ولا أرفع الضرب عنهما ليلة واحدة فأكدت علي في الوصية بضربهما فلما أصبح الصباح لم يهن علي أن أضع السلاسل في رقابهما فذهبت إلى صائغ وأمرته أن يعمل لهما غلين من الذهب فعملهما وجئت بهما ووضعتهما في رقابهما وربطهما كما أمرتني وفي ثاني ليلة ضربتهما قهرا عني وكانت هذه الحركة في مدة خلافة المهدي الثالث من بني العباس وقد اصطحبت معه بإرسال الهدايا فقلدني ولاية وجعلني نائباً في البصرة ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان ثم أني قلت في نفسي لعل غيظها قد برد فتركتها ليلة من غير ضرب فأتتني وضربتني علقة لم أنس حرارتها بقية عمري فمن ذلك الوقت لم أقطع عنهما الضرب مدة خلافة المهدي ولما توفي المهدي توليت أنت بعده وأرسلت إلى تقرير الاستمرار على مدينة البصرة وقد مضى لي اثنا عشر عاماً وأنا في كل ليلة أضربهما قهراً عني وبعدما أضربهما آخذ بخاطرهما وأعتذر إليها وأطعمهما وأسقيهما وهما محبوسان ولم يعلم بهما أحد من خلق ا تعالى حتى أرسلت إلى أبا أسحق النديم من أجل الخراج فاطلع على سري ورجع إليك فأخبرك فأرسلته ثانياً تطلبني وطلبتمها فأجبت بالسمع والطاعة وأتيت بهما بين يديك ولما سألتني عن حقيقة الأمر أخبرتك بالقصة وهذه حكايتي. فعند ذلك تعجب الخليفة هارون الرشيد من حال هذين الكلبين ثم قال وهل أنت في هذه الحالة سامحت أخويك مما صدر منهما في حقك وعفوت عنهما أم لا فقال يا سيدي سامحهما ا وأبرأ ذمتهما في الدنيا والآخرة وأنا محتاج لكونهما يسامحاني لأنه مضى لي أثنا عشر عاماً وأنا أضر بهما كل ليلة علقة فقال له الخليفة يا عبد ا إن شاء ا تعالى أنا أسعى في خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا أولاً وأصلح بينكم وتعيشون بقية أعماركم أخوة متحابين وكما أنك سامحتهما يسامحانك فخذهما وأنزل إلى منزلك وفي هذه الليلة لا تضربهما وفي غد ما يكون إلا الخير فقال له يا سيدي وحياة رأسك أن تركتها ليلة واحدة من غير ضرب تأتيني سعيدة وتضربني وأنا مالي جسد يتحمل ضرباً فقال لا تخف فأنا أعطيتك خط يدي فإذا أتتك فأعطها الورقة فإذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها وإن لم تطع أمري كان أمرك إلى ا ودعها تضربك علقة وقدر أنك نسيتهما من الضرب وضربتك بهذا السبب وإذا حصل ذلك وخالفتني فإن كنت أنا أمير المؤمنين فأني أعمل خلاصي معها ثم أن الخليفة كتب لها ورقة مقدار أصبعين وبعدما كتبها ختمها وقال يا عبد ا إذا أتتك سعيدة فقل لها إن الخليفة ملك الأنس أمرني بعدم ضربهما وكتب لي هذه الورقة وهو يقرئك السلام وأعطها المرسوم ولا تخش بأساً ثم أخذ عليه العهد والميثاق أنه لا يضربهما فأخذهما وراح بهما إلى منزلة وقال في نفسه يا ترى ما الذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن إذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة ولكن أنا صابر على

ضربني علقة وأريح أخواي في هذه الليلة ولو كان يحصل لي من أجلها العذاب ثم أنه تفكر في نفسه وقال له عقله لولا أن الخليفة مستند إلى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما ثم أنه دخل منزله ونزع الأغلال من رقاب أخويه وقال توكلت على ا وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما لا بأس عليكما فإن الخليفة الخامس من بني العباس قد تكفل بخلاصكما وأنا قد عفوت عنكما وإن شاء ا تعالى يكون الأوان قد آن وتخلصان في هذه الليلة المباركة فابشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صار يعويان مثل عواء الكلاب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا بن فاضل قال لأخويه أبشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عواء الكلاب ويمرغان خدودهما على أقدامه كأنهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه فحزن عليهما وصار يماس بيده على ظهورهما إلى أن جاء وقت العشاء فلما وضعوا السفرة قال لهما اجلسا فجلسا يأكلان معه على السفرة فصارت أعوانه باهتين يتعجبون من أكله من الكلاب ويقولون هل هو مجنون أو مختل العقل كيف يأكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو أكبر من وزيراً ما يعلم أن الكلب نجس وصاروا ينظرون إلى الكلبين وهما يأكلان معه أكل الحشمة ولا يعلمون أنهما أخواه ومازالوا يتفرجون على عبد ا والكلبين حتى فرغوا من الأكل ثم أن عبد ا غسل يديه فمد الكلبان أيديهما وصار يغسلان وكل من كان واقفاً صار يضحك عليهما ويتعجب ويقولون لبعضهم عمرنا ما رأينا الكلاب تأكل وتغسل أيديهما بعد أكل الطعام ثم أنهما جلسا على المراتب بجنب عبد ا بن فاضل ولم يقدر أحد أن يسأله عن ذلك واستمر الأمر هكذا إلى نصف الليل ثم صرف الخدم وناموا ونام كل كلب على سرير وصار الخدام يقولون لبعضهم أنه نام ونام معه الكلبان وبعضهم يقول حيث أكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس إذا ناما معه وما هذا إلا حال المجانين ثم أنهم لم يأكلوا مما بقي في السفرة من الطعام شيئاً وقالوا كيف نأكل فضلة الكلاب ثم أخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا أنها نجسة هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر عبد ا بن فاضل فإنه لم يشعر إلا والأرض قد أنشقت وطلعت سعيدة وقالت يا عبد ا لأي شيء ما ضربتهما في هذه الليلة ولأي شيء نزلت الأغلال من أعناقهما هل فعلت ذلك عناد إلى أو استخفافاً بأمري ولكن أنا الآن أضربك وأسحرك كلباً مثلهما فقال لها يا سيدتي أقسمت عليك بالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تحلمي على حتي أخبرك بالسبب ومهما أردتيه بي فافعليه فقالت له أخبرني فقال لها أما سبب عدم ضربهما فإن ملك الأنس الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد أمرني أن لا أضربهما في هذه الليلة وقد أخذ علي مواثيق وعهود على ذلك وهو يقرئك السلام وأعطاني مرسوماً بخط يده وأمرني أن أعطيك إياه فامتثلت أمره وأطعته وطاعة أمير المؤمنين واجبة وها هو المرسوم فخذيه واقرئيه وبعد ذلك افعلي مرادك فقالت هاته فناولتها المرسوم ففتحته وقرأته وقرأت مكتوباً بسم ا الرحمن الرحيم من ملك الإنس هارون الرشيد إلى بنت الملك الأحمر سعيدة أما بعد فإن هذا الرجل قد سامح أخويه وأسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهما بالصلح وإذا وقع الصلح ارتفع العقاب فإن اعترضتمونا في أحكامنا اعترضنا كم في أحكامكم وخرقنا قانونكم وإن امتثلتم أمرنا ونفذتم أحكامنا فإننا ننفذ أحكامكم وقد حكمت عليك بعدم التعرض لهما فإن كنت تؤمنين با



ورسوله فعليك بطاعة ولي الأمر وأن عفوت عنهما فأنا أجازيك بما يقدرني عليه ربي وملامة الطاعة أن ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد خالصين وإن لم تخلصيهما فأنا أخلصهما قهراً عنك بعون ا تعالى فلما قرأت ذلك الكتاب قالت يا عبد ا لا أفعل شيئاً حتى أذهب إلى أبي وأعرض عليه مرسوم ملك الإنس وأرجع إليك بالجواب بسرعة ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها فلما ذهبت طار قلب عبد ا فرحاً وقال أعز ا أمير المؤمنين ثم أن سعيدة دخلت على أبيها وأخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم قرأه وفهم ما فيه وقال يا بنتي أن أمر ملك الأنس علينا ماض وحكمه فينا نافذ ولا نقدر أن نخالفه فأمضي إلى الرجلين وخلصيهما في هذه الساعة وقولي لهما أنتما في شفاعة ملك الإنس فأنه أن غضب علينا أهلكنا عن آخرنا فلا تحملينا مالا نطيق فقالت له يا أبت إذا غضب علينا ملك الإنس ماذا يصنع بنا فقال لها يا بنتي أنه يقدر علينا من وجوه الأول أنه من البشر فهو مفضل علينا والثاني أنه خليفة ا والثالث أنه مصر على ركعتي الفجر فلو اجتمعت عليه طوائف الجن من السبع أرضين لا يقدرون أن يصنعوا به مكروهاً فإن غضب علينا يصلي ركعتي الفجر ويصيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصير كالغنم بين يدي الجزار إن شاء أمرنا بالرحيل من أوطاننا إلى أرض موحشة لا نستطيع المكث فيها وإن شاء هلاكنا أمرنا بهلاك أنفسنا فيهلك بعضنا بعضاً فنحن لا نقدر على مخالفة أمره فإن خالفنا أمره أحرقنا جميعاً وليس لنا مفر من بين يديه وكذلك كل عبد داوم على ركعتي الفجر فإن حكمه نافذ فينا فلا تتسببي في هلاكنا من أجل رجلين بل أمضي وخلصيهما قبل أن يحيق بنا غضب أمير المؤمنين فرجعت إلى عبد ا بن فاضل وأخبرته بما قال أبوها وقالت له قبل لنا أيادي أمير المؤمنين وأطلب لنا رضاه ثم أنها أخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها وتكلمت بكلمات لا تفهم ثم رشتهما بالماء وقالت اخرجا من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية فعادا بشرين كما كانا وانفك عنهما السحر وقالا أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمد رسول ا ثم وقعا على يد أخيهما وعلى رجليه يقبلانها ويطلبان منه السماح فقال لهما سامحاني أنتما ثم أنهما تابوا توبة نصوحاً وقالا قد غرنا إبليس اللعين وأغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحقه والعفو من شيم الكرام وصارا يستعطفان أخاهما ويبكيان ويتندمان على ما وقع منهما ثم أنه قال لهما ما فعلتما بزوجتي التي جئت بها من مدينة الحجر فقالوا لما أغوانا الشيطان ورميناك في البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول أنا أتزوج بها فلما سمعت كلامنا ورأت اختلافنا وعرفت أننا رميناك في البحر طلعت من الخزانة وقالت لا تختصما من أجلي فأني لست لواحد منكما إن زوجي راح البحر وأنا أتبعه ثم أنها رمت نفسها في البحر وماتت فقال أنها ماتت شهيدة فلا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم ثم أنه بكى عليها بكاء شديداً وقال لهما لا يصح منكما أن تفعلا معي هذا الفعال وتعدما بي لزوجتي فقالا إننا أخطأنا وربنا جازانا على فعلنا وهذا شيء قدره ا علينا قبل أن يخلقنا فقل عذرهما ثم أن سعيدة قالت أيفعلان معك هذه الفعال وأنت تعفو عنهما فقال يا أختي من قدر وعفا كان أجره على ا فقالت خذ حذرك منهما فأنهما خائنين ثم ودعته وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا لما حذرته سعيدة من أخويه ودعته وانصرفت إلى حال سبيلها فبات عبد ا بقية تلك الليلة هو وأخواه على أكل وشرق وبسط وانشرح صدرهم فلما أصبح الصباح أدخلهما الحمام وعند خروجهما من الحمام ألبس كل واحد منهما بدلة تساوي جملة من المال ثم أنه طلب سفرة طعام فقدموها بين يديه فأكل هو وأخواه فلما نظرهما الخدام وعرفوا أنهما أخواه سلموا عليهما وقالوا للأمير عبد ا يا مولانا هناك ا باجتماعك على أخويك العزيزين وأين كانا في هذه المدة فقال لهم هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد الذي حفظهما من السجن والعذاب الأليم ثم أنه أخذهما وتوجه إلى ديوان الخليفة هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فقال له الخليفة مرحباً بك يا أمير المؤمنين أعز ا قدرك أني لما أخذت أخواي وذهبت بهما إلى منزلي أطمأنيت عليهما بسببك حيث تكلفت بخلاصهما وقلت في نفسي أن الملوك لا يعجزون عن أمر يجتهدون فيه أن العناية تساعدهم ثم نزعت الأغلال من رقابهما وتوكلت على ا وأكلت أنا وإياهما على السفرة فلما رآني أتباعي آكل معهما وهما في صورة كلبين استخفوا عقلي وقالوا لبعضهم لعله مجنون كيف يأكل نائب البصرة مع الكلاب وهو أكبر من الوزير ورموا ما فضل من السفرة وقالوا لا نأكل ما بقي من الكلاب وصاروا يسفهون رأيي وأنا أسمع كلامهم ولا أرد عليهم جواباً لعدم معرفتهم أنهما أخواي ثم صرفتهم وعندما جاء وقت النوم طلبت النوم فما أشعر إلا والأرض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الأحمر وهي غضبانة علي وعيناها مثل النار ثم أخبر الخليفة بجميع ما وقع منا ومن أبيها وكيف أخرجتهما من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية ثم قال وها هما بين يديك يا أمير المؤمنين فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين فقال الخليفة جزاك ا عني خيراً يا عبد ا حيث أعلمتني بفائدة ما كنت أعلمها أن شاء ا لا أترك صلاة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر ما دمت حياً ثم أنه عنف أخواي عبد ا بن فاضل علي ما سلف منهما في حقه فاعتذرا قدام الخليفة فقال لهم تصافحوا وسامحوا بعضكم وعفا ا عما سلف ثم التفت إلى عبد ا وقال يا عبد ا اجعل أخويك معينين لك وتوص بهما وأوصاهما بطاعة أخيهما ثم أنعم عليهم وأمرهم بالارتحال إلى مدينة البصرة بعد أن أعطاهم أنعاماً جزيلاً فنزلوا من ديوان الخليفة مجبورين وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلاة ركعتين الفجر وقال صدق من قال مصائب قوم عند قوم فوائد. هذا ما كان من أمرهم مع الخليفة (وأما) ما كان من أمر عبد ا ابن فاضل فأنه سافر من مدينة بغداد ومعه أخواه بالأعزاز والأكرام وعلو المقام إلى أن دخلوا مدينة البصرة فخرج الأكابر والأعيان لملاقاتهم وزينوا لهم المدينة وأدخلوهم بموكب ليس له نظير وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة وصار جميع الناس صاحين بالدعاء له ولم يلتفت أحد إلى أخويه فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهما ومع ذلك كان عبد ا يدار بهما مداراة العين الرمداء وكلما داراهما لا يزدادان إلا بغضاً له وحسداً فيه وقد قيل في هذا المعنى.

وداريت كـل النـاس لكـن حاسـدي	مشــاراته شــطت وعــز نوالهــا
وكيف يـداري المـرء حاسـد نعمـة	إذا كــان لا يرضــيه إلا زوالهــا

ثم أنه أعطي كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعلهما بخدم وحشم وجواري وعبيد سود وبيض من كل نوع أربعين وأعطى كل واحد منهما خمسين جواد من الخيل الجياد وصار لهما جماعة وأتباع ثم أنه عين لهما الخراج ورتب لهما الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا أخواي أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا رتب لأخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا أخواي أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما فالحكم بعد ا والخليفة لي ولكما فأحكما في البصرة في غيابي وحضوري وحكمكما نافذ ولكن عليكما بتقوى ا في الأحكام وإياكما والظلم فإنه إن دام دمر وعليكما بالعدل فإنه إن دام عمر ولا تظلما العباد فيدعو عليكما وخيركما يصل إلى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرضا لظلم أحد والذي تطمعان فيه من أموال الناس خذاه من مالي زيادة على ما تحتاجان إليه ولا يخفى عليكما ما ورد في الظلم في محكم الآيات ثم أنه صار يعظ أخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظن أنهما أحباه بسبب بذل النصيحة لهما ثم أنه ركن أليهما وبالغ في إكرامهما ومع إكرامه لهما ما ازداد إلا حسداً له وبغضاً فيه ثم أن أخويه ناصراً ومنصوراً اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور يا أخي إلى متى ونحن تحت طاعة أخينا عبد ا وهو في هذه السيادة والأمارة وبعد ما كان تاجر أصار أميراً وبعد ما كان صغيراً صار كبيراً ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له ما معنى ذلك أليس أننا خدمه ومن تحت طاعته وما دام طيباً لا ترتفع درجتنا ولا يبق لنا شأن فلا يتم غرضنا إلا أن قتلناه وأخذنا أمواله ولا يمكن أخذ هذه الأموال إلا بعد هلاكه فإذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما في خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك نقسمها بيننا ثم نهيء هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وأنت تكون نائب البصرة وأنا أكون نائب الكوفة أو أنك تكون نائب الكوفة وأنا أكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صولة وشأن ولكن لا يتم لنا ذلك إلا إذا أهلكناه فقال منصور أنك صادق فيما قلت ولكن ماذا تصنع معه حتى نقتله فقال تعمل ضيافة عند أحدنا ونعزمه فيها ونخدمه غاية الخدمة ثم نسامره بالكلام ونحكي له حكايات ونكاتا ونوادر إلى أن يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد فإذا رقد نبرك عليه وهو نائم فنخنقه ونرميه في البحر ونصيح نقول أن أخته الجنية أتته وهو قاعد يتحدث بيننا وقالت له يا قطاعة الإنس ما مقدارك حتى تشكوني إلى أمير المؤمنين أتظن أننا نخاف منه فكما أنه ملك نحن ملوك وأن لم يلزم أدبه في حقنا قتلناه أقبح قتلة ولكن بقيت أنا أقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد أمير المؤمنين ثم خطفته وشقت الأرض ونزلت به فلما رأينا ذلك غشي علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصل له وبعد ذلك نرسل إلى الخليفة ونعلمه فإنه يولينا مكانه وبعد مدة نرسل إلى الخليفة هدية سنية ونطلب منه حكم الكوفة وواحد منا يقيم في البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد فقال نعم ما أشرت به يا أخي فلما اتفقا على قتل أخيهما صنع ناصر ضيافة وقال لأخيه عبد ا يا أخي اعلم أني أنا أخوك ومرادي أنك تحير بخاطري أنت وأخي منصور وتأكلا ضيافتي في بيتي حتى أفتخر بك ويقال أن الأمير عبد ا أكل ضيافة أخيه ناصر لأجل أن يحصل لي بذلك جبر خاطر فقال له عبد ا لا بأس يا أخي ولا فرق بيني وبينك وبيتك

بيتي ولكن حيث عزمتني فما يأبى الضيافة إلا اللئيم ثم التفت إلى أخيه منصور وقال له أتذهب معي إلى بيت أخيك ناصر وتأكل ضيافته وتجبر بخاطره فقال له يا أخي وحياة رأسك ما أروح معك حتى تحلف لي أنك بعد ما تخرج من بيت أخي ناصر تدخل بيتي وتأكل ضيافتي فهل أصر أخوك وأنا لست أخاك فكما جرت بخاطره تجبر بخاطري فقال لا بأس بذلك حباً وكرامة فمتى خرجت من دار أخيك أدخل دارك وكما هو أخي أنت أخي ثم أن ناصراً قبل يد أخيه عبد ا ونزل من الديوان وعمل الضيافة وفي ثاني يوم ركب عبد ا وأخذ معه جملة من العسكر وأخاه منصور وتوجه إلى دار أخيه ناصر فدخل وجلس هو جماعته وأخوه قدم لهم السماط ورحب بهم فأكلوا وشربوا وتلاذذوا وطربوا وارتفعت السفرة والربادي وغسلت الأيادي وأقاموا ذلك اليوم على أكل وشرب وبسط ولعب إلى الليل فلما تعشوا صلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على منادمة وصار منصور يحكي حكايته وناصر يحكي حكايته وعبد ا يسمع وكانوا في قصر وحدهم وبقية العسكر في مكان آخر ولم يزالوا في نكت وحكايات ونوادر وأخبار حتى ذاب قلب أخيهم عبد ا من السهر وغاب عليه النوم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد ا لما طال عليه السهو وأراد النوم فرشوا له الفرش ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليه حتى استغرق في النوم فلما عرفا أنه استغرق في النوم قاما وبركا عليه فأفاق فرآهما باركين على صدره فقال لهما ما هذا يا أخواي فقالا له ما نحن أخواك ولا نعرفك يا قليل الأدب وقد صار موتك أحسن من حياتك وخطأ أيديهما في رقبته وخنقاه فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة فظنا أنه مات وكان القصر على البحر فرموه في البحر فلما وقع في البحر سخر ا له درفيلاً كان معتاداً على مجيئه تحت ذلك القصر لأن المطبخ كان فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون تعاليقها في البحر من تلك الطاقة فيأتي ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان وكانوا في ذلك اليوم قد رموا إسقاطاً كثيرة بسبب الضيافة فأكل ذلك الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة فلما سمع الخبطة في البحر أفي سرعة فرآه ابن آدم فهداه الهادي وحمله على ظهره وشق به في وسط البحر ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى البر من الجهة الثانية وألقاه علىالبر وكان ذلك المكان الذي اطلعه فيه على قارعة الطريق فمرت به قافلة فرأوه مرمياً على جانب البحر فقالوا هنا غريق ألقاه البحر على الشاطيء واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه وكان شيخ القافلة رجلا من أهل الخير وعارفا بجميع العلوم وخبير بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم يا ناس ما الخبر فقالوا هذا غريق ميت فأقبل عليه وتأمله وقال يا ناس هذا الشاب فيه الروح وهذا من خيار أولاد الناس الأكابر وتربية العز والنعم وفيه الرجا إن شاء ا تعالى ثم أنه أخذه وألبسه بدلة وأدناه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلاث مراحل حتى أفاق ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار الشيخ القافلة يعالجه بأعشاب يعرفها ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثين يوماً حتى بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالج فيه ثم دخلوا مدينة يقال لها مدينة عوج وهي في بلاد العجم فنزلوا في خان وفرشوا له ورقد فبات تلك الليلة يئن وقد أقلق الناس من أنينه فلما أصبح الصباح أتى بواب الخان إلى شيخ القافلة وقال له ما شأن هذا الضعيف الذي عندك فإنه أقلقنا فقال هذا

رأيته في الطريق على جانب البحر غريقاً فعالجته وعجزت ولم يشف فقال له أعرضه على الشيخة راجحة فقال له وما تكون الشيخة راجحة فقال عندنا بنت بكر شيخة وهي عذراء جميلة أسمها الشيخة راجحة كل من كان به داء يأخذونه غليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافى كأنه لم يكن فيه شيء يضره فقال له شيخ القافلة دلني عليها فقال له أحمل مريضك فحمله ومشى بواب الخان قدامه إلى أن وصل إلى زواية فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحانين فدخل بواب الخان حتى وصل إلى الستارة وقال دستور يا شيخة راجحة خذي هذا المريض أدخليه من داخل هذه الستارة فقال له أدخل فدخل ونظر إليها فرآها زوجته التي جاء بها من مدينة الحجر فعرفها وعرفته ولسمت عليه وسلم عليها فقال لها من أتى بك إلى هذا المكان فقالت له لما رأيت أخويك رمياك في البحر وتخاصما على رميت نفسي في البحر فتناولني شيخي الخضر أبو العباس وأتى بي إلى هذه الزاوية وأعطاين الأذن يشفا المرضي ونادى في هذه المدينة كل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة وقال لي أقيمي في هذا المكان حتى يؤن الأوان ويأتي إليك زوجك في هذه الزواية فسار كل مريض يأتي إلي أكسبه فيصبح طيباً وشاع ذكري بين العالم وأقبلت على الناس بالنذور وعندي الخير كثير وأنا في عز وإكرام وجميع أهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء ثم أنها كسبته فشفي بقدرة ا تعالى وكان الخضر عليه السلام يحضر عندها في كل ليلة جمعة وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليلة الجمعة فلما جن الليل جلست هي وإياه بعدما تعشيا من أفخر المأكول ثم قعدا ينتظران حضور الخضر فبينما هما جالسان وإذا به قد أقبل عليهما فحملهما من الزواية وضعهما في قصر عبد ا بن فاضلي بالبصرة ثم تركهما وذهب فلما أصبح الصباح تأمل عبد ا في القصر فرآه قصره فعرفه وسمع الناس في ضجة فنظر من الشباك فرأى أخويه مصلو بين كل واحد منهما على خشبة والسبب في ذلك أنهما لما رمياه في البحر أصبحا يبكيان ويقولان أن أخانا خطفته الجنية ثم هيأ هدية وأرسلاها إلى الخليفة وأخبراه بهذا الخبر وطلبا منه منصب البصرة فأرسل أحضرهما عنده وسألهما فأخبراه كما ذكرنا فأشتد غضب الخليفة فلما جن الليل صلى ركعتي قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين يديه طائعين فسألهم عن عبد ا فحلفوا له أنه لم يتعرض له أحد منهم وقالوا له ما عندنا خبر به فأتت سعيدة بنت الملك الأحمر وأخبرت الخليفة بخبره فصرفهم وفي ثاني يوم رمي ناصراً ومنصوراً تحت الضرب فأقرا على بعضهما فغضب عليهما الخليفة وقال خذوهما إلى البصرة وأصلبوهما قدام قصر عبد ا هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر عبد ا فلما أمر بدفن أخويه ثم ركب وتوجه إلى بغداد وأخبرا الخليفة بحكايته وما فعل معه أخواه من الأول إلى الآخر فتعجب الخليفة من ذلك وأحضر القاضي والشهود وكتب كتابه على البنت التي جاء بها من مدينة الحجر ودخل بها وأقام معها في البصرة إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت.

(حكاية معروف الأسكافي)

(ومما يحكي) أيها الملك السعيد أنه كان في مدينة مصر المحروسة رجل إسكافي يرقع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفاً وكان له زوجة أسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك إلا لأنها كانت فاجرة

شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبه وتلعنه ألف مرة وكان يخشى شرها ويخاف من أذاها لأنه كان رجلاً عاقلاً يستحي على عرضه ولكنه كان فقير الحال فإذا اشتغل بكثير صرفه عليها وإذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة وأعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها وهي كما قال في حقها الشاعر:

كـــم ليلـــة بـــت مـــع زوجتـــي   فـــي أشـــأم الأحـــوال قضـــيتها

يـــا ليتنـــي عنـــد دخـــولي بهـــا   أحضـــرت ســـما ثـــم ســـميتها

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل مع زوجته أنها قالت له يا معروف أريد منك في هذه الليلة أن تجيء لي معك بكنافة عليها عسل نحل فقال لها ا تعالى يسهل لي حقها وأنا أجيء بها لك في هذه الليلة وا ليس معي دراهم في هذا اليوم ولكن ربنا يسهل فقالت له أنا ما أعرف هذا الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن معروفاً الإسكافي قال لزوجته ا يسهل بكلفتها وأنا أجيء بها إليك في هذه الليلة وا ليس معي دراهم في هذا اليوم لكن ربنا يسهل فقالت له ما أعرف هذا الكلام أن سهل أو لم يسهل لاتجئني إلا بالكنافة التي بعسل نحل وأن جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوجتني ووقعت في يدي فقال لها ا كريم ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من بدنه فصلّى الصبح وفتح الدكان وقال أسألك يارب أن ترزقني بحق هذه الكنافة وتكفيني شر هذه الفاجرة في هذه الليلة وقعد في الدكان إلى نصف النهار فلم يأته شغل فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيراً في أمره من شأن الكنافة مع أنه لم يكن معه من حق الخبز شيء ثم أنه مر على دكان الكنفاني ووقف باهتاً وغرغرت عيناه بالدموع فلحظ عليه الكنفاني وقال يا معلم معروف مالك تبكي فأخبرني بما أصابك فأخبره بقصته وقال له أن زوجتي جبارة وطلبت مني كنافة وقعد قعدت في الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجيئني ولا ثمن الخبز وأنا خائف منها فضحك الكنفاني وقال لا بأس عليك كم رطلاً تريد فقال له خمسة أرطال وقال له السمن عندي ولكن ما عندي عسل نحل وأنما عندي عسل قصب أحسن من عسل النحل وماذا يضر إذا كانت بعسل قصب فاستحى منه لكونه يصبر عليه بثمنها فقال له هاتها بعسل قصب فقلى له الكنافة السمن وغرقها بعسل قصب فصارت تهدي للملوك ثم أنه قال له أتحتاج عيشاً وجبناً قال نعم فأخذ له أربعة أنصاف عيشاً وبنصف جبناً والكنافة بعشرة أنصاف وقال له أعلم يا معروف أنه قد صار عندك خمسة عشر نصفاً رح إلى زوجتك وأعمل حظاً وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم أو يومان أو ثلاثة حتى يرزقك ا ولا تضيق على زوجتك فأنا أصبر عليك حتى يأتي عندك دراهم فاضلة عن مصروفك فأخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعياً له وروح مجبور الخاطر وهو يقول سبحانك ربي ما أكرمك ثم أنه دخل عليها فقالت له هل جئت بالكنافة قال نعم ثم وضعها قدامها فنظرت إليها فراءتها بعسل قصب فقالت له أما قلت لك هاتها بعسل نحل تعمل على خلاف مرادي وتعملها بعسل قصب فاعتذر إليها وقال لها أنا ما أشتريتها إلا مؤجلاً ثمنها فقالت له هذا كلام باطل أنا ما آكل الكنافة إلا بعسل نحل وغضبت عليه وضربته بها في وجهه وقالت له قم يا معرص هات لي

غيرها ولكمته في صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل الدم على صدره ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول يا مسلمين فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها قاموا عليها باللوم وعيبوها وقالوا نحن كلنا نأكل الكنافة التي بعسل القصب ما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير إن هذا عيب عليك وما زالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من الكنافة شيئاً فأحرقه الجوع فقال في نفسه هي حلفت ما تأكل فأنا آكل ثم أكل فلما رأته يأكل صارت تقول له إن شاء ا يكون أكلها سماً يهوى بدن البعيد فقال لها ما هو بكلامك وصار يأكل ويضحك ويقول أنت حلفت ما تأكلين من هذه فا كريم فإن شاء ا في ليلة غد أجيء لك بكنافة تكون بعسل نحل وتأكلينها وحدك وصار يأخذ بخاطرها وهي تدعوا عليه ولم تزل تسبه وتشتمه إلى الصبح فلما أصبح الصباح شمرت عن ساعدها لضربه فقال لها أمهليني وأنا أجيء إليك بغيرها ثم خرج إلى المسجد وصلّى وتوجه إلى الدكان وفتحها وجلس فلم يستقر به الجلوس حتى جاءه أثنان من طرف القاضي وقالا له قم كلم القاضي فإن امرأتك شكتك إليه وصفتها كذا وكذا فعرفها وقال ا تعالى ينكد عليها ثم قام ومشى معهما إلى أن دخل على القاضي فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوث بالدم وهي واقفة تبكي وتمسح دموعها فقال له القاضي يا رجل ألم تخف من ا كيف تضرب هذه الحرمة وتكسر ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال فقال له إن كنت ضربتها أو قلعت سنها فاحكم في بما تختار وأنما القصة كذا وكذا والجيران أصلحوا بيني وبينها وأخبره بالقصة من الأول إلى الآخر وكان ذلك القاضي من أهل الخير فأخرج له ربع دينار وقال له يا رجل خذ هذا واعمل لها به كنافة بعسل نحل واصطلح أنت وأياها فقال له أعطه لها فأخذته وأصلح بينهما وقال يا حرمة أطيعي زوجك وأنت يا رجل ترفق بها وخرجا مصطلحين على يد القاضي وذهبت المرأة من طريق وزوجها من طريق آخر إلى دكانه وجلس وإذا بالرسل أتوا له وقالوا هات خدمتنا فقال لهم أن القاضي لم يأخذ مني شيئاً بل أعطاني ربع دينار فقالوا لا علاقة لنا بكون القاضي أعطاك وأخذ منك فإن لم تعطنا خدمتنا أخذناها قهراً عنك وصاروا يجرونه في السوق فباع عدته وأعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه ووضع يده على خده وقعد حزيناً حيث لم يكن عنده عدة يشتغل بها فبينما هو قاعد وإذا برجلين قبيحي المنظر أقبلا عليه وقالا له قم بأرجل كلم القاضي فإن زوجتك شكتك إليه فقال لهما قد أصلح بيني وبينها فقالا له نحن من عند قاض آخر فإن زوجتك اشتكتك إلى قضينا فقام معهما وهو يحتسب عليها فلما رآها قال لها أما اصطلحنا يا بنت الحلال قالت ما بقي بيني وبينك صلح فتقدم وحكى للقاضي حكايته وقال إن القاضي فلاناً أصلح بيننا في هذه الساعة فقال لها القاضي يا عاهرة حيث اصطلحتما لماذا جئت تشكين إلي قالت أنه ضربني بعد ذلك فقال لهما القاضي اصطلحا ولا تعد إلى ضربها وهي لا تعود إلى مخالفتك فاصطلحا وقال له القاضي أعط الرسل خدمتهم فأعطى الرسل خدمتهم وتوجه إلى الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهم الذي أصابه فبينما هو قاعد وإذا برجل أقبل عليه وقال له يا معروف قم واستخف فإن زوجتك اشتكتك إلى الباب العالي ونازل عليك أبو طبق فقام وقفل الدكان وهرب في جهة باب النصر وكان قد بقي معه خمسة أنصاف فضة من حق القوالب والعدة فاشترى بأربعة أنصاف عيشاً وبنصف جبناً وهرب منها وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر مثل أفواه القرب فأبتلت ثيابه فدخل العادلية فرأى

موضعاً خرباً فيه حاصل مهجور من غير باب فدخل يستكن فيه من المطر وحوائجه مبتلة بالماء فنزلت الدموع من أجفانه وصار يتضجر مما به ويقول أين أهرب من هذه العاهرة أسألك يارب أن تفيض لي من يوصلني إلى بلاد بعيدة لا تعرف طريقي فيها فبينما هو جالس يبكي وإذا بالحائط قد انشقت وخرج منها شخص طويل القامة رؤيته تقشعر منها الأبدان وقال له يا رجل مالك أقلقتني في هذه الليل أنا ساكن في هذا المكان منذ مائتي عام فما رأيت أحد أدخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت أنت فأخبرني بمقصودك وأنا أقضي حاجتك فإن قلبي أخذته الشفقة عليك فقال له من أنت وما تكون فقال له أنا عامر هذا المكان فأخبره بجميع ما جرى له مع زوجته فقال له أتريد أن أوصلك إلى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقاً قال نعم قال له اركب فوق ظهري فركب وحمله وطار به من بعد العشاء إلى طلوع الفجر وأنزله على رأس جبل عال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن معروفاً الإسكافي لما حمله المارد طار به وأنزله على جبل عال وقال يا إنسي انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فإن زوجتك لا تعرف لك طريقاً ولا يمكنها أن تصل إليك ثم تركه وذهب فصار معروف باهتاً متحيراً في نفسه إلى أن طلعت الشمس فقال في نفسه أقوم وأنزل من أعلى هذا الجبل إلى المدينة فإن قعودي هنا ليس فيه فائدة فنزل إلى أسفل الجبل فرأى مدينة بأسوار عالية وقصور مشيدة وأبنية مزخرفة وهي نزهة للناظرين فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين فلما مشي في السوق صار أهل المدينة ينظرون إليه ويتفرجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لأن ملبسه لا يشبه ملابسهم فقال له رجل من أهل المدينة يا رجل هل أنت غريب قال نعم قال له من أي مدينة قال من مدينة مصر السعيدة قال ألك زمان مفارقها قال له البارحة العصر فضحك عليه وقال يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول فقالوا ما يقول قال إنه يزعم أنه من مصر وخرج منها البارحة العصر فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا يا رجل أأنت مجنون حتى تقول هذا الكلام كيف تزعم أنك فارقت مصر بالأمس في وقت العصر وأصبحت هنا والحال أن بين مدينتنا وبين مصر مسافة سنة كاملة فقال لهم ما مجنون إلا أنتم وأما أنا فأني صادق في قولي وهذا عيش مصر لم يزل معي طرياً وأراهم العيش فصاروا يتفرجون عليه ويتعجبون منه لأنه لا يشبه عيش بلادهم وكثرت الخلائق عليه وصاروا يقولون لبعضهم هذا عيش مصر تفرجوا عليه وصارت له شهرة في تلك المدينة ومنهم ناس يصدقون وناس يكذبون ويهزؤون به فبينما هم في تلك الحالة وإذا بتاجر أقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ففرق الناس وقال يا ناس أما تستحون وأنتم ملتمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ما علاقتكم به ولم يزل يسبهم حتى طردهم منه ولم يقدر أحد أن يرد عليه جواباً وقال له تعال يا أخي ما عليك بأس من هؤلاء أنهم لا حياء عندهم ثم أخذه وسار به إلى أن أدخله داراً واسعة مزخرفة وأجلسه في مقعد ملوكي وأمر العبيد ففتحوا له صندوقاً وأخرجوا له بدلة تاجر ألفي وألبسه إياها وكان معروف وجيها فصار كأنه شاه بندر التجار ثم أن ذلك التاجر طلب السفرة فوضعوا قدامها سفرة فيها جميع الأطعمة الفاخرة من سائر الألوان فأكلا وشربا وبعد ذلك قال له يا أخي ما اسمك قال اسمي معروف

وصنعتي إسكافي أرقع الزرابين القديمة قال له من أي البلاد أنت قال من مصر قال من أي الحارات قال له هل أنت تعرف مصر قال له أنا من أولادها فقال له أنا من الدرب الأحمر قال من تعرف من الدرب الأحمر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل سأل معروف الإسكافي وقال له من الدرب الأحمر قال له فلاناً وفلاناً وعد له ناساً كثيرين قال له هل تعرف الشيخ أحمد العطار قال هو جاري الحيط في الحيط قال له هل هو طيب قال نعم قال له كم له من الأولاد قال ثلاثة مصطفى ومحمد وعلي قال له ما فعل ا بأولاده قال أما مصطفى فإنه طيب وهو عالم مدرس وأما محمد فإنه عطار وقد فتح له دكاناً بجنب دكان أبيه بعد أن تزوج وولدت زوجته ولداً أسمه حسن قال بشرك ا بالخير قال وأما علي فإنه كان رفيقي ونحن صغار وكنت دائماً ألعب أنا وإياه وبقينا نروح بصفة أولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشتري بثمنها نفقة فأنفق في بعض المرات أن النصارى رأونا وأمسكونا بكتاب فاشتكونا إلى أهلنا وقالوا لأبيه إذا لم تمنع ولدك من أذانا شكوناك إلى الملك فأخذ بخاطرهم وضربه علقة فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقاً وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه أحد بخبر فقال له هو أنا علي ابن الشيخ أحمد العطار وأنت رفيقي يا معروف وسلما على بعضهما وبعد السلام قال يا معروف أخبرني بسبب مجيئك من مصر إلى هذه المدينة فأخبره بخبر زوجته فاطمة العره وما فعلت معه وقال له أنه لما اشتد على أذاها هربت منها في جهة باب النصر ونزل علي المطر فدخلت في حاصل خرب في العادلية وقعدت أبكي فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجنوسألني فأخبرته بحالي فأركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والأرض ثم حطني على الجبل وأخبرني بالمدينة فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتم علي الناس علي وسألوني فقلت لهم أني طلعت البارحة من مصر فلم يصدقوني فجئت أنت ومنعت عني الناس وجئت بي إلى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصر وأنت ما سبب مجيئك هنا قال له غاب على الديش وعمري سبع سنين فمن ذلك الوقت وأنا دائر من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن فرأيت أهلها ناساً كراماً وعندهم الشفقة ورأيتهم يأتمنون الفقير ويداينونه وكل ما قاله يصدقونه فقلت لهم أنا تاجر وقد سبقت الحملة ومرادي مكان أنزل فيه حملتي فصدقوني وأخلوا لي مكاناً ثم أني قلت لهم هل فيكم من يداينني ألف دينار حتى تجيء حملتي أرد له ما آخذه منه فأني محتاج إلى بعض مصالح قبل دخول الحملة فأعطوني ما أردت وتوجهت إلى سوق التجار فرأيت شيئاً من البضاعة فاشتريته وفي ثاني يوم بعتها فربحت فيه خمسين ديناراً واشتريت غيره وصرت أعاشر الناس وأكرمهم فأحبوني وصرت أبيع وأشتري فكثر مالي وأعلم يا أخي أن صاحب المثل يقول الدنيا فشر وحيلة والبلاد التي لا يعرفك أحد فيها مهما شئت فافعل فيها وأنت إذا قلت لكل من سألك أنا صنعتي إسكافي وفقير وهربت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة إقامتك في هذه المدينة وإن قلت حملني عفريت نفروا منك ولا يقرب منك أحد ويقولون هذا رجل معفرت وكل من تقرب منه يحصل له ضرر وتبقى هذه الإشاعة قبيحة في حقي وحقك لكونهم يعرفون أني من مصر قال وكيف أصنع قال أنا

أعلمك كيف تصنع إن شاء الله تعالى أعطيك في غد ألف دينار وبغلة تركبها وعبد يمشي قدامك حتى يوصلك إلى باب السوق التجار فأدخل عليهم وأكون أنا قاعداً بين التجار فمتى رأيتك أقوم لك وأسلم عليك وأقبل يدك وأعظم قدرك وكلما سألتك عن صنف من القماش وقلت لك هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني فقل كثير وإن سألوني عنك أشكرك وأعظمك في أعينهم ثم أنني أقول لهم خذوا له حاصلاً ودكاناً واسفك بكثرة المال والكرم وإذا أتاك سائل فأعطه ما تيسر فيثقون بكلامي ويعتقدون عظمتك وكرمك ويحبونك وبعد ذلك أعزمك وأعزم جميع التجار من شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفك وبينهم وتعرفهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر علياً قال لمعروف أعزمك وأعزم جميع التجار ما شامك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفك جميعهم وتعرفهم لأجل أن تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي معهم فما تمضي عليك مدة حتى تصير صاحب مال فلما أصبح الصباح أعطاه ألف دينار وألبسه بدلة وأركبه بغلة وأعطاه عبداً وقال أبرأ الله ذمتك من الجميع لأنك رفيقي فواجب على إكرامك ولا تجعل هما ودع عنك سيرة زوجتك ولا تذكرها لأحد فقال له جزاك الله خيراً ثم أنه ركب البغلة ومشى قدامه العبد إلى أن وصله إلى باب سوق التجار وكانوا جميعاً قاعدين والتاجر قاعد بينهم فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له نهارك مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف ثم قبل يده قدام التجار قال يا أخواننا آنسكم التاجر معروف فسلموا عليه وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم في أعينهم ثم أنزله من فوق ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلي بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده فقالوا له هل هذا تاجر فقال لهم نعم بل هو أكبر التجار ولا يوجد واحد أكثر مالاً منه لأن أمواله وأموال أبيه وأجداده مشهورة عند تجار مصر وله شركاء في الهند والسند واليمن وهو في الكرم على قدر عظيم فأعرفوا قدره وارفعوا مقامه وأخدموه واعلموا أن مجيئه إلى هذه المدينة ليس من أجل التجارة وما مقصده إلا الفرجة على بلاد الناس لأنه غير محتاج إلى التغريب من أجل الربح والمكاسب لأن عنده أموالاً لا تأكلها النيران وأنا من بعض خدمه ولم يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤوسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته ثم أجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار أتى له وسلم علهي وصار يقول له التاجر علي بحضرة التجار يا سيدي لعلك جئت معك بشيء من القماش الفلاني فيقول له كثير وكان في ذلك اليوم فرجه على أصناف القماش المثمنة وعرفه أسامى الأقمشة الغالي والرخيص فقال له التاجر من التجارة يا سيدي هل جئت معك بجوخ أصفر قال كثير قال وأحمر دم الغزال قال كثير وصار كلما سأله عن شيء يقول له كثير فعند ذلك قال يا تاجر علي إن بلديك لو أراد أن يحمل ألف جمل من القماشات المثمنة يحملها فقال له يحملها من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شيء فبينما هما قاعدون وإذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من أعطاه نصف فضة ومنهم من أعطاه جديد وغالبهم لم يعطه شيئاً حتى وصل إلى معروف فكبش له كبشة ذهب وأعطاه إياها فدعا له وذهب فتعجب التجار منه وقالوا إن هذه عطايا يا ملوك فإنه أعطى السائل ذهباً من غير عدد ولولا أنه من أصحاب النعم الجزيلة وعنده شيء كثير ما كان أعطى السائل كبشة ذهب وبعد حصة أتته امرأة فقيرة فكبش وأعطاها

وذهبت تدعو له وحكت للفقراء فأقبلوا عليه وصار كل من أتى له يكبش له ويعطيه حتى أنفق الألف دينار وبعد ذلك ضرب كفاً على كف وقال حسبنا ا ونعم الوكيل فقال له شاه بندر التجار مالك يا تاجر معروف قال كان غالب هذه المدينة فقراء ومساكين ولو كنت أعرف أنهم كذلك كنت جئت معي في الخراج بجانب من المال وأحسن به إلى الفقراء وأنا خائف أن تطول غربتي ومن طبعي أن لا أرين السائل وما بقي معي ذهب فإذا أتاني فقير ماذا أقول له قال له قل له ا يرزقك قال ما هي عادتي وقد ركبني الهم بهذا السبب وكا مرادي ألف دينار أتصدق بها حتى تجيء حملتي فقال لا بأس وأرسل بعض أتباعه فجامله بألف دينار فأعطاه إياها فصار يعطي كل من مر به من الفقراء حتى أذن الظهر فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذي بقي معه من الألف دينار نثره على رؤوس المصلين فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه ثم أنه مال على تاجر آخر وأخذ منه ألف دينار وفرقها وصار علي ينظر فعله ولا يقدر أن يتكلم ولم يزل على هذه الحالة حتى أذن العصر فدخل المسجد وصلّى وفرق الباقي فما قفلوا باب السوق حتى أخذ خمسة آلاف دينار وفرقها كل من أخذ منه شيئاً يقول له حتى تجيء الحملة إن أردت ذهباً أعطيك وإن أردت قماشاً أعطيك فإن عندي شيئاً كثيراً وعند المساء عزموه التجار وعزم معه التجار جميعاً وأجلسه في الصدر وصار لا يتكلم إلا بالقماشات والجواهر وكلما ذكروا له شيئاً يقول عندي منه كثير وثاني يوم توجه إلى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم النقود ويفرقها على الفقراء ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوماً حتى أخذ من الناس ستين ألف دينار ولم تأته حملة ولا كبة حامية فضجت الناس على أموالهم وقالوا ما أتت حملة التاجر معروف إلى متى وهو يأخذ أموال الناس ويعطيها للفقراء فقال واحد منهم الرأي أن نتكلم مع بلدية التاجر علي فاتوه وقالوا له يا تاجر علي أن حملة التاجر معروف لم تأت فقال لهم اصبروا فإنها لابد أن تأتي عن قريب ثم أنه أحتلى به وقال له يا معروف ما هذا الفعال هل أنا قلت اك قمر الخبز أو احرقه إن التجار صاحوا على أموالهم وأخبروني أنه صار عليك ستون ألف دينار أخذتها وفرقتها على الفقراء ومن أين تسد دين الناس وأنت لا تبيع ولا تشتري فقال له أي شيء يجرى وما مقدر الستين ألف دينار لما تجيء الحملة أعطيهم إن شاءوا قماشاً وإن شاءوا ذهباً وفضية فقال له التاجر علي ا أكبر وهل أنت اك حملة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر علي قال له ا أكبر وهل أنت اك حملة قال كثير قال له ا عليك وعلى سماجتك هل أنا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لي فأنا أخبر بك الناس قال رح بلا كترة كلام هل أنا فقير إن حملتي فيها شيء كثير فإذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين أنا غير محتاج إليهم فعند ذلك اغتاظ التاجر علي وقال له يا قليل الأدب لابد أن أريك كيف تكذب علي ولا تستحي فقال له الذي يخرج من يدك افعله ويصبرون حتى يجيء حملتي ويأخذون متاعهم بزيادة فتركه ومضى وقال في نفسه أنا شكرته سابقاً وأن ذممته الآن صرت كاذباً وأخل في قول من قال من شكر وذم كذب مرتين وصار متحيراً في أمره ثم أن التجار أتوه وقالوا يا تاجر علي هل كلمته قال لهم يا ناس أنا أستحي منه ولي عنده ألف دينار ولم أقدر أن أكلمه عليها وأنتم لما أعطيتموه ما شاورتموني وليس لكم علي كلام فطالبوه منكم له وأن لم يعطكم فأشكوه

إلى ملك المدينة وقولوا له أنه نصاب نصب علينا فإن الملك يخلصكم منه فتوجهوا للملك وأخبروه بما وقع وقالوا يا ملك الزمان أننا تحيرنا في أمرنا مع هذا التاجر الذي كرمه زائد فإنه يفعل كذا وكذا وكل شيء أخذه يفرقه على الفقراء بالكبشة فلو كان مقلاً ما كانت تسمح نفسه أن يكبش الذهب ويعطيه للفقراء ولو كان من أصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجيء حملته ونحن لا نرى له حملة مع أنه يدعي أن له حملة وقد سبقها وكلما ذكرنا له صنفاً من أصناف القماش يقول عندي منه كثير وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون ألف دينار وكل ذلك فرقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه وكان ذلك الملك طماعاً أطمع من أشعب فلما سمع بكرمه وسخائه غاب عليه الطمع وقال لوزيره لو لم يكن هذا التاجر عنده أموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله ولابد أن تأتي حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويفرق عليهم أموالاً كثيرة فأنا أحق منهم بهذا المال فمرادي أن أعاشره وأتودد إليه حتى تأتي حملته والذي يأخذه منه هؤلاء التجار آخذه أنا وأزوجه أبنتي وأضم ماله إلى مالي فقال له الوزير يا ملك الزمان ما أظنه إلا نصاباً والنصاب قد أخرب بيت الطماع وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٨)

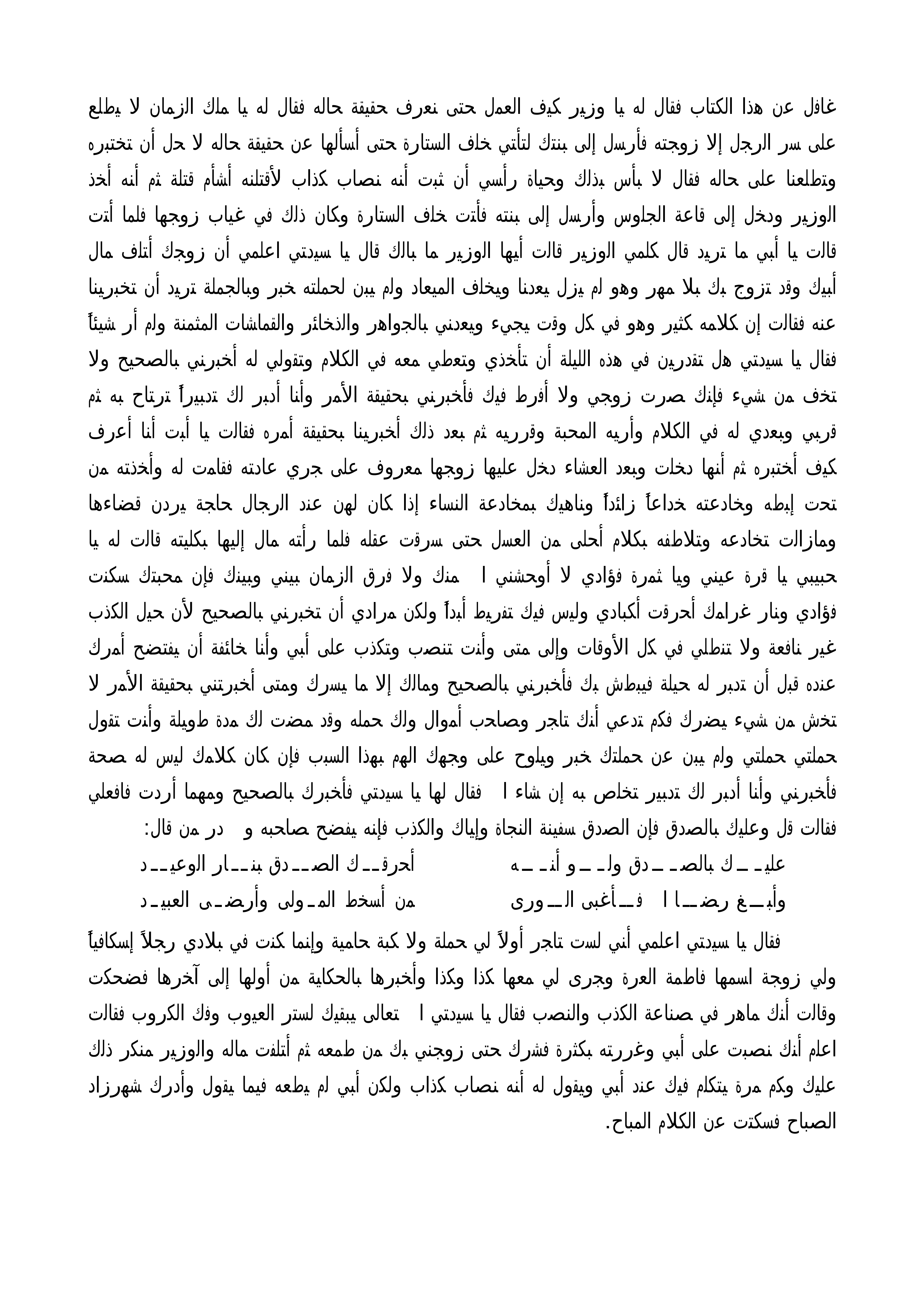
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما قال للملك ما أظنه إلا نصاباً والنصاب قدأخرب بيت الطماع قال له الملك يا وزير أنا أمتحنه وأعرف هل هو نصاب أو صادق وهل هو تربية نعمة أو لا قال الوزير بماذا تمتحنه قال الملك أن عندي جوهرة فأنا أبعث إليه وأحضره عندي وإذا جلس أكرمه وأعطيه الجوهرة فإن عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم وإن لم يعرفها فهو نصاب محدث فاقتله أقبح قتله ثم أن الملك أرسل إليه وأحضره فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وقال له هل أنت التاجر معروف قال نعم قال له أن التجار يزعمون أن لهم عندك ستين ألف دينار فهل ما يقولونه حق قال نعم قال له لم لم تعطهم أموالهم قال يصبرون حتى تجيء حملتي وأعطيهم المثل مثلين وإن أرادوا ذهباً أعطيهم وإن أرادوا فضة أعطيهم وإن أرادوا بضاعة أعطيهم والذي له ألف أعطيه ألفين في نظير ما ستر به وجهي مع الفقراء عندي شيئاً كثيراً ثم أن الملك قال له يا تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها وأعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بألف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزا بها فأخذها معروف بيده وقرط عليها بالإبهام والشاهد فكسرها لأن الجوهر رقيق لا يتحمل فقال له الملك لأي شيء كسرت الجوهرة فضحك وقال يا ملك الزمان ما هذه جوهرة هذه قطعة معدن تساوي ألف دينار كيف تقول عليها أنها جوهرة إن الجوهرة يكون ثمنها سبعين ألف دينار وأنما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندي ولا أعتني بها كيف تكون ملكا وتقول على هذه جوهرة وهي قطعة معدن قيمتها ألف دينار ولكن أنتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة فقال له الملك يا تاجر هل عندك جواهر من الذي تخبرني به قال كثير فغاب الطمع على الملك فقال له هل تعطيني جواهر صحاحاً قال له حتى تجيء الحملة أعطيك كثيراً ومهما طلبته فعندي منه كثير وأعطيك من غير ثمن ففرح الملك وقال للتجار اذهبوا على حال سبيلكم وأصبروا عليه حتى تجيء الحملة ثم تعالوا خذوا مالكم مني فراحوا هذا ما كان من أمر معروف والتجار (وأما) ما كان من الملك فأنه أقبل على الوزير وقال له لاطف التاجر معروفاً

وخذ واعط معه في الكلام واذكر له أبنتي حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التي عنده فقال الوزير يا ملك الزمان إن حال هذا الرجل لم يعجبني وأظن أنه نصاب وكذّاب فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلاشيء وكان الوزير سابقاً ساق على الملك أن يزوجه البنت وأراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض ثم أن الملك قال له يا خائن أنت لا تريد لي خير لكونك خطبت أبنتي سابقاً ولم ترض أن تتزوج بك فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك أن بنتي تبور حتى تأخذها أنت فاسمع مني هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام كيف يكون نصاباً أو كذاباً مع أنه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها لم تعجبه وعنده جواهر كثيرة فمتى دخل على ابنتي يراها جميلة فتأخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر وذخائر وأنت مرادك أن تحرم بنتي وتحرمني من هذه الخيرات فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال في نفسه أغر الكلام على البقر ثم ميل على التاجر معروف وقال له أن حضرة الملك أحبك وله بنت ذات حسن وجمال يريد أن يزوجها لك فما تقول فقال له لا بأس ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فإن مهر بنات الملوك واسع ومقامهن أن لا يمهرن إلا بمهر يناسب حالهن وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر علي حتى تجيء الحملة فالخير عندي كثير ولابد أن أدفع صداقها خمسة آلاف كيس وأحتاج إلى ألف كيس أفرقها على الفقراء والمساكين ليلة الدخلة وألف كيس أعطيها للذين يمشون في الزفة وألف كيس أعمل بها الأطعمة للعساكر وغيرهم وأحتاج إلى مائة جوهرة أعطيها للملكة صبيحة العرس ومائة جوهرة أفرقها على الجواري والخدم فأعطي كل واحدة جوهرة تعظيماً لمقام العروسة وأحتاج ألى أن أكسوا ألف عريان من الفقراء ولابد من صدقات وهذا شيء لا يمكن إلا إذا جاءت الحملة فإن عندي شيئاً كثيراً وإذا جاءت الحملة لا أبالي بهذا المصروف كله فراح الوزير وأخبر الملك بما قاله فقال الملك حيث كان مراده ذلك كيف تقول عنه أنه نصاب كذاب قال الوزير ولم أزل أقول ذلك ففزع فيه الملك ووبخه وقال له وحياة رأسي إن لم تترك هذا الكلام لأقتلنك فأرجع إليه وهاته عندي وأنا مني له أصطفي فذهب إليه الوزير وقال له تعال كلم الملك فقال سمعاً وطاعة ثم جاء إليه فقال له الملك لا تعتذر بهذه الأعذار فإن خزنتي ملآنة فخذ المفاتيح عندك وأنفق جميع ما تحتاج إليه واعط ما تشاء وأكس الفقراء وأفعل ما تريد وما عليك من البنت والجواري وإذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الإكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجيء الحملة وليس بيني وبينك فرق أبداً ثم أمر شيخ الإسلام أن يكتب الكتاب فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح وأمر بزينة البلاد ودقت الطبول ومدت الأطعمة من سائر الألوان وأقبلت أرباب الملاعيب وصار التاجر معروف يجلس على كرسي في مقعد وتأتي قدامه أرباب الملاعب والشطار والجنك وأرباب الحركات الغريبة والملاهي العجيبة وصار يأمر الخازندار ويقول له هات الذهب والفضة فيأتيه بالذهب والفضة وصار يدور على المتفرجين ويعطي كل من لعب بالكبشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسوا العريانين وصار فرحاً عجاجاً وما بقي الخازندار يلحق أن يجيء بالأموال من الخزنة وكاد قلب الوزير أن ينفقع من الغيظ ولم يقدر أن يتكلم وصار التاجر علي يتعجب من بذل هذه الأموال ويقول للتاجر معروف ا والرجال على صدغك أما كفاك أن أضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك فقال التاجر معروف لا علاقة لك وإذا جاءت الحملة أعوض ذلك على الملك بأضعافه وصار يبدر الأموال ويقول في نفسه كبة حامية فالذي يجرى علي يجري

والمقدر ما منه مفر ولم يزل الفرح مدة أربعين يوماً وفي ليلة الحادي والأربعين عملوا الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع الأمراء والعساكر ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤوس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف أموالا لها مقدار عظيم وأدخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وأرخوا الستائر وقفلوا الأبواب وخرجوا وتركوه عند العروسة فخبط يداً على يد وقعد حزيناً مدة وهو يضرب كف على كف ويقول لا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم فقالت له الملكة يا سيدي سلامتك مالك مغموماً فقال كيف لا أكون مغموماً وأبوك قد شوش علي وعمل معي عملة مثل حرق الزرع الأخضر قالت وما عمل معك أبي قل لي قال أدخلني عليك قبل أن تأتي حملتي وكان مرادي أقل ما يكون مائة جوهرة أفرقها على جواريك لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول أن سيدي أعطاني جوهرة في ليلة دخلته على سيدتي وهذه الخصلة كانت تعظيماً لمقامك وزيادة في شرفك فأني لا أقصر ببذل الجواهر لأن عندي منها كثيراً فقالت لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب أما أنا فمر عليك مني إلا أني أصبر عليك حتى تجيء وأما الجواري فما عليك منهن قم أقلع ثيابك وأعمل انبساطاً ومتى جاءت الحملة فأننا نتحصل على تلك الجواهر وغيرها فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب النغاش ووقع الهراش وحط يده على ركبتها فجلست هي في حجره وألقمته شفتها في فمه وصارت هذه الساعة تنسي الإنسان أباه وأمه فحضنها وضمها إليه وعصرها في حضنه وضمها إلى صدره ومص شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده تحت إبطها الشمال فحنت أعضاؤه وأعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين فراحت يده بين الفخذين وتحزم بالساقين ومارس العملين ونادى يا أبا اللثامين وحط الذخير وأشعل الفتيل وحرر على بيت الإبرة وأشعل النار فخسف البرج من الأربعة أركان وحصلت النكتة التي لا يسئل عنها إنسان وزعقت الزعقة التي لابد منها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك لما زعقت الزعقة التي لابد منها أزال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الأعمار لاشتما لها على وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورضع إلى الصباح ثم دخل الحمام ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام دخل ديوان الملك فقام له من فيه على الأقدام وقابلوه بإعزاز وإكرام وهنوه وباركوا له وجلس بجانب الملك وقال ابن الخازندار فقالوا ها هو حاضر بين يديك فقال هات الخلع والبس جميع الوزراء والأمراء وأرباب المناصب فجاء له بجميع ما طلب وجلس يعطى كل من أتى له ويهب لكل إنسان على قد ومقامه واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوماً ولم يظهر له حملة ولا غيرها ثم أن الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك في غياب معروف وكان الملك جالساً هو والوزير لاغير فقبل الأرض بين يديه وقال يا ملك الزمان أنا أخبرك بشيء لأنك ربما تلومني على عدم الأخبار به اعلم أن الخزنة فرغت ولم يبق فيها شيء من المال إلا القليل وبعد عشرة أيام تقفلها على الفارغ فقال الملك يا وزيران حملة نسيبي تأخرت ولم يبن عنها خبر فضحك الوزير وقال له ا يلطف بك يا ملك الزمان ما أنت إلا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب وحياة رأسك أنه لا حملة له ولا كبة تريحنا منه وإنما هو مازال ينصب عليك حتى اتلف أموالك وتزوج بنتك بلا شيء وإلى متى وأنت



غافل عن هذا الكتاب فقال له يا وزير كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله فقال له يا ملك الزمان لا يطلع على سر الرجل إلا زوجته فأرسل إلى بنتك لتأتي خلف الستارة حتى أسألها عن حقيقة حاله لا حل أن تختبره وتطلعنا على حاله فقال لا بأس بذلك وحياة رأسي أن ثبت أنه نصاب كذاب لأقتلنه أشأم قتلة ثم أنه أخذ الوزير ودخل إلى قاعة الجلوس وأرسل إلى بنته فأتت خلف الستارة وكان ذلك في غياب زوجها فلما أتت قالت يا أبي ما تريد قال كلمي الوزير قالت أيها الوزير ما بالك قال يا سيدتي اعلمي أن زوجك أتلف مال أبيك وقد تزوج بك بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة نريد أن تخبرينا عنه فقالت إن كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ولم أر شيئاً فقال يا سيدتي هل تقدرين في هذه الليلة أن تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له أخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فإنك صرت زوجي ولا أفرط فيك فأخبرني بحقيقة الأمر وأنا أدبر لك تدبيراً ترتاح به ثم قربي وبعدي له في الكلام وأريه المحبة وقرريه ثم بعد ذلك أخبرينا بحقيقة أمره فقالت يا أبت أنا أعرف كيف أختبره ثم أنها دخلت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته فقامت له وأخذته من تحت إبطه وخادعته خداعاً زائداً وناهيك بمخادعة النساء إذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضاءها ومازالت تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل حتى سرقت عقله فلما رأته مال إليها بكليته قالت له يا حبيبي يا قرة عيني ويا ثمرة فؤادي لا أوحشني ا منك ولا فرق الزمان بيني وبينك فإن محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك أحرقت أكبادي وليس فيك تفريط أبداً ولكن مرادي أن تخبرني بالصحيح لأن حيل الكذب غير نافعة ولا تنطلي في كل الأوقات وإلى متى وأنت تنصب وتكذب على أبي وأنا خائفة أن يفتضح أمرك عنده قبل أن ندبر له حيلة فيبطش بك فأخبرني بالصحيح ومالك إلا ما يسرك ومتى أخبرتني بحقيقة الأمر لا تخش من شيء يضرك فكم تدعي أنك تاجر وصاحب أموال ولك حمله وقد مضت لك مدة طويلة وأنت تقول حملتي حملتي ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب فإن كان كلامك ليس له صحة فأخبرني وأنا أدبر لك تدبير تخلص به إن شاء ا فقال لها يا سيدتي فأخبرك بالصحيح ومهما أردت فافعلي فقالت قل وعليك بالصدق فإن الصدق سفينة النجاة وإياك والكذب فإنه يفضح صاحبه و در من قال:

عليـ ـك بالصـ ـدق ولـ ـو أنـ ـه أحرقـ ـك الصـ ـدق بنـ ـار الوعيـ ـد
وابـ ـغ رضـ ـا ا فـ ـأغبى الـ ـورى من أسخط المـ ـولى وأرضـ ـى العبيـ ـد

فقال يا سيدتي اعلمي أني لست تاجر أولاً لي حملة ولا كبة حامية وإنما كنت في بلادي رجلاً إسكافياً ولي زوجة اسمها فاطمة العرة وجرى لي معها كذا وكذا وأخبرها بالحكاية من أولها إلى آخرها فضحكت وقالت أنك ماهر في صناعة الكذب والنصب فقال يا سيدتي ا تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب فقالت اعلم أنك نصبت على أبي وغررته بكثرة فشرك حتى زوجني بك من طمعه ثم أتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك وكم مرة يتكلم فيك عند أبي ويقول له أنه نصاب كذاب ولكن أبي لم يطعه فيما يقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة معروف قالت له أن الوزير تكلم فيك عند أبي ويقول له أنه نصاب كذاب وأبي لم يطعه بسبب أنه كان خطبني أن يكون لي بعلاً وأكون له أهلاً ثم أن المدة طالبت وقد تضايق أبي وقال لي قرريه وقد قررتك وانكشف المغطى وأبي مصر لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجي وأنا لا أفرط فيك فإن أخبرت أبي بهذا الخبر ثبت عنده أنك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك وأذهبت أموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس أني تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي وإذا قتلك أبي ربما يحتاج أن يزوجني إلى آخر وهذا شيء لا أقبله ولو مت ولكن قم الآن وألبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالي واركب على جواد وسافر إلى بلاد يكون حكم أبي لا ينفذ فيها وأعمل تاجراً هناك وأكتب لي كتاباً وأرسله مع ساع يأتيني به خفية لا علم في أي البلاد أنت حتى أرسل إليك كل ما طالته يدي ويكثر مالك فإن مات أبي أرسلت إليك فتجيء بإعزاز وإكرام وإذا مت أنت أو مت أنا إلى رحمة ا تعالى فالقيامة تجمعنا وهذا هو الصواب وما دمت طيباً وأنا طيبة لا أقطع عنك المراسلة والأموال قم قبل أن يطلع النهار عليك وتحتار بك الدمار فقال لها ياسيدتي أنا في عرضك أن تودعيني بوصالك فقالت لا بأس ثم واصلها واغتسل ولبس بدلة مملوك وأمر السياس أن يشدوا له جواد من الخيل الجياد فشدوا له جواداً ثم ودعها وخرج من المدينة في آخر الليل وسار فصار كل من رآه يظن أنه مملوك من مماليك السلطان مسافراً في قضاء حاجة فلما أصبح الصباح جاء أبوها هو والوزير إلى قاعة الجلوس وأرسل إليها أبوها فأتت خلف الستارة فقال لها يا بنتي ما تقولين قالت أقول سود ا وجه وزيرك فإنه كان مراده أن يسود وجهي من زوجي قال وكيف ذلك قالت أنه دخل علي أمس قبل أن أذكر له هذا الكلام وإذا بفرج الطواشي دخل علي وبيده كتاب وقال أن عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر وأعطوني هذا الكتاب وقالوا لي قبل لنا أيادي سيدي معروف التاجر وأعطه هذا الكتاب فإننا من مماليكه الذين مع الحملة وقد بلغنا أنه تزوج بنت الملك فأتينا له لنخبره بما حل بنا في الطريق فأخذت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من المماليك الخمسمائة إلى حضرة سيدنا التاجر معروف وبعد فالذي نعلمك به أنك بعد ما تركتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر ألفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلاثون يوماً ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك قالت لأبيها أن زوجي جاءه مكتوب من أتباعه مضمونه أن العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تأخيرنا عنك وقد أخذوا منا مائتي حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكاً فلما بلغه الخبر قال خيبهم ا كيف يتحاربون مع العرب لأجل مائتي حمل بضاعة وما مقدار مائتي حمل فما كان ينبغي لهم أن يتأخروا من أجل ذلك فإن قيمة المائتي حمل سبعة آلاف دينار ولكن ينبغي أن أروح إليهم وأستعجلهم والذي أخذه العرب لا تنقص به الحملة ولا يؤثر عندي شيئاً وأقدر أني تصدقت به عليهم ثم نزل من عندي ضاحكاً ولم يغتم على ما ضاع من ماله ولا على قتل مماليكه ولما نزل نظرت من

شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين أتوا له بالكتاب كأنهم الأقمار كل واحد منهم لابس بدلة تساوي ألف دينار وليس عند أبي مملوك يشبه واحداً منهم ثم توجه مع المماليك الذين جاءوا له بالمكتوب ليجيء بحملته والحمد الذي منعني أن أذكر له شيئاً من الكلام الذي أمرتني به فإنه كان يستهزيء بي وبك وربما كان يراني بعين النقص ويبغضني ولكن العيب كله من وزيرك الذي يتكلم في حق زوجي كلاماً لا يليق به فقال الملك يا بنتي أن مال زوجك كثير ولا يفكر في ذلك ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء وإن شاء ا عن قريب يأتي بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير وصار يأخذ بخاطرها ويوبخ الوزير وانطلت عليه الحيلة هذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر التاجر معروف فإنه ركب الجواد وسار في البر الأقفر وهو متحير لا يدري إلى أي البلاد يروح وصار من ألم الفراق بنوح وقاسى الوجد واللوعات وأنشد هذه الأبيات:

غـــدر الزمـــان بشـــملنا فنفرقــــا ... والقلـــب ذاب مـــن الجفـــا وتحرقـــا
والعـــين تقطـــر مـــن فـــراق أحبتـــي ... هـــذا الفـــراق متـــى يكـــون الملتقـــى
يـــا طلعـــة البـــدر المنيرأنـــا الـــذي ... فـــي حـــبكم تـــرك الفـــؤاد ممزقـــا
يـــا ليتنـــي لـــم اجتمـــع بـــك ســـاعة ... من بعد طيب وصـــالكم ذقـــت الشـــقا
مـــازال معـــروف بـــدينا مغرمـــا ... إن كـــان صـــبابة فلهـــا البقـــا
يا بهجـــة الشـــمس المنيـــرة أدركـــي ... قلبـــاً لمعـــروف المحبـــة محرقـــا
يا هـــل تـــرى الأيـــام تجمـــع شـــملنا ... ونفـــوز منهـــا بالمســـرة واللقـــا
ويضـــمنا قصـــر الحبيبـــة بالهنـــا ... وأضـــم فيـــه معانقـــا غصـــن النقـــا
يـــا طلعـــة البـــدر المنيـــرة شمســـه ... مـــا زال وجهـــك بالمحاســـن مشـــرقا
أنـــي راض بـــالغرام وهمـــه ... حيث السعادة في الهـــوى عـــي الشـــقا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً وقد أنسدت الطرقات في وجهه واختار الممات على الحياة ثم أنه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائر إلى وقت الظهر حتى أقبل على بلد صغيرة فرأى رجلاً حراثاً قريباً منها يحرث على ثورين وكان قد أشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وقال مرحباً بك يا سيدي هل أنت من مماليك السلطان قال نعم قال انزل عندي للضيافة فعرف أنه من الأجاويد فقال له يا أخي ما أنا ناظر عندك شيئاً حتى تطعمني إياه فكيف تعزم علي فقال الحراث يا سيدي الخير موجود أنزل أنت وها هي البلد قريبة وأنا أذهب وآتي لك بغذاء وعليق لحصانك قال حيث كانت البلد قريبة فأنا أصل إليها في مقدار ما تصل أنت إليها وأشتري مرادي من السوق وآكل فقال له يا سيدي إن البلد كفر صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء سألتك با أن تنزل عندي وتجبر بخاطري وأنا أذهب إليها وارجع إليك بسرعة فنزل ثم أن الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء فقعد معروف ينتظره ثم قال في نفسه أنا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن أنا أقوم وأحرث عوضاً عنه حتى يأتي في نضير ما عوقته عن شغله ثم أخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلاً وعثر المحراث في شيء فوقعت البهائم فساقها فلم تقدر على المشي فنظر إلى المحراث فرآه مشبوكاً في حلقة من الذهب فكشف عنها التراب فوجد تلك

الحلقة في وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون فعالج فيه حتى قلعه من مكان فبان من تحته طبق بسلالم فنزل في تلك السلالم فرأى مكاناً مثل الحمام بأربعة لواوين الليوان الأول ملآن من الأرض إلى السقف بالذهب والليوان الثاني ملآن زمرداً ولؤلؤاً ومرجاناً من الأرض إلى السقف والليوان الثالث ملآن ياقوتاً وبلخشاً وفيروزاً والليوان الرابع ملآن بالألماس ونفيس المعادن من سائر أصناف الجواهر وفي صدر ذلك المكان صندوق من البلور الصافي ملآن بالجواهر اليتيمة التي كل جوهرة منها قدر الجوزة وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهي من الذهب فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحاً شديداً وقال يا هل ترى أي شيء في هذه العلبة ثم أنه فتحها فرأى فيها خاتماً من الذهب مكتوباً عليه أسماء وطلاسم مثل دبيب النمل فدعك الخاتم وإذا بقائل يقول لبيك لبيك يا سيدي فاطلب تعط هل تريد أن تعمر بلداً وتخرب مدينة أو تقتل ملكاً أو تحفر نهراً ونحو ذلك فمهما طلبته فإنه قد صار بإذن الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال له يا مخلوق ربي من أنت وتكون قال أنا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه فمهما طلبه من الأغراض قضيته ولا عذر لي فيما يأمرني به فإني سلطان على أعوان من الجان وعدة عسكري اثنتان وسبعون قبيلة كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون ألف وكل واحد من الألف يحكم على ألف مارد وكل مارد يحكم على ألف عون وكل عون يحكم على ألف شيطان وكل شيطان يحكم على ألف جني وكلهم من تحت طاعتي ولا يقدرون على مخالفتي وأنا مرصود لهذا الخاتم لا أقدر على مخالفة من ملكه وها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك فأطلب ما شئت فأني سميع لقولك مطيع لأمرك وإذا احتجت إلي في أي وقت في البر أو البحر فادعك الخاتم تجدني عندك وإياك أن تدعكه مرتين متواليتين فتحرقني بنار الأسماء وتعدمني وتندم على بعد ذلك وقد عرفتك بحالي والسلام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خادم هذا الخاتم لما أخبر معروفاً بأحواله قال معروف ما اسمك قال أسمي أبو السعادات فقال له يا أبا السعادات ما هذا المكان ومن أرصدك في هذه العلبة قال له يا سيدي هذا المكان كنز يقال له كنز شداد بن عاد الذي عمر أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأنا كنت خادمه في حياته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزه ولكنه نصيبك فقال له معروف هل تقدر أن تخرج ما في هذا الكنز على وجه الأرض قال نعم أسهل ما يكون قال أخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيئاً فأشار بيده إلى الأرض فانشقت ثم نزل وغاب مدة لطيفة وإذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهب وفرغوها ثم راحوا وجاءوا بغيرها ومازالوا ينقلون من الذهب والجواهر فلم تمض ساعة حتى قالوا ما بقي في الكنز شيء ثم طلع له أبو السعادات وقال له يا سيدي قد رأيت أن جميع ما في الكنز قد نقلناه فقال له ما هذا الأولاد الحسان قال هؤلاء أولادي لأن هذه الشغلة لا تستحق أن أجمع لها الأعوان وأولادي قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك بأطلب ما تريد غير هذا قال له هل تقدر أن تجيء لي ببغال وصناديق وتحط هذه الأموال في الصناديق وتحمل الصناديق على البغال قال هذا أسهل ما يكون ثم أنه زعق زعقة عظيمة فحضرت أولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة فقال لهم لينقلب بعضكم في صورة البغال وبعضكم في صورة المماليك الحسان الذين أقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك الملوك

وبعضكم في صورة المكاريه وبعضكم في صورة الخدامين ففعلوا كما أمرهم ثم ساح على الأعوان فحضروا بين يديه فأمرهم أن ينقلب بعضهم في صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر فلما رأى معروف ذلك قال أين الصناديق فأحضروهم بين يديه قال عبوا الذهب والمعادن كل صنف وحده فعبوها وحملوها على ثلثمائة بغل فقال معروف يا أبا السعادات هل تقدر أن تجيء لي بأحمال من نفيس القماش قال أتريد قماشاً مصرياً أو شامياً أو عجمياً أو هندياً أورميا قال هات لي من قماش كل بلدة مائة حمل على مائة بغل قال يا سيدي أعطني مهلة حتى أرتب أعواني بذلك أو آمر كل طائفة أن تروح إلى بلد لتجيء بمائة حمل من قماشها وينقلب الأعوان في صورة البغال ويأتون حاملين البضائع قال ما قدر زمن المهلة قال مدة سواد الليل فلا يطلع النهار إلا وعندك جميع ما تريد قال أمهلتك هذه المدة ثم أمرهم أن ينصبوا له خيمة فنصبوها وجلس وجاءوا له بسماط وقال له أبو السعادات يا سيدي اجلس في الخيمة وهؤلاء أولادي بين يديك يحرسونك ولا تخش من شيء وأنا ذاهب أجمع أعواني وأرسلهم ليقضوا حاجتك ثم ذهب أبو السعادات إلى حال سبيله وجلس معروف في الخيمة والسماط قدامه وأولاد أبي السعادات بين يديه في صورة المماليك والخدم والحشم فبينما هو جالس على تلك الحالة وإذا بالرجل الفلاح قد أقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيراً فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وأيديهم على صدورهم فظن أنه السلطان أتى ونزل في ذلك المكان فوقف باهتاً وقال في نفسه ياليتني كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقري من شأن السلطان وأراد أن يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليه وقال للمماليك أحضروه فحملوه هو والقصعة العدس وأتوا بهما قدامه فقال له ما هذا قال هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذني فأني ما كنت أظن أن السلطان يأتي إلى هذا المكان ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته ضيافة مليحة فقال له معروف إن السلطان لم يجيء وأنما أنا نسيبه وكنت مغبوناً منه وقد أرسل إلي مماليك فصالحوني وأنا الآن أريد أن أرجع إلى المدينة وأنت قد عملت لي هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدساً فأنا ما آكل إلا من ضيافتك ثم أمره بوضع القصعة في وسط السماط وأكل منها حتى اكتفى وأما الفلاح فإنه ملأ بطنه من تلك الألوان الفاخرة ثم أن معروفاً غسل يديه وأذن للمماليك في الأكل فنزلوا على بقية السماط وأكلوا ولما فرغت القصعة ملأها ذهباً وقال له أوصلها إلى منزلك وتعالى عندي في المدينة وأنا أكرمك فأخذ القصعة ملآنة ذهباً وساق الثيران وذهب إلى بلاده وهو يظن أنه نسيب الملك وبات معروف تلك الليلة في أنس وصفاء وجاءوا له ببنات من عرائس الكنوز فقوا الآلات ورقصوا قدامه وقضى ليلته وكان لا تعد من الأعمار فلما أصبح الصباح لم يشعر إلا والغبار قد علا وطار وانكشف عن بغال حاملة أحمالاً وهي سبعمائة بغل حاملة أقمشة وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وأبو السعادات راكب على بغلة وهو في صورة مقدم الحملة وقدامه تختروان له أربع عساكر من الذهب الأحمر الوهاج مرصعة بالجواهر فلما وصل إلى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الأرض وقال يا سيدي أن الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثيل فها من ملابس الملوك فألبسها وأركب في التختروان وأمرنا بما تريد فقال له يا أبا السعادات مرادي أن أكتب لك كتاباً تروح به إلى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمي الملك ولا تدخل عليه إلا في صورة ساع أنيس فقال له سمعاً وطاعة فكتب كتاباً وختمه فأخذه أبو

السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه يقول يا وزيري إن قلبي على نسيبي وأخاف أن تقتله العرب يا ليتني كنت أعرف أين ذهب حتى كنت أتبعه بالعسكر ويا ليته كان أخبرني بذلك قبل الذهاب فقال الوزير الله تعالى يلطف بك على هذه الغفلة التي أنت فيها وحياة رأسك أن الرجل عرف أننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو إلا كذاب نصاب وإذا بالساعي داخل فقبل الأرض بين يدي الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء فقال له الملك من أنت وما حاجتك فقال له أنا ساع أرسلني إليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد أرسل معي كتاباً وها هو فأخذه وقرأه فرأى فيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أخذ الكتاب وقرأه وفهم رموزه ومعناه فرأى فيه من بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فأني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر فقال الملك سود الله وجهك يا وزير كم تقدح في عرض نسيبي وتجعله كذاباً نصاباً وقد أتى بالحملة فما أنت إلا خائن فأطرق الوزير رأسه إلى الأرض حياء وخجلاً وقال يا ملك الزمان أنا ما قلت هذا الكلام إلا لطول غياب الحملة وكنت خائفاً على ضياع المال الذي صرفه فقال يا خائن أي شيء أموالي حيثما أتت حملته فأنه يعطيني عوضاً عنها شيئاً كثيراً ثم أمر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها لك البشارة أن زوجك عن قريب يجيء بحملته وقد أرسل إلي مكتوباً بذلك وها أنا طالع لملاقاته فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت في نفسها إن هذا شيء عجيب هل كان يهزأ بي ويتمسخر علي أو كان يختبرني حين أخبرني بأنه فقير ولكن الحمد لله حيث لم يقع في حقه تقصيراً هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر التاجر المصري فإنه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك فقالوا له أن التاجر معروفاً نسيب الملك قد أتت حملته فقال الله أكبر ما هذه الداهية أنه قد أتاني هارباً من زوجته وكان فقيراً فمن أين جاءت له حملة ولكن لعل بنت الملك دبرت له حيلة خوفاً من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شيء فالله تعالى يستره ولا يفضحه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر علياً لما سأل عن الزينة أخبروه بحقيقة الحال فدعا له وقال الله يستره ولا يفضحه وسائر التجار فرحوا وأنسروا لأجل أخذ أموالهم ثم أن الملك جمع العسكر وطلع وكان أبو السعادات قد رجع إلى معروف وأخبروه بأنه بلغ الرسالة فقال له معروف حملوا فحملوا ولبس البدلة الكنوزية وركب في التختروان وصار أعظم وأهيب من الملك بألف مرة ومشى إلى نصف الطريق وإذا بالملك قابله بالعسكر فلما وصل إليه رآه لابساً تلك البدلة وراكباً في التختروان فأمى روحه عليه وسلم عليه وحياه بالسلام وجميع أكابر الدولة سلموا عليه وبان أن معروفاً صادق ولا كذب عنده ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الأسد وسعت إليه التجار وقبلوا الأرض بين يديه ثم أن التاجر علياً قال له قد عملت هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من فضله فضحك معروف ولما دخل السراية قعد على الكرسي وقال ادخلوا أحمال الذهب في خزانة عمي الملك وهاتوا أحمال الأقمشة فقدموها له وصاروا يفتحونها حملاً بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل فنقى أطيبها وقال أدخلوه للملكة لتفرقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق الجواهر وأدخلوه لها لتفرقة على الجواري والخدم وصار

يعطي التجار الذين لهم عليه دين من الأقمشة في نظير ديونهم والذي له ألف يعطيه قماشاً يساوي ألفين أو أكثر وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر أن يعترض عليه ولم يزل يعطي ويهب حتى فرق السبعمائة حمل ثم ألتفت إلى العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمرداً ويواقيت ولؤلؤاً ومرجاناً وغير ذلك وصار لا يعطي الجواهر إلا بالكبشة من غير عدد فقال له الملك يا ولدي يكفي هذا العطاء لأنه لم يبق من الحملة إلا القليل فقال له عندي كثير واشتهر صدقه وما بقي أحد يقدر أن يكذبه وصار لا يبالي بالعطاء لأن الخادم يحضر له مهما طلب ثم أن الخازندار أتى للملك وقال يا ملك أن الخزينة امتلأت وصارت لا تسع بقية الأحمال وما بقي من الذهب والمعادن أين نضعه فأشار له إلى مكان آخر ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول في نفسها يا هل ترى من أين جاء له كل هذا الخير وكذلك التجار فرحوا بما أعطاهم ودعوا له وأما التاجر علي فإنه صار متعجباً ويقول في نفسه يا ترى كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها فإنها لو كنت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء ولكن ما أحسن قول من قال:

مل ـ ـ ـ ك المل ـ ـ ـوك إذا وهـ ـ ـ ب	لا تس ـ ـ ـألن ع ـ ـ ـن الس ـ ـ ـبب
ا يعط ـ ـ ـي م ـ ـ ـن يش ـ ـ ـاء	فق ـ ـ ـف عل ـ ـ ـى حس ـ ـ ـد الأدب

هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه ببذل المال ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهي مبتسمة ضاحكة فرحانه وقبلت يده وقالت هل كنت تتمسخر علي أو كنت تجربني بقولك أنا فقير وهارب من زوجتي والحمد حيث لم يقع مني في حقك تقصير وأنت حبيبي وما عندي أعز منك سواء كنت غنياً أو فقيراً وأريد أن تخبرني ما قصدت بهذا الكلام قال أردت تجريبك حتى أنظر هل محبتك خالصة أو على شأن المال وطمع الدنيا فظهر لي أن محبتك خالصة وحيث أنك صادقة في المحبة فمرحباً بك وقد عرفت قيمتك ثم أنه اختلى في مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له أبو السعادات وقال له لبيك فاطلب ما تريد قال أريد منك بذلة كنوزية لزوجتي وحلياً كنوزياً مشتملاً على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة قال سمعاً وطاعة ثم أحضر له ما أمره به فحمل البدلة والحلي بعد أن صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها خذي والبسي فمرحباً بك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر معروف قال لزوجتك مرحباً بك فلما نظرت إلى ذلك طار عقلها من فرحتها ورأت من جملة الحلي خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة وأساور وحلقاً وحزاماً لا يتقوم بثمنها أموال فلبست البدلة والحلي ثم قالت يا سيدي مرادي أن أدخرها للمواسم والأعياد قال ألبسيها دائماً فإن عندي غيرها كثير فلما لبستها ونظرها الجواري فرحن وقبلن يديه فتركهن وأختلى بنفسه ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له هات لي مائة بدلة بمصاغها فقال له سمعاً وطاعة ثم أحضر البدلات وكل بدلة مصاغها في قلبها فأخذها وزعق على الجواري فأتين إليه فأعطي كل واحدة بدلة فلبسن لبدلات

وصرن مثل الحور العين وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم ثم أن بعض الجواري أخبر الملك بذلك فدخل على ابنته فرآها تدهش من رآها هي وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج وأحضر وزيره وقال له يا وزير أنه حصل كذا وكذا فما تقول في هذا الأمر قال يا ملك الزمان أن هذه الحالة لا تقع من التجارة لأن التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها إلا بمكسب فمن أين للتجار قوم كرم مثل هذا الكرم ومن أين لهم أن يحوزوا مثل هذه الأموال والجواهر التي لا يوجد منها عند الملوك إلا قليل فكيف يوجد عند التجار منها أحمل فهذا لابد له من سبب ولكن أن طاوعتني أبين اك حقيقة الأمر فقال له أطاوعك يا وزير فقال له اجتمع عليه وواده وتحدث معه وقل له يا نسيبي في خاطري أن أروح أنا وأنت والوزير من غير زيادة بستاناً لأجل النزهة فإذا خرجنا إلى البستان نحط سفرة المدام واغضب عليه واسقه ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب شده فنسأله عن حقيقة أمره فإنه يخبرنا بأسراره والمدام فضاح و در من قال:

ولمـ ــا شـ ــربناها ودب دبيبهـ ــا	إلى موضع الأسرار قلـت لهـا قفـي
مخافــة أن يســطو علــى شــعاعها	فتظهر نـدماني علـى سـري الخفـي

ومتى أخبرنا بحقيقة الأمر فإننا نطلع على حاله ونفعل به ما تحب وتختار فإن هذه الحالة التي هو فيها أخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه في الملك فيستميل العسكر إليه بالكرم وبذل الأموال ويعزلك ويأخذ الملك منك فقال له الملك صدقت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما دبر للملك هذا التدبير قال له صدقت وباتا متفقين على هذا الأمر فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى المقعد وجلس وإذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين فقال لهم ما الذي أصابكم قالوا يا ملك الزمان أن السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التي جاءت بالحملة فلما أصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالاً ودخلنا محل المماليك فلم نر فيه أحد ولم نعرف كيف هربوا فتعجب الملك من ذلك لأنه ظن أن الأعوان كانوا خيلاً وبغالاً ومماليك ولم يعلم أنهم كانوا أعوان خادم الرصد فقال لهم يا ملاعين ألف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم فقالوا ما أعرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا فقال إنصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم وأخبروه بالخبر فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين فبينما هما جالسون على تلك الحالة وإذا معروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمين فقال لهم ما الخبر فأخبروه بما حصل فقال وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم أمضوا إلى حال سبيلكا وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الأمر فنظر الملك في وجه الوزير وقال له أي شيء هذا الرجل الذي ليس للمال عنده قيمة فلا بد لذلك من سبب ثم أنهم تحدثوا ساعة وقال الملك يا نسيبي خاطري أروح أنا وأنت والوزير بستاناً لأجل النزهة فما تقول قال لا بأس ثم أنهم ذهبوا وتوجهوا إلى بستان فيه من كل فاكهة زوجان أنهاره دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة ودخلوا في قصر يزين عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكي غريب الحكايات ويأتي بالنكت المضحكات والألفاظ المطربات ومعروف مصغ إلى الحديث حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام وبعد أن أكلوا وغسلوا أيديهم ملأ الوزير الكاس وأعطاه للملك فشربه وملأ الثاني وقال لمعروف هاك



كأس الشراب الذي نخضع لهيبته أعناق ذوي الألباب فقال معروف ما لهذا يا وزير قال الوزير هذه البكر الشمطاء والعانس العذراء ومهدية السرور إلى السرائر ومازال يرغبه في الشراب ويذكر له من محاسنه ما استطاب وينشده ما ورد فيه من الأشعار ولطائف الأخبار حتى مال إلى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح وما زال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ويطرب حتى غاب عن صوابه ولم يميز خطأه من صوابه فلما علم أن السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له يا تاجر معروف وا أني متعجب من أين وصلت إليك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الأكاسرة إلا وعمرنا ما رأينا تاجراً حاز أموالاً كثيرة مثلك ولا أكرم منك فإن فعالك أفعال ملوك وليست أفعال تجار فبا عليك أن تخبرني حتى أعرف قدرك ومقامك وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف أنا لست تاجر أولاً من أولاد الملوك وأخبره بحكايته من أولها إلى آخرها فقال له با عليك يا سيدي معروف أن تفرجني على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته فقلع الخاتم وهو في حال سكره وقال خذوا اتفرجوا عليه فأخذه الوزير وقلبه وقال هل إذا دعكته يحضر الخادم قال نعم ادعكه يحضر لك وتفرج عليه فدعكه وإذا بقائل يقول لبيك يا سيدي اطلب تعط هل تخرب مدينة أو تعمر مدينة أو تقتل ملكاً فمهما طلبته فأني أفعله لك من غير خلاف فأشار الوزير إلى معروف وقال للخادم احمل هذا الخاسر ثم ارمه في أوحش الأراضي الخراب حتى لا يجد فيها ما يأكل ولا ماء يشرب فيهلك من الجوع كمداً ولا يدريه أحداً فخطفه الخادم طار به بين السماء والأرض فلما رأى معروف ذلك أيقن بالهلاك وسوء الارتباك فبكى وقال يا أبا السعادات إلى أين أنت رائح بي فقال له أنا رائح أرميك في الربع الخراب يا قليل الأدب من يملك رصداً مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه لكن تستاهل ما حل بك ولولا أني أخاف ا لرميتك من مسافة ألف قامة فلا تعمل إلى الأرض حتى تمزقك الرياح فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل به إلى الربع الخراب ورماه هناك ورجع وخلاه في الأرض الموحشة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من الوزير فإنه لما ملك الخاتم قال للملك كيف رأيت أما قلت لك أن هذا كذاب نصاب ما كنت تصدقني فقال له الحق معك يا وزيري ا يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتى أتفرج عليه فالتفت الوزير بالغضب وبصق في وجهه وقال له يا قليل العقل كيف أعطيه لك وأبقى خدامك بعد أن صرت سيدك ولكن أنا ما بقيت أبقيك ثم دعك الخاتم فحضر الخادم فقال له أحمل هذا القليل الأدب وأرمه في المكان الذي رميت فيه نسيبه النصاب فحمله وطار به فقال له الملك يا مخلوق ربي أي شيء ذنبي فقال له الخادم لا أدري وإنما أمرني سيدي بذلك وأنا لا أقدر أن أخالف من ملك خاتم هذا الرصد ولم يزل طائراً به حتى رماه في المكان الذي فيه معروف ثم رجع وتركه هناك فسمع معروفاً يبكي فأتى له وأخبره وقعدا يبكيان على ما أصابهما ولم يجدا أكلاً ولا شربا هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر الوزير فأنه بعد ما شتت معروفاً الملك قام وخرج من البستان وأرسل إلى جميع العسكر وعمل ديواناً وأخبرهم بما فعل مع معروف والملك وأخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم إن لم تجعلوني سلطاناً عليكم أمرت خادم الخاتم أن يحملكم جميعاً ويرميكم في الربع الخراب فتموتوا جوعاً وعطشاً فقالوا له لا تفعل معنا ضرراً فأننا قد رضينا بك سلطاناً علينا ولا نعصي لك أمراً ثم أنهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهراً عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من أبي السعادات كل ما أراده فيحضر بين يديه في الحال ثم أنه جلس على الكرسي وأطاعه العسكر وأرسل

على بنت الملك يقول لها حضري روحك فأني داخل عليك في هذه الليلة لأني مشتاق إليك فبكت وصعب عليها أبوها وزوجها ثم أنها أرسلت تقول أمهلني حتى تنقضي العدة ثم أكتب كتابي وادخل علي في الحلال فأرسل يقول لها أنا لا أعرف عدة ولا طول مدة ولا أحتاج إلى كتاب ولا أعرف حلالاً من حرام ولابد من دخولي عليك في هذه الليلة فأرسلت تقول له مرحباً بك ولا بأس بذلك وكان ذلك مكر منها فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لأنه كان مغرماً بحبها ثم أمر بوضع الأطعمة بين جميع الناس وقال كلوا هذا الطعام فإنه وليمة الفرح فأني أريد الدخول على الملكة في هذه الليلة فقال شيخ الإسلام لا يحل لك الدخول عليها حتى تنقضي عدتها وتكتب كتابك عليها فقال له أنا لا أعرف عدة ولا مدة فلا تكثر علي كلاماً فسكت شيخ الإسلام وخاف من شره وقال للعسكران هذا كافر ولا دين له ولا مذهب له فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة أفخر ما عندها من الثياب ومزينة بأحسن الزينة فلما رأته قابلته وهي ضاحكة وقالت له ليلة مباركة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك قابلت الوزير وقالت له مرحباً بك ولو كنت قتلت أبي زوجي لكان أحسن عندي فقال لها لابد أن أقتلهما فأجلسته وصارت تمازحه وتظهر له الوداد فلما لاطفته وتبسمت في وجهه طار عقله وأنما خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على أم ناصيته وما فعلت معه هذه الفعال إلا على رأي من قال:

وقـ ـ ـ ـد بلغـ ـ ـ ـت بحيلتـ ـ ـ ـي	مـ ـا لـ ـيس يبلـ ـغ بالسـ ـيوف
ثـ ـ ـ ـم أنثنيـ ـ ـ ـت بمغـ ـ ـ ـنم	حلـ ـ ـو المجـ ـ ـاني والقطـ ـ ـوف

فلما رأى الملاطفة والابتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقالت يا سيدي أما ترى الرجل الناظر إلينا با عليك أن تسترني عن عينه فكيف تواصلني وهو ينظر إلينا فاغتاظ وقال أين الرجل قالت ما هو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر إلينا فظن أن خادم الخاتم ينظر إليهما فضحك وقال لا تخافي أن هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتي قالت أنا أخاف من العفاريت فأقلعه وارمه بعيداً عني فقلعه ووضعه على المخدة ودنا منها فرفسته برجلها في قلبه فانقلب على قفاه مغشياً عليه وزعقت على أتباعها فأتوها بسرعة فقالت أمسكوه فقبض عليه أربعون جارية وعجلت بأخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته وإذا بأبي السعادات أقبل يقول لبيك يا سيدتي فقالت أحمل هذا الكافر وضعه في السجن وثقل قيوده فأخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها قد سجنته فقالت له أين ذهبت بأبي وزوجي قال رميتهما في الربع الخراب قالت أمرتك أن تأتيني بهما في هذه الساعة فقال سمعاً وطاعة ثم طار من أمامهما ولم يزل طائراً إلى أن وصل إلى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما لا تخافا قد أتاكما الفرج وأخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما أني قد سجنته بيدي طاعة لها ثم أمرتني بإرجاعكما ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك فقامت وسلمت على أبيها وزوجها وأجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة وفي ثاني يوم ألبست أباها بدلة فاخرة وألبست زوجها بدلة فاخرة وقالت يا أبت أقعد أنت على كرسيك ملكاً على ما كنت عليه أولاً وأجعل زوجي

وزير ميمنه عندم وأخبر عسكرك بما جرى وهات الوزير من السجن وأقتله ثم أحرقه فإنه كافر وأراد أن يدخل علي سفاحاً من غير نكاح وشهد على نفسه أنه كافر وليس له دين يتدين به واستوص بنفسك الذي جعلته وزير ميمنة عندك فقال سمعاً وطاعة يا بنتي ولكن أعطيني الخاتم أو أعطيه لزوجك فقالت أنه لا يصلح لك ولا له وإنما الخاتم يكون عندي وربما أحميه أكثر منكما ومهما أردتما فأطلباه مني وأنا أطلب لكما من خادم هذا الخاتم ولا تخشيا بأساً مادمت أنا طيبة وبعد موتي فشأنكما والخاتم فقال أبوها هذا هو الرأي الصواب يا بنتي ثم أخذ نسيبه وطلع إلى الديوان وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من أنه دخل عليها سفاحاً من غير نكاح وأساء الملك ونسيبه وخافوا أن تنتهك شريعة الإسلام لأنه ظهر لهم إنه كافر ثم اجتمعوا في الديوان وصاروا يعنفون شيخ الإسلام ويقولون له لماذا لم تمنعه من الدخول على الملكة سفاحاً فقال لهم يا ناس إن الرجل كافر وصار ملكاً للخاتم وأنا وأنتم لا يخرج من أيدينا في حقه شيء فا تعالى يجازيه بفعله فاسكتوا أنتم لئلا يقتلكم فبينما العساكر مجتمعون يتحدثون في هذا الكلام وإذا بالملك دخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العساكر من شدة غيظهم جلسوا في الديوان يتحدثون في شأن الوزير وما فعل بالملك ونسيبه وبنته وإذا بالملك دخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الأقدام وقبلوا الأرض بين يديه ثم جلس على الكرسي وأخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وأمر يزينه المدينة وأحضر الوزير من الحبس فلما مر بالعساكر صار يلعنونه ويشتمونه ويوبخونه حتى وصل إلى الملك فلما تمثل بين يديه أمر بقتله أشنع قتلة فقتلوه ثم حرقوه وراح إلى سقر في أسوأ الأحوال وقد أجاد فيه من قال:

فـلا رحـم الـرحمن تربـة عظمـه ولا زال فيهـا منكـر ونكيـر

ثم أن الملك جعل معروفاً وزير ميمنة عنده وطابت لهم الأوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات وفي السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطاناً مكان أبيها ولم تعطه الخاتم وكانت في هذه المدة حملت منه ووضعت غلاماً بديع الجمال بارع الحسن والكمال ولم يزل في حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات فمرضت أمه مرض الموت فأحضرت معروفاً وقالت له أنا مريضة قال لها سلامتك يا حبيبة قلبي قالت له ربما أموت فلا تحتاج إلى أن أوصيك على ولدك وإنما أوصيك بحفظ الخاتم خوفاً عليك وعلى هذا الغلام فقال ما علي من يحفظه بأس فقلعت الخاتم وأعطته له وفي ثاني يوم توفيت إلى رحمة ا تعالى وأقام معروف ملكاً وصار يتعاطى الأحكام فاتفق له في بعض الأيام أنه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه إلى أماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فدخل عليه أرباب منادمته من الأكابر على عادتهم وسهروا عنده من أجل البسط والانشراح إلى نصف الليل ثم طلبوا الأجازة بالإنصراف فأذن لهم وخرجوا من عنده إلى بيوتهم وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة وألبسته بدلة النوم واضطجع فصارت تكبس

أقدامه حتى غلب عليه النوم فخرجت من عنده وراحت إلى مرقدها ونامت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك معروف فإنه كان نائماً فلم يشعر إلا وشيء بجانبه في الفراش فانتبه مرعوباً وقال أعوذ با   من الشيطان الرجيم ثم فتح عينيه فرأى بجانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها من أنت قال لا تخف أنا زوجتك فاطمة العرة فنظر في وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول أنيابها وقال من أين دخلت علي ومن جاء بك إلى هذه البلاد فقالت له في أي البلاد أنت في هذه الساعة قال في مدينة خيتان الختن وأنت متى فارقت مصر قالت في هذه الساعة قال لها وكيف ذلك قالت اعلم أنني لما تشاجرت معك وأغواني الشيطان على ضررك واشتكيتك إلى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك وبعد أن مضى يومان لحقتني الندامة وعلمت أن العيب عندي وصار الندم لا ينفعني وقعدت مدة أيام وأنا أبكي على فراقك وقل ما في يدي واحتجت إلى السؤال لأجل القوت فصرت أسأل كل مغبوط وممقوت ومن حين فارقتني وأنا آكل من ذل السؤال وصرت في أسوأ الأحوال وكل ليلة أقعد أبكي على فراقك وعلى ما قاسيت بعد غيابك من الذل والهوان والتعسة والخسران وصارت تحدثه بما جرى لها وهو باهت فيها إلى أن قالت وفي أمس درت طول النهار أسأل فلم يعطيني أحد شيئاً وصرت كلما أقبل علي أحد وأسأله كسرة يشتمني ولا يعطيني شيئاً فلما أقبل الليل بت من غير عشاء فأحرقني الجوع وصعب علي ما قاسيت وقعدت أبكي وإذا بشخص تصور قدامي وقال لي يا امرأة لأي شيء تبكين فقلت أنه كان لي زوج يصرف علي ويقضي أغراضي وقد فقد مني ولم أعرف أين راح وقد قاسيت الغلب من بعده فقال ما اسم زوجك قلت اسمه معروف قال أنا أعرفه اعلمي أن زوجك الآن سلطاناً على مدينة وإن شئت أن أوصلك إليه أفعل ذلك فقلت له أنا في عرضك أن توصلني إليه فحملني وطار بي بين السماء والأرض حتى أوصلني إلى هذا القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن فاطمة العرة قالت لمعروف إن ذلك المارد أتي بي إلى هذا القصر وقال لي ادخلي في هذه الحجرة ترى زوجك نائماً على السرير فدخلت فرأيتك في هذه السيادة وأنا ما كان أملي أنك تفوتني وأنا رفيقتك والحمد   الذي جمعني عليك فقال لها هل أنا فتك أو أنت التي فتيني وأنت تشكيني من قاض إلى قاض وختمت ذلك بشكايتي إلى الباب العالي حتى نزلت على أبا طبق من القلعة فهربت قهراً عني وصار يحكي لها على ما جرى له إلى أن صار سلطاناً وتزوج بنت الملك وأخبرها بأنها ماتت وخلف منها ولداً صار عمره سبع سنين فقالت والذي جرى مقدر من ا   تعالى وقد تبت وأنا في عرضك أنك لا تفوتني ودعني آكل عندك العيش على سبيل الصدقة ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه لها وقال لها توبي عن الشر وأقعدي عندي وليس لك إلا ما يسرك فإن عملت شيئاً من الشر أقتلك ولا أخاف من أحد فلا يخطر ببالك أنك تشكينني إلى الباب العالي وينزل لي أبو طبق من القلعة فأني صرت سلطاناً والناس تخاف مني وأنا لا أخاف إلا من ا   تعالى فأني معي خاتم استخدام متى دعكته يظهر لي خادم الخاتم واسمه أبو السعادات ومهما طلبته منه يأتيني به فإن كنت تريدين الذهاب إلى بلدك أعطيك ما يكفيك طول عمرك وأرسلك إلى مكانك بسرعة وإن كنت تريدين القعود عندي فإني أخلي لك قصراً وأفرشه لك من خاص

الحرير واجعل لك عشرين جارية تخدمك وأرتب لك المآكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتى تموتي أو أموت أنا فما تقولين في هذا الكلام قالت أنا أريد الإقامة عندك ثم قبلت يده وتابت عن الشر فأفرد لها قصراً وحدها وأنعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة ثم أن الولد صار يروح عندها وعند أبيه فكرهت الولد لكونه ليس أبنها فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها ثم أن معروفاً اشتغل بحب الجواري الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرة لأنها صارت عجوزاً شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء أقبح من الحية الرقطاء خصوصاً وقد أساءته إساءة لا مزيد عليها وصاحب المثل يقول الإساءة تقطع أصل المطلوب وتزرع البغضاء في أرض القلوب و در من قال:

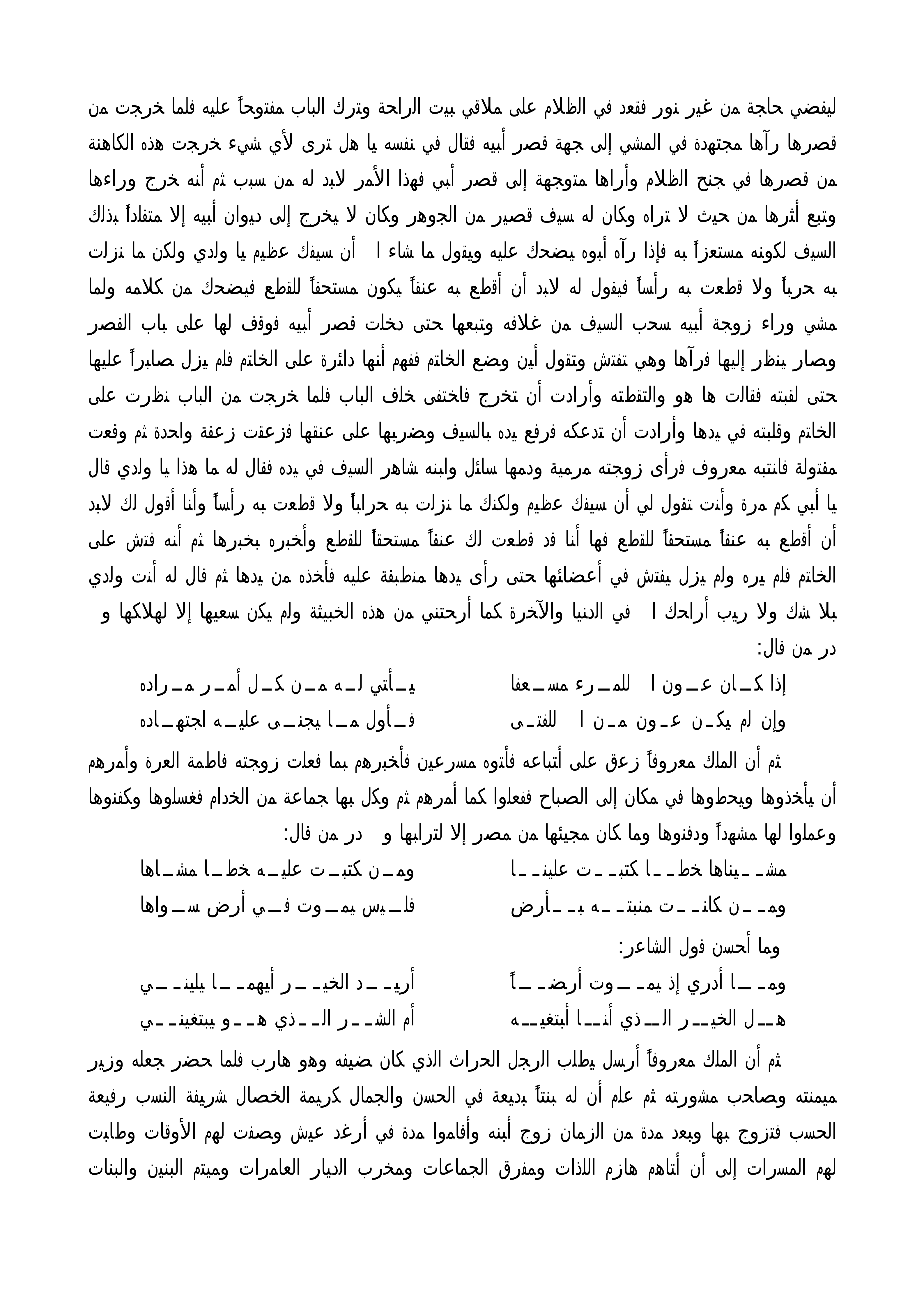
احرص على حفظ القلـوب مـن الأذى	فرجوعهـا بعـد التنـافر يعسـر
إن القلـوب إذا تنـافر ودهـا	مثـل الزجاجـة كسـرها لا يجبـر

ثم أن معروفاً لم يأوها الخصلة حميدة فيها وأنما عمل معها هذا الإكرام ابتغاء مرضاة ا تعالى (ثم) أن دنيا زاد قالت لأختها شهرزاد ما أطيب هذه الألفاظ التي هي أشد أخذاً للقلوب من سواحر الألحاظ وما أحسن هذه الكتب الغريبة والنوادر العجيبة فقالت شهرزاد وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أصبح الملك منشرح الصدر ومنتظراً لبقية الحكاية وقال في نفسه وا لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم خرج إلى محل حكمه وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت إبطه فمكث الملك في الحكم بين الناس طول نهاره وبعد ذلك ذهب إلى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جري عادته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٩٠ وهي آخر الكتاب)

ذهب الملك إلى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير فقالت لها أختها دنيا زاد تممي لنا حكاية معروف فقالت حباً وكرامة أن أذن لي الملك بالحديث فقال لها قد أذنت لك بالحديث لأنني متشوق إلى سماع بقيته:

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك معروفاً صار لا يعتني بزوجته من أجل النكاح وإنما كان يطعمها احتساباً لوجه ا تعالى فلما رأته ممتنعاً عن وصالها ومشتغلاً بغيرها بغضته وغلبت عليها الغير وسوس لها إبليس أنها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه ثم أنها خرجت ذات ليلة من الليالي ومضت من قصرها متوجهة إلى القصر الذي فيه زوجها الملك معروف واتفق بالأمر المقدر والقضاء المسطر أن معروفاً كان راقداً مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقد واعتدال ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من أصبعه إذا أراد أن يجامع احتراماً للأسماء الشريفة التي هي مكتوباً عليه فلا يلبسه إلا على طهارة وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها إلا بعد أن أحاطت علماً بأنه إذا جامع يقلع الخاتم ويجعله على المخدة حتى يطهر وكان من عادته أنه متى جامع يأمر المحظية أن تذهب من عنده خوفاً على الخاتم وإذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسه وبعد ذلك كل من دخل القصر لاحرج عليه وكانت تعرف هذا الأمر كله فخرجت بالليل لأجل أن تدخل عليه في القصر وهو مستغرق في النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها فلما خرجت كان ابن الملك في هذه الساعة قد دخل بيت الراحة



ليقضي حاجة من غير نور فقعد في الظلام على ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحاً عليه فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي إلى جهة قصر أبيه فقال في نفسه يا هل ترى لأي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام وأراها متوجهة إلى قصر أبي فهذا الأمر لابد له من سبب ثم أنه خرج وراءها وتبع أثرها من حيث لا تراه وكان له سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج إلى ديوان أبيه إلا متقلداً بذلك السيف لكونه مستعزاً به فإذا رآه أبوه يضحك عليه ويقول ما شاء ا أن سيفك عظيم يا ولدي ولكن ما نزلت به حرباً ولا قطعت به رأساً فيقول له لابد أن أقطع به عنقاً يكون مستحقاً للقطع فيضحك من كلامه ولما مشي وراء زوجة أبيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر أبيه فوقف لها على باب القصر وصار ينظر إليها فرآها وهي تفتش وتقول أين وضع الخاتم ففهم أنها دائرة على الخاتم فلم يزل صابراً عليها حتى لقبته فقالت ها هو والتقطته وأرادت أن تخرج فاختفى خلف الباب فلما خرجت من الباب نظرت على الخاتم وقلبته في يدها وأرادت أن تدعكه فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة فانتبه معروف فرأى زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده فقال له ما هذا يا ولدي قال يا أبي كم مرة وأنت تقول لي أن سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حراباً ولا قطعت به رأساً وأنا أقول لك لابد أن أقطع به عنقاً مستحقاً للقطع فها أنا قد قطعت لك عنقاً مستحقاً للقطع وأخبره بخبرها ثم أنه فتش على الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش في أعضائها حتى رأى يدها منطبقة عليه فأخذه من يدها ثم قال له أنت ولدي بلا شك ولا ريب أراحك ا في الدنيا والآخرة كما أرحتني من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها إلا لهلاكها و در من قال:

إذا كـان عـون ا للمـرء مسـعفا يـأتي لـه مـن كـل أمـر مـراده

وإن لم يكـن عـون مـن ا للفتـى فـأول مـا يجنـى عليـه اجتهـاده

ثم أن الملك معروفاً زعق على أتباعه فأتوه مسرعين فأخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وأمرهم أن يأخذوها ويحطوها في مكان إلى الصباح ففعلوا كما أمرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهداً ودفنوها وما كان مجيئها من مصر إلا لترابها و در من قال:

مشـيناها خطـا كتبـت علينـا ومـن كتبـت عليـه خطـا مشـاها

ومـن كانـت منيتـه بـأرض فلـيس يمـوت فـي أرض سـواها

وما أحسن قول الشاعر:

ومـا أدري إذ يمـوت أرضـاً أريـد الخيـر أيهمـا يلينـي

هـل الخيـر الـذي أنـا أبتغيـه أم الشـر الـذي هـو يبتغينـي

ثم أن الملك معروفاً أرسل يطلب الرجل الحراث الذي كان ضيفه وهو هارب فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته ثم علم أن له بنتاً بديعة في الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب فتزوج بها وبعد مدة من الزمان زوج أبنه وأقاموا مدة في أرغد عيش وصفت لهم الأوقات وطابت لهم المسرات إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات

فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت(وكانت) شهر زاد في هذه المدة قد خلفت من الملك ثلاثة ذكور فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يدي الملك وقالت له يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان أني جاريتك ولي ألف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل لي في جنابك من طمع حتى أتمنى عليك أمنية فقال لها الملك تمنى تعطى يا شهرزاد فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم هاتوا أولادي فجاءوا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة أولاد ذكور واحد منهم يمشي وواحد يحبي وواحد يرضع فلما جاءوا بهم أخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الأرض وقالت يا ملك الزمان أن هؤلاء أولادك وقد تمنيت عليك أن تعتقني من القتل إكراماً لهؤلاء الأطفال فإنك إن تقتلتني يصير هؤلاء الأطفال من غير أم ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء فعند ذلك بكى الملك وضم أولاده إلى صدره وقال يا شهرزاد وا أني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الأولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية وحرة تقية بارك ا فيك وفي أبيك وأمك واصلك وفرعك وأشهد ا على أني قد عفوت عنك من كل شيء يضرك فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحاً زائداً وقالت أطال ا عمرك وزادك هيبة ووقاراً وشاع السرور في سراية الملك حتى انتشر في المدينة وكانت ليلة لا تعد من الأعمار ولونها أبيض من وجه النهار وأصبح الملك مسروراً وبالخير مغموراً فأرسل إلى جميع العسكر فحضروا وخلع على وزيره أبي شهرزاد خلعة سنية جليلة وقال له سترك ا حيث زوجتني أبنتك الكريمة التي كانت سبباً لتوبتي عن قتل بنات الناس وقد رأيتها حرة نقية عفيفة زكية ورزقني ا منها ثلاثة أولاد ذكوراً والحمد على هذه النعمة الجزيلة ثم خلع على كافة الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وأمر بزينة المدينة ثلاثين يوماً ولم يكلف أحداً من أهل المدينة شيئاً من ماله بل جميع الكلفة والمصاريف من خزانة الملك فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ودقت الطبول وزمرت الزمور ولعب سائر أرباب الملاعب وأجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدق على الفقراء والمساكين وعم بإكرامه سائر رعيته وأهل مملكته وأقام هو ودولته في نعمة وسرور ولذة وحبور حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يفنيه تداول الأوقات ولا يعتريه شيء من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد بصفات الكمال والصلاة والسلام على إمام حضرته وخيرته من خليقته سيدنا محمد سيد الأنام وتضرع به إليه في حسن الختام.

(أما بعد) حمداً مسدي النعم ومفيض إحسانه على الملوك والخدم والصلاة والسلام على من هو للأنبياء إمام وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار.

فقد تم طبع هذا الكتاب. الجامع من محاسن الأخبار العجب العجاب المتضمن لفنون من النوادر والآثار والآداب. الشارح لأحوال العصور الوسطى الإسلامية. والممثل لأخلاق أهلها ومعاملتهم وعاداتهم الأهلية وبالجملة فهو تحفة لمطالعه. وطرفة لقارئه. ونزهة لسامعه. وقد طبع بغاية الاتقان. وصحح بقدر الإمكان.